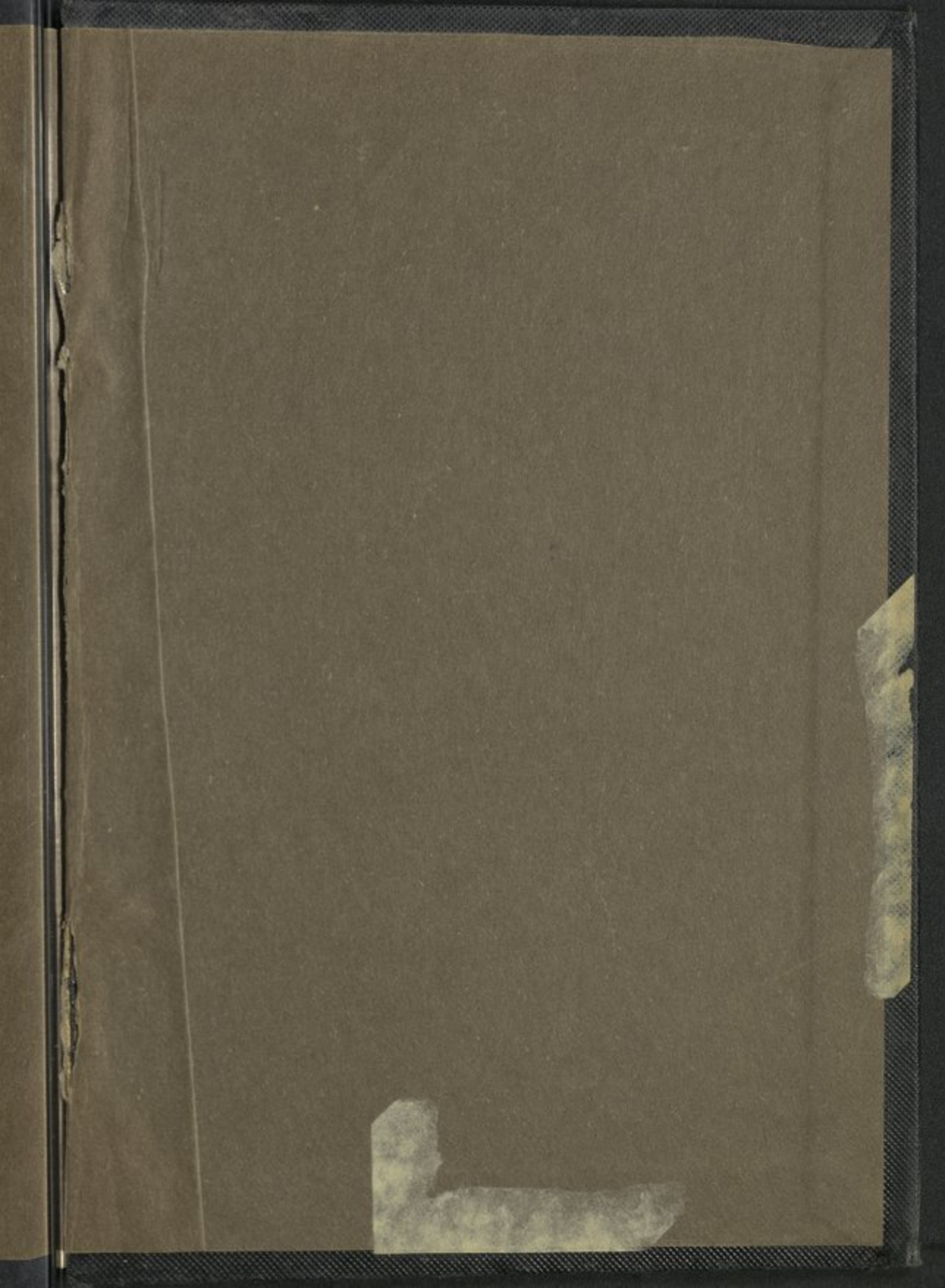


سائنس

پری

297  
I/35  
C1



297.41: I133sA

ابن الجوزي ، أبو الفج عبد الرحمن  
بن علي .

297.41  
I133sA

JAFET LIB.

~~16 DEC 1992~~

JAFET LIB.

~~1 JUN 1980~~

JAFET LIB.

20 NOV 1992

JAFET LIB.

~~8 JUN 1982~~

1  
A

late June 1934

Carnegie

297.41

I133-A

C.I

2/3

س



# صيد الخاطر

للخافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

عنى بنشره

## محمد امين الخانجي

طبع بنفقة

### مكتبة الخانجي

لاصحة ابنا اولاد محمد امين الخانجي  
بشاعة عبدالعزيز بن محمد

49563

الطبعة الاولى

سنة 1345 هـ = 1927 م

( حقوق الطبع محفوظة للمكتبة )

East. June 1984

Carnegie

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرشدين  
واشرف المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى  
يوم الدين .

وبعد : فاني أقدم لحضرات العلماء ، وجمهور الأدباء والفضلاء ،  
في عموم الاقطار الاسلامية هذا الكتاب القيم الموسوم  
ب**بصيرت الخاطر** تأليف امام الواعظين . وكبير المفسرين . الحافظ  
جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . والكتاب في جملته  
وتفصيله خواطر « بسكولوجية » جاشت في صدر المؤلف فأرسلها  
بالاخلاص والنزاهة اللتين امتاز بها في جميع كتبه متوخيا بها ايقاظ  
النفوس . واصلاح السرائر : وقد قال رحمه الله تعالي في الحث على

ج

مطالعة كتابه هذا كلمته التي يوصي بها ولده في آخر رسالته المسماة لفتة  
الكبد الى نصيحة الولد:

« وتلح كتاب صيد الخاطر ، فانك تقع بواقعات تصلح لك امر  
دينك ودنياك »

ولذلك رأينا من الفائدة نشره ليعلم النفع به ان شاء الله تعالى . وقد  
اعتمدنا في طبعه على نسختين خطيتين : احدهما تفضل بها حضرة صاحب  
السعادة « احمد طلعت بك » متع الله عالم الادب بحياته . والاخرى محفوظة  
بدار المكتب المصرية وهي من كتب الامير مصطفى فاضل باشا ، ويرجع  
الفضل في مشتراها وحفظها في مصر الى المرحوم احمد طلعت باشا والد  
سعادة احمد طلعت بك . فكأنما فضل نشر هذا الكتاب راجع اولا  
وآخرآ على « آل طلعت » جزاهم الله خيراً عن أهل العلم والأدب .

أما التعريف بالمؤلف فسيجده القارىء مطولاً على حدة في رسالة  
خاصة - تحت الطبع - عنى بجمعها وتسيقها حضرة الاستاذ الفاضل  
الشيخ احمد محمد شاكر القاضى الشرعى نجل صاحب الفضيلة الاستاذ  
الكبير الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الازهر سابقاً مع استقضاء اسماء  
مؤلفاته وذكر ما طبع منها والاشارة الى ما يوجد منها في المكاتب العامة

ومنها يقف القارئ تفصيلا على سيرة هذا الامام ويعلم مكانته من العلم  
والعمل والله الموفق

مصر - في ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٤٥ و ١٥ يونيه سنة ١٩٢٧

كتبه محمد امين الخانجي

السكرتري عفا الله عنه



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الامام العالم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، رحمة الله تعالى عليه. الحمد لله حمداً يبلغ رضاه، وصلى الله على أشرف من اجتباها، وعلى من صاحبه ووالاه، وسلم تسليماً لا يدرك منتهاه. لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرض لها، ثم تعرض عنها فتذهب؛ كان من أولى الامور حفظ ما يخطر لـكـيـلا يـنسى. وقد قال عليه الصلاة والسلام: قيدوا العلم بالكتابة، وكم قد خطر لي شيء، فاشتغل عن اثباته فيذهب، فأتأسف عليه. ورأيت من نفسي أنني كلما فتحت بصر التفكير، سنع له من عجائب الغيب، ما لم يكن في حساب فانثال عليه من كثيب التفهيم ما لا يجوز التفريط فيه، فجعلت هذا الكتاب قيـداً - لصيد الخاطر - والله ولي النفع أنه قريب مجيب.

١- فصل - قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة، فاذا انفصل عن مجلس الله كر عادت القسوة والغفلة. فتدبرت السبب في ذلك فعرفته ثم رأيت الناس يتفاوتون في ذلك، فالحالة العامة أن القلب لا يكون على صفة من اليقظة عند سماع الموعظة بعدها لسببين: أحدهما أن المواعظ كالسياط، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها ايلاها وقت وقوعها؛ والثاني، أن حالة سماع المواعظ يكون الانسان فيها مزاج العلة؛ قد تخلى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا، وانصت بحضور قلبه، فاذا عاد الى الشواغل اجتذبت به بأفاتها، وكيف يصح أن يكون كما كان. وهذه حالة نعم الخلق، الا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر. فمنهم من يعزم بلا تردد وبمضي من غير التفات، فلو

توقف بهم ركب الطبع لضجوا كما قال حنظلة عن نفسه : نافق حنظلة ،  
ومنهم أقوام يميل بهم الطبع الى الغفلة أحيانا ، ويدعوهم ما تقدم من المواعظ  
الى العمل أحيانا فهم كالسنبلة تميلها الرياح ، وأقوام لا يؤثر فيهم الا بمقدار  
سماعه ، كما دحرجته على صفوان .

٢ - فصل - جواذب الطبع الى الدنيا كثيرة ، ثم هي من داخل ،  
وذكر الآخرة أمر خارج عن الطبع ، ثم هي <sup>(١)</sup> من خارج ، وربما ظن من لاعلم  
له أن جواذب الآخرة أقوى ، لما يسمع من الوعيد في القرآن ، وليس كذلك  
لأن مثل الطبع في ، يله الى الدنيا ، كالماء الجارى فانه يطاب الهبوط ، وانما  
رفعه الى فوق يحتاج الى التكلف ، ولهذا أجاب معاون الشرع : بالترغيب  
والترهيب يقوى جند العقل ، فاما الطبع فجواذبه كثيرة ، وليس العجب أن  
يغلب ، انما العجب أن يغلب .

٣ - فصل - من عين بعين بصيرته تنهى الأمور في بداياتها ،  
نال خيرها ، ونجى من شرها ومن لم ير العواقب غلب عليه الحس ، فعاد  
عليه بالألم ، ما طاب منه السلامة ، وبالتصب مارجا منه الراحة . ويبان هذا  
في المستقبل ، بتبين بذكر الماضى وهو أنك لا تخلو ، أن تكون عصيت  
الله فى عمرك ، أو أطعته ، فأين لذة معصيتك ؟ وأين تعب طاعتك : هيئات  
رحل كل بما فيه : فليت الذنوب اذ تخلصت خلت : وأزيدك فى هذا بيانا مثل  
ساعة الموت ، وانظر الى مرارت الحسرات على التفریط ، ولا أقول كيف  
تغلب حلاوة اللذات ، لأن حلاوة اللذات استحال حنظلا ، فبقيت مرارة  
الأنبى بلا مقاوم . أترأى ما علمت أن الأمر بعواقبه . فراقب العواقب

(١) كذا فى النسختين ولعله ثم هو

تسلم ، ولا تمل مع هوى الحس تندم .

٤ - فصل - من تفكر في عواقب الدنيا ، أخذ الحذر ، ومن أيقن بطول الطريق نأهب للسفر ، ما أعجب امرئ يامن يوقن بامرئ ثم ينساه ، ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه ؛ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه . تغلبك نفسك على ما تظن ، ولا تغلبها على ما تستيقن . أعجب العجائب ، سرورك بغرورك ، وسهوك في لهوك ، عما قد خبي لك . تغتر بصحتك وتنسى ذو السقم ، وتفرح بعافيتك غافلا عن قرب الألم ، لقد أراك مصرع غيرك ، مصرعك ، وأبدى مضجع سواك ، قبل الممات مضجعك ، وقد شغلك نيل لذاتك ، عن ذكر خراب ذاتك :

كأنك لم تسمع باخبار من مضى ولم ترفى الباقين ما يصنع الدهر  
فان كنت لا تدري فنلك ديار عم محالها مجال الريح يمدك والقبر  
كم رأيت صاحب منزل مانزل الحده ، حتى نزل ؛ ولم شاهدت والى  
قصر ، وليه عدوه لما عزل ؛ فيامن كل لحظة الى هذا يسرى ، وفعله فعل من  
لا يفهم ولا يدري :

وكيف تنام العين وهي قريرة ؟ ولم تدري من اين المحلين تنزل ؟

٥ - فصل - من قارب الفتنة ، بعدت عنه السلامة ومن ادعى الصبر ، وكل الى نفسه . ورب نظرة لم تناظر ؛ وأحق الاشياء بالضبط والقهر ، اللسان والعين ، فياك اياك أن تغتر بعزمك ، على ترك الهوى ، مع مقاربة الفتنة . فان الهوى مكيد ، وكم من شجاع في صف الحرب اغتيل . فاتاه مالم يحتسب ممن يأنف النظر اليه ؛ واذا كره حمزة مع وحشى :<sup>(١)</sup>

(١) اشارة الى مقتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم بيد وحشى

فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين  
 واغضض الطرف تسترح من غرام تكسى فيه ثوب ذل وشين  
 فبلاء الفتى موافقة النفس — س وبدى الهوى طموح العين

٦ - فصل - أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقب بالعقوبة. واشدهن  
 ذلك (أن) يقع السرور بما هو عقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من  
 الذنوب ومن هذه حاله. لا يفوذبطاعة الوانى تدبرت أحوال أكثر العلماء  
 والمزهدين فرأيتهم في عقوبات لا يحسون بها، ومعظمها من قبل طلبهم  
 للرياسة: فالعالم منهم، يغضب أن رد عليه خطأه، والواعظ متصنع بوعظه،  
 والمزهد منافق أو مرأى. فاول عقوباتهم، اعراضهم عن الحق شغلا  
 بالخلق ومن خفى عقوباتهم سلب حلاوة المناجاة، ولذة التعبد<sup>الارجال</sup>  
 مؤمنون، ونساء مؤمنات، يحفظ الله بهم الارض، بواطنهم كظواهرهم،  
 بلى أجلى، وسرائرهم كعلانياتهم، بل أجلى، وهمهم عند الثريا، بل أعلى، ان  
 عرفوا تنكروا، وان رثيت لهم كرامة، أنكروا. فالناس في غفلاتهم،  
 وهم في قطع فلاتهم، تحبهم، بقاع الارض، وتفرح بهم أملاك السماء نسأل  
 الله عز وجل التوفيق لاتباعهم، وان يجعلنا من أتباعهم

٧ - فصل - من علامة كمال العقل، علو الهمة والراضى بالدون دنى:

ولم أرفى عيوب الناس عيباً كنعص القادرين على التمام

٨ - فصل - سبحان من سبقت محبته لاجابه، فدحهم على ما وهب  
 لهم، واشترى منهم ما أعطاهم، وقدم المتأخر من أوصافهم، لموضع ايثارهم،  
 فباهى بهم في صومهم، وأحب خلوف أفواههم. يالها من حالة مصونة  
 لا يقدر عليها كل طالب! ولا يبلغ كنه وصفها كل خاطب!

٩- فصل - الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله ، فانه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه ، ولا يدري متى يستدعى ، واني رأيت خلقا كثيرا غرهم الشباب ونسوا فقد الاقران ، وألهام طول الأمل . وربما قال العالم المحض لنفسه : اشتغل بالعلم ثم اعمل به فيتساهل في الزهد<sup>(١)</sup> بحجة الراحة ، ويؤخر الرجا لتحقيق التوبة ، ولا يتحاشى من غيبة أوسماعها ، ومن كسب شبهة يأمل أن يمحوها بالورع ، وينسى ان الموت قد ييقت . فالعاقل من اعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه ، فان بغته الموت رؤى مستعدا ، وان نال الأمل ازداد خيرا .

١٠- فصل - خطرت لى فكرة فيما يجرى على كثير من العالم من المصائب الشديدة ، والبلايا العظيمة ، التي تنهاى الى نهاية الصعوبة فقلت . سبحان الله ! ان الله أكرم الأكرمين ، والسكرم يوجب المسامحة فما وجه هذه المعاقبة ؟ فتفكرت ، فرأيت كثيرا من الناس فى وجودهم كالعدم ، لا يتصفحون أدلة الوجدانية ، ولا ينظرون فى أوامر الله تعالى ونواهيه ، بل يجرون على عاداتهم كالبهايم ، فان وافق الشرع مرادهم ، والا فمعوهم على أغراضهم . وبعد حصول الدينار ، لا يبالون أمن حلال كان أم من حرام ! وان سهلت عليهم الصلاة ، فعلوها وان لم تسهل تركوها ، وفيهم من يبارز بالذنوب العظيمة ، مع نوع معرفة المناهى ، وربما قويت معرفة عالم منهم ، وتفاقت ذنوبه ، فعلمت أن العقوبات ، وان عظمت دون اجرامهم . فاذا رقت عقوبة لتمحص ذنبا ، صاح مستغيثهم : ترى هذا بأى ذنب ؟ وينسى ماقد كان ، مما تنزل الأرض لبعضه وقد يهان الشيخ

(١) فى الاحمدية : فى الزلال .

في كبره ، حتى ترحمه القلوب ، ولا يدري أن ذلك لاهماله حق الله تعالى في شبايه ، فعنى رأيت معاقبا ، فاعلم أنه لذنوب .

١١ - فصل - تأملت النحاسدين العلماء ، فرأيت منشأه من حب الدنيا ، فان علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون ، كما قال عز وجل « ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا » وقال تعالى : « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا » وقد كان أبو الدرداء : يدعو كل ليلة لجماعة من اخوانه . وقال الامام أحمد بن حنبل لولد الشافعي : أبوك من الستة الذين أدعو لهم كل ليلة وقت السحر . والأمر الفارق بين الفئتين : أن علماء الدنيا ، ينظرون في الرياسة فيها ، ويحبون كثرة الجمع والثناء ؛ وعلماء الآخرة ، بمعزل من ايثار ذلك ، وقد كانوا يتخوفونه ، ويرحمون من بلى به ، وكان النخعي : لا يستند الى سارية . وقال علقمة : أكره أن يوطأ عقي . ويقال علقمة ، وكان بعضهم : اذا جاس اليه أكثر من أربعة ، قام عنهم . وكانوا يتدافعون الفتوى . ويحبون الخمول ، ومثل القوم ، كمثل راكب البحر ، وقد خب ، فعنده شغل الى أن يوقن بالنجاة ، وانما كان بعضهم يدعو لبعض ، ويستفيد منه ، لأنهم ركب تصاحبوا فتوادوا ، فالأيام والليالي مراحلهم الى سفر الجنة .

١٢ - فصل - من أحب تصفية الاحوال ، فليجتهد في تصفية الاعمال . قال عز وجل : « وأن لو استقاموا على الطريقة ، لأسقيناهم ماء غدقا » وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل : لو ان عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل ، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولم اسمعهم صوت الرعد . وقال صلى الله عليه وسلم : البر لا يبلى ، والائم

لا ينسى والديان لا ينام<sup>(١)</sup> وكما تدين تدان . وقال ابو سليمان الداراني : من  
صنئى صنئى له ومن كدر كدر عليه ، ومن احسن فى ليلة كوفى فى نهاره ،  
ومن احسن فى نهاره كوفى فى ليله . وكان شيخ يدور فى المجالس ، ويقول  
من سره ان تدوم له العافية ، فليثق الله عز وجل ، وكان الفضيل بن عياض ،  
يقول : انى لأعصى الله ، فأعرف ذلك فى خلقى دابى ، وجارىتى . واعلم  
وفقك الله — انه لا يحس بضربة مبنج ، وانما يعرف الزيادة من نقصان  
المحاسب لنفسه ، ومتى رأيت تكديرا فى حال فاذا كر نعمة ما شكرت ،  
أو زلة قد فُمت ، واحذر من نفار النعم ، ومفاجأة النقم ، ولا تغتر بسعة  
بساط الحلم ، فربما عجل انقباضه . وقد قال الله عز وجل : « ان الله لا يغير  
ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم » وكان ابو على الروذبارى ، يقول : من  
الاغترار أن تسيء ، فيحسن اليك ، فترك التوبة ، توها انك تسامح فى  
الهفوات .

١١٣ - فصل - تفكرت يوما فى التكليف ، فرأيتة ينقسم الى سهل  
وصعب ، فاما السهل ، فهو أعمال الجوارح ، الا أن منه ما هو اصعب من  
بعض ، فالوضوء والصلاة أسهل من الصوم ، والصوم ربما كان عند قوم  
أسهل من الزكاة ، واما الصعب فيتفاوت ، فبعضها اصعب من بعض ، فمن  
المستصعب ، النظر والاستدلال الموصلان الى معرفة الخالق . فهذا صعب  
عند من غلبت عليه أمور الحس ، سهل عند أهل العقل ، ومن المستصعب  
غلبة الهوى ، وقهر النفوس ، وكف أكف الطباع عن التصرف فيما يؤثره ،  
وكل هذا يسهل على العاقل النظر فى ثوابه ، ورجاء عاقبته ، وان شق عاجلا

«١» وفى رواية : والديان لا يموت اعلم ما شئت كما تدين تداون .

ولنا أصعب التكليف وأعجبها، انه قد ثبتت حكمة الخالق عند العقل، ثم يراه يفقر المتشاغل بالعلم، المقبل على العبادة حتى يعرضه الفقر بناجديه، فيذل للجاهل في طلب القوت، ويغني الفاسق مع الجهل، حتى تقيض الدنيا عليه، ثم تراه ينشئ الاجسام ويحكمها، ثم ينقض بناء الشباب في مبدأ أمره، وعند استكمال بنائه فاذا به قد عاد هشيما، ثم تراه يؤلم الاطفال، حتى يرحمهم كل طبع، ثم يقال له: اياك أن تشك في انه أرحم الراحمين، ثم يسمع بارسال موسى الى فرعون، ويقال له: اعتقد ان الله تعالى اصل فرعون، واعلم انه ما كان لآدم بدء من أكل الشجرة وقد وبخ بقوله: «وعصى آدم ربه» وفي مثل هذه الاشياء تحير خلق، حتى خرجوا الى الكفر والتكذيب، ولو قنطشوا على سر هذه الاشياء، لعلموا ان تسليم هذه الامور، تكليف العقل ليدعن، وهذا أصل اذا فهم، حصل السلامة والتسليم. نسأل الله عز وجل أن يكشف لنا الغوامض، التي حيرت من ضل انه قريب مجيب.

١٤ - فصل - ينبغي للانسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربية، ويقدم الافضل فالافضل من القول والعمل. ولتكن نيته في الخير قامة، من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل، كما جاء في الحديث: نية المؤمن خير من عمله. وقد كان جماعة من السلف، يبادرون اللحظات. فنقل عن عامر بن عبد قيس: أن رجلا قال له كئني، فقال له: امسك الشمس وقال ابن ثابت البناني: ذهبت ألقن أبي، فقال يابني دعني، فاني في وردى السادس. ودخلوا على بعض السلف عند موته، وهو يصلي، فقيل له، فقال: الآن تطوى صحيفتي. فاذا علم الانسان وان بالغ في الجد بان الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته



ما يدوم له أجره بعد موته ، فإن كان له شيء من الدنيا ، وقف وقفنا ، وغرس غرسا ، واجرى نهرا ، ويسمى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده ، فيكون الأجر له ، أو أن يصنف كتابا من العلم ، فإن تصنيف العالم ولده الخلد ، وأن يكون عاملا بالخير ، عالما فيه ، فينقل من فعله ما يقتدى الغير به ، فذلك الذي لم يمت

\* قدمات قوم وهم في الناس أحياء \*

١٥ - فصل - رأيت من أعظم حيل الشيطان ومكره ، أن يخبط ارباب الأموال بالآمال ، والتشاغل باللذات القاطعه عن الآخرة وأعمالها ، فإذا أهلهم بالمال تحريضا على جمعه ، وحثا على تحصيله ، أمرهم بحراسته بخلا به ، فذلك من متين حيله ، وقوى مكره . ثم دفن في هذا الأمر من دقائق الحيل الخفية ، أن خوف من جمعه المؤمنين ، فنفر طالب الآخرة منه ، وبادر التائب ، يخرج مافي يده ولا يزال الشيطان ، يحرضه على الزهد ، ويأمره بالترك ، ويخوفه من طرقات الكسب ، اظهاراً لنصحته وحفظ دينه . وفي خفايا ذلك عجائب من مكره ، وربما تكلم الشيطان على لسان بعض المشايخ الذين يقتدى بهم التائب ، فيقول له : اخرج من مالك وادخل في زمرة الزهاد ومتى كان لك غداء أو عشاء ، فلست من أهل الزهد ، ولا تنال مراتب العزم ، وربما كرر عليه الاحاديث البعيدة عن الصحة والواردة على سبب ولمعنى ، فإذا أخرج مافي يده . وتمطل عن مكاسبه ، عاد يعلق طمعه بصلة الاخوان . أو يحسن عنده صحبة السلطان ، لانه لا يقوى على طريق الزهد والترك الا أياما ، ثم يعود الطبع فيقاضى مطلوباته ، فيقع في أقبح مما فر منه ، ويبدل اول السلع في التحصيل دينه وعرضه ، ويصير

متمندلابه، ويقف في مقام اليد السفلى . ولو أنه نظر في سير الرجال ونبلائهم  
وتأمل ضحاح الاحاديث، عن رؤسائهم، اعلم ان الخليل عليه الصلاة والسلام  
كان كثير المال، حتى ضاقت بلدته بمواشيه، وكذلك لوط عليه الصلاة  
والسلام، وكثير من الانبياء عليهم الصلاة والسلام. والجم الغفير من  
الصحابة. وانما صبروا عند العدم، ولم يتنعوا من كسب ما يصلحهم، ولا  
من تناول المباح عند الوجود. وكان أبو بكر رضي الله عنه: يخرج للتجارة  
والرسول صلى الله عليه وسلم حتى . وكان أكثرهم: يخرج فاضل ما يأخذ من  
بيت المال، ويسلم من ذل الحاجة الى الاخوان. وقد كان ابن عمر: لا يرد  
شيئا، ولا يسأل. واني تأملت أكثر أهل الدين والعلم على هذه الحال،  
فوجدت العلم شغلهم عن المكاسب في بداياتهم، فلما احتاجوا الى نفوسهم  
ذلوا، وهم أحق بالعرز، وقد كانوا قديما يكفيهم من بيت المال فضلات  
الاخوان، فلما عدت في هذا الاوان، لم يقدر متدين على شيء الا يبذل  
شيء من دينه، وليته قدر فرماتلف الدين ولم يحصل له شيء. فالواجب على  
العاقل ان يحفظ ماله، وان يجتهد في الكسب ليربح مداراة ظالم، أو مدهانة  
جاهل، ولا يلتفت الى ترهات المتصوفة، الذين يدعون في الفقر ما يدعون .  
فا الفقر الامرض العجزة، وللصابر على الفقر ثواب الصابر على المرض .  
اللهم الا ان يكون جبانا عن التصرف، مقتنعا بالكفاف، فليس ذلك  
من مراتب الابطال، بل هو من مقامات الجبناء الزهاد، واما المكاسب  
ليكون المعطى لا المعطى، والمتصدق لا المتصدق عليه، فهي من مراتب  
الشجعان الفضلاء. ومن تأمل هذا علم شرف الغنى ومخاطرة الفقر.

١٦ - فصل - تأملت احوال الفضلاء، فوجدتهم في الاعقاب

قد يخسوا من حظوظ الدنيا، ورأيت الدنيا - غالبا - في أيدي أهل النقص، فنظرت في الفضلاء، فاذا هم يتأسفون على ما فاتهم مما ناله أولوا النقص، وربما تقطع بعضهم أسفا على ذلك. فخطبت بعض المتأسفين فقلت له: ويحك ندبر أمرك، فانت غالط من وجوه أحدها: انه ان كانت لك همة في طلب الدنيا، فاجتهد في طلبها تريح التأسف على فوتها، فان قومك متأسفا على ما ناله غيرك، مع قصور اجتهادك غاية العجز، والثاني: ان الدنيا انما تراد لتعير لا اتعمر، وهذا هو الذي يدل عليك عليه علمك ويبلغه فهمك، وما يناله أهل النقص من فضولها يؤذي ابدانهم واديانهم، فاذا عرفت ذلك ثم تأسفت على فقد ما فقدته أصلح لك، كان تأسفك عقوبة لتأسفك على ما تعلم المصلحة في بومه، فاقنع بذلك عذابا جلا، أن سمعت من العذاب الآجل، والثالث: انك قد علمت بحس حظ الآدمي في الجملة، من مطاعم الدنيا ولذاتها بالاضافة الى الحيوان البهيم، لانه<sup>(١)</sup> ينال ذلك اكثر مقدارا مع أمن، وانت تناله مع خوف وقلة مقدار، فاذا ضوعف حظك من ذلك لجنسك كان لاحقا بالحيوان البهيم من جهة أنه يشغله ذلك عن تحصيل فضائل، وتخفيف المؤن يحث صاحبه على نيل مراتب، فاذا آثرت مع قلة الفضول الفضول، عدت على ما علمت بالازراء فشنت علمك ودلت على اختلاط رأيك

١٧ - فصل - تأملت أقدام العلماء بالعقاب على شهوات النفس المنهية عنها، فرأيتها مرتبة نزاحم الكفر لولا تلوح معنى: وهو أن الناس عند واقعة المحذور ينقسمون، فمنهم جاهل بالمحذور انه محذور، فهذا نوع عذر، ومنهم من يظن المحذور مكروها، لا محرما فهذا قريب من

(١) في الاحمدية لانه لا ينال الخ

الأول، وربما دخل في هذا القسم آدم صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يتأول فيغلط، كما يقال ان آدم عليه الصلاة والسلام . نهى عن شجرة بهيئها ، فاكل من جنسها لامن عينها، ومنهم من يعلم التحريم، غير ان غلبات الشهوة أنسته تذكر ذلك، فشغله مارأى عما يعلم، ولهذا لا يذكر السارق القطع بل . يغيب بكليته في نيل الحظ، ولا يذكر راكب الفاحشة الفضيحة ولا الحد، لأن ما يرى يذهله عما يعلم . ومنهم من يعلم الخطر ويذكره ، غير أن الأخذ بالحزم أولى بالعاقل ، كيف وقد علم أن هذا الملك الحكيم قطع اليد في ربع دينار، وهدم بناء الجسم المحكم بالرحم بالحجارة، لالتذاذ ساعة . وخسف . ومسخ . واغرق .

١٨ - فصل - من تأمل افعال الباري سبحانه ، رآها على قانون العدل، وشاهد الجزاء مرصدا للمجازاة، ولو بعد حين . فلا ينبغي ان يغتر مسامح . فالجزاء قديتاً خر . ومن أقبح الذنوب التي قد أعد لها الجزاء العظيم الاصرار على الذنب ، ثم يصانع صاحبه باستغفار وصلاة وتعبد ، وعنده ان المصانعة تنفع . وأعظم الخلق اغتراراً من أتى ما يكرهه الله . وطلب منه ما يحبه هو ، كما روى في الحديث . والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى . ومما ينبغي للعاقل أن يترصده ، وقوع الجزاء ، فان ابن سيرين قال : عبرت رجلاً فقلت : يا مفلس ، فأفلسيت بعد أربعين سنة . وقال ابن الجلاب : رأيت شيخاً لى وأنا انظر الى أمره ، فقال : ما هذا لتجدن غيبها ، فنسيت القرآن بعد أربعين سنة . وبالضد من هذا كل من عمل خيراً أو صحح نية ، فلينتظر جزاءها الحسن، وان امتدت المدة . قال الله عز وجل : « انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » وقال عليه الصلاة

والسلام : من غض بصره عن محاسن امرأة اثنابه الله ايمانا ، يجد حلاوته في قلبه . فليعلم العاقل أن ميزان العدل لا يحابي .

١٩ - فصل / تأملت أحوال الصوفية والزهاد، فوجدت أكثرها منحرفا عن الشريعة ، بين جهل بالشرع، وابتداع بالرأى ، يستدلون بآيات لا يفهمون معناها ، وبأحاديث لها أسباب ، وجهورها لا يثبت . فمن ذلك ، أنهم سمعوا في القرآن العزيز : « وما الحياة الدنيا الا متاع العرور » « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة » ثم سمعوا في الحديث : «للدنيا أهون على الله من شاة ميتة على أهلها ، فبالنوا في هجرها من غير بحث عن حقيقتها ، وذلك أنه ما لم يعرف حقيقة الشيء فلا يجوز أن يمدح ولا أن يذم . فاذا بحثنا عن الدنيا رأينا هذه الارض البسيطة التي جعلت قرار للخلق ، يخرج منها أقواتهم ، ويدفن فيها أمواتهم . ومثل هذا لا يذم لموضع المصلحة فيه ورأينا ما عليها من ماء ، وزرع ، وحيوان ، كله لمصالح الآدمي ، وفيه حفظ لسبب بقاءه ، ورأينا بقاء الآدمي سببا لمعرفة ربه ، وطاقته اياه وخدمته ، وما كان سببا لبقاء العارف العابد يمدح ولا يذم . فبان لنا أن الذم انما هو لافعال الجاهل ، أو العاصي في الدنيا ، فانه اذا اقتنى المال المباح ؛ وأدى زكاته ، لم يلم ؛ فقد علم ما خلف الزبير ، وابن عوف وغيرهما ، وبلغت صدقة علي - رضی الله عنه - اربعمائة الفاً . وخلف ابن مسعود : تسعين الفاً ، وكان الليث بن سعد : يشتغل كل سنة عشرين الفاً وكان سفیان : يتجر بمال ، وكان ابن مهدي . يشتغل كل سنة الفى دينار . وان أكثر من النكاح والسرارى كان ممدوحا لا ملوما ، فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم زوجات ، وسرارى . وجهور الصحابة ، كانوا على الاكثار من ذلك وكان

لعلي بن أبي طالب - رضى الله عنه - اربع حرائر ، وسبع عشرة امة ،  
وتزوج ولده الحسن نحواً من اربعمائة . فان طلب التزوج الاولاد ، فهو  
الغاية فى التعبد ، وان اراد التلذذ فباح ، يندرج فيه من التعبد ما لا يحصى ،  
من اعفاف نفسه والمرأة ، الى غير ذلك . وقد أنفق موسى - عليه  
السلام - من عمره الشريف عشر سنين فى مهر بنت شعيب ، فلولا أن  
النكاح من أفضل الاشياء ، لما ذهب كثير من زمان الانبياء فيه . وقد قال  
ابن عباس رضى الله عنهما : خيار هذه الامة أكثرها نساء ، وكان يظاً  
جارية له وينزل فى اخرى وقالت سرية الربيع بن خيثم : كان الربيع يعزل .  
وأما المطعم فالمراد منه تقوية هذا البدن لخدمة الله عز وجل ، وحق على ذى  
الناقة أن يكرمه لتحمله ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم : يأكل ما وجد ،  
فان وجد اللحم أكله ، ويأكل لحم الدجاج ، وأحب الاشياء اليه الحلوى  
والعسل . وما نقل عنه انه امتنع من مباح . وجىء على رضى الله عنه  
بفألزوج فاكل منه ، وقال ما هذا ؟ قالوا : يوم النوروز ، فقال : نورزونا كل  
يوم وانما يكره الاكل فوق الشبع ، واللبس على وجه الاختيال والبطر .  
وقد اقتنع اقوام بالدون من ذلك ، لان الحلال الصافى لا يكاد يمكن فيه تحصيل  
المراد ، والافقد لبس النبي صلى الله عليه وسلم : حلة اشترت له - بسبع  
وعشرين بعيراً - وكان لتيمم الدارى : حلة اشترت بألف درهم ، يصلى فيها  
بالليل . فجاء اقوام ، فاظهروا التزهد ، وابتسكروا طريقة زينهاهم الهوى ، ثم  
تطلبوا لها الدليل ، وانما ينبغى للانسان أن يتبع الدليل لأن يتبع طريقاً  
ويتطلب دليلها ، ثم انقسموا : فمنهم متصنع فى الظاهر ، ليث الشرى فى  
الباطن ، يتناول فى خلواته الشهوات ، وينعكف على اللذات . ويرى الناس

بزيه أنه متصوف متزهّد، وماتزهّد الا القميص . واذا نظر الى أحواله  
فَعنده كبر فرعون . ومنهم سليم الباطن ، الا أنه بالشرع جاهل . ومنهم  
من تصدر وصنف فافتدى به الجاهلون في هذه الطريقة ، وكانوا كمن  
اتبعوا أعمى ، ولو أنهم تلمحوا للأمر الاول ، الذي كان عليه الرسول صلى  
الله عليه وسلم والصحابة رضی الله عنهم ، لما زاغوا . ولقد كان جماعة من  
الحقّيقين ، لا يبالون بمعظّم في النفوس اذا حاد عن الشريعة ، بل يوسعونه  
لوما . فنقل عن أحمد أنه قال له المروزي : ما تقول في النكاح ؟ فقال سنة النبي  
صلى الله عليه وسلم ، فقال فقد قال ابراهيم . قال : فصاح بي وقال جئتنا بينيات  
الطريق ! وقيل له أن سرّاً السقطى قال : لما خلق الله تعالى الحروف ،  
وقف الالف وسجدت الباء ، فقال . نفروا الناس عنه . واعلم أن المحقق  
لا يهوله اسم معظّم ، كما قال رجل لعل بن أبي طالب رضی الله عنه : أتظن  
انا نغان أن طلحة والزبير ، كانا على الباطل ؟ فقال له : ان الحق لا يعرف  
بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله . ولعمري أنه قد وقر في النفوس تعظيم  
اقوام ، فاذا نقل عنهم شيء فسمعه جاهل بالشرع ، قبله لتعظيمهم في نفسه  
كما ينقل عن أبي يزيد رضی الله عنه ، انه قال : تراعت على نفسي خلفت  
لا أشرب الماء سنة وهذا اذا صح عنه ، كان خطأ قبيحا ، وزلة فاحشة ،  
لأن الماء ينفذ الأغذية الى البدن ، ولا يقوم مقامه شيء ، فاذا لم يشرب  
فقد سعى في اذى بدنه ، وقد كان يستعذب الماء لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، افترى هذا فعل من يعلم : أن نفسه ليست له ، وأنه لا يجوز التصرف  
فيها الا عن اذن مالئکها وكذلك ينقلون عن بعض الصوفية ، أنه قال :  
سرت الى مكة على طريق التوكل حافيا ، فكانت الشوكة تدخّل في رجلي

فاحكها بالارض ولا ارفعها، وكان على مسح، فكانت عيني اذا المتني  
أدلكها بالمسح فذهبت احدى عيني. وأمثال هذا كثير وربما حملها القصاص  
على الكرامات، وعظموها عند العوام، فيخايل لهم أن فاعل هذا أعلى  
مرتبة من الشافعي، وأحمد. ولمرى أن هذا من أعظم الذنوب وأقبح  
الميوّب، لان الله تعالى قال: «ولا تقتلوا أنفسكم» وقال النبي صلى الله عليه  
وسلم: إن لنفسك عليك حقا: وقد طلب أبو بكر رضى الله عنه، في  
طريق الهجرة للنبي صلى الله عليه وسلم، ظلا حتى رأى صخرة فقرش له  
في ظلها. وقد نقل عن قدماء هذه الامة بدايات هذا التفريط، وكان سببا  
من وجهين. أحدهما الجهل بالعلم، والثاني: قرب المهد بالهانية وقد كان  
الحسن يعيب فرقا السنجى، ومالك بن دينار، في زهدهما، فرئى عنده  
طعام فيه لحم، فقال: لا رغبتى مالك، ولا صحننا فرقد. ورأى على فرقد  
كساء، فقال: يا فرقد ان أكثر أهل النار أصحاب الاكسية. وكم قد زوق  
قاص مجلسه بذكر أقوام خرجوا الى السياحة بلا زاد ولا ماء، وهو  
لا يعلم أن هذا من أقبح الأفعال؛ وان الله تعالى لا يجرب عليه، فربما  
سمعه جاهل من التائبين، فخرح فمات في الطريق، فصار للقائل نصيب  
من اثمه. وكم يروون عن ذى النون: أنه لقي امرأة في السياحة فكلمها  
وكلمته، وينسون الاحاديث الصحاح: لا يحل لامرأة أن تسافر يوما وليلة  
الا بمحرم؛ وكم ينقلون: أن أقواما مشوا على الماء وقد قال ابراهيم الحربي:  
لا يصح أن أحدا مشى على الماء قط؛ فاذا سمعوا هذا قالوا: أتتكرون  
كرامات الاولياء الصالحين؛ فنقول: لسنا من المنكرين لها، بل نتبع  
ماصح، والصالحون هم الذين يتبعون الشرع، ولا يتعبدون بأرائهم. وفي



الحديث: ان بنى اسرائيل شددوا، فشد الله عليهم . وكم يحثون على الفقر حتى حملوا خلقا على اخراج أموالهم ، ثم آكل بهم الأمر اما الى التسخط عند الحاجة ، واما الى التعرض بسؤال الناس . وكم تأذى مسلم بأمرم الناس بالتقليل : وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث نفس ، فما قنعوا حتى امروا بالمبالغة فى التقليل . فحكى ابو طالب المكي فى قوت القلوب : ان فيهم من كان يزن فوته بكُرَّةٍ " رطبة ، ففى كل ليلة يذهب من رطوبتها قليل ، وكنت انا ممن اقتدى بقوله فى الصبا ، فضايق المعى وأوجب ذلك ، مرض سنيز . أفترى هذا شىء تقتضيه الحكمة ، أو ندب اليه الشرع ؟ وانما مطية الآدمى قواه ، فاذا سعى فى تقليلها ضعف عن العبادة . فانالوا دخلنا ديار الروم ، فوجدنا اثمان الخمر واجر الفجور ، كان لنا حلالا بوصف الغنيمة . أفترى حلالا على معنى أن الحية من الذهب لم تنتقل مذخرت من المعدن ، على وجه لا يجوز : فهذا شىء لم ينظر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . او ليس قد سمعت أن الصدقة عليه حرام ، فلما تصدق على بُرَيْرة بلحم فاهدته ، جازله اكل تلك العين لتغير الوصف . وقد قال احمد بن حنبل : اكره التقليل من الطعام ، فان اقواما فعلوه فمعجزوا عن الفرائض ، وهذا صحيح . فان التقليل لا يزال يتقلل ، الى أن يعجز عن النوافل ثم الفرائض ، ثم يعجز عن مباشرة اهله واعفاهم ، وعن بذل القوى فى الكسب لهم ، وعن فعل خير قد كان يفعله ، ولا يهوانك ما تسمعه من الاحاديث ، التى تحث على الجوع ، فان المراد بها إما الحث على الصوم ، واما النهى عن مقاومة الشبع . فاما تنقيص المطعم على الدوام ،

(١) فى الاحمدية : بكربة رطبة . وهى كربة النخل

فؤثر في القوى ، فلا يجوز . ثم في هؤلاء المذمومين من يرى هجر اللحم ،  
والنبي صلى الله عليه وسلم كان يود أن يأكله كل يوم ، وسمع مني بلا  
محاباة ، لا تحتجنّ علىّ باسماء الرجال ، فتقول قد قال بشر وقال ابراهيم  
ابن ادم ، وان من احتج بالرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله  
عليهم أقوى حجة ، على أن لافعال أولئك وجوها تحملها عليهم بحسن  
الظن . ولقد ذكرت بعض مشايخنا ما يروى عن جماعة من السادات ،  
أنهم دفنوا كتبهم ، فقلت له : ما وجه هذا : فقال : أحسن ما نقول أن  
نسكت ، يشير الى ان هذا جهل من فاعله ، وتأولت انالهم : فقلت ، لعل  
ما دفنوا من كتبهم ، فيها شيء من الرأى ، فما رأوا أن يعمل الناس به ،  
ولقد روينا في الحديث ، عن احمد بن ابى الحوارى : أنه اخذ كتبه فرمى  
بها في البحر : وقال ، نعم الدليل كنت : ولا حاجة لنا الى الدليل ، بعد  
الوصول الى المدلول . وهذا اذا أحسنا به الظن ، قلنا كان فيها من كلامهم  
ما لا يرتضيه ، فاما اذا كانت علوما صحيحة ، كان هذا من أخش الاضاعة  
وانا وان تأولت لهم هذا ، فهو تأويل صحيح في حق العلماء منهم ، لأنا قد  
روينا عن سفيان الثوري : أنه قد أوصى بدفن كتبه ، وكان ندم على أشياء  
كتبها ، عن قوم ، وقال : حملني شهوة الحديث — وهذا لانه كان يكتب  
عن الضمفاء والمتروكين — فكأنه لما عسر عليه التمييز ، اوصى بدفن الكل .  
وكذلك من كان له رأى من كلامه ثم رجع عنه ، جاز أن يدفن الكتب  
التي فيها ذلك ، فهذا وجه التأويل للعلماء . فاما المتزهدون ، الذين رأوا  
صورة فعل العلماء ، ودفنوا كتبها صالحة لئلا تشغلهم عن التعبد ، فانه جهل  
منهم ، لأنهم شرعوا في اطفاء مصباح يضيء لهم ، مع الاقدام على تضييع

مال لا يحل . ومن جملة من عمل بواقعة دفن كتب العلم ، يوسف بن أسباط  
 ثم لم يصبر عن التحديث فحافظ فعد في الضعفاء . أنبانا عبد الوهاب بن  
 المبارك ، قال اخبرنا محمد بن المظفر الشامي ، قال اخبرنا احمد بن محمد  
 العتيقي ، قال حدثنا يوسف بن احمد ، قال حدثنا محمد بن عمرو العقيلي ،  
 قال حدثنا محمد بن عيسى ، قال اخبرنا احمد بن خالد الخلال . قال : سمعت  
 شعيب بن حرب يقول قلت ليوسف بن اسباط كيف صنعت بكتبك؟ قال :  
 جئت الى الجزيرة ، فلما نضب الماء دفنتها حتى جاء الماء عليها ، فذهبت . قلت :  
 ما حلك على ذلك؟ قال : اردت أن يكون لهم همًا واحدا . قال العقيلي : وحدثني  
 آدم ، قال سمعت البخاري قال قال صدقة : دفن يوسف بن اسباط كتبه ،  
 وكان بعد يغلب عليه ، فلا يجيء كما ينبغي ، وقال المؤلف قلت : الظاهر ان هذه  
 كتب علم ينفع ، ولكن قلة العلم أوجبت هذا التفريط ، الذي قصد به  
 الخير ، وهو شر . فلو كانت كتبه من جنس كتب الثوري ، فان فيها عن ضعفاء  
 ولم يصح له التمييز قرب الحال . انما تعليقه بجمع هم ، هو الدليل على أنها  
 ليست كذلك ، فانظر الى قلة العلم ، ما ذا تؤثر مع أهل الخير . ولقد بلغنا  
 في الحديث عن بعض من نعظمه ، وتزوره ، انه كان على شاطئ دجلة ، فبال  
 ثم تيمم ، فقيل له الماء قريب منك ، فقال خفت ان لا أبلغه ، وهذا وان  
 كان يدل على قصر الامل ، الا ان الفقهاء اذا سمعوا مثل هذا الحديث تلاعبوا  
 به ، من جهة ان التيمم ، انما يصح عند عدم الماء ، فاذا كان الماء موجوداً  
 كان تحريك اليدين ، بالتيمم عبثاً . وليس من ضرورة وجود الماء ان  
 يكون الى جانب المحدث ، بل لو كان على أذرع كثيرة ، كان موجوداً ،  
 فلا فعل للتيمم ، ولا أثر حينئذ . ومن تأمل هذه الأشياء ، علم ان فقيها

واحدًا ، وان قل اتباعه ، وحققت اذامات أشياعه ، أفضل من ألوف تمسح  
العوام بهم تبركا ، ويشيع جنازهم ما لا يحصى . وهل الناس إلا صاحب  
أثر تتبعه ، أو فقيه يفهم مراد الشرع ويفتي به ؟ نعم ذب الله من الجهل ، وتعظيم  
الاسلاف تقليدًا لهم بغير دليل ؛ فان من ورد المشرب الاول رأى سائر  
المشارب كدرة ، والحنة العظمى مدائح العوام . فكم غرت كما قال علي رضي  
الله عنه : ما أبقى خفق النعال وراء الحق ، من عقولهم شيئًا . لو لقد رأينا  
وسمعنا من العوام ، أنهم يمدحون الشخص ، فيقولون : لا ينام الليل ، ولا  
يفطر النهار ، ولا يعرف زوجة ، ولا يذوق من شهوات الدنيا شيئًا ، قد  
نحل جسمه ، وودق عظمه ، حتى انه يصلي قاعدا ، فهو خير من العلماء الذين  
يأكلون ويتمتعون . ذلك مبالغهم من العلم ، ولوعلموا ان الدنيا لو اجتمعت  
في لقمة فتناولها عالم يفتى عن الله ، ويخبر بشريعته ، كانت فتوى واحدة  
منه يرشد بها الى الله تعالى خيرًا وأفضل من عبادة ذلك العابد باقي عمره ؛ وقد  
قال ابن عباس رضي الله عنهما : فقيه واحد ، أشد على ابليس من ألف  
عابد . ومن سمع هذا الكلام فلا يظن أنني أمدح من لا يعمل بعلمه ، وإنما  
أمدح العاملين بالعلم ، وهو أعلم بمصالح أنفسهم ، فقد كان فيهم من يصلح  
على خشن العيش ، كأحمد بن حنبل ، وكان فيهم ، من يستعمل رقيق  
العيش ، كسفيان الثوري ، مع ورعه ، ومالك مع تدينه ، والشافعي مع قوة  
فقهه ، ولا ينبغي أن يطالب الانسان بما يقوى عليه غيره ، فيضعف هو  
عنه ، فان الانسان أعرف بمصالح نفسه . وقد قالت رابعة : ان كان  
صلاح قلبك في الفالودج فكله ، ولا تكونن أيها السامع ممن يرى صور  
الزهد . فرب متنعم لا يريد التنعم ، وإنما يقصد المصلحة . وليس كل بدن

يقوى على الخشونة خصوصاً من قد لاقى الكدَّ وأجهده الفكر ، أو مضه الفقر ، فإنه ان لم يرفق بنفسه ، ترك واجباً عليه من الرفق ، فهذه جملة لو شرحتها بذكر الاخبار والمنقولات ، لطالت غير اني سطرتها على عجل حين جالت في خاطري ، والله ولي النفع برحمته .

٢٠ - فصل - قد أشكل على الناس أمر النفس وماهيتها ، مع اجماعهم على وجودها ، ولا يضر الجهل بذاتها مع اثباتها ، ثم أشكل عليهم مصيرها بعد الموت ، ومذهب أهل الحق ان لها وجوداً بعد موتها ، وانها تنعم وتعذب ، قال احمد بن حنبل : ارواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكفار في النار ، وقد جاء في أحاديث الشهداء : انها في حواصل طير خضر تعلق من شجر الجنة . وقد أخذ بعض الجهلة بظواهر أحاديث النعيم ، فقال : ان الموتي يأكلون في القبور ، وينكحون ، والصواب من ذلك ، ان النفس تخرج بعد الموت الى نعيم أو عذاب ، وانها تجرد ذلك الى يوم القيامة ، فاذا كانت القيامة ، أعيدت الى الجسد ليتكامل لها النعم بالوسائط وقوله - في حواصل طير خضر - دليل على ان النفوس لا تنال لذة الابواسطة ، إلا ان تلك اللذة لذة مطعم أو مشرب ، فأما لذات المعارف والعلوم فيجوز ان تنالها بذاتها ، مع عدم الوسائط . والمقصود من هذا المذكور أني رأيت بعض الانزعاج من الموت ، وملاحظة النفس بعين العدم عنده ، فقلت لها : ان كنت مصدقة للشريعة فقد أخبرت بما تعرفين ، ولا وجه للانكار ، وان كان هناك ريب في أخبار الشريعة ، صار الكلام في بيان صحة الشريعة . فقالت : لا ريب عندي ، قلت : فاجتهدي في تصحيح الايمان ، وتحقيق التقوى ، وابشري حينئذ بالراحة من ساعة الموت ، فاني لا أخاف عليك

الا من التقصير في العمل ، واعلمى ان تفاوت النعيم بمقدار درجات الفضائل  
فارتقى بالجحمة الجد الى أعلا أبراجها ، واحذرى من قانص هوى ، أو شرك  
غرة والله ، الموفق .

## ٢١ - فصل - قلت يوماً في مجلسي : لو ان الجبال حملت ما حملت

لعجزت ، فلما عدت الى منزلي ، قالت لى النفس : كيف قلت هذا ، وربما  
أوهم الناس ان بك بلاء وأنت في عافية في نفسك وأهلك ؟ وهل الذى  
حملت الا التكليف الذى يحمله الخلق كلهم ؟ فما وجه هذه الشكوى . فأجبتها  
انى لما عجزت عما حملت ، قلت هذه الكلمة لاعلى سبيل الشكوى ، ولكن  
للاسترواح ، وقد قال كثير من الصحابة والتابعين قبلى : ليتنا لم نخلق :  
وما ذاك الا لاثقال عجزوا عنها ، ثم من ظن ان التكليف سهلة فما عرفها  
أترى يظن الظان ان التكليف غسل الاعضاء برطل من الماء ، أو الوقوف فى  
محراب ، لاداء ركعتين ؟ هيئات : هذا أسهل التكليف ، وان التكليف هو  
الذى عجزت عنه الجبال ، ومن جملته : أنى اذا رأيت القدر يجري بما لا يفهمه  
العقل ، ألزمت العقل الاذعان المقدر ، فكان من أصعب التكليف ،  
وخصوصاً فيما لا يعلم العقل معناه كايلام الاطفال ، وذبح الحيوان ، مع  
الاعتقاد بأن المقدر لذلك والآمر به أرحم الراحمين . فهذا مما يتحير العقل  
فيه ، فيكون تكليف التسليم ، وترك الاعتراض . فكلم بين تكليف البدن  
وتكليف العقل ؛ ولو شرحت هذا لطال غير انى أعتذر عما قلته ، فاقول  
عن نفسى ، وما يلزمنى حال غيرى : أنى رجل حبيب الى العلم من زمرة  
الطفولة فتشاغلت به ، ثم لم يحبب الى فن واحد منه ، بل فنونه ، ثم  
لا تقتصر همتى فى فن على بعضه ، بل أروم استقصاءه ، والزمان لا يسع ،

والعمر أضيّق، والشوق يقوى، والعجز يظهر<sup>(١)</sup> فيبقى وقوف بعض المطلوبات  
 حسرات، ثم ان العلم داني على معرفة المعبود، وحثني على خدمته، ثم  
 صاحت بي الأدلة عليه اليه، فوقفت بين يديه، فرأيت في نعتيه وعرفته  
 بصفاته، وعانيت بصيرتي من الطافه مادعاني الى الهيمان في محبته، وحركني  
 الى التخلي لخدمته، وصار يملكني أمر كالوجود كلما ذكرته، فعادت خلوتي  
 في خدمتي له، أحلى عندي من كل حلاوة، فكلمت الى الانقطاع عن  
 الشواغل الى الخلوة، صاح بي العلم أين تمضي؟ أترض عني وأنا سبب  
 معرفتك؟ فاقول له: انما كنت دليلا وبعد الوصول يستغنى عن الدليل،  
 قال: هيهات! كلما زدت، زادت معرفتك بمحبوبك، وفهمت كيف القرب  
 منه، ودليل هذا، انك تعلم غداً، انك اليوم في نقصان، أو ما سمعته يقول  
 لنبيه صلى الله عليه وسلم: «وقل رب زدني علماً». ثم الست تبغى القرب منه  
 فاشتغل، بدلالة عباده عليه، فهي حالات الانبياء عليهم الصلاة والسلام.  
 أما علمت انهم آثروا تعليم الخلق، على خلوات التعبد، لعلمهم ان ذلك آثر  
 عند حبيبهم؟ أما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: لعلي رضي الله عنه: لأن  
 يهدي الله بك رجلاً، خير لك من حمر النعم؟ فلما فهمت صدق هذه المقالة،  
 تهوسست على تلك الحالة، وكلما تشاغلت بجمع الناس، تفرق همي، واذا  
 وجدت مرادى من نفعمهم، ضعت أنا، فأبقي في حيز التحير متردداً،  
 لا أدري على أي القدمين أتعتمد، فاذا وقفت متحيراً صاح العلم، قم لكسب  
 العيال، وادأب في تحصيل ولد يذكرك الله، فاذا شرعت في ذلك قاص ضرع  
 الدنيا وقت الحلب، ورأيت باب المعاش مسدوداً في وجهي، لأن صناعة

العلم شغلتنى عن تعلم صناعة ، فاذا التفت الى ابناء الدنيا ، رأيتهم لا يبيعون شيئاً من سلمها الا بدين المشتري اوليت من نافقهم أو رايأهم نال من دينهم . بل ربما ذهب دينه ولم يحصل مراده ، فان قال الضجر اهرب . قال : الشرع كفى بالمرء إثماً ان يضيع من يقوت . وان قال العزم انفرد . قال : فكيف بمن تعول . فغاية الامر انى اشرع فى التقلل من الدنيا ، وقد ربيت فى نعيمها ، وغذيت بلبانها ، ولطف مزاجى فوق لطف وضعه بالعادة . فاذا غيرت لباسى وخشنت مطعمى ، لأن القوت لا يحتمل الانبساط نفر الطبع لفراق العادة ، فخل المرض فقطع عن واجبات ، وأوقع فى آفات . ومعلوم ان لين اللقمة بعد التحصيل من الوجوه المستطابة وتحسينها لمن لم يألف سعى فى تلف النفس فأقول : كيف اصنع وما الذى افعل ؟ واخلو ؟ بنفسى فى خلواتى واتزيد من البكاء على نقص حالاتى . واقول : اصف حال العلماء : وجسمى يضعف عن اعادة العلم ، وحال الزهاد ، وبدنى لا يقوى على الزهد ، وحال المحبين ، ومخالطة الخلق تشتت همى ، وتنقش صور المحبوبات من الهوى فى نفسى . فتصدأ مرآة قلبى وشجرة المحبة تحتاج الى تربية فى تربة طيبة ، لتسقى ماء الخلوة . من دولاب الفكرة ، وان آثرت التكسب لم اطق . وان تعرضت لآبناء الدنيا مع ان طبعى الأنفة من الذل ، وتدبى بمنعنى ، فلا يبقى للميل مع هذين الجاذبين أثر . ومخالطة الخلق تؤذى النفس مع الانفاس ، ولا تحقيق التوبة اقدر عليه ، ولا نيل مرتبة من علم أو عمل أو محبة يصح لى . فاذا رأيتنى كما قال القائل :

الفاه فى الماء مكتوفاً وقال له اياك اياك ان تبتل بالماء



تجبرت في أمرى ، وبكيت على عمرى ، وأنادى في فلوات خلواتى بما سمعته  
من بعض العوام وكأنه وصف حالى :

واحسرتى كم ادارى فيك تعبيرى      مثل الأسير بلا حيل ولا سيرى  
ما حيلتى فى الهوى قد ضاع تديرى      لما شكت جناحى قلت لى طيرى

— ٢٢ — فصل — تأملت أمر الدنيا والآخرة فوجدت حوادث

الدنيا حسية طبيعية ، وحوادث الآخرة ايمانية يقينية . والحسيات أقوى  
جذبا لمن لم يقوى علمه ويقينه . والحوادث انما تبقى بكثرة أسبابها  
فخالطة الناس ، ورؤية المستحسنات ، والتعرض بالملذوذات ، يقوى  
حوادث الحس والعزلة والفكر . والنظر فى العلم يقوى حوادث الآخرة .  
ويبين هذا بان الانسان اذا خرج يمشى فى الاسواق ويبصر زينة الدنيا ثم  
دخل الى المقابر فتفكر ورق قلبه فانه يحس بين الحالتين فرقا بينا ، وسبب  
ذلك التعرض بأسباب الحوادث ، فعليك بالعزلة والذكر والنظر فى  
العلم ، فان العزلة حمية والفكر والعلم أدوية . والدواء مع التخليط لا ينفع ،  
وقد تمكنت منك اخلاط المخالطة للخلق ، والتخليط فى الافعال . فليس لك  
دواء الا ما وصفت لك ، فأما اذا خالطت الخلق وتعرضت للشهوات ،  
ثم رمت صلاح القلب رمت الممتنع .

— ٢٣ — فصل — تأملت حرص النفس على ما منعت منه ، فرأيت

حرصها يزيد على قدر قوة المنع ، ورأيت فى السرب الاول أن آدم عليه  
السلام لما نهى عن الشجرة حرص عليها مع كثرة الاشجار المغنية عنها وفى  
الامثال : المرء حريص على ما منع ، وتواق الى ما لم ينل . ويقال : لو أمر  
الناس بالجوع لصبروا ، ولو نهوا عن تفتيت البعير لرغبوا فيه ، وقالوا

ما نهينا عنه الا لشيء . وقد قيل :

\* أحب شيء الى الانسان ما منعا \*

فلما بحثت عن سبب ذلك وجدت سببين ، أحدهما : ان النفس لا تصبر على الحصر فانه يكفى حصرها في البدن صورة : فاذا حصرت في المعنى بمنع زاد طيشها ولهذا لو قعد الانسان في بيته شهرا لم يصعب عليه ، ولو قيل له : لا تخرج من بيتك يوما طال عليه . والثاني : انها يشق عليها الدخول تحت حكم ، ولهذا تستلذ الحرام ، ولا تكاد تستطيب المباح . ولذلك يسهل عليها التعب على ما ترى وتؤثر لا على ما يؤثر .

٢٤ - فصل - ما زالت نفسى تنازعى بما يوجبه مجلس الوعظ ،

وتوبة التائبين ، ورؤية الزاهدين . الى الزهد والانتقطاع عن الخلق والانفراد بالآخرة ، فتأملت ذلك فوجدت عمومه من الشيطان فان الشيطان يرى انه لا يخلو لى مجلس من خلق لا يحصون ، يبكون ويندبون على ذنوبهم ، ويقوم فى الغالب جماعة يتوبون ويقطعون شعور الصبا . وربما اتفق خمسين ومائة . ولقد تاب عندى فى بعض الايام اكثر من مائة ، وعمومهم صبيان قد نشأوا على اللعب والانهماك فى المعاصى . فكأن الشيطان لبعده غوره فى الشر رأى اجتذب الى من اجتذب منه ، فأراد ان يشغلنى عن ذلك بما يزخره ليخلو هو بمن اجتذبه من يده ، ولقد حسن الى الانتقطاع عن المجالس وقال : لا يخلو من تصنع للخلق . فقلت : اما زخرفة الالفاظ وتزييقها ، واخراج المعنى من مستحسن العبارة ففضيلة لارذيلة : وأما ان أقصد الناس بما لا يجوز فى الشرع فعاذ الله ، ثم رأيت فى الترهيد قطع اسباب . ظاهرها الاباحة من الاكتساب . فقلت : له فان طاب

لى الزهد ، وتمكنت من العزلة ، فنفذ ما يبدى أو احتاج بعض عائلتى ،  
ألست اعود القهقرى ؟ فدعنى اجمع ما يسد خلتى ويصونى عن مسألة  
الناس ، فان مد عمرى . كان نعم السبب . والا كان للعائلة . ولا اكون  
كراكب أراق ماءه لرؤية سراب ، فلما ندم وقت الفوات لم ينتفع بالندم ،  
وانما الصواب توطئة المضجع قبل النوم ، وجمع المال الساد للخلة قبل  
الكبر ، اخذا بالحزم ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : لأن تترك  
ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وقال : نعم  
المال الصالح ، المرسل الصالح . وأما الانقطاع فينبغى ان تكون العزلة عن  
الشر لا عن الخير ، والعزلة عن الشر واجبة على كل حال . وأما تعليم الطالبين  
وهداية المريدين ، فانه عبادة العالم . وان من تفضيل بعض العلماء إثاره  
للتنفل بالصلاة والصوم ، عن تصنيف كتاب ، أو تعليم علم ينفع لأن ذلك  
بذر يكثر ريعه ، ويمتد زمان نفعه . وانما تميل النفس الى ما يخرقه الشيطان  
من ذلك لمعنيين . أحدهما : حب البطالة لأن الانقطاع عندها سهل .  
والثانى : حب المدحة فانها اذا توسمت بالزهد كان ميل العوام اليها أكثر ،  
فعليك بالنظر فى السرب الاول ، فكن مع السرب المقدم . وعم الرسول صلى  
الله عليه وسلم واصحابه ، رضى الله تعالى عنهم فهل نقل عن أحد منهم  
ما ابتدعه جملة المتزهدين والمتصوفة ، من الانقطاع عن العلم ؟ والانفراد  
عن الخلق ، وهل كان شغل الانبياء الامانات الخلق ؟ وحثهم على الخير  
ونهمهم عن الشر . إلا أن ينقطع من ليس بعالم يقصد الكف عن الشر ،  
فذاك فى مرتبة المحتمى يخاف شر التخليط . فأما الطيب العالم بما يتناول  
فانه ينتفع بما يناله .

٢٥ - فصل - تأملت المراد من اخلق فاذا هو الذل واعتقاد التقصير والعجز، ومثلت العلماء والزهاد العاملين صنفين، فاقمت في صف العلماء مالكا وسفيان وأبا حنيفة والشافعي واحمد، وفي صف العباد مالك بن دينار ورابعة ومعروف الكرخي وبشر بن الحارث. فكلما جد العباد في العبادة وصاح بهم لسان الحال عباداتكم لا يتعداكم نفعها وإنما يتعدى نفع العلماء وهم ورثة الانبياء، وخلفاء الله في الارض وهم الذين عليهم المعول، ولهم الفضل، اذا أظرقوا وانكسروا وعلموا صدق تلك الحال وجاء مالك بن دينار الى الحسن يتعلم منه ويقول: الحسن استاذنا، واذا رأى العلماء لهم بالعلم فضلا صاح لسان الحال بالعلماء وهل المراد من العلم الا العمل. وقال احمد بن حنبل. وهل يراد بالعلم الا لما وصل اليه معروف؛ وصح عن سفيان الثوري قال: وددت ان يدي قطعت ولم اكتب الحديث. وقالت ام الدرداء لرجل: هل عملت بما علمت؟ قال: لا. قالت: فلم تستكثر من حجة الله عليك؛ وقال أبو الدرداء: ويل لمن لم يعلم ولم يعمل مرة، وويل لمن علم ولم يعمل سبعين مرة. وقال الفضيل: يغفر للجاهل سبعون ذنبا. قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد، فما يبلغ من السكل قوله تعالى: «أفمن يعلم كمن لا يعلم». وجاء سفيان الى رابعة: جلس بين يديها ينتفع بكلامها، فبدل العلماء العلم على أن المقصود منه العمل به، وانه آلة فانكسروا واعترفوا بالتقصير. فحصل السكل على الاعتراف والذل، فاستخرجت المعرفة منهم حقيقة العبودية باعترافهم، فذلك هو المقصود من التكليف.

٢٦ - فصل - تأملت قوله تعالى «يحبهم ويحبونه». فاذا النفس تأتي؛ اثبات محبة للخالق توجب قلنا، وقالت بحبته طاعته فتدبرت ذلك

فاذا بها قد جهلت ذلك لغلبة الحس وبيان هذا : ان محبة الحس لا تتعدى  
 الصور الذاتية ، ومحبة العلم والعمل ترى الصور المعنوية فتحبها . فان انرى  
 خلقا يحبون ابا بكر رضى الله عنه ، وخلقاً يحبون عليا ابن ابي طالب  
 رضى الله عنه ، وقوما يتعصبون لاحمد بن حنبل ، وقوما للاشعري ،  
 فيقتتلون ويبدلون النفوس في ذلك ولا يسوا ممن رأى صور القوم ، ولا  
 صور القوم توجب المحبة . ولكن لما تصورت لهم المعانى فدلتهم على كمال  
 القوم فى العلوم ، وقع الحب لتلك الصور التى شوهدت بأعين البصائر ،  
 فكيف بمن ضيع تلك الصور المعنوية وأبدلها ، وكيف لا أحب من وهب  
 لى ملذوذات حسى ، وعرفنى ملذوذات علمى ، فان التذاذى بالعلم وادراك  
 العلوم أولى من جميع اللذات الحسية ، فهو الذى علمنى وخالق لى ادراكا  
 وهدانى الى ما أدركته . ثم انه يتجلى لى فى كل لحظة فى مخلوق جديد  
 أراه فيه باتقان ذلك الصنع وحسن ذلك المصنوع . فكل محبوباتى منه  
 وعنه وبه ، الحسية والمعنوية ، وتسهيل سبل الادراك به ، والمدركات منه ،  
 وألذ من كل لذة عرفانى له ، فلولا تعليمه ما عرفته ، وكيف لا أحب من  
 أنابه ، وبقائى منه ، وتديرى بيده ، ورجوعى اليه ، وكل مستحسن محبوب  
 هو صنعه وحسنه وزينه وعطف النفوس اليه ، فكذلك الكامل القدرة  
 أحسن من المقدور ، والعجيب الصنعة أكمل من المصنوع ، ومعنى الادراك  
 احلى عرفانا من المدرك ، ولو اننا رأينا نقشاً عجيباً لاستغرقنا تعظيم النقاش  
 وتهويل شأنه ، وظريف حكمته عن حب المنقوش ، وهذا مما ترقى اليه  
 الافكار الصافية ، اذا خرق نظرها الحسيات ونفذ الى ماورائها ، فحينئذ  
 تقع محبة الخالق ضرورة ، وعلى قدر رؤية الصانع فى المصنوع يقع الحب له .

فان قوى أوجب قلقا وشوقا، وان مال بالعارف الى مقام الهيبة أوجبت خوفا، وان انحرف به الى تلمح الكرم أوجب رجاء قويا، « وقد علم كل اناس مشربهم » .

٢٧ - فصل - تأملت حالا عجيبة، وهي ان الله سبحانه وتعالى قد

بنى هذه الاجسام متقنة على قانون الحكمة فدل بذلك المصنوع على كمال قدرته، ولطيف حكمته. ثم عاد فنقضها فتجبرت العقول بعد اذعانها له بالحكمة في سر ذلك الفعل. فاعلمت أنها ستعاد للمعاد وان هذه البنية لم تخلق الا لتجوز في مجاز المعرفة، وتتجر في موسم المعاملة، فسكنت العقول لذلك. ثم رأت أشياء من هذا الجنس أظرف منه، مثل احترام شاب ما بلغ بعض المقصود بنيانه، وأعجب من ذلك أخذ طفل من اكف أبويه يتململان. ولا يظهر سر سلبه والله الغنى عن أخذه، وهما أشد الخلق فقرا الى بقاءه. وأظرف منه ابقاء هرم لا يدري معنى البقاء، وايس له فيه الا مجرد أذى. ومن هذا الجنس تقدير الرزق على المؤمن الحكيم، وتوسعته على الكافر الاحمق، في نظائر هذه المذكورات يتحير العقل في تعليلها، فيبقى مبهورا. فلم أزل أتلمح جملة التكاليف، فاذا عجزت قوى العقل عن الاطلاع على حكمة ذلك وقد ثبت لها حكمة الفاعل، علمت قصورها عن درك جميع المطلوب فاذعنت مقرة بالعجز. وبذلك يؤدي مفروض تكليفها، فلو قيل للعقل: قد ثبت عندك حكمة الخالق بما نبى أفيجوز ان ينقدح في حكمته انه نقض؟ لقال: لأنى عرفت بالبرهان انه حكيم، وانا أعجز عن ادراك علل: فاسلم على رغمي مقرا بعجزى .

٢٨ - فصل - تأملت في فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه .  
 فرأيت ان الأصل الاكبر في وضعه وجود النسل ، لأن هذا الحيوان لا يزال يتحلل ثم يخالف المتحلل الغذاء ، ثم يتحلل من الاجزاء الاصلية مالا يخلفه شيء . فاذا لم يكن بد من فوائده ، وكان المراد امتداد أزمان الدنيا جعل النسل خلفا عن الاصل ، ولما كانت صورة النكاح تأبها النفوس الشريفة من كشف العورة وملافاة مالا يستحسن لنفسه ، جعلت الشهوة تحت ليحصل المقصود ثم رأيت هذا المقصود الاصلى يتبعه شيء آخر ، وهو استفراغ هذا الماء الذي يؤذى دوام احتقانه ، فان المنى ينفصل من الهضم الرابع فهو من اصفي جوهر الغذاء ، وأجوده ، ثم يجتمع . فهو احد الذخائر للنفس فانها تدخر لبقائها وقوتها الدم ، ثم المنى ، ثم تدخر التفل الذي هو من اعمدة البدن كأنه لخوف عدم غيره فاذا زاد اجتماع المنى اقلق على نحو اطلاق البول للحاقن ، الا ان اطلاقه من حيث المعنى اكثر من اطلاق البول من حيث الصورة ، فتوجب كثرة اجتماعه ، وطول احتباسه ، امراضا صعبة . لانه يترقي من بخاره الى الدماغ فيؤذى - وربما أحدث سمية - ومتى كان المزاج سليما فالطبع يطالب بروز المنى اذا اجتمع كما يطلب بروز البول ، وقد ينحرف بعض الامزجة فيقل اجتماعه عنده فيندر طلبه لأخراجه ، وانما تتكلم عن المزاج الصحيح . فاقول : قد بينت انه اذا وقع به احتباسه اوجب امراضا وجددا افكارا رديئة ، وجلب العشق والوسوسة الى غير ذلك من الآفات . وقد نجد صحيح المزاج يخرج ذلك اذا اجتمع وهو بعد متقلقل ، فكأنه الآكل الذي لا يشبع فيبحث عن ذلك فرأيته وقوع الخلل في المنكوح اما لدمايته ، وقبح منظره ، او لآفة فيه او لأنه

غير مطلوب للنفس حينئذ يخرج منه ويبقى بعضه فاذا أردت معرفة ما يدلك على ذلك فقس مقدار خروج المنى في المحل المشتبه . وفي المحل الذي هو دونه ، كالوطىء بيز الفضلين بالاضافة الى الوطىء في محل النكاح ، وكوطىء البكر بالاضافة الى وطىء الثيب . فعلم حينئذ ان تخير المنكوح يستقصى فضول المنى ، فيحصل للنفس كمال اللذة ، لموضع كمال بروز الفضول . ثم قد يؤثر هذا في الولد أيضا فانه اذا كان من شابين فد حسبنا انفسهما عن النكاح مديدة كان الولد أقوى منه من غيرهما ، او من المدمن على النكاح في الاغلب ؛ ولهذا كره نكاح الاقارب لأنه مما يقبض النفس عن انبساطها ، فيتمخيل الانسان أنه ينكح بعضه ومدح نكاح الغرائب لهذا المعنى ، ومن هذا الفن يحصل كثير من المقصود من دفع هذه الفضول المؤذية بمنكوح مستجد ، وان كان مستقبح الصورة مالا يحصل به في العادة . ومثال هذا ان الطاعم اذا امتلأ خبزا ولحما حيث لم يبق فيه فضل لتناول لقمة ، قدمت اليه الحلوى فيتناول ، فلو قدم اعجب منها لتناول لأن الجودة لها معنى عجيب . وذلك أن النفس لا تميل الى ما الفت ، وتطلب غير ما عرفت ، ويتخايل لها في الجديد نوع مراد فاذا لم تجد مرادها صدفت الى جديد آخر ، فكأنها قد علمت وجود غرض تام بلا كدر ، وهي تتخايله فيما تراه . وفي هذا المعنى دليل مدفون على البعث لأن خلق همته متملقة بلا متعلق نوع عبث . فافهم هذا ، فاذا رأت النفس عيوب ماخالطت في الدنيا عادت نطلب جديدا ، ولذلك قال الحكماء : العشق العمى عن عيوب المحبوب . فمن تأمل عيوبه سلا ، ولذلك يستحب للمرأة ان لا تبعد عن زوجها بعدا تنسيه اياها ، ولا تقرب منه قربا يملها ، وكذلك يستحب له لثلا



يملها أو يظهر لديه مكنونات عيوبها، وينبغي له أن لا يطلع منها على عورة،  
ويجتهد في أن لا يشم منها الاطيب ريح، الى غير ذلك من الخصال التي تستعملها  
النساء الحكيمات . فانهن يعامن ذلك بفطرهن من غير احتياج، فاما  
الجاهلات فانهن لا ينظرن في هذا فيتمتعن بالتفات الأزواج عنهن . فمن اراد  
نجابة الوالد وقضاء الوطر فليتمخير المنكوح ان كان زوجة تليينظر اليها فاذا  
وقعت في نفسه فليزوجهها، ولينظر في كيفية وقوعها في نفسه . فان علامة  
تعلق حبها بالقلب انه لا يكاد يصرف الطرف عنه، فاذا انصرف الطرف فقلق  
القلب بتقاضى النظرة . فهذا الغاية ودونه مراتب على مقاديرها يكون بلوغ  
الاغراض، وان كان جارية تشتري فليينظر اليها البلع من ذلك النظر، ومن  
قدر على مناطق المرأة او مكلمتها بما يوجب التنبيه ثم يرى ذلك منها فان  
الحسن في الفم والعينين . وقد نص احمد : على جواز ان يبصر الرجل من المرأة  
التي يريد نكاحها ما هو عورة يشير الى ما يزيد على الوجه، ومن أمكنه ان  
يؤخر العقد أو شراء الجارية لينظر كيف توقان قلبه فانه لا يخفى على العاقل  
توقان النفس لاجل المستجد، وتوقانها لاجل الحب، فاذا رأى قلق الحب اقدم .  
فانه قد أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال أخبرنا محمد بن احمد قال أخبرنا أبو  
نعيم قال حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا عبد الجبار بن ابي عامر قال حدثني  
ابي قال حدثني خالد بن سلام قال حدثنا عطاء الخراساني قال : مكتوب في  
التوراة كل تزويج على غير هوى حسرة وندامة الى يوم القيامة . ثم ينبغي للمتخير  
أن يتفرس الاخلاق فانها من الخفى فان الصورة اذا خلت من المعنى كانت  
كخضراء الدمن، فان نجابة الولد مقصودة، وفراغ النفس من الاهتمام بود  
محبوس اصل عظيم . يوجب اقبال القلب على المهمات . ومن فرغ من الهيات

العارضة اقبل على المهمات الاصلية . ولهذا جاء في الحديث : لا يقضى القاضى  
 بين اثنين وهو غضبان . واذا وضع العشاء وحضرت العشاء حضر فابدؤا بالعشاء .  
 فمن قدر على امرأة صالحه في الصورة والمعنى فليغمض عن عوراتها، ولتجتهدهى في  
 مرضيه من غير قرب يمل، ولا بعد ينسى، ولتقدم على التصنع له ليحصل الغرضان  
 منها الولد وقضاء الوطر، مع الاحتراز الذى اوصيت به . تدوم الصحبة ويحصل  
 الغناء بها عن غيرها . فان قدر على الاستكثار فأضاف اليها سواها عالما انه يبلغ  
 الغرض الذى يفرغ قلبه زيادة تفرغ كان أفضل لحاله، فان خاف من وجود الغيرة  
 ما يشغل القلب الذى قد اهتمنا بجمع همته، أو خاف وجود مستحسنة  
 تشغل قلبه عن ذكر الآخرة، أو يطلب منه ما يوجب خروجه عن الورع،  
 ويدخل فيما اوصيت به انه يبعد في المستحسنيات العفاف . فليبالغ الواجد  
 لهن في حفظهن وسترهن، فان وجد ما لا يرضيه عجل الاستبدال، فانه سبب  
 السلو فان قدر على الاقتصار فان الاقتصار على الواحدة أولى . فان كانت  
 على الغرض قنع، وان لم تكن استبدل ونكاح المرأة المحبوبة يستفرغ الماء  
 المجتمع، فيوجب نجابة الولد وتامه، وقضاء الوطر بكامله . ومن خاف وجود  
 الغيرة فعليه بالسراى فانهن أقل غيرة . والاستظراف لهن أمكن من  
 استظراف الزوجات، وقد كان جماعة يمكنهم الجمع وكان النساء يصبرن  
 فكان لداود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة، ولسليمان عليه الصلاة والسلام  
 ألف امرأة، وقد علم حال نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقد كان لأمير  
 المؤمنين على رضى الله عنه أربع حرائر، وسبع عشرة سرية . وتزوج ابنه  
 الحسن رضى الله عنه بنحو من أربع مائة الى غير هذا مما يطول ذكره . فافهم  
 ما أشرت اليه تفز به ان شاء الله تعالى .

٢٩ - فصل -- كل شيء خلق الله تعالى في الدنيا فهو أتمودج في الآخرة، وكل شيء يجري فيها أتمودج ما يجري في الآخرة . فأما المخلوق منها فقال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء . وهذا لأن الله تعالى شوق بنعيم إلى نعيم وخوف بعذاب من عذاب ، فأما ما يجري في الدنيا فكل ظالم معاقب في العاجل على ظلمه قبل الآجل وكل مذنب ذنبا ، وهو معنى قوله تعالى : « من يعمل سوءا يجز به » . وربما رأى العاصي سلامة بدنه وماله فظن ان لا عقوبة ، وغفلته عما عوقب به عقوبة ، وقد قال الحكماء : المعصية بعد المعصية عقاب المعصية ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة ، وربما كان العقاب العاجل معنويا كما قال بعض احبار بني اسرائيل : يارب كم اعصيك ولا تعاقبني : فقيل له : كم أعاقبك وأنت لا تدري ، ليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي ! فن تأمل هذا الجنس من المعاقبة وجده بالمرصاد ، حتى قال وهب بن الورد : وقد سئل أيجد لذة الطاعة من يعصى : فقال : ولا من هم . فرب شخص اطلق بصره فحرم اعتبار بصيرته ، أو لسانه فحرم صفاء قلبه ، أو آثر شبهة في مطعمه فآظم سره ، وحرم قيام الليل وحلاوة المناجاة إلى غير ذلك . وهذا امر يعرفه أهل محاسبة النفوس ، وعلى ضده يجد من يتق الله تعالى من حسن الجزاء على التقوى عاجلا ، كما في حديث ابى امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : النظرة إلى المرأة سهم مسهوم من سهام الشيطان ، من تركه ابتغاء مرضاتي آتته إيمانا يجد حلاوته في قلبه ، فهذه نبذة من هذا الجنس تنبه على مغفلها . فاما المقابلة الصريحة في الظاهر فقل ان تحتبس ، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : الصبحة تمنع الرزق ، وان العبد ليحرم الرزق

بالذنب يصيبه. وقد روى المفسرون : أن كل شخص من الأسيباط جاء باثني عشر ولدا وجاء يوسف بأحد عشر بالهمة<sup>(١)</sup>. ومثل هذا إذا تأمله ذو بصيرة رأى الجزاء وفهم كما قال الفضيل : انى لاعصى الله عز وجل فاعرف فى خاق دابتي وجاريتي ، وعن<sup>(٢)</sup> عثمان النيسابورى : انه انقطع شمع نعله فى مضيئه الى الجمعة فتعوق لأصلاحه ساعة. ثم قال : انما انقطع لأنى ما اغتسلت غسل للجمعة . ومن عجائب الجزاء فى الدنيا انه لما امتدت أيدى الظلم من اخوة يوسف وشروه بثمن بخس امتدت أكتفهم بين يديه بالطلب ، يقولون : « وتصدق علينا » ولما صبر هو يوم الهممة ملك المرأة حلالا ، ولما بفت عليه بدعواها : « ماجزاء من أراد باهلك سوءا » انطقها الحق بقولها : « انارادته » ولو أن شخصا ترك معصية لأجل الله تعالى لرأى ثمرة ذلك وكذلك اذا فعل طاعة . وفى الحديث : اذا أملتكم فتاجروا الله بالصدقة . أى عاملوه لزبادة الارباح العاجلة ، ولقد رأينا من سامح نفسه بما يمنع منه الشرع ، طلبا للراحة العاجلة ، فانقلبت أحواله الى التنقص العاجل ، وعكست عليه المقاصد . حكى بعض المشايخ : انه اشترى فى زمن شبابه جارية قال فلما ملكتها ناقت نفسى اليها فإزالت أسأل الفقهاء لعل مخلوقا يرخص لى . فكلمهم قال : لا يجوز النظر اليها بشهوة ، ولا لمسها ، ولا جماعها الا بعد حيضها . قال : فسألتها فاخبرتني أنها اشتريت وهى حائض . فقلت : قرب الأمر ، فسألت الفقهاء فقالوا : لا يعتد بهذه الحيضة حتى تحيض فى ملكه ، قال : فقلت لنفسي وهى شديدة التوقان لقوة الشهوة ، وتمكن القدرة ، وقرب المصافحة . ما تقولين فقالت : الايمان بالصبر على الجمر

(١) يشير الى قصته مع امرأة العزيز (٢) فى الاحمدية أبى عثمان .

شئت أو أبيت ، فصبرت الى ان حان ذلك فانابني الله تعالى على ذلك الصبر بنيل ما هو أعلا منها وارفع .

٣٠ - فصل - نظرت في الأدلة على الحق سبحانه وتعالى فوجدتها أكثر من الرمل ، ورأيت من أعجيبها ان الانسان قد يخفي ما لا يرضاه الله عز وجل ، فيظهره الله سبحانه عليه ولو بعد حين ، وينطق الالسنه به وان لم يشاهده الناس . وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق فيكون جوارا لكل ما اخفى من الذنوب ، وذلك ليعلم الناس ان هنالك من يجازى على الزلل ، ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ولا استتار ، ولا يضاع لديه عمل . وكذلك يخفي الانسان الطاعة فتظهر عليه ويتحدث الناس بها وباكثر منها ، حتى أنهم لا يعرفون له ذنبا ولا يذكرونه الا بالمحاسن ، ليعلم أن هنالك ربا لا يضيع عمل عامل ، وان قلوب الناس لتعرف حال الشخص وتحميه ، أو تأباه ، وتذمه ، أو تمدحه . وربما لم يتحقق ما بينه وبين الله تعالى فانه يكفيه كل شيء ، ويدفع عنه كل شر ، وما أصلح عبد ما بينه وبين الخلق دون الحق ، الا انعكس مقصوده وعاد حامده ذاما .

٣١ - فصل - تأملت الأرض ومن عليها بعين فكري ، فرأيت خرابها أكثر من عمرانها ، ثم نظرت في المعمور منها ، فوجدت الكفار مستولين على اكثره ، ووجدت أهل الاسلام في الارض قليلا بالاضافة الى الكفار ، ثم تأملت المسلمين فرأيت الاكساب قد شغلت جمهورهم عن الرازق ، وأعرضت بهم عن العلم الدال عليه . فالسلطان مشغول بالأمر والنهي والذات المعارضة له ، ومياه أغراضه جارية لا شكر لها . ولا يتلقاه أحد بموعظة بل بالمدح التي تقوى هوى النفس ، وانما ينبغي ان تقاوم

الأمراض بأضداها . كما قال عمر بن المهاجر : قال لى عمر بن عبد العزيز ، اذا رأيتنى قد حدثت عن الحق فخذ بثيابى وهزنى ، وقل مالك يا عمر . وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه . رحم الله من اهدى الينا عيوبنا ، فاحوج الخلق الى النصائح والمواعظ ، السلطان . وأما جنوده فجمهورهم فى سكر الهوى ، وزينة الدنيا ، وقد انضاف الى ذلك الجهل ، وعدم العلم ، فلا يؤلمهم ذنب ، ولا ينزعجون من لبس حرير ، أو شرب خمر ، حتى ربما قال بعضهم : ايش يعمل الجندى . ايلبس القطن ؟ ثم اخذهم للأشياء من غير وجهها ، فالظلم معهم كالطبع . وأرباب البوادى قد غمرهم الجهل وأهل القرى . فكذلك تقلبهم فى الانجاس ، والتهوين لأمر الصلوات ، وربما صلت المرأة منهن قاعدة . ثم نظرت فى التجار فرأيتهم قد غلب عليهم الحرص ، حتى لا يرون سوى وجوه الكسب كيف كانت ؛ وصار الربا فى معاملاتهم فاشيا ، فلا يبالي أحدهم من أين حصل له الدنيا ، وهم فى باب الزكاة مفرطون ، ولا يستوحشون من تركها إلا من عصم الله . ثم نظرت فى أرباب المعاش ، فوجدت الغش فى معاملاتهم عاما ، والتطفيف والبخس ، وهم مع هذا مغمورون بالجهل . ورأيت عامة من له ولد يشغله ببعض هذه الاشغال طالبا للكسب قبل ان يعرف ما يجب عليه وما يتأدب به . ثم نظرت فى النساء ، فرأيتهن قليلات الدين ، عظيما الجهل ، ما عندهن من الآخرة خبر الامن عصم الله . فقلت : واعجبا فمن بقى لخدمة الله عز وجل ؛ ومعرفته فنظرت فاذا العلماء ، والمتعلمون ، والعباد ، والمتزهدون . فتأملت العباد ، والمتزهدين فرأيت جمهورهم يتعبد بغير علم ، ويأنس الى تعظيمه ، وتقبيل يده وكثرة أتباعه ، حتى ان أحدهم لو أضر الى أن يشتري حاجة من السوق لم يفعل ،

لثلاثين كسر جاهه ، ثم تترقي بهم رتبة الناموس الى ان لا يعودوا مريضاً ، ولا  
 يشهدوا جنازة ، الا ان يكون عظيم القدر عندهم . ولا يتزاورون ، بل ربما  
 ظن بعضهم على بعض ، فقد صارت النواميس كالأوثان يعبدونها ولا يعلمون  
 وفيهم من يقدم على الفتوى بجهل لثلاثين نامل نامل التصدر ، ثم يعيبوا العلماء  
 لحرصهم على الدنيا ولا يعلمون ان المذموم من الدنيا ما هم فيه ، لا تناول  
 المباحات . ثم تأملت العلماء والمتعلمين . فرأيت القليل من المتعلمين من عليه  
 أمانة النجابة ، لان أمانة النجابة طلب العلم للعمل به ، وجمهورهم يطلب  
 ما يصيره شبكة للكسب . اما لياخذ قضاء مكان أو ليصير قاضي بلد ، او قدر  
 ما يتميز به عن أبناء جنسه ثم يكتفى . ثم تأملت العلماء فرأيت اكثرهم  
 يتلاعب به الهوى ويستخدمه ، فهو يؤثر ما يصده العلم عنه ، ويقبل على  
 ما ينهيه ، ولا يكاد يجد ذوق معاملة الله سبحانه ، وانما همته ان يقول . الا  
 ان الله لا يخلى الارض من قائم له بالحجة ، جامع بين العلم والعمل . عارف  
 بحقوق الله تعالى ، خائف منه . فذلك قطب الدنيا ، ومتى مات اخلف الله عوضه ،  
 وربما لم يمت حتى يرى من يصلح للنياحة عنه في كل نائبة . ومثل هذا لا تخلو  
 الارض منه . فهو في مقام النبي في الأمة ، وهذا الذي أصفه يكون قائماً  
 بالاصول ، حافظاً للحدود ، وربما قل علمه او قلت معاملته . فاما الكاملون  
 في جميع الأدوات فيندر وجودهم ، فيكون في الزمان البعيد منهم واحد .  
 ولقد سبرت السلف كلهم فاردت ان استخرج منهم من جمع بين العلم حتى  
 صار من المجتهدين ، وبين العمل حتى صار قدوة للعابدين ، فلم أر أكثر من  
 ثلاثة : اولهم الحسن البصرى ، وثانيهم سفيان الثوري ، وثالثهم احمد بن حنبل ،  
 وقد افردت لاخبار كل واحد منهم كتاباً ، وما انكر على من ربههم

بسعید بن المسيب ، وان كان في السلف سادات ، الا ان اكثرهم غلب عليه  
فن ، فنقص من الآخر ، فمنهم من غلب عليه العلم ، ومنهم من غلب عليه  
العمل ، وكل هؤلاء كان له الحظ الوافر من العلم ، والنصيب الاوفى من  
العاملة والمعرفة ، ولا يؤيس من وجود من يحدو حدوهم ، وان كان الفضل  
بالسبق لهم . فقد اطلع الله عز وجل اخضر على ما خفي من موسى عليهما  
السلام . فخرائن الله مملوءة وعطاؤه لا يتف على شخص . ولقد حكى لي  
عن ابن عقيل انه كان يقول عن نفسه : اناعملت في قارب ثم كسر ، وهذا  
غلط فمن اين له ؟ فكم معجب بنفسه كشف له من غير ما عادي يحقر نفسه  
على ذلك ، وكم من متأخر سبق متقدما ، وقد قيل :

ان الليالي والايام حاملة وليس يعلم غير الله ماتلد

### ٣٢ - فصل - رأيت ميل النفس الى الشهوات زائدا في المقدار

حتى انها اذا مالت مالت بالقلب والعقل والذهن ، فلا يكاد ينتفع بشيء من  
البدن . فصحت بها يوماً وقد مالت بكليتها الى شهوة ، ويحك قفي لحظة  
اكرمك كلمات ثم افعل ما بدالك . قالت : قل اسمع . قلت : قد تقرر قلة  
ميلك الى المباحات من الشهوات ، واما جل ميلك الى المحرمات . فانا اكشف  
لك عن الأمرين ، فربما رأيت الحلوين مريين . اما المباحات من الشهوات :  
فطلقة لك ولكن طريقها صعب ، لأن المال قد يهجز عنها ، والكسب  
قد لا يحصل معظمها ، والوقت الشريف يذهب بذلك . ثم شغل القلب  
بها وقت التحصيل ، وفي حالة الحصول ، ويحذر الفوات . ثم ينغصها من  
النقص ما لا يخفى على مميز إن كان مطعماً فالشبع يحدث آفات ، وإن كان  
شخصاً فللملل أو الفراق ، او سوء الخلق . ثم ألد النكاح أكثره أيها نا للبدن ،



الى غير ذلك مما يطول شرحه . وأما المحرمات : فيشتمل على ما اشرنا اليه من المباحات . ويزيد بابهان بانها آفة العرض وخوف عقاب الدنيا وفضيحتها ، ووعيد الآخرة ، ثم الجزع كلما ذكرها النائب ، وفي قوة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة . ألا ترى الى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلا ، لأنه قهر . بخلاف غالب الهوى فانه يكون قوى القلب ، عزيزا لأنه قهر فالحذر الحذر من رؤية الشهى بعين الحسن ، كما يرى اللص لذة أخذ المال من الحرز ، ولا يرى بـمـيز فكره القطع . وليفتح عين البصيرة لتأمل العواقب واستحالة اللذة نغصة ، وانقلابها عن كونها لذة إما للملل أو لغيره من الآفات ، أو لانقطاعها بامتناع الحبيب . فتكون المعصية الاولى كلقمة تناولها جائع ، فاردت كلب الجوع ، بل شهت الطعام . وليتذكر الانسان لذة قهر الهوى مع تأمل فوائد الصبر عنه ، فمن وفق لذلك كانت سلامته قريبة منه .

٣٣ - فصل - خطر لى خاطر والمجلس قد طاب ، والقلوب قد حضرت ، والعيون جارية ، والرؤس مطرقة ، والنفوس قد ندمت على تفریطها ، والعزائم قد نهضت لاصلاح شؤونها ، وألسنة اللوم تعمل فى الباطن على تضييع الحزم وترك الحذر . فقلت لى نفسى : ما بال هذه اليقظة لا تدوم ، فاني أرى النفس واليقظة فى المجلس متصافان متصادقان ، فاذا قمنا عن هذه التربة ، وقعت الغربة ، فتأملت ذلك فرأيت أن النفس ما تزال متيقظة ، والقلب ما يزال عارفا ، غير أن القواطع كثيرة ، والفكر الذى ينبغى استعماله فى معرفة الله سبحانه وتعالى قد كل . ما يستعمل فى اجتلاب الدنيا ، وتحصيل حوائج النفوس ، والقلب منغمس فى ذلك ،

والبدن أسير مستخدم . بينا الفكر يجول في اجتلاب الطعام والشراب والكسوة ، وينظر في صدد ذلك ، وما يدخره لغيره وسنته ، اهتم بخروج الحدث وتشاغل بالطهارة ، ثم اهتم بخروج الفضلات المؤذية - ومنها المني - . فاحتاج الى التكاثر ، فعلم انه لا يصح الا باكتساب كسب الدنيا . فتمسك في ذلك وعمل بمقتضاه ، ثم جاء الولد فاهتم به وله ، واذا الفكر عامل في أصول الدنيا وفروعها ، فاذا حضر الانسان المجلس فانه لا يجلس جاعاً . ولا حافئاً . بل يحضر جامعاً لهمة ، ناسياً ما كان من الدنيا على ذكره . فيخلو الوعظ بالقلب فيذكره بما ألف ، ويجذبه بما عرف ، فينهض عمال القلب في زوارق عرفانه . فيحضرون النفس الى باب المطالبة بالتفريط ، ويؤاخذون الحس بما مضى من العيوب ، فتجري عيون الندم ، وتنمقد عزائم الاستدراك . ولو أن هذه النفس خلت عن المعهودات التي وصفتها ، لتشاغلت بخدمة باريها . ولو وقعت في سورة دبه ، لاستوحشت عن الكل شغلاً بقربه . ولهذا اعتمد الزهاد الخلوات ، وتشاغلوا بقطع المعوقات ، وعلى قدر مجاهدتهم في ذلك نالوا من الخدمة مرادهم ، كما ان الحصاد على مقدار البذر . غير اني تلمحت في هذه الحالة - دقيقة - وهو أن النفس لو دامت لها اليقظة لوقعت فيما هو شر من فوت مافاتها . وهو العجب بحالها ، والاحتقار بجنسها ، وربما ترققت بقوة علمها وعرفانها ، الى دعوى لى ، وعندى ، واستحق . فتركها في حومة ذنوبها تتخبط ، فاذا وقفت على الشاطئ قامت بحق ذلة العبودية أولى لها . هذا حكم الغالب من الخلق ، ولذلك شغلوا عن هذا المقام . فمن بذر فصلح له : فلا بد له من هفوة يراقبها عين الخوف من عقابها رققاً بها ، تصح له عبوديته ، وتسلم له

عبادته ، والى هذا المعنى أشار الحديث الصحيح : لو لم تذبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم .

### ٣٤ - فصل - تفكرت فرأيت أن حفظ المال من المتعين ، وما يسميه

جهلة المتزهدين توكلوا من اخراج ما في اليد ليس بالمشروع . فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن مالك : امسك عليك بعض مالك ؛ او كما قال له . وقال لسعد : لأن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . فان اعترض جاهل فقال : فقد جاء أبو بكر رضي الله عنه بكل ماله . فالجواب : أن أبا بكر صاحب جاش وتجارة ، فاذا أخرج السكل امكنه ان يستدين عليه ، فيتمعيش . فمن كان على هذه الصفة لا اذم اخراجه ماله وانما الذم متطرق الى من يخرج ماله وايس من أرباب المعاش او يكون من أولئك الا أنه ينقطع عن المعاش فيبقى كلا على الناس ، يستعطيهم ويعتمد انه على الفتوح ، وقلبه متعلق بالخلق ، وطعمه ناشب فيهم . ومتى حرك بابه نهض قلبه . وقال : رزق قد جاء . وهذا أمر قبيح بمن يقدر به على المعاش ، وان لم يقدر كان اخراج ما يملك أقبح ، لأنه يتعلق قلبه بما في أيدي الناس . وربما ذل لبعضهم ، او تزين له بالزهد ، واقل احواله أن يزاحم الفقراء والمكافيف والزمنى في الزكاة . فعليك بالشرب الاول ، فانظر هل فيهم من فعل ما يفعله جهلة المتزهدين . وقد أشرت في اول هذا الى أنهم كسبوا وخلفوا الاموال ، فرد الى الشرب الاول الذي لم يطرق فانه الصافي ، واحذر من المشاريع المطروقة بالآراء الفاسدة الخارجة في المعنى كالكمين على الشريعة ، مدعنة بلسان حالها أن الشرع ناقص يحتاج الى مامت<sup>ة</sup> به بما تمت به .

واعلم وفقك الله تعالى ان البدن كالمطية، ولا بد من علف المطية، والاهتمام به. فاذا أهملت ذلك كان سبباً لوقوفك عن السير وقد رؤى سلمان رضي الله عنه: يحمل طعاماً علي عاتقه فقيل له: اتفعل هذا وانت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: ان النفس اذا حرزت قوتها اطمانت. وقال سفیان الثوري: اذا حصلت قوت شهر فتعبد. وقد جاء أقوام ليس عندهم سوى الدعاوى فقالوا: هذا شك في الرأى والثقة به أولى. فإياك وإياهم. وربما ورد مثل هذا عن بعض صدور الزهاد من السلف فلا يعمل عليه، ولا يهولنك خلافهم. فقد قال أبو بكر المروزي رحمته سمعت أحمد بن حنبل يرغب في النكاح. فقلت له: قال ابن آدم فما تركني أتم حتى صاح علي، وقال: أذ كر لك حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتأتيني بيينات الطريق / واعلم وفقك الله: انه لو رفض الاسباب شخص يدعى التزهد. وقال: لا آكل ولا أشرب، ولا أقوم من الشمس في الحر، ولا أستدفئ من البرد، كان عاصياً بالاجماع. وكذلك لو قال وله عائلة: لا أكتسب ورزقهم على الله تعالى، فأصابهم أذى كان آثماً. كما قال عليه الصلاة والسلام: كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت. واعلم ان الاهتمام بالكسب يجمع الهم، ويفرغ القلب، ويقطع الطمع في الخلق، فان الطمع له حق يتقاضاه. وقد بين الشرع ذلك فقال: إن لنفسك عليك حقاً؛ وأن لعينك عليك حقاً. ومثال الطمع مع المرید السالك، كمثل كلب لا يعرف الطارق، فكل من رآه يمشى نبج عليه، فان القى اليه كسرة سكنت عنه. فالمراد من الاهتمام بذلك جمع الهم لا غير فافهم هذه الاصول فان فهمها مهم.

### ٣٥ - فصل - تأملت في شهوات الدنيا فرأيتها مصائد هلاك ،

ونفوخ تلف ، فمن قوى عقله على طبيعه وحكم عليه يسلم ، ومن غلب طبيعه فيا سرعة هلكته . ولقد رأيت بعض أبناء الدنيا كان يتوق في التسرى . ثم يستعمل الحمرات المهيجة للباه ، فما لبث أن انحلت حرارته الغريزية وتلف . ولم أر في شهوات النفس أسرع هلاكا من هذه الشهوة ، فانه كلما مال الانسان الى شخص مستحسن أوجب ذلك حركة الباه زائدا عن العادة ، واذا رأى أحسن منه زادت الحركة وكثر خروج المنى زائدا عن الأول ، فيفنى جوهر الحياة أسرع شىء ، وبالضد من هذا أن تكون المرأة مستقبحة فلا يوجب نكاحها خروج الفضلة المؤذية كما ينبغي ، فيقع التأذى بالاحتباس وقوة التوق الى منكوح ، وكذلك المفرط في الاكل فانه يبنى على نفسه كثيراً من الجنائيات ، والمقصر في مقدار القوت كذلك . فعلمت - أن أفضل الامور أوساطها ، والدنيا مفازة فينبغى أن يكون السابق فيها العقل ، فن سلم زمام راحلته الى طبيعه وهواه ، فيا عجلة تلفه - هذا فيما يتعلق بالبدن والدنيا - فقس عليه أمر الآخرة فافهم .

### ٣٦ - فصل - بلغنى عن بعض زهاد زماننا انه قدم اليه طعام

فقال : لا آكل . فقيل له : لم ؟ قال : لأن نفسى تشتهيه ، وانا منذ سنين ما بلغت نفسى ما تشتهى . فقلت : لقد خفيت طريق الصواب عن هذا من وجهين ، وسبب خفتها عدم العلم . أما الوجه الاول : فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على هذا ولا أصحابه ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يأكل لحم الدجاج ، ويحب الحلوى والعسل ، ودخل فرقد السنجى على الحسن وهو يأكل الفالوج . فقال : يا فرقد ما تقول في هذا ؟ فقال لا آكله

ولأحب من أكله . فقال الحسن : لعاب النحل . بلباب البر . مع سمن البقر .  
هل يعيبه مسلم ؟ وجاء رجل الى الحسن فقال : ان لي جاراً لا يأكل  
الفالودج . فقال : ولم ؟ قال يقول لأؤدى شكره ، فقال : ان جارك جاهل  
وهل يؤدى شكر الماء البارد ؟ وكان سفیان الثوري : يحمل في سفره  
الفالودج . والحمل المشوي . ويقول : ان الدابة اذا أحسن اليها عملت ، وما  
حدث في الزهاد بعدم أمور من هذا الفن مسروقة من الرهبانية وأنا  
خائف من قوله تعالى : « لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » . « ولا  
تعتدوا » . ولا يحفظ عن أحد من السلف الا اول من الصحابة من هذا  
الفن شيء الا أن يكون ذلك لعارض ، وسبب ما يروى عن ابن عمر رضي  
الله عنهما : أنه اشتهى شيئاً فأثر به فقيراً ، واعتق جاريته رميثة ، وقال :  
انها أحب أخلق اليّ ، فهذا وأمثاله حسن ، لانه ايثار بما هو أجود عند  
النفس من غيره ، واكثر لها من سواه ، فاذا وقع في بعض الاوقات ،  
كسرت بذلك الفعل سورة هواها أن تطغى بنيل كل ما تريد ، فأما  
من دام على مخالفتها على الاطلاق ، فإنه يعمى قلبها ، ويبلد خواطرها ،  
ويشتت عزائمها ، فيؤذيها أكثر مما ينفعها ، وقد قال ابراهيم بن أدهم :  
أن القلب اذا أكره عمى ، وتحت مقالته سر لطيف . وهو ان الله عز وجل  
قد وضع طبيعة الآدمي على معنى عجيب . وهو انها تختار الشيء من  
الشهوات مما يصلحها ، فتعلم باختيارها له صلاحه . وصلحها به . وقد  
قال حكماء الطب : ينبغي ان يفسح للنفس فيما تشتهي من المطاعم . وان  
كان فيه نوع ضرر . لانها انما تختار ما يلائمها ، فاذا قمها الزاهد في مثل هذا  
عاد على بدنه بالضرر ، ولولا جواذب في الباطن من الطبيعة ما بقى البدن ؟

فان الشهوة للطعام تبور ، فاذا وقعت الغنية بما يتناول كفت الشهوة ،  
فالشهوة مريد ورائد ، ونعم الباعث على مصلحة البدن ، غير أنها اذا  
أفرطت وقع الاذى ، ومتى منعت ما تريد على الاطلاق مع الأمن من فساد  
العاقبة عاد ذلك بفساد أحوال النفس ، ووهن الجسم . واختلاف السقم .  
الذى تتداعى به الجملة لم مثل ان يمنهما الماء عند اشتداد العطش ، والغذاء  
عند الجوع ، والجماع عند قوة الشهوة ، والنوم عند غلبته ، حتى ان المنعم  
اذا لم يتروح بالشكوى قتله الكمد ، فهذا أصل اذا فهمه هذا الزاهد . علم  
انه قد خالف طريق الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه / من حيث  
النقل ، وحالف الموضوع في الحكمة ، ولا يلزم على هذا قول القائل : فمن  
اين يصفو المطعم ؟ لانه اذا لم يصفو كان الترك ورعا ، وانما الكلام في  
المطعم الذى ليس فيه ما يؤذى في باب الورع ، وكان ما شرحتة جوابا  
للقائل — ما أبلغ نفسى شهوة على الاطلاق ، والوجه الثانى : انى أخاف على  
الزاهد ان تكون شهوته انقلبت الى الترك . فصار يشتهى ان لا يتناول ،  
وللنفس في هذا مكر خفى ، ورياءً دقيق ، فان سلمت من الرياء للخلق ،  
كانت الآفة من جهة تعلقها بمثل هذا الفعل ، وادلالها في الباطن به ، فهذه  
مخاطرة وغلط ، وربما قال بعض الجهال : هذا صد عن الخير والزهد ،  
وليس كذلك . فان الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
قال : كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد ، ولا ينبغي ان يغتر بعبادة جريح ،  
ولا بتقوى ذى الخويصرة ، (ولقد دخل المنزهون في طرق لم يسالكها  
الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا أصحابه . من أظهار التخشع الزائد في  
الحسد ، والتنوق في تحشين الملابس ، واشياء صار العوام يستحسنونها ،

وصارت لاقوام كالمعاش يجتنون من ارباحها، تقبيل اليد، وتوفير التوقير، وحراسة الناموس، واكثرهم في خلوته؛ على غير حالته في جلوته، وقد كان ابن سيرين يضحك بين الناس قهقهة، واذا خلا بالليل فكأنه قتل أهل القرية. فنسأل الله تعالى علما نافعا فهو الاصل، فتي حصل أوجب معرفة المعبود عز وجل، وحرك الى خدمته بمقتضى ما شرعه واحبه، وسلك بصاحبه طريق الاخلاص، واصل الاصول - العلم، وانفع العلوم النظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه. « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ».

### ٣٧ - فصل - تأملت جهاد النفس فرأيتها أعظم الجهاد، ورأيت

خلقا من العلماء والزهاد لا يفهمون معناه، لأن فيهم من منعها حظوظها على الاطلاق، وذلك غلط من وجهين، أحدهما: انه رب مانع لهاشهوة اعطاها بالمنع اوفى منها، مثل ان يمنعها مباحا فيشتهر بمنعه اياها ذلك فيرضى النفس بالمنع لانها قد استبدلت بالمدح، واخفى من ذلك أن يرى بمنعه اياها مانع انه قد فضل من سواه ممن لم يمنعها ذلك؛ وهذه دفتان تحتاج الى مناقش فهم يخلصها، والوجه الثاني: أننا قد كلفنا حفظها ومن أسباب حفظها ميلها الى الاشياء التي تقيمها، فلا بد من اعطائها ما يقيمها، وأكثر ذلك أو كله ماتشبهه، ونحن كالوكلاء في حفظها. لانها ليست لنا بل هي وديعة عندنا، فمنعها حقوقها على الاطلاق خطر، ثم رب شد أوجب استرخاء، ورب مضيق على نفسه فرت منه فصعب عليه تلافيا، وانما الجهاد لها كجهاد المريض العاقل، يحماها على مكروها في تناول ما تجو به العافية، وينوب في المرارة قليلا من الحلاوة، ويتناول من الاغذية مقدار ما يصفه



الطيب . ولا تحمله شهوته على موافقة غرضها من مطعم ربما جرّ جوعاً ،  
ومن لقمة ربما حرمت لقمات ، فكذلك المؤمن العاقل لا يترك لجامها ،  
ولا يهمل مقودها ، بل يرخي لها في وقت والطول <sup>(١)</sup> بيده ، فدامت على  
الجادة لم يضايقها في التضييق عليها ، فاذا رآها قد مالت ردها باللفظ ،  
فان ونت وأبت ، والا فبالعنف ، ويجسها في مقام المداراة ، كالزوجة التي  
مبني عقلها على الضعف والقلّة ، فهي تدارى عند نشوزها بالوعظ ، فان لم  
تصلح فبالهجر ، فان لم تستقم فبالضرب . وليس في سياط التأديب أجود  
من سوط عزم — هذه مجاهدة من حيث العمل ، فاما من حيث وعظها  
وتأنيبها ، فينبغي لمن رآها تسكن للخلاق ، وتعرض بالدناءة من الاخلاق  
أن يعرفها تعظيم خالفها لها . فيقول : الست التي قال فيك خلقتك يدي ،  
واسجدت لك ملائكتي ، وارتضاك للخلافة في أرضه ، وراسلك ، واقترض  
منك واشترى ؛ فان رآها تتكبر ، قال لها : هل أنت الاقطرة من ماء  
مهيبي ، تفتلك شرقة ، وتؤلمك بقعة . وأن رأى تقصيرها عرفها حق الموالى  
على العبيد ، وان ونت في العمل ، حدثها بجزيل الاجر . وان مالت الى  
الهوى ، خوفها عظيم الوزر . ثم يحذرهما عاجل العقوبة الحسية ، كقوله  
تعالى : « قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم . والمعنوية كقوله تعالى :  
« ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بنير الحق » فهذا جهاد  
بالقول ، وذاك جهاد بالفعل .

٣٨ - فصل - رأيت من البلاء العجاب . أن المؤمن يدعو فلا  
يجاب ، فيكرر الدعاء وتطول المدة ولا يرى أثراً للجابة ، فينبغي له أن

« ١ » في الهندية : والطواء بيده .

يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج الى الصبر ، وما يعرض للنفس من  
الوسواس في تأخير الجواب . مرض يحتاج الى طب ، ولقد عرض لي من  
هذا الجنس . فانه نزلت بي نازلة ، فدعوت وبالغت ، فلم أرى الاجابة ،  
فأخذ ابليس يحول في حلبات كيده ، فتارة يقول : الكرم واسع والبخل  
معدوم ، فما فائدة تأخير الجواب ؟ فقلت له : اخساً بالعين ، فما أحتاج  
الى تقاضى ، ولا أَرْضَاك وكيلا ، ثم عدت الى نفسى فقلت : اياك ومساكنة  
وسوسته ، فانه لو لم يكن في تأخير الاجابة الا أن يبئوك المقدر في محاربة  
العدو لكفى في الحكمة . قالت : فسئني عن تأخير الاجابة في مثل هذه  
النازلة . فقلت : قد ثبت بالبرهان ان الله عز وجل مالك ، والمالك التصرف  
بالمع والعتاء ، فلا وجه للاعتراض عليه ، والثاني : انه قد ثبتت حكمته  
بالادلة القاطعة ، فربما رأيت الشيء مصلحة والحكمة لا تقتضيه ، وقد  
يخفى في الحكمة فيما يفعله الطيب ، من أشياء تؤذى في الظاهر يقصد  
بها المصلحة ، ففعل هذا من ذلك . والثالث : انه قد يكون التأخير مصلحة ،  
والاستعجال مضر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يزال العبد في  
خير ما لم يستعجل ، يقول دعوت فلم يستجب لي . والرابع : انه قد يكون  
امتناع الاجابة لآفة فيك فربما يكون في مأكولك شبهة ، أو قلبك  
وقت الدعاء في غفلة ، أو تزداد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت  
في التوبة منه ، فابحى عن بعض هذه الاسباب لعلك تقى بالمقصود ، كما  
روى عن أبي يزيد رضى الله عنه : انه نزل بمض الاعاجم في داره ، فجاء  
فراه ، فوقف بباب الدار ، وأمر بعض أصحابه فدخل ، فقلع طينا جديدا  
قد طينه ، فقام الاعجمي وخرج ، فسئل أبو يزيد عن ذلك فقال : هذا

الطين من وجهه فيه شبهة ، فلما زالت الشبهة زال صاحبها . وعن ابراهيم الخواص رحمة الله عليه : انه خرج لانكار منكر ، فنبحه كلب له فمنعه ان يمضى ، فماد ودخل المسجد ، وصلى ثم خرج ، فبصيص الكلب له فمضى ، وانكر فزال المنكر ، فستل عن تلك الحال فقال : كان عندي منكر . فمضى الكلب ، فلما عدت تبت من ذلك ، فكان مارأيتم . والخامس : انه ينبغي ان يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب ، وربما كان في حصوله زيادة إثم ، أو تأخير عن مرتبة خير ، فكان المنع أصح ، وقد روى عن بعض السلف انه كان يسأل الله العزوة ، فهتف به هاتف : انك ان غزوت أسرت ، وان أسرت تنصرت . والسادس : انه ربما كان فقد ما فقدته سببا للوقوف على الباب واللجاء ، وحصوله سببا للاشتغال به عن المسؤل ، وهذا الظاهر بدليل انه لولا هذه النازلة ما رأيناك على باب اللجاء ، فالحق عز وجل علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه ، فلذعهم في خلال النعم بعوارض تدفعهم الى بابه ، يستغيثون به ، فهذا من النعم في طي البلاء ، وانما البلاء المحض . ما يشغلك عنه ، فأما ما يقيمك بين يديه ، فيه جمالك . وقد حكى عن يحيى البكا انه رأى ربه عز وجل في المنام ، فقال : يارب كم أدعوك ولا تجيبني . فقال : يا يحيى انى أحب ان اسمع صوتك ، واذا تدبرت هذه الاشياء تشاغلتما بما هو أنفع لك ، من حصول ما فاتك من رقع خلل ، أو اعتذار من زلل ، أو وقوف على الباب الى رب الارباب .

٣٩ - فصل - من نزلت به بلية ، فاراد تحقيقها ، فليتمورها أكثر مما هي تنه . وليتخايل ثوابها وليتوهم نزول أعظم منها ، يرى الربح في الاقتصار عليها ، وليتمسح بسرعة زوالها ، فانه لولا كرب الشدة ،

ماروجيت ساعات الراحة ، وليعلم أن مدة مقامها عنده ، كعدة مقام الضيف فليتفقد حوائجها في كل لحظة ، فيا سرعة انقضاء مقامه ، ويا لذة مدايحها وبشره في المحافل ، ووصف المضيف بالكرم . فكذلك الشدة ، ينبغى أن تراعى الساعات ، ويتفقد فيها أحوال النفس ، ويتماح الجوارح ، مخافة أن يبدو من اللسان كلمة ، أو من القلب تسخط ، فكأن قد لاح فجر الاجر ، فأنجاب ليل البلاء ، ومدح السارى بقطع الدجى ، فما طلعة شمس الجزاء ، الا وقد وصل منزل السلامة .

٤٠ - فصل - لما رأيت رأى نفسى فى العلم حسناً ، فهى تقدمه على كل شىء وتعتقد الدليل ، وتفضل ساعة التشاغل به على ساعات النوافل ، وتقول : أقوى دليل لى على فضله على النوافل . انى رأيت كثيراً ممن شغلهم نوافل الصلاة والصوم عن نوافل العلم ، عاد ذلك عليهم بالقدح فى الاصول ، فرأيتها فى هذا على الجادة السليمة <sup>(١)</sup> والرأى الصحيح ، الا انى رأيتها واقفة مع صورة التشاغل بالعلم ، فصحت بها فما الذى أفادك العلم ؟ أين الخوف ، أين القلق ، أين الحذر ، أو ما سمعت بأخبار أختيار الأخبار فى تعبدهم واجتهادهم ؟ أما كان الرسول صلى الله عليه وسلم سيد الكل ، ثم انه قام حتى ورمت قدماه ، أما كان أبو بكر رضى الله عنه شجى النشيج ، كثير البكاء ، أما كان فى خدمه رضى الله عنه خطين من آثار الدموع ، أما كان عثمان رضى الله عنه ينحتم القرآن فى ركعة ، أما كان على رضى الله عنه يبكى بالليل فى محرابه حتى تخضل لحيته بالدموع ، ويقول : يا دنيا غرى غبرى ، أما كان الحسن البصرى على قوة القلق ، أما كان سعيد بن المسيب ملازماً

للمسجد فلم تفته صلاة في جماعة أربعين سنة ، أما صام الاسود بن يزيد حتى اخضر واصفر ؟ أما قالت بنت الربيع بن خيثم له : مالي أرى الناس ينامون وأنت لاتنام ؟ فقال : أن أباك يخاف البيات ، أما كان أبو مسلم اخولاني يعلق سوطا في المسجد يؤدب نفسه اذا فتر ؟ أما صام يزيد الرقاشي أربعين سنة ، وكان يقول : والهفاه سبقتني العابدون ، وقطع بي . أما صام منصور بن المعتمر أربعين سنة ؟ أما كان سفيان الثوري يبكي الدم من الخوف ؟ أما كان ابراهيم بن أدهم يبول الدم من الخوف ؟ أما تعامين أخيار الأئمة الأربعة في زهدهم وتعبدهم ، أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد . احذري من الاخلاذ الى صورة العلم ، مع ترك العمل به ، فانها حالة الكسالى الزمنى :

وخذ لك منك على مهلة      ومقبيل عيشك لم يدبر  
 وخف هجمة لا تقيل العنا      روتطوى الورود على المصدر  
 ومثل لنفسك أى الرعي      ل " يضمك في حلبة المحشر

٤١ - فصل - مما يزيد العلم عندى فضلا ، ان قوم اتشغلوا بالتعبد عن العلم . فوقفوا عن الوصول الى حقائق الطلب ، فروى عن بعض القدماء انه قال لرجل : يا أبا الوليد ، ان كنت أبا الوليد ، يتورع ان يكنيه ولا ولد له . ولو أوغل هذا في العلم لعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم : كنى صهيبا ابا يحيى ، وكنى طفلا يا ابا عمير ، ما فعل النفير . وقال بعض المتزهدين : قيل لى يوما كل من هذا اللبن . فقلت : هذا يضرني ، ثم وقفت بعد مدة عند الكعبة فقلت : اللهم انك تعلم انى ما أشركت بك طرفة عين ، فهتف

« ١ » فى هامش الهندية : الرعيل بالعين المهملة والياء المشناة التحتية . قال فى النهاية

يقال للقطعة من الفرسان رعلة وجماعة الخيل رعيل . وفيها : الرواى بدل الورود .

بي هاتف - ولا يوم اللبن - وهذا لو صح جاز أن يكون تأديباً له ،  
 لثلا يقف مع الاسباب ناسياً للمسبب ، والا فالرسول صلى الله عليه وسلم  
 قد قال : ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتى الآن قطعت ابهرى . وقال : ما نفعني  
 مال كمال ابى بكر ، ومن المتزهدين اقوام يرون التوكل قطع الاسباب  
 كلها ، وهذا جهل بالعلم . فان النبي صلى الله عليه وسلم : دخل الغار ، وشاور  
 الطيب ، ولبس الدرع ، وحفر الخندق ، ودخل مكة في جوار المطعم بن  
 عدى وكان كافراً ، وقال لسعد : لأن تدع ورثتك اغنياء خير لك من ان  
 تدعهم عالة يتكففون الناس ، فالوقوف مع الاسباب مع نسيان المسبب  
 غلط ، والعمل على الاسباب مع تعلق القلب بالمسبب هو المشروع ، وكل  
 هذه الظلمات انما تقطع بمصباح العلم ، ولقد ضل من مشى في ظلمة الجهل  
 او في زقاق الهوى .

٤٣ - فصل - ما أزال اتعجب ممن يرى تفضيل الملائكة على  
 الانبياء والاولياء ، فان كان التفضيل بالصور . فصورة الآدمى أعجب  
 من ذوى اجنحة ، وان تركت صورة الآدمى لاجل اوساخها المنوطة بها  
 فالصورة ليست الآدمى ، انما هي قالب . ثم قد استحسن منها ما يستقبح  
 في العبادة ، مثل خلوف فم الصائم ، ودم الشهداء ، والنوم في الصلاة ،  
 فبقيت صورة معمورة ، وصار الحكم للمعنى . ألمم مرتبة يجهم ، او  
 فضيلة يباهى بهم . وكيف دار الأمر فقد سجدوا لنا . وهو صريح في  
 تفضيلنا عليهم ، فان كان الفضيلة بالعلم فقد علمت القصة ، يوم «لا علم لنا» . «يا آدم  
 انبئهم» . وان فضلت الملائكة بجوهريه ذواتهم فجوهريه ارواحنا من ذلك  
 الجنس ، وعلينا اثقال اعباء الجسم ، بالله لولا احتياج الراكب الى الناقة فهو

يتوقف لطلب علفها ، ويرفق في السير ، بها لطرق أرض منى قبل العشر .  
واعجبا اتفضل الملائكة بكثرة التعبد : فاثم صعاد<sup>(١)</sup> ، أو تعجب من الماء  
إذا جرى ، أو من منحدر يسرع ، انما العجب من مصاعد ؟ بلى قد يتصور  
منهم الخلاف ، ودعوى الالهية . لقدرتهم على ذلك الصخور ، وشق الارض  
لذلك توعدوا : « ومن يقل منهم انى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم » ، لكنهم  
يعلمون عقوبة الحق فيحذروه . فاما بعدنا عن المعرفة الحقيقية وضعف يقيننا  
بالناهي ، وغلبة شهوتنا مع الغفلة . تحتاج الى جهاد أعظم من جهادهم ، تالله  
لو ابتلى احد المقرين بما ابتلينا به ، لم يقدر على التماسك ، يصبح احدنا وخطاب  
الشرع يقول له : الكسب لعائلتك ، واحذر في كسبك . وقد تمكن منه  
ما ليس من فعله ، كحب الاهل ، وعلق الولد بنياط القلب ، واحتياج  
بدنه الى مالا بد منه ، فتارة يقال للخليل عليه السلام : اذبح ولدك بيدك ؟  
واقطع ثمرة فؤادك بكفك ، ثم قم الى المنجنيق لترمي في النار . وتارة يقال  
لموسى عليه السلام : صم شهرا ليلا ونهارا ، ثم يقال للغضبان : اكظم ، وللبصير  
اغضض ، ولذى المقول اصمت ، ولستلذ النوم تهجد ، ولمن مات حبيبه  
اصبر ، ولمن أصيب في بدنه اشكر ، وللواقف في الجهاد بين اثنين لا يحل  
ان تفر . ثم اعلم ان الموت يأتى باصعب المرارات فينزع الروح عن البدن ،  
فاذا نزل فائبت ، واعلم أنك ممزق في القبر فلا تتسخط لأنه مما يجرى به  
القدر ، وان وقع بك مرض فلا أشك الى الخالق ، فهل للملائكة من  
هذه الاشياء شيء ؟ وهل ثم لإعبادة ساذجة ليس فيها مقاومة طبع ، ولا  
رد هوى ، وهل هى إلا عبادة صورية بين ركوع وسجود وتسبيح ، فاين

عبادتهم المعنوية من عبادتنا؟ ثم اكترهم في خدمتنا بين كتبة علينا، ودافعين عنا، ومسخرين لارسال الريح والمطر، واكبر وظائفهم الاستغفار لنا، فكيف يفضلون علينا بلا علة ظاهرة؟ وأما حكمت على محك التحارب منهم هاروت وماروت، فخرجوا أقبح من بهرج، ولا تظن أنى أعتقد في تعبد الملائكة نوع تقصير، لانهم شديدا الاشفاق والخوف. لعامهم بعظمة الخالق لكن طمأنينة من لم يخط، تقوى نفسه. وانزعاج الغايصر في الزلل ترقى روحه الى التراقي، فاعرفوا اخوانى شرف اقداركم، وصونوا جواهركم عن تديسها بلوم الذنوب. فانتم معرض الفضل على الملائكة، فاحذروا أن تحطم الذنوب الى حضيض البهائم، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

### ٤٣ - فصل - رأيت كثيرا من الخلق وعالما من العلماء، لا ينتهون

عن البحث عن اصول الاشياء التى أمروا بعلم جهابها، من غير بحث عن حقايقها. كالروح مثلا. فان الله تعالى سترها بقوله: « قل الروح من أمر ربي » فلم يقنعوا. وأخذوا يبحثون عن ماهيتها ولا يقعون بشيء. ولا يثبت لأحد منهم برهان على ما يدعيه، وكذلك العقل. فانه موجود بلا شك، كما ان الروح موجودة بلا شك كلاهما يعرف بآثاره لا بمحقيقة ذاته فان قال قائل: فما السر في كتم هذه الاشياء قلت: لان النفس ما تزال تترقى من حالة الى حالة فلما طلعت على هذه الاشياء لترقت الى خالقها. فكان ستر مادونه زيادة في تعظيمه لانه اذا كان بعض مخلوقاته يعلم جملة<sup>(١)</sup> فهو أجل واعلا، ولو قال قائل: ما الصواعق. وما البرق. وما الزلازل؟ قلنا: شيء مزعج، ويكفى. والسر في ستر هذا. أنه لو كشفت حقائقه خف مقدار تعظيمه.

(١) في السخنين « يعلم جملة » وفي الهندية يجعل يعلم جهله.



ومن تلمح هذا الفصل علم أنه فصل عزيز فاذا ثبت هذا في المخلوقات فالخالق اجل وأعلا. فينبغي ان يوقف في اثباته على دليل وجوده، ثم يستدل على جواز بعثه رسله، ثم تتلقى أوصافه من كتبه ورسله، ولا يزداد على ذلك. ولقد بحث خلق كثير عن صفاته بأرايهم فعاد وبال ذلك عليهم، واذا قلنا: أنه موجود وعلمنا من كلامه أنه سميع، بصير، حي، قادر. كفانا هذا في صفاته، ولا نخوض في شيء آخر. وكذلك نقول: متكلم والقرآن كلامه. ولا نتكلف مافوق ذلك، ولم يقل السلف تلاوة وملتو، وقراءة ومقروء، ولا قالوا استوى على العرش بذاته، ولا قالوا ينزل بذاته، بل أطلقوا ماورد من غير زيادة، ونقول لما ثبت بالدليل ما لا يجوز عليه، وهذه كلمات كالمثال فقس عليها جميع الصفات. تفرسايما من تعطيل، متخلصا من تشبيه.

٤٤ - فصل - رأيت أكثر الخلق في وجودهم كالمعدومين، ففهم من لا يعرف الخالق، ومنهم من يثبتته على مقتضى حسه، ومنهم من لا يفهم المقصود من التكليف / فترى المترسمين بالزهد يدأبون في القيام والقعود، ويتركون الشهوات، وينسون ما قد أنسوا به من شهوة الشهرة، وتقبييل الايادي / ولو كلم أحدهم قال: ألمثل يقال هذا؟ ومن فلان الفاسق، فهو لاء لا يفهمون المقصود. وكذلك كثير من العلماء. في احتقارهم غيرهم، والتكبر في نفوسهم، فتعجبت كيف يصلح هؤلاء لمجاورة الحق، وسكنى الجنة؟ فرأيت ان الفائدة في وجودهم في الدنيا، تجانس الفائدة في دخولهم الجنة، فانهم في الدنيا بين معتبر به. يعرف عارف الله سبحانه نعمة الله عليه. بما كشف له مما غطى عن ذلك، ويتم النظام بالافتداء. تصور اولئك، فان العارف لا يتسع وقته لمخالطة من يقف مع الصورة، فالزاهد كراعي البهم.

والعالم كمؤدب الصبيان ، والعارف ملقن الحكمة ، ولولا نفاط<sup>(١)</sup> الملك وحارسه . ووقاد أتونه . ماتم عيشه ، فن تمام عيش العارف استعمال أوئك بحسبهم ، فاذا وصلوا اليه حرر مانعهم<sup>(٢)</sup> ، وفيهم من لا يصل اليه ، فيكون وجود أوئك كزيادة - لا - في الكلام . هي حشو ، وهي مؤكدة ، فان قال قائل : فهب هذا يصح في الدنيا . فكيف في الجنة ؟ والجواب . ان الانس بالجيران مطلوب ، ورؤية القاصر من تمام لذة الكامل<sup>(٣)</sup> ، ولكل شرب . ومن تأمل ما اشرت اليه كفاه رمز لفظي عن تطويل الشرح ،

٤٥ - فصل - لما تلمحت تدير الصانع في سوق رزقي . بتسخير السحاب ، وانزال المطر برفق ، والبذر تحت الأرض . كالموتى ، قد عفن ينتظر نفخة من صور الحياة ، فاذا به اهتز خضراً ، وانقطع عنه الماء ، مديد الطلب يستعطي ، وامال رأسه خاضعاً ، ولبس حلل التغير ، فهو محتاج الى ما أنا محتاج اليه من حرارة الشمس ، وبرودة الماء ، ولطف النسيم ، وتريية الارض . فسبحان من أراني فيما يريني به . كيف تربيتي في الاصل ، فيما أتيها النفس التي قد اطلمت على بعض حكمه ، قبيح بك والله الاقبال على غيره ، ثم العجب كيف تقبلين على فقير مثلك ، ينادى لسان حاله بي مثل ما بك ، يا حمام ! فارجمي الى الاصل الاول ، واظلمي من المسبب ، ويا طوبى لك ان عرفتيه ، فان عرفانه ملك الدنيا والآخرة .

٤٦ - فصل - كنت في بداية الصبوة . قد اهتمت سلوك طريق الزهاد ، بادامة الصوم والصلاة ، وحببت الى الخلوة . فكنت أجد قلباً

«١» في الأحمدية : نفاط بالعين المعجمة والظاء المشالة . «٢» في الهندية : مانعهم .

«٣» في المصرية والاحمدية لذة الكلام .

طيباً . وكانت عين بصيرتي قوية الحدة تتأسف على لحظة تمضي في غير طاعة ، وتبادر الوقت في اغتنام الطاعات ، ولي نوع انس وحلاوة مناجاة . فاتمهي الأمر الى ان صار بعض ولاية الامور يستحسن كلامي ، فأمالني اليه فقال الطبع ، ففقدت تلك الحلاوة ، ثم استماني آخر . فكنت اتقي مخالطته ومطاعمه ، خوفاً الشبهات . وكانت حالي قريبة ، ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح ، فعدم ما كنت أجد . وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب الى ان عدم النور كله ، فكان حيني الى ما ضاع مني يوجب ازعاج أهل المجلس ، فيتوبون ويصلحون . واخرج مفلساً فيما بيني وبين حالي . وكثر ضجيجي من مرضي ، وعجزت عن طب نفسي ، فلجأت الى قبور الصالحين ، وتوسلت في صلاحي ، فاجتذبتني لطف مولاي بي الى الخلوة على كراهة مني ، ورد قلبي على بعد نفوره عني ، وأراني عيب ما كنت أوثره ، فافقت من مرض غفلي ! وقلت في مناجاة خلوتي : سيدي كيف اقدر على شكرك ؟ وبأى لسان انطق بمدحك ؟ اذ لم تؤاخذني على غفلي ، ونهيتني من رقدتي ، واصلحت حالي على كره من طبعي ، فما أربحني فيما سلب مني إذ كانت ثمرته اللجأ اليك ، وما أوفر جمعي اذ ثمرته اقبالك <sup>(١)</sup> على الخلوة بك ، وما أغنانني اذ أفقرتني اليك ، وما آانسني إذ أوحشتني بالتجارب خلقتك ، آه على زمان ضاع في غير خدمتك ! أسفاً لوقت مضي في غير طاعتك ! قد كنت اذا انتبهت وقت الفجر لا يؤلمني نومي طول الليل ، واذا انسلخ عنى النهار لا يوجعني ضياع ذلك اليوم ، وما علمت ان عدم الاحساس لقوة المرض . فالآن قد هبت نسائم العافية ، فاحسست

« ١ » كذا في الأصول ولعلها : اقبالي الخ .

بالأم فاستدللت على الصحة . فبإعظيم الانعام تمهلي العافية ، آه من سكر  
لم يعلم قدر عربده الا في وقت الافاقة ؛ لقد فتقت ما يصعب رتقه . فوا اسفا  
علي بضاعة ضاعت ، وعلى ملاح تعب في موج الشمال مصاعداً مدة ثم  
غلبه النوم فرد الى مكانه الاول ، يا من يقرأ تحذيري من التخليط . فاني  
وان كنت خنت نفسي بالفعل ، نصيح لاخواني بالقول ، احذروا اخواني  
من الترخص فيما لا يؤمن فساده . فان الشيطان يزين المباح في أول مرتبة .  
ثم يجر الى الجناح . فتلمحوا المآل ، وافهموا الحال ، وربما أراكم الغاية الصالحة ،  
وكان في الطريق اليها نوع مخالفة ، فيكفي الاعتبار في تلك الحال . بايكم  
« هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » ؛ انما تأمل آدم الغاية وهي الخلد .  
ولكنه غلط في الطريق . وهذا أعجب مصايد ابليس يصيد بها العلماء ،  
يتأولون لعواقب المصالح ، فيستعجلون ضرر المفاسد . مثاله أن يقول للعالم  
ادخل على هذا الظالم فاشفع في مظلوم ، فيستعجل الداخل رؤية المنكرات ،  
ويتزلزل دينه . وربما وقع في شرك صار به أظلم من ذلك الظالم ، فن لم يبق  
بدينه فليحذر من المصائد ، فانها خفية . واسلم ما للجبان العزلة ، خصوصاً  
في زمان قد مات فيه المعروف ، وعاش المنكر ، ولم يبق لاهل العلم وقع  
عند الولاية . فن داخلهم دخل معهم فيما لا يجوز ، ولم يقدر على جذبهم مما  
هم فيه . ثم من تأمل العلماء الذين يعملون لهم في الولايات يرأهم منسلخين  
من نفع العلم قد صاروا كالشرط . فليس الا العزلة عن الخلق . والاعراض  
عن كل تأويل فاسد في المخالطة ، ولأن اتفع نفسي وحدي . خير لي من  
أن أنفع غيري واتضرر ، فالحذر الحذر من خوادع التأويلات ، وفواسد  
الفتاوى ، والصبر الصبر على ما توجه به العزلة . فانه ان انفردت بمولاك

فتح لك باب معرفته . فهاتف كل صعب ، وطاب كل مر ، وتيسر كل  
عسر ، وحصلت كل مطلوب ، والله الموفق بفضله ، ولا حول ولا  
قوة الا به .

٤٧ - فصل - تأملت على نفسي تأويلا في مباح انال به شيئاً من  
الدنيا ، الا انه في باب الورع كدر . فرأيتـه أولاً قد احتلب در الدين  
فذهبت حلاوة المعاملة لله تعالى ، ثم عاد فقاص صرع حابي له فوقع الفقد  
للحالين ، فقلت لنفسي : مامثلك الا كمثل وال ظالم جمع من غير حله ،  
فصودر . فاخذ منه الذي جمع واجتر ما لم يجمع . فالحذر الحذر من فساد  
التأويل ، فان الله تعالى لا يخادع ، ولا ينال ما عنده بمعصيته .

٤٨ - فصل - رأيت نفسي كلما صفا فكرها ، أو اتعظت  
بدارج ، أو زارت قبور الصالحين ، تتحرك همتها في طلب العزلة .  
والاقبال على معاملة الله تعالى . فقلت لها يوماً : وقد كلتني في ذلك .  
حدثيني ما مقصودك ؟ وما نهاية مطلوبك ؟ أترارك تريدني مني أن اسكن  
قفراً لا أنيس به ، فتفوتني صلاة الجماعة . ويضيع مني ما قد علمته لفقد من  
أعلمه ، وان آكل الخشب الذي لم اتعوده ، فيقع نضوى طلحا في يومين .  
وان البس الخشن الذي لا اطيقه ، فلا أدري من كرب محمولي أين أنا ؟ وان  
أتشال عن طلب ذرية تتعبد بعدي مع بقاء القدرة على الطلب . بالله !  
مانفعى العلم الذي بذلت فيه عمرى ان وافقتك ، وانا اعرفك غلط ما وقع  
لك بالعلم . اعلمى ان البدن مطية ، والمطية اذا لم يرفق بها لم تصل براكبها  
الى المنزل ، وليس مرادى بالرفق الا كثار من الشهوات ، وانما اعنى أخذ  
البلغة الصالحة للبدن ، فينمذ يصفو الفكر ، ويصح العقل ، ويقوى الذهن ،

ألا ترى الى تأثير الموقوفات عن صفاء الذهن في قوله عليه الصلاة والسلام:  
لا يقضى القاضي بين اثنين وهو غضبان ، وقاس العلماء على ذلك الجوع  
وما يجرى مجراه من كونه حافظا . أو حاقبا <sup>(١)</sup> . وهل الطبع الا ككعب  
يشغله الا كل ، فاذا رمى له ما يتشاغل به طاب له الأكل . فاما  
الانفراد والعزلة فمن الشر لاعتن الخير . ولو كان فيها لك وقع خير لنقل  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن اصحابه رضى الله عنهم . هيهات  
لقد عرفت ان اقواما دام بهم التقلل واليبس الى ان تغير فكرهم ، وقوى  
الخلط السوداوى عليهم ، فاستوحشوا من الناس ، ومنهم من اجتمعت له من  
المآكل الرديئة اخلاط مجه . فبقى اليوم واليومين والثلاثة لا يأكل وهو  
يظن ذلك من امداد اللطف ، واذا به من سوء الهضم . وفيهم من ترقى  
به الخلط الى رؤية الاشباح فيظنها الملائكة ، فالثقة بالله في العلم . والله  
الله في العقل ، فان نور العقل لا ينبغي ان يتعرض باطفائه ، والعلم لا يجوز  
الميل الى تنقيصه ، فاذا حفظا حفظا وظائف الزمان ، ودفعوا مايؤذى ،  
وجلبوا مايصلح ، وصارت القوانين مستقيمة في المطعم والمشرب والمخالطة .  
فقال لي النفس : فوظف لي وظيفة واحسبني مريضا قد كتبت له شربة .  
فقلت لها : قد دلتك على العلم وهو طيب ملازم . يصف كل لحظة لكل  
داء يعرض دواء يلازم ، وفي الجملة ينبغي لك ملازمة تقوى الله عز وجل في  
المنطق والنظر ، وجميع الجوارح ، وتحقق الحلال في المطعم ، وايداع كل  
لحظة مايصلح لها من الخير ، ومناهضة الزمان في الافضل ، ومجانبة مايؤدى  
الى مايؤذى من نقص ربح أو وقوع خسران . ولا تعمل عملا الا بعد

«١» الحاقن : بالبول والحاقب : بالعاظ .

تقديم النية ، وتأهبي لمزعج الموت فكأن قد ، وما عندك من مجيئه في أى وقت يكون ، ولا تتعرضى لمصالح البدن . بل وفرىها عليه وناوليه اياها على قانون الصواب ، لا على مقتضى الهوى ، فان اصلاح البدن سبب لاصلاح الدين . ودعى الرعونه التى يدل عليها الجهل لا العلم ، من قول النفس فلان يأكل الخل والبقل ، وفلان لا ينام الليل ، فاحملى ماتطيقين . وما قد علمت قوة البدن عليه فان البهيمه اذا أقبلت الى نهر أو ساقية . فضربت لتقفز . لم تفعل حتى تزن نفسها ، فان علمت فيها قوة الطفر طفرت ، وان علمت أنها لا تطيق لم تفعل ، ولو قمت . وليس كل الابدان تتساوى فى الاطاقة ، ولقد حمل اقوام من المجاهدات فى بداياتهم اشياء أوجبت امراضا قطعهم عن خير ، وتسخطت قلوبهم بوقوعها ، فعليك بالعلم . فانه شفاء من كل داء ، والله الموفق .

٤٩ - فصل - عجبت من اقوام يدعون العلم ، ويميلون الى التشبيهه بحماهم الاحاديث على ظواهرها ، فلو أنهم أمروها كما جاءت ساموا . لأن من أمر ماجاء ومر من غير اعتراض ولا تعرض ، فاقال شيئاً لاله ولا عليه ، ولكن اقواما قصرت علومهم ، فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل ، ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا . وما هم الا بمثابة قول الحجاج كاتبه وقد مدحته الخنساء فقالت :

اذا هبط الحجاج ارضاً مريضة      تتبع اقصى داءها فشفاهها  
شفاها من الداء العضال الذى بها      غلام اذا هز القناة شفاها

فلما أتمت القصيدة . قال : لكاتبه اقطع لسانها . فجاء ذلك الكاتب المغفل بالموسى . فقالت له : ويلىك انما قال اجزل لها العطاء . ثم ذهبت الى الحجاج

فقات : كاد والله يقطع مقولى . فكذلك الظاهرية الذين لم يسموا بالتسليم ،  
فانه من قرأ الآيات والاحاديث ولم يزد . ألمه . وهذه طريقة الساف .  
فأما من قال : الحديث يقتضى كذا ، ويحمل على كذا ، مثل ان يقول استوى  
على العرش بذاته ، وينزل الى السماء الدنيا بذاته فهذه زيادة فهمها قائلها من  
الحس لامن النقل ، ولقد عجبت لرجل أنداسى يقال له ابن عبد البر . صنف كتاب  
التمهيد . فذكر فيه حديث النزول الى السماء الدنيا فقال : هذا يدل على أن الله  
تعالى على العرش . لانه لولا ذلك لما كان لقوله ينزل معنى . وهذا كلام  
جاهل بمعرفة الله عز وجل . لأن هذا استسلف من حسه ما يعرفه من نزول  
الاجسام . ففاس صفة الحق عليه ، فاين هؤلاء واتباع الأثر ، ولقد تكلموا  
باقبح ما يتكلم به المتأولون ، ثم عابوا المتكلمين ،

واعلم أيها الطالب للرشاد . أنه قد سبق اليانا من العقل والنقل اصلان  
راسخان . عليهما مر الاحاديث كلها ، أما النقل فقوله سبحانه وتعالى :  
« ليس كمثله شئ » . ومن فهم هذا لم يحمل وصفه على ما يوجبه الحس . وأما  
العقل فانه قد علم مباينة الصانع للمصنوعات ، واستدل على حدثها بتغيرها ،  
ودخول الانفعال عليها ، فثبت له قدم الصانع ، واعجبا كل العجب من  
راد لم يفهم : أليس فى الحديث الصحيح . أن الموت يذبح بين الجنة والنار ،  
أو ليس العقل اذا استغنى فى هذا صرف الأمر عن حقيقته لما ثبت عند من  
يفهم ماهية الموت فقال : الموت عرض يوجب بطلان الحياة . فكيف يمت  
الموت ؟ فاذا قيل له فما تصنع بالحديث . قال : هذا ضرب مثل باقامة صورة ليعلم  
بتلك الصورة الحسية فوات ذلك المعنى . قلنا له : فقد روى فى الصحيح .  
تأتى البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان . فقال : الكلام لا يكون غمامة ، ولا



يتشبه بها ، قلنا له افتعل نقل ، قال : لا ، ولكن يأتي ثوابهما ، قلنا : فما  
الدليل الصارف لك عن هذه الحقائق . فقال : علمي بان الكلام لا يتشبه  
بالاجسام ، والموت لا يذبح ذبح الانعام ، ولقد علمتم سعة لغة العرب . ما  
ضاقت اعطانكم من سماع مثل هذا ، فقال العلماء صدقت . هكذا نقول في  
تفسير مجيء البقرة ، وفي ذبح الموت ، فقال : واعجبنا لكم صرفتم عن الموت  
الكلام ما لا يليق بهما ، حفظا لما علمتم من حقايقهما فكيف لم تصرفوا عن  
الاله القديم ما يوجب التشبيه له بخلقه ، بما قد دل الدليل على تنزيهه عنه ، فما  
زال يجادل الخصوم بهذه الادلة . ويقول : لا أقطع حتى أقطع ، فما قطع  
حتى قطع .

٥٠ - فصل - تفكرت في السر الذي أوجب حذف آية الرجم من  
القرآن لفظا . مع ثبوت حكمها اجماعا ، فوجدت لذلك معنيين . أحدهما : لطف  
الله تعالى بعباده في أنه لا يواجههم بأعظم المشاق . بل ذكر الجلد ، وستر  
الرجم ، ومن هذا المعنى قال بعض العلماء : ان الله تعالى قال في المسكروحات  
« كتب عليكم الصيام » . على لفظ لم يسم فاعله . وان كان قد علم أنه هو  
الكااتب ، فلما جاء الى ما يوجب الراحة قال « كتب على نفسه الرحمة »  
والوجه الثاني : أنه يبين بذلك فضل الأمة في بذلها النفوس قنوعا ببعض  
الادلة فان الاتفاق لما وقع على ذلك الحكم كان دليلا . الا أنه ليس كالدليل  
المتفق لاجله ، ومن هذا الجنس شروع الخليل عليه الصلاة والسلام . في  
ذبح ولده بمنام ، وان كان الوحي في اليقظة أكد .

٥١ - فصل - عرضت لي حالة لجأت فيها بقائي الى الله تعالى وحده ،  
علما بانه لا يقدر على جلب نعمي ودفع ضرى سواه ، ثم قتت أتعرض بالاسباب .

فانكر على يقيني. وقال : هذا قدح في التوكل ، فقلت : ليس كذلك . فان  
الله تعالى وضع من الحكم وكان معنى حالي ان ما وضعت لا يفيد وان وجوده  
كالمعدم . وما زالت الاسباب في الشرع كقوله تعالى : « واذا كنت فيهم  
فاقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم » وقال تعالى  
« فذروه في سنبله » وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين ، وشاور  
طبيين ، ولما خرج الى الطائف . لم يقدر على دخول مكة . حتى بعث الى  
المطعم بن عدي فقال أدخل في جوارك ، وقد كان يمكنه ان يدخل متوكلا بلا  
سبب . فاذا جعل الشرع الامور منوطة بالاسباب . كان اعراضى عن  
الاسباب دفعا للحكمة ، ولهذا ارى أن التداوى مندوب اليه ، وقد ذهب  
صاحب مذهبي <sup>(١)</sup> الى أن ترك التداوى أفضل ، ومنعنى الدليل من اتباعه  
في هذا فان الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أنزل الله  
داء الا وأنزل له دواء فتداواوا ومرثبة هذه اللفظة الأمر ، والأمر اما ان  
يكون واجبا . أو ندبا . ولم يسبقه حظر . فيقال : هو امر اباحة ، وكانت  
عائشة رضى الله عنها تقول : تعلمت الطب من كثرة امراض رسول الله  
صلى الله عليه وسلم . وما ينعت له ، وقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى  
طالب رضى الله عنه : « كل من هذا فانه أوفق لك من هذا » ومن ذهب الى  
أن تركه أفضل احتج بقوله عليه الصلاة والسلام : « يدخل الجنة سبعون  
الفا بلا حساب » ثم وصفهم فقال « لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا  
يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » وهذا لا ينافى التداوى . لانه قد كان أقوام  
يكتوون لثلاث مرضوا ويسترقون لثلاث تصيبهم نكبة ، وقد كوى عليه الصلاة

(١) يعنى به الامام احمد بن حنبل

والسلام سعد بن زرارة ، ورخص في الرقية في الحديث الصحيح . فعلمنا أن المراد ما أشرنا اليه . واذا عرفت الحاجة الى اسهال الطبع . رأيت أن اكل اليلوط مما يمنع عنه علمي ، وشرب ماء التمر هندي أوفق ، وهذا طب . فاذا لم أشرب ما يوافقني . ثم قلت اللهم عافني ، قالت لي الحكمة : أما سمعت أعقلها وتوكل ؟ اشرب وقل عافني ، ولا تكن كمن يبز زرعه وبين النهر كف من تراب ، تكاسل ان يرفعه بيده ، ثم قام يصلي صلاة الاستسقاء ، وما هذه الحالة الا كحال من سافر على التجربة ، وانما سافر على التجربة لانه يجرب بربه عز وجل هل يرزقه اولا . وقد تقدم الامر اليه : « وتزودوا » فقال : لا أتزود . فهذا هالك قبل ان يهلكه ، ولو جاء وقت صلاة وليس معه ماء ، ايم على نفر يطه ، وقيل له : هـ لا أستصحب الماء قبل المفازة ، فالحذر الحذر من افعال اقوام دققوا فمرقوا عن الاوضاع الدينية . وظنوا أن كمال الدين بالخروج عن الطباع ، والمخالفة للاوضاع ، ولولا قوة العلم والرسوخ فيه . لما قدرت على شرح هذا ولا عرفته . فافهم ما أشرت اليه . فهو انفع لك من كراريس تسمعها . ولكن مع اهل المعاني لامع اهل الحشو .

٥٢ - فصل - تلمحت على خلق كثير من الناس اهمال ابدانهم ، فمنهم من لا ينظف فمه بالخلال بعد الاكل . ومنهم من لا ينقى يديه في غسلها من الزهم ، ومنهم من لا يكاد يستاك وفيهم من لا يكتحل ، وفيهم من لا يراعى الابط الى غير ذلك فيعود هذا الاهمال بالخلل في الدين والدنيا ، أما الدين فانه قد امر المؤمن بالتنظيف والاعتسال للجمعة لاجل اجتماعه بالناس ، ونهى عن دخول المسجد اذا أكل الثوم ، وأمر الشرع بتنقية البراجم . وقص الاظفار . والسواك . والاستحداد . وغير ذلك من الآداب ، فاذا

أهمل ذلك ترك مسنون الشرع . وربما تعدى بعض ذلك الى فساد العبادة ،  
 مثل ان يهمل اظفاره فيجمع تحتها الوسخ المانع للماء في الوضوء ان يصل ،  
 وأما الدنيا فاني رأيت جماعة من المهملين انفسهم . يتقدمون الى السرار .  
 والغفلة التي أوجبت اهما لهم انفسهم . أوجب جهلهم بالاذى الحادث عنهم .  
 فاذا أخذوا في مناجاة السر . لم يمكن ان أصدف عنهم ، لانهم يقصدون السر .  
 فالتقى الشدائد من ريح افواهمهم ، ولعل اكثرهم من وقت انبياهم ما أمر  
 أصبغه على اسنانه ، ثم يوجب مثل هذا نفور المرأة ، وقد لا تستحسن ذكر  
 ذلك للرجل ، فيشمر ذلك التفتاتها عنه وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما  
 يقول : انى لأحب ان أزين المرأة . كما أحب ان تزين لى ، وفي الناس من  
 يقول : هذا تصنع وليس بشيء . فان الله تعالى زيننا لما خلقنا . لان العين  
 حضا في النظر ، ومن تأمل اهداب العين والحاجبين . وحسن ترتيب  
 الخلق . علم أن الله تعالى زين الآدمى ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم  
 أنظف الناس وأطيب الناس وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم يرفع يديه .  
 حتى تبين عفرة ابطيه ، وكان ساقه ربما انكشف فكانها جارة وكان لا  
 يفارقه السواك وكان يكره ان يشم منه ريح ليست طيبة . وفي حديث أنس  
 الصحيح : ماشانه الله بيبضاء . وقد قالت الحكماء : من نظف ثوبه نل  
 همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله ، وقال عليه الصلاة والسلام لاصحابه  
 : « ما لكم تدخلون على قلحا . استاكوا » وقد فضلت الصلاة بالسواك ،  
 على الصلاة بغير سواك ، فالمتنظف ينم نفسه ، ويرفع منها عتدها ،<sup>(١)</sup> وقد  
 قال الحكماء : من طال ظفره قصرت يده . ثم أنه يقرب من قلوب الخلق ،

(١) فى المصرية «عبدما» كذا مهملة وفى الاحمدية عندها . وفى الهندية عندها وليحدر

وتحبه النفوس ، لنظافته وطيبه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجب الطيب . ثم انه يؤنس الزوجة بتلك الحال . فان النساء شقائق الرجال ، فكما انه يكره الشيء منها فكذلك هي تكرهه ، وربما صبر هو على ما يكره وهي لا تصبر ، وقد رأيت جماعة يزعمون أنهم زهاد . وهم من اقدر الناس ، وذلك أنهم ما قوتهم العلم . وأما ما يحكى عن داود الطائي : أنه قيل له لو سرحت لحيتك ، فقال : انى عنها مشغول ، فهذا قول معتذر عن العمل بالسنة ، والاخبار عن غيبته عن نفسه بشدة خوفه من الآخرة ، ولو كان مفيقاً لذلك لم يتركه ، فلا يحتج بحال المغلوبين ومن تأمل خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم رأى كاملاً في العلم والعمل ، فبه يكون الاقتداء وهو الحجة على الخلق .

٥٣- فصل - تأملت مبالغة ارباب الدنيا في اتقاء الحر والبرد . فرأيتها تعكس المقصود في باب الحكمة . وانما تحصل مجرد لذة ولا خير في لذة تعقب ألماً فأما الحر فأنهم يشربون الماء المثلوج . وذلك على غاية في الضرر ، واهل الطب يقولون : انه يحدث امراض صعبة يظهر اثرها في وقت الشيخوخة . ويصنعون الخيوش المضاعفة ، وفي البرد يصنعون اللبود الممانعة للبرد ، وهذا من حيث الحكمة مضاد ما وضعه الله تعالى . فانه جعل الحر لتحلل الاخلاط ، والبرد لجودها ، فيجعلونهم جميع السنة ربيعاً . فتنعكس الحكمة التي وضع الحر والبرد لها ، ويرجع الاذى على الابدان ، ولا يظنن سامع هذا انى أمره بملافة الحر والبرد وانما قول له : لا يفرط في التوقي . ويعرض في الحر لما يحلل بعض الاخلاط ، الى حد لا يؤثر في القوة . وفي البرد بأن يصيبك منه الأمر القريب لا المؤذى ، فان الحر والبرد لمصالح البدن . وقد كانت بعض الأمراء يصون نفسه من الحر

والبرد أصلاً فزاد<sup>(١)</sup> جوفه فأت عاجلاً ، وقد ذكرت قصته في كتاب  
لقط المنافع في علم الطب .

٥٤ - فصل - ليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء ،  
ولافيه أفضل من الرضى به ، فاما الصبر : فهو فرض . واما الرضا فهو فضل  
وانما أصعب الصبر لأن القدر يجري في الاغلب بمكروه النفس ، وليس  
مكروه النفس يقف على المرض والاذى في البدن ، بل هو يتنوع حتى  
يتحير العقل في جريان القدر ، فمن ذلك : أنك اذا رأيت مغموراً بالدينا قد سالت  
له أو ديتها حتى لا يدري ما يصنع بلئال . فهو يصوغه أو انى يستعملها .  
ومعلوم أن البلور والعقيق والشبه ، قد يكون أحسن منها صورة ، غير أن  
قلة مبالاته بالشريمة جعلت عنده وجود النهى كعدمه ، ويلبس الحرير .  
ويظلم الناس . والدينا منصبة عليه ، ثم يرى خلقاً من أهل الدين . وطلاب  
العلم . مغمورين بالفقر والبلاء ، مقهورين تحت ولاية ذلك الظالم ، فيئنذ  
يجد الشيطان طريقاً للوسواس ويبتدى بالقدرح في حكمة القدر ، فيحتاج  
للمؤمن الى صبر على ما يلقى من الضر في الدنيا ، وعلى جدال ابليس في  
ذلك ، وكذلك في تسليط الكفار على المسلمين والفساق على أهل الدين . وابلغ  
من هذا إيلام الحيوان ، وتعذيب الاطفال ، ففي مثل هذه المواطن يتمحض  
الايمان ، ومما يقوى الصبر على الحالتين النقل والعقل . أما النقل فالقرآن  
والسنة . أما القرآن فتنقسم الى قسمين . احدهما بيان سبب إعطاء الكافر  
والعاصي ، فمن ذلك قوله تعالى : « إنما نملى لهم ليزدادوا إيماً » ، « ولولا أن  
يكون الناس أمة واحدة . لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من

(١) كذا في الإجمدية والهندييه . وفي المصريه فبرد الحر

فضة» ، « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها». وفي القرآن من هذا كثير ، والقسم الثاني : ابتلاء المؤمن بما يلحقه كقوله تعالى : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم» «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيانكم . مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلوا» «أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين آمنوا منكم» وفي القرآن من هذا كثير . وأما السنة فمنقسمة الى قول وحال . اما الحال : فانه عليه السلام كان يتقلب على رمال حصير توثر في جنبه ، فبكى عمر رضى الله عنه . وقال : كسرى وقيصر في الحرير والديباج ، فقال له صلى الله عليه وسلم : «أفي شك أنت يا عمر؟ ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟» وأما القول فكقوله عليه الصلاة والسلام : «لو أن الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ماسقى كافر آمنها شربة ماء» . واما العقل : فانه يقوى عساكر الصبر بجنود منها أن يقول : قد ثبتت عندي الأدلة القاطعة حكمة المقدّر . فلا اترك الأصل الثابت لما يظنه الجاهل خلا . ومنها أن يقول : ما قد استهولته ايها الناظر من بسط يد العاصي هي قبض في المعنى ، وما قد أثر عندك من قبض يد الطائع بسط في المعنى ، لا أن ذلك البسط يوجب عقابا طويلا ، وهذا القبض يؤثر انبساطا في الأجر جزيلا ، فزمان الرجائين ينقضى عن قريب . والمراحل تطوى . والركبان في الحثيث . ومنها أن يقول : قد ثبت ان المؤمن بالله كالاجير ، وأن زمن التكليف كبياض نهار ، ولا ينبغي للمستعمل في الطين ان يلبس نظيف الثياب ، بل ينبغي أن يصابر ساعات العمل ، فاذا فرغ تنظف ولبس اجود ثيابه . فمن ترفه وقت العمل ندم وقت تفريق الاجرة . وعوقب على التواني فيما كلف ، فهذه النبذة تقوى أزر الصبر . وأزيدها

بسطا فاقول : أترى اذا أريد اتخاذ شهداء ، فكيف لا يُخلق اقوام يبسطوا ايديهم لقتل المؤمنين ، أفيجوز ان يفتك بعمر الامثل أبي لؤلؤة ؛ وبعلي الا مثل ابن ملجم ؛ أفيصح ان يقتل يحيى بن زكريا الاجبار كافر ، ولو أن عين الفهم زال عنها غشاء العشا . لرأيت المسبب لا الاسباب ، والمقدر لا الاقدا ، فصبرت على بلائه . ايثاراً لما يريد ، ومن ههنا ينشأ الرضى . كما قيل لبعض اهل البلاء : ادع الله بالعافية ، فقال : أحبه الى احبه الى الله عز وجل  
ان كان رضاكم في سهري فسلام الله على وسنى

٥٥ - فصل - لما نهيت كتابة الفصل المتقدم . هتف بي هاتف من باطنى . دعنى من شرح الصبر على الاقدار ، فانى قد ا كتفيت بأمودج ماشرحت . وصف حال الرضى . فانى أجد نسيما من ذكره فيه روح للروح ، فقلت : أيها الهاتف اسمع الجواب . وافهم الصواب . ان الرضى من جملة ثمرات المعرفة ، فاذا عرفته رضيت بقضائه ، وقد يجرى في ضمن القضاء مرارات . يجمد بعض طعمها الراضى ، أما العارف فتقل عنده المرارات لقوة حلاوة المعرفة ، فاذا ترقى بالمعرفة الى المحبة ، صارت مرارة الاقدار . حلاوة كما قال القائل :

عذابه فيك عذب      وبمدك فيه قرب  
وانت عندى كروحي      بل أنت منها أحب  
حسبى من الحب أنى      لما تحب أحب

وقال بعض المحبين في هذا المعنى :

ويقبج من سواك الفعل عندى      فتفعله فيحسن منك ذا كا  
فصاح بي الهاتف . حدثنى بماذا أرضى ، قدرانى أرضى في اقداره بالمرض



والفقر ، أفأرضى بالكسل عن خدمته ، والبعد عن أهل محبته ؛ فبين لي  
 ماالذي يدخل تحت الرضى ، مما لايدخل . فقلت له : نعم ماسألت . فاسمع  
 الفرق سماع من التى السمع وهو شهيد، أرض بمامنه . فاما الكسل والتخلف  
 فذاك منسوب اليك ، فلا ترض به من فعلك ، وكن مستوفيا حقه عليك ،  
 مناقشا نفسك فيما يقربك منه ، غير راض منها بالتوانى فى المجاهدة ، فاما  
 مايصدر من اقصيته المجردة التى لا كسب لك فيها . فكن راضيا بها كما  
 قالت رابعة رحمة الله عليها : وقد ذكر عندها رجل من العباد يلتقط من  
 مزبلة فياً كل ، فقيل هل لاسأل الله تعالى ان يجعل رزقه من غير هذا ؛  
 فقالت : ان الرضى لا يتخير ومن ذاق طعم المعرفة . وجد فيه طعم المحبة ،  
 فوقع الرضى عنده ضرورة ، فينبغى الاجتهاد فى طلب المعرفة بالادلة ، ثم  
 العمل بمقتضى المعرفة بالجد فى الخدمة ، لعل ذلك يورث المحبة ، فقد قال  
 سبحانه وتعالى ، لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه . فاذا احببته  
 كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به . فذلك الغنى الاكبر ،  
 ووافقراه .

٥٦ - فصل - رأيت جمهور العلماء يشغلهم طلبهم للعلم فى زمن  
 الصبا عن المعاش ، فيحتاجون الى مالا بدمنه فلا يصلهم من بيت المال  
 شئ ، ولا من صلات الاخوان مايكفى ، فيحتاجون الى التعرض بالاذل ، فلم أر  
 فى ذلك من الحكمة الا سيئين . احدهما : قمع اعجابهم بهذا الاذلال ، والثانى :  
 نفع اولئك بثوابهم ، ثم أمعنت الفكر فتلمحت نكتة لطيفة ، وهو أن  
 النفس الايية اذا رأت حال الدنيا كذلك . لم تساكنها بالقلب ، ونبت  
 عنها بالعزم ، ورأت اقرب الأشياء شباهاها . مزبلة عليها الكلاب ، أو

غائطا يؤتى لضرورة ، فاذا نزل الموت بالرحلة عن مثل هذه الدار . لم يكن للقلب بها متعلق متمكن قهون حينئذ .

٥٧ - فصل - مازال جماعة من المتزهدين يزرون على كثير من العلماء اذا انبسطوا في مباحات والذي يحملهم على هذا الجهل . فلو كان عندهم فضل علم ماعابوهم ؛ وهذا لأن الطباع لا تتساوى ، فرب شخص يصلح على خشونة العيش ، وآخر لا يصلح على ذلك ، ولا يجوز لاحد ان يحمل غيره على ما يطيقه هو . غير أن لنا ضابطا هو الشرع ، فيه الرخصة وفيه العزيمة . فلا ينبغي ان يلام من حصر نفسه في ذلك الضابط ، ورب رخصة كانت افضل من عزائم . لتأثير نفعها ، ولو علم المتزهدون أن العلم يوجب المعرفة بالله تعالى . فتنبت القلوب من خوفه ، وتنحل الاجسام للحذر منه فوجب التاطف بالاجسام حفظا لقوة الراحة . ولأن آلة العلم والحفظ . القلب والفكر ، فاذا رففت الآلة جاد العمل ، وهذا أمر لا يعلم الا بالعلم . فلجهل المتزهدين بالعلم أنكروا ما لم يعلموا . وظنوا أن المراد إتعاب الابدان ، وانضاء الرواحل ، وما علموا أن الخوف المضني يحتاج الى راحة مقاومة ، كما قال القائل : روحو القلوب تعي الذكر .

٥٨ - فصل - ليس في الوجود شيء اشرف من العلم ، كيف لا وهو الدليل . فاذا عدم وقع الضلال ، وان من خفي مكائد الشيطان ان يزير في نفس الانسان التعبد . ليشغله عن افضل التعبد وهو العلم ، حتى أنه زين لجماعة من القدماء أنهم دفنوا كتبهم ورموها في البحر . وهذا قدورد عن جماعة . وأحسن ظني بهم ان أقول : كان فيها شيء من رأيهم وكلامهم فما أحبوا انتشاره ، والا فتي كان فيها علم مفيد صحيح لا يخاف عواقبه . كان

رميها اضاعة للمال لا يحل ، وقد دنت حيلة ابليس الى جماعة من المتصوفة حتى منعوا من حمل المحابر تلامذتهم ، حتى قال جعفر الخلدي : لو تركني الصوفية جئتكم باسناد الدنيا ، كتبت مجلسا عن أبي العباس الدوري فلقيني بعض الصوفية فقال : دع علم الورق ، وعليك بعلم الخرق . ورأيت محبرة مع بعض الصوفية . فقال له صوفي : استر عورتك وقد انشدوا للشبلي :

إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وهذا من خفي حيل ابليس ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ، وإنما فعل وزينه عندهم لسبيين . احدهما : أنه أرادهم يشنون في الظلمة ، والثاني : ان تصفح العلم كل يوم يزيد في العالم . وبكشف له ما كان خفي عنه ، ويقوى ايمانه ومعرفته ، ويربه عيب كثير من مسالكه . اذا تصفح منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم . والصحابة . فأراد ابليس سد تلك الطرق باخفي حيلة ، فظاهر أن المقصود العمل لا العلم لنفسه ، وخفي على المخدوع أن العلم عمل وأى عمل ، فاحذر من هذه الخديعة الخفية ، فان العلم هو الاصل الاعظم ، والنور الاكبر . وربما كان تقليب الاوراق افضل من الصوم والصلاة . والحج والغزو ، وكمن معرض عن العلم بخوض في عذاب من الهوى في تعبه . وبضيع كثيرا من الفرض بالنفل ويشغل بما يزعمه الافضل عن الواجب ، ولو كانت عنده شعلة من نور العلم لاهتدى ، فتأمل ماذا كرت لك ترشد ان شاء الله تعالى .

٥٩ - فصل - مر بي جمالان تحت جذع ثقيل وهما يتجاوبا

بانشاد التنعم . وكلمات الاستراحة ، فاحدهما يصغى الى ما يقوله الآخر ثم يعيده أو يجيبه بمثله ، والاخر همته مثل ذلك . فرأيت انهما لو لم يفعلوا

هذا زادت المشقة عليهما ، وثقل الأمر ، وكلما فعلا هذا هان الأمر ،  
فتأملت السبب في ذلك . فاذا به تعليق فكر كل واحد منهما بما يقوله  
الآخر ، وطربه به ، واحالة فكره في الجواب بمثل ذلك . فينقطع الطريق ،  
وينسى ثقل المحمول ، فاخذت من هذا اشارة عجيبة ورأيت الانسان قد  
حمل من التكليف امور اصعبه ، ومن اثقل ما حمل مداراة نفسه ، وتكليفها  
الصبر عما تحب . وعلى ما نكره . فرأيت الصواب قطع طريق الصبر  
بالتسلية والتلطف للنفس ، كما قال الشاعر :

فان تشكت فعلها المجرة من ضوء الصباح وعدها بالرواح ضحى  
ومن هذا ما يحكى عن بشر الخاق رحمة الله عليه : سار ومعه رجل في طريق  
فعطش صاحبه . فقال له أنشرب من هذا البئر فقال بشر اصبر الى البئر الآخر ،  
فلما وصلا اليها قال له البئر الاخرى . فما زال يعمله . ثم التفت اليه فقال له :  
هكذا تنقطع الدنيا . ومن فهم هذا الاصل علل النفس وتلطف بها ووعدها  
الجليل لتصبر على ما قد حملت كما كان بعض السلف يقول لنفسه : والله ما  
أريد بمنعمك من هذا الذى تحبب الا الاشفاق عليك ، وقال ابو يزيد رحمة الله  
عليه : ما زلت أسوق نفسى الى الله تعالى وهى تبكى . حتى سقتها وهى  
تضحك ، واعلم أن مداراة النفس والتلطف بها لازم ، وبذلك ينقطع الطريق  
فهذا رمز الى الاشارة . وشرحه يطول .

٦٠ - فصل - تأملت اشياء تجرى في مجالس الوعظ . يعتمدها  
العوام وجهال العلماء قربة وهى منكر وبعد ، وذلك أن المقرئ يطرب  
ويخرج الاغانى الى الغناء ، والواعظ ينشد بتطريب اشعار المجنون وليلى ،  
فيصفق هذا . ويحرق ثوبه هذا . ويعتقد ان ذلك قربة ومعلوم أن هذه

الالخان كالموسيقى. يوجب طرباً للنفوس، فالتعرض بما يوجب الفساد غلط عظيم. وينبغي الاحتساب على الوعاظ في هذا. وكذلك المقاريون. منهم فاتهم بهيجون الاحزان ليكثر بكاء النساء. فيعطون على ذلك الاجرة، ولو أنهم أمروا بالصبر لم ترد النسوة ذلك؛ وهذه اضداد للشرع، قال ابن عقيل: حضرنا عزاء رجل قد مات له ولد، فقرأ المقرئ بأسق على يوسف، فقلت له: هذه نياحة بالقرآن. وفي الوعاظ من يتكلم على طريق المعرفة والمحبة، فترى الخائك والسوقي الذي لا يعرف فرائض تلك الصلاة يمزق اثوابه دعوى لمحبة الله تعالى، والصابي حالاً منهم وهو أصلحهم يتخايل بوجهه شخصاً هو الخالق، فيبكيه شوقه اليه لما يسمع من عظمته ورحمته وجماله، وليس ما يتخايلونه المعبود، لان المعبود لا يقع في خيال، وبعد هذا فالتحقيق مع العوام صعب، ولا يكادون ينتفعون بحر الحق. الا أن الواعظ مأمور بان لا يتمدى الصواب، ولا يتعرض لما يفسدهم. بل يجذبهم الى ما يصلح بالطف وجه، وهذا يحتاج الى صناعة، فان من العوام من يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الاشارة، ومنهم من ينقاد ببيت من الشعر، واحوج الناس الى البلاغة الواعظ ليجمع مطالبهم، لكنه ينبغي أن ينظر في اللازم الواجب، وان يعطيهم من المباح في اللفظ. قدر المالح في الطعام، ثم يجذبهم الى العزائم. ويعرفهم الطريق الحق وقد حضر احمد بن حنبل: فسمع كلام الحارث المحاسبي فبكى. ثم قال: لا يعجبني الحضور. وانما بكى لأن الحال اوجبت البكاء، وقد كان جماعة من السلف يرون تخليط القصص. فينهون عن الحضور عندهم. وهذا على الاطلاق لا يحسن اليوم. لانه كان الناس في ذلك ازمان متشاغلين بالعلم، فرأوا حضور القصص صادداً لهم،

واليوم كثير الاعراض عن العلم ، فانفع ما للعامة مجلس الوعظ ، يرده عن  
 ذنب ، ويحركه الى توبة ، وانما الخلل في القاص . فليثق الله عز وجل .  
 ٦١- فصل - من أضر الاشياء على العوام كلام المتأولين . والنفاة

للمصنفات والاضافات ، فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام . بالغوا في الاثبات  
 ليتقرر في أنفس العوام وجود الخالق ، فان النفوس تأنس بالاثبات فاذا سمع  
 العام ما يوجب النفي . طرد عن قلبه الاثبات ، فكان أعظم ضرر عليه ، وكان هذا  
 المنزه من العلماء على زعمه ، مقاوما لاثبات الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالمحو ،  
 وشارعاً في إبطال ما يفتون به ، وبيان هذا أن الله تعالى أخبر باستوائه على العرش .  
 فأنتت النفوس الى اثبات الاله ووجوده ، قال تعالى « ويبقى وجه ربك » وقال  
 تعالى « بل يدها مبسوطتان » وقال « غضب الله عليهم » « رضى الله عنهم »  
 وأخبر أنه ينزل الى السماء الدنيا وقال : قلوب العباد بين أصبعين ، وقال  
 كتب التوراة بيده ، وكتب كتابا فهو عنده فوق العرش ، الى غير ذلك  
 مما يطول ذكره . فاذا امتلأ العامي والصبي من الاثبات . وكاد يأنس من  
 الاوصاف بما يفهمه الحس قيل له : « ليس كمثل شيء » فحى من قلبه ما نقشه  
 الخيال ، وتبقى الفاظ الاثبات متمكنة ، ولهذا أقر الشرع على مثل هذا ، فسمع  
 منشداً يقول : فوق العرش رب العالمينا ، فضحك وقال له آخر : أويضحك  
 ربنا ؟ فقال نعم ، وقال : إنه على عرشه هكذا ، كل هذا ليقرر الاثبات في  
 النفوس ، وأكثر الخلق لا يعرفون الاثبات الا على ما يعاملون من الشاهد ، فيقنع  
 منهم بذلك الى أن يفهموا التنزيه ، ولهذا اصحح أسلام<sup>١١</sup> من القتل بالسجود ،  
 فأما اذا ابتدأ بالعامي الفارغ من فهم الاثبات . فقلنا : ليس في السماء . ولا

على العرش . ولا يوصف بيد . وكلامه صفة قائمة بذاته . وليس عندنا منه شيء . ولا يتصور نزوله ، أنمحي من قلبه تعظيم المصحف ، ولم يترصع في سره أثبات إله ، وهذه جنائية عظيمة على الانبياء . توجب نقض ماتعبوا في بيانه ، ولا يجوز لعالم أن يأتي الى عقيدة عامي قد أنس بالأثبات فهو شها ، فإنه يفسده ويصعب صلاحه ، فاما العالم فانا قد امناه لأنه لا يخفى عليه استحالة تجدد صفة الله تعالى ، وأنه لا يجوز أن يكون أستوى كما يعلم ، ولا يجوز أن يكون محمولا ، ولا أن يوصف بملاصقة ومس ، ولأن ينتقل ولا يخفى عليه أن المراد بتقليب القلوب بين أصبعين الاعلام بالتحكيم في القلوب فان ما يدبره الانسان بين اصبعين هو متحكيم فيه الى الغاية ، ولا يحتاج الى تأويل . من قال الاصبع الاثر الحسن ، فالقلوب بين أثرين من آثار الربوبية ، وهما الاقامة والازاغة . ولا الى تأويل من قال : يده نعمته ، لأنه اذا فهم أن المقصود الاثبات . وقد حدثنا بما نعقل . وضربت لنا الامثال بما نعلم ، وقد ثبت عندنا بالاصل المقطوع به انه لا يجوز عليه ما يعرفه الحس ، علمنا المقصود بذكر ذلك ، واصلح ما نقول للعوام : أمروا هذه الاشياء كاجاءت ، ولا تتعرضوا لتأويلها ، وكل ذلك يقصد به حفظ الاثبات ، وهذا الذي قصده السلف . وكان احد يمنع من ان يقال : انظى بالقرآن مخلوق او غير مخلوق ، كل ذلك ليحمل على الاتباع ، وتبقى الفاظ الاثبات على حالها ، واجهل الناس من جاء الى ما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه . فاضعف في النفوس قوى التعظيم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو — يشير الى المصحف — ومنع الشافعي ان يحمله المحدث بعلاقته تعظيما له ، فاذا جاء متحدث فقال : الكلام صفة قائمة بذات المتكلم . فعنى قوله هذا

ان ما ههنا شيء يحترم ، فهذا قد ضاد بما اتى به مقصود الشرع ، وينبغي ان يفهم أوضاع الشرع ومقاصد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقد منعوا من كشف ما قد قنع الشرع ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلام في القدر . ونهى على الاختلاف . لأن هذه الاشياء تخرج الى ما يؤذى ، فان الباحث عن القدر اذا بلغ فهمه الى أن يقول قضي وعاقب تزلزل أيمانه بالعدل ، وان قال : لم يقدر ولم يقض تزلزل أيمانه بالقدر ، والملك ، فكان الاولى ترك الخوض في هذه الاشياء ، ولعل قائل يقول : هذا منع لنا عن الاطلاع على الحقائق ، وأمر بالوقوف مع التقليد ، فاقول : لا . إنما أعلمك أن المراد منك الايمان بالجل ، وما أمرت بالتنقيح مع أن قوى فهمك تعجز عن ادراك الحقائق فان الخليل عليه الصلاة والسلام قال : ارنى كيف تحي ، فراه ميتا حي ، ولم يره كيف احياه . لأن قواه تعجز عن ادراك ذلك . وقد كان النبي ﷺ بعث ليبين للناس ما نزل اليهم . يقنع من الناس بنفس الافرار واعتقاد الجمل ، وكذلك كانت الصحابة . فانتقل عنهم أنهم تسكلموا في تلاوة و متلو ، وقراءة ومقروء ولا أنهم قالوا استوى بمعنى استولى وينزل بمعنى يرحم ، بل قنعوا باثبات الجمل التي تثبت التعظيم عند النفوس ، وكفوا كف الخيال بقوله : « ليس كمثله شيء » . ثم هذا منكر ونكير إنما يسألان عن الاصول المجملة فيقولان . من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ومن فهم هذا الفصل سلم من تشبيه الجسم ، وتعطيل المعطلة ، ووقف على جادة السلف الاول ، والله الموفق .

٦٢ - فصل - قرأت هذه الآية . « قل أرايتم ان أخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأنبيكم به » فلاحى منها اشارة



كدت أطيش منها ، وذلك أنه ان كان عنى بالآية نفس السمع والبصر فان  
السمع آلة لادراك المسموع ، والبصر آلة لادراك المبصرات ، فهما يعرضان  
ذلك على القلب ، فيتدبر . ويعتبر . فاذا عرضت المخلوقات على السمع والبصر ،  
فاوصلا الى القلب اخبارها من أنها تدل على الخالق ، وتحمل على طاعة  
الصانع ، ويحذر من بطشه عند مخالفته ، وان عنى معنى السمع والبصر .  
فذلك يكون بذهولهما عن حقائق ما أدركا ، شغلا بالهوى . فيعاقب الانسان  
بسلب معانى تلك الآلات ، فيرى وكأنه ما رأى ويسمع وكأنه ما سمع ،  
والقلب ذاهل عن ما يتأدى به ، فيبقى الانسان خاطئا على نفسه لا يدري  
ما يرايه . لا يؤثر عنده أنه يبلى ، ولا تنفعه موعظة تجلى ، ولا يدري اين  
هو . ولا المراد منه ، ولا الى اين يحمل ، وانما يلاحظ بالطبع مصالح عاجلته  
ولا يتفكر في خسران آجائه ، لا يعتبر برفيقه ، ولا يتعظ بصديقه ، ولا  
يتزود لطريقه كما قال الشاعر :

الناس في غفلة والموت يوقظهم      وما يفيقون حتى ينفد العمر  
يشيعون اهلهم يجمعهم      وينظرون الى ما فيه قد فتروا<sup>(١)</sup>  
ويرجعون الى احلام غفلتهم      كأنهم مارأوا شيئا ولا نظروا  
وهذه حالة اكثر الناس ، فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات ، فانها أقيح  
الحالات .

٦٣ - فصل - نظرت فيما تكلم به الحكماء في العشق واسبابه  
وأدويته وصنفت في ذلك كتبا باسميته بدم الهوى ، وذكرت فيه عن الحكماء  
أنهم قالوا : سبب العشق حركة نفس فارغة ، وأنهم اختلفوا . فقال قوم منهم

« ١ » في الاحمدية : قد قبروا .

لا يعرض العشق الا لظراف الناس . وقال آخرون : بل لأهل الغفلة منهم  
 عن تأمل الحقائق ، الا أنه خطرلى بعد ذلك معنى عجيب أشرحه ههنا .  
 وهو أنه لا يتمكن العشق الا مع واقف جامد . فاما ارباب صعود الهمم  
 فانها كلما تخايلت ما توجبه المحبة فلاحت عيوبه لها ، إما بالفكر فيه أو  
 بالمخالطة له ، تسلت وتعاقبت بمطلوب آخر فلا يقف على درجة العشق  
 الموجب للتمسك بتلك الصورة ، العامى عن عيوبها ، الا جامد واقف ،  
 وأما ارباب الأنفة من النقائص ، فانهم أبدا في الترقى ، لا يصدم صاد ،  
 فاذا علفت الطباع محبة شخص لم يبالغوا مرتبة العشق المستأثر ، بل ربما  
 مالوا ميلا شديدا ، أما في البداية لفة التفكير أو لفة المخالطة والاطلاع على  
 العيوب ، واما لتشتت بعض الخلال الممدوحة بالنفوس من جهة مناسبة  
 وقعت بين الشخصين ، كالظربف مع الظريف ، والفطن مع الفطن ،  
 فيوجب ذلك المحبة ، فاما العشق فلا فهم ابدا في السير . فلا يوقف وابل  
 الطبع يتبع حادى الفهم ، فان للطبع متعلقا لا نجد في الدنيا ، لأنه يروم  
 ما لا يصح وجوده من المال في الاشخاص ، فاذا تلمح عيوبها نفر ، وأما  
 متعلق القلوب من محبة الخالق البارى . فهو مانع لها من الوقوف مع سواه ،  
 وان كانت محبته لا تجانس محبة المخلوقين ، غير أن ارباب المعرفة ولهى قد  
 شغلهم حبه عن حب غيره ، وصارت الطباع مستغرقة لقوة معرفة القلوب  
 ومحبها كما قالت رابعة :

أحب حبيبا لا أعاب بحبه وأحبتهم من في هواه عيوب

ولقد روى عن بعض فقراء الزهاد أنه مر بامرأة فاعجبته ، فخطبها الى ايها ،  
 فزوجه وجاء به الى المنزل والبسه غير خلقانه ، فلما جن الليل صاح الفقير

ثيابي ثيابي . فقدت ما كنت أجده ، فهذه عشرة في طريق هذا الفقير دلته على أنه منحرف عن الجادة ، وإنما تعترى هذه الحالات ارباب المعرفة بالله عز وجل واهل الأئمة من الرذائل . وقد قال ابن سمود : اذا أعجبت احدكم امرأة فليتكلم مثنائها ، ومثال هذه الحال أن العقل يغيب عند استخلاء تناول المشهى من الطعام ، عن التفكير في تقابه في الفم وبلعه ، ويذهل عند الجماع عن ملاقات القاذورات لقوة غلبة الشهوة ، وينسى عند بلع الرضاب استحالته عن الغذاء ، وفي تغطية تلك الاحوال مصالح ، الا أن ارباب اليقظة يعترهم من غير طلب لها في غاب أحوالهم ، فينغص عليهم لذيق العيش ، ويوجب الأئمة من رذالة الهوى ، وعلى قدر النظر في العواقب يخف العشق عن قلب العاشق ، وعلى قدر جمود الذهن يقوى القلق ، قال المتنبي :

لوفكر العاشق في منتهى حسن الذي يثيبه لم يثبه

ومجموع ما أردت شرحه . أن طباع التيقظين تترقى فلا تقف مع شخص مستحسن ، وسبب ترقيا التفكير في نقص ذلك الشخص وعيوبه ، أو في طلب ما هو أهم منه ، وقلوب العارفين تترقى الى معروفها ، فيعتبر في معبر الاعتبار ، فاما اهل الغفلة فجمودهم في الحالتيه ، وغفاتهم عن المقامير ، يوجب اسرهم وقسرهم وحيرتهم .

٦٤ - فصل - عرض لي أمر يحتاج الى سؤال الله عز وجل ودعائه ، فدعوت وسألت . فاخذ بعض أهل الخير يدعو معي ، فرأيت نوعا من أثر الاجابة ، فقالت لي نفسي : هذا بسؤال ذلك العبد لا بسؤالك ، فقلت لها : أما أنا فاني أعرف من نفسي من الذنوب والتقصير ما يوجب منع الجواب ، غير أنه يجوز أن يكون أنا الذي أجبت ، لأن هذا الداعي الصالح سليم مما أظنه

من نفسى ، اذ معى انكسار تقصيرى ومعه الفرح بمعاملته ، وربما كان الاعتراف بالتقصير أنجح فى الحوائج ، على أنى أنا وهو نطلب من الفضل لا باعمالنا ، فاذا وقفت أنا على قدم الانكسار معترفا بذنوبى . وقالت أعطونى بفضلكم فىالى فى سؤالى شىء أجبت به ، وربما نلمح ذلك حسن عمله وكان صاداله . فلا تكسر بنى أيتها النفس فيكفينى كسر علمى بنى لى ، ومعى من العلم الموجب للادب ، والاعتراف بالتقصير ، وشدة الفقر الى ما سألت ، وبقينى بفضل المطلوب عنه ، ما ليس مع ذلك العابد ، فبارك الله فى عبادته ، فر بما كان اعترافى بتقصيرى أوفى .

٦٥ - فصل - قرأت من غرائب العلم . وعجائب الحكم . على بعض من يدعى العلم ، فرأيته يتلوى من سماع ذلك ، ولا يطلع على غوره ، ولا يشرب الى ما يأتى ، فصرفت عن اساءه شيئا آخر وقلت : انما يصلح مثل هذا لذى لب يتلقاه تلقى العطشان الماء ، ثم أخذت من هذه اشارة - جعلت - لو كان هذا يفهم ماجرى ومدخنى لحسن ما صنعت لعظم قدره عندى ، ولأريته محاسن مجموعاتى وكلامى ، ولكنه لما لم أره اهلا صرفتها عنه ، وصدفت بنظرى اليه وكانت الاشارة أن الله عز وجل : قد صنف هذه المخلوقات فاحسن التركيب ، واحكم الترتيب ثم عرضها على الالباب ، فأى لبا أوغل فى النظر مدح على قدر فهمه فاحبه المصنف ، وكذلك أنزل القرآن يمتوى على عجائب الحكم ، فنفتشه بيد الفهم . وحادثه فى خلوة الفكر . استجلب رضى المتكلم به وحظى الزانى لديه ، ومن كان للذهن مستغرق الفهم بالحسيات . صرف عن ذلك المقام ، قال الله عز وجل : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرن فى الارض بغير الحق » .

٦٦ - فصل - دعوت يوم اقلقت اللهم بلغنى آمالى من العلم والعمل ،  
 واطل عمرى لا يبلغ ما أحب من ذلك ، فعارضنى وسواس من ابليس ، فقال :  
 ثم ماذا أليس الموت ، فما الذى ينفع طول الحياة : فقلت له : يا أبله . لو فهمت  
 ماتحت سؤالى علمت أنه ليس بعيب ، أليس فى كل يوم يزيد علمى ومعرفتى ،  
 فتكثر ثمار غرسى ، فاشكر يعنى يوم حصادى ؟ <sup>(١)</sup> أفيسرنى أنى مت  
 منذ عشرين سنة ، لا والله ؛ لأنى ما كنت أعرف الله تعالى عشر معرفتى به اليوم  
 وكل ذلك ثمرة الحياة التى فيها اجتنبت أدلة الوحداية ، وارتقيت عن حضيض  
 التقليد الى يفاع البصيرة ، واطلمت على علوم زادها قدرى ، وتجوهرت  
 بها نفسى ، ثم زاد غرسى لآخرتى ، وقويت تجارتي فى انقاذ المباحين من  
 المتعلمين ، وقد قال لسيد المرسلين : « وقل ربى زدنى علما » وفى صحيح مسلم  
 من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . عن النبى صلواته أنه قال : لا يزيد  
 المؤمن عمره الا خيرا ، وفى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .  
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن من السعادة ان يطول عمر العبد  
 ويرزقه الله عز وجل الا نابة ، فياليتنى قدرت على عمر نوح ، فان العلم كثير ،  
 وكلما حصل منه حاصل رفع ونفع .

٦٧ - فصل - قلوب العارفين يغار عابها من الاسباب وان كانت  
 لاتساكنها لانها لما انفردت لمعرفتها انفرد لها بتولى امورها ، فاذا عرضت  
 بالاسباب محى اثر الاسباب : « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثر تكلم فلم تغن عنكم  
 شيئا » . وتأمل فى حال يعقوب وحذره على يوسف عليهما السلام . حتى قال :  
 أخاف ان يأكله الذئب . فقالوا : « أكله الذئب » فلما جاء اوان الفرج ،

(١) فى الهندية : فاستكثر بذرى يوم حصادى

خرج يهودا بالقميص فسبقه الريح « انى لاجد ريح يوسف » وكذلك قول يوسف عليه السلام للساقى: « اذكرنى عند ربك » فعوقب بان لبت سبع سنين ، وان كان يوسف عليه السلام يعلم أنه لا خلاص الا باذن الله ، وأن التعرض بالاسباب مشروع ، غير أن الفيرة أثرت العقوبة ، ومن هذا قصة صريم عليها السلام « وكفلها زكريا » فغار المسبب من مساكنة الاسباب: « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » ومن هذا القميل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أبى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب . والاسباب طريق ، ولا بد من سلوكها . والعارف لا يساكنها غير أنه يحلى له امرها ما لا يحلى لغيره من أنها لاتساكن ، وربما عرفت أن مال اليها وان كان ميله لا يقبله ، غير أنه اقل الهفوات يوجب الادب ، لا طوفن الليلة على مائة امرأة ، تلد كل واحدة منهن غلاما ، ولم يقل ان شاء الله . فاحملت الواحدة جاءت بشق غلام ، ولقد طرقتنى حالة أوجبت التشبث ببعض الاسباب . الا أنه كان من ضرورة ذلك لقاء بعض الظلمة ، ومداراته بكلمة . فبينما أنا أفكر فى تلك الحال دخل على قارى فاستفتح . فتفاءلت بما يقرأ فقراً: « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون » . فهت من اجابتي على خاطرى ، وقلت لنفسى : اسمى فانى طلبت النصر فى هذه المداراة فاعلمنى القرآن أنى اذا ركنت الى ظالم فانى ماركنت لاجله من النصر ، فياطوبى لمن عرف المسبب وتعلق به ، فانها الغاية القصوى ، ففسأل الله أن يرزقنا .

٦٨ - فصل - المؤمن لا يبالغ فى الذنوب وانما يقوى الهوى ويتوقد نيران الشهوة فيتجدد ، وله مداد لا يعزم المؤمن على موافقته ، ولا على العود

بعد فراغه ، ولا يستقصى في الانتقام ان غضب ، وينوى التوبة قبل الزل ،  
وتأمل اخوة يوسف عليهم السلام . فانهم عزموا على التوبة قبل ابعاد  
يوسف فقالوا : « اقتلوا يوسف » ثم زاد ذلك تعظيما فقالوا : « أو اطرحوه  
ارضا » ثم عزموا على الانابة فقالوا : « وتكونوا من بعده قوما صالحين » .  
فاما خرجوا به الى الصحراء هموا بقتله بمقتضى ما في القلوب من الحسد ، فقال  
كبيرهم : « لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب » ولم يردان يموت بل  
يلتقطه بعض السيارة ، فاجابوا الى ذلك ، والسبب في هذه الاحوال أن  
الايمان على حسب قوته ، فتارة يرد لها عند الهمة ، وتارة يضعف فيردها عند  
العزم ، وتارة عن بعض الفعل ، فاذا غلبت الغفلة ، ووقع الذنب ، فتر الطبع ،  
فنهض الايمان العدل ، فينقص بالندم اضعاف ما ألتذ .

٦٩ - فصل - افضل الاشياء التزيد من العلم ، فانه من اقتصر  
على ما يعلمه فظنه كافيا استبد برأيه ، وصار تعظيمه لنفسه ما نعاله من  
الاستفادة والمذاكرة تبين له خطأه ، وربما كان معظما في النفوس فلم  
يتجاسر على الرد عليه ، ولو انه اظهر الاستفادة لأهديت اليه مساويه  
فعاد عنها ، واقد حكى ابن عقيل عن أبي المعالي الجويني انه قال : ان الله  
تعالى يعلم جمل الاشياء ولا يعلم التفاصيل ، ولا ادري أى شبهة وقعت في  
وجه هذا المسكين حتى قال هذا ، وكذلك ابو حامد حين قال : النزول  
التنقل ، والاستواء مماسة - وكيف اصف هذا بانتمه والزهد وهو لا يدري  
ما يجوز على الله مما لا يجوز ، ولو انه ترك تعظيم نفسه لرد صبيان الكتاب  
رأيه عليه . فبان له صدقهم . ومن هذا الفن ابو بكر بن مقسم : فانه عمل  
كتاب الاحتجاج للقراء ، فأتى فيه بفوائد ، الا انه افسد علمه باجازته

ان يقرأ بما لم يقرأ به ، ثم تفاهم ذلك منه حتى اجاز ما يفسد المعنى ، مثل قوله تعالى : « فلما استيأسوا منه خلصوا » . فقال : يصاح ان يقال هنا نجما اى خلصوا كراما برآء من السرقة ، وهذا سوء فهم للقصة ، فان الذى نسب الى السرقة فظهرت معه ما خلص ، فما الذى ينفع خلاصهم ، وانما سيقت القصة ليبين انهم انفردوا وتشاوروا فيما يصنعون ، وكيف يرجعون الى أيديهم وقد احتبس اخوهم ، فأى وجه للنجاة هاهنا ، ومن تأمل كتابه رأى فيه من هذا الجنس ما يزيد على الاحصاء أكثر من هذا الفن القبيح ، ولو انه اصغى الى علماء وقته . وترك تعظيم نفسه لبان له الصواب ، غير ان اقتصار الرجل على علمه اذا مازجه نوع رؤية للنفس حبس من ادراك الصواب ، نعوذ بالله من ذلك .

#### ٧٠ - فصل - تأملت قوله عز وجل : « يمنون عليك أن اسلموا

قل لا اتنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان » . فرأيت فيه معنى عجيبا . وهو أنهم لما وهبت لهم العقول فتدبروا بها عيب الاصنام ، وعلموا انها لا تصلح للعبادة ، فوجهوا العبادة الى من فطر الاشياء . كانت هذه المعرفة ثمرة العقل الموهوب لهم الذى به باينوا البهائم ، فاذا آمنوا بفعلهم الذى ندب اليه العقل الموهوب ، فقد جهلوا قدر الموهوب ، وغفلوا عن من وهب . وأى شيء لهم فى الثمرة والشجرة ليست ملكا لهم ، فعلى هذا كل متعبد ومجتهد فى علم وعمل انما رأى بنور اليقظة ، وقوة الفهم والعقل ، صواب . فوقع على المطلوب ، فينبغى ان يوجه الشكر الى من بعث له فى ظلام الطبع القبس ، ومن هذا الفن حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار ، فانحطت عليهم صخرة فسدت باب الغار ، فقالوا : تعالوا نتوسل بصالح



اعمالنا ، فقالوا كل منهم : فعلت كذا وكذا ، وهو لاء ان كانوا لاحظوا  
 نعمة الواهب للعصمة عن الخطأ فتوسلوا بانعامه عليهم الذي اوجب  
 تخصيصهم بتلك النعمة عن ابناء جنسهم ، فيه فتوسلوا اليه ، وان كانوا  
 لاحظوا افعالهم فامحوا جزاءها ظناً منهم أنهم هم الذين فعلوا فهم أهل  
 غيبة لاحضور ، ويكون جواب مسألتهم لقطع مننهم الدائمة ، ومثل هذا  
 رؤية المتقى تقواه حتى انه يرى انه أفضل من كثير من الخلق ، وربما احتقر  
 أهل المعاصي ونشمخ عليهم . وهذه غفلة من طريق السلوك ، وربما  
 اخرجت . ولا أقول لك خالط الفساق احتقاراً لنفسك ، بل أغضب عليهم  
 في الباطن واعرز عنهم في الظاهر وتامح جريان الاقدار عليهم في  
 الباطن فاكثرت لا يعرف لمن عصى ، وجهورهم لا يقصد العصيان ، بل  
 يريد موافقة هواه . وعزيز عليه ان يعصى ، وفيهم من غلب عليه تامح  
 العفو والحلم فاحتقر ما يأتي لقوة يقينه بالعفو ، وهذه كلها ليست باعتماد  
 لهم . ولكن تلمحه أنت يا صاحب التقوى ، واعلم ان الحجية عليك أو في  
 من الحجية عليهم ، لأنك تعرف من تعصى ، وتعلم ما تأتي ، بل انظر الى  
 تقليب القلوب بين اصبعين فربما دارت الدائرة فصرت المنقطع ، ووصل  
 المقطوع ، فالعجب ممن يدل بخير علمه ، وينسى من انعم ووفق .

٧١ - فصل - اعلم ان شرعنا مضبوط الاصول ، محروس القواعد ،

لاخلل فيه ولا دخل ، وكذلك كل الشرائع ، انما الآفة تدخل من المبتدعين  
 في الدين أو الجهال ، مثل ما أثر عند النصارى حين رأوا احياء الموتى على يد  
 عيسى عليه السلام ، فتأملوا الفعل الخارق للعادة الذي لا يصلح للبشر ،  
 فذسبوا الفاعل الى الالهية ، ولو تأملوا ذاته لعلموا أنها مركبة على النقائص

والحاجات، وهذا القدر يكفي في عدم صلاح إلهيته، فيعلم حينئذ ان ماجرى على يديه فعل غيره، وقد يؤثر ذلك في الفروع. مثل ما روى انه فرض على النصارى صوم شهر فزادوا عشرين يوماً، ثم جعلوه في فصل من السنة بأرائهم، ومن هذا الجنس تخبيط اليهود في الاصول والفروع، وقد قارب الضلال في امتنا هذه المسالك، وان كان عمومهم قد حفظ من الشرك والشك والخلاف الظاهر الشنيع، لأنهم أعقل الامم وافهمها، غير أن الشيطان قارب بهم ولم يطمع في اغراقهم، وان كان قد اغرق بعضهم في بحار الضلال فن ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم: جاء بكتاب عزيز من الله عز وجل قيل في صفته: «ما فرطنا في الكتاب من شيء». وبين ما عساه يشكل مما يحتاج الى بيانه بسنته كما قيل له: «لتبين للناس ما نزل اليهم». فقال بعد البيان تركتم على بيضاء نفية، فجاء أقوام فلم يقنعوا بتبينه. ولم يرضوا بطريقة اصحابه، فبحثوا ثم انقسموا. فمنهم من تعرض لما تعب الشرع في اثباته في القلوب فحاه منها، فان القرآن والحديث يثبتان الاله عز وجل باوصاف تقرر وجوده في النفوس، كقوله تعالى «ثم استوى على العرش» وقوله تعالى «بل يدها مبسوطتان» وقوله تعالى «ولتصنع على عيني» وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ينزل الله الى السماء الدنيا ويدسط يده نسيء الليل<sup>(١)</sup> والنهار، ويضحك ويغضب. وكل هذه الاشياء وان كان ظاهرها يوجب تخايل التشبيه. فالمراد منها اثبات موجود، فلما علم الشرع ما يطرق القلوب من التوهجات عند سماعها قطع ذلك بقوله: «ليس كمثل شيء». ثم ان هؤلاء القوم ادوا الى القرآن الذي هو المعجز الاكبر. وقد قصد الشرع

«١» في الهندية: ليتوب مسيء الخ

تقرير وجوده فقال: «انا انزلناه» «نزل به الروح الامين» «فذرني ومن يكذب بهذا الحديث» «وهذا كتاب انزلناه». واثبتته في القلوب بقوله تعالى: «في صدور الذين اوتوا العلم» وفي المصاحف بقوله تعالى: «في لوح محفوظ» وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: لانسافروا بالقرآن الى ارض العدو، فقال قوم من هؤلاء مخلوق فاسقطوا حرمة من النفوس، وقالوا: لم ينزل ولا يتصور نزوله. وكيف تنفصل الصفة عن الموصوف. وليس في المصحف الا حبر وورق، فعادوا على ماتع الشارع في اثباته بالحج، كما قالوا: ان الله عز وجل ليس في السماء، ولا يقال استوى على العرش، ولا ينزل الى السماء الدنيا، بل ذلك رحمته، فحوا من القلوب ما أريد اثباته فيها، وليس هذا مراد الشارع. وجاء آخرون فلم يقفوا على ما حده الشرع، بل عملوا فيه بأرائهم فقالوا: الله على العرش، ولم يقنعوا بقوله: «ثم استوى على العرش» ودفن لهم اقوام من سلفهم دفائن، ووضعت لهم الملاحدة احاديث، فلم يعلموا ما يجوز عليه مما لا يجوز، فاثبتوا بها صفاته. وجهور الصحيح منها آت على توسع العرب فاخذوه هم على الظاهر، فكانوا في ضرب المثل كجحا، فان أمه قالت له: احفظ الباب، فقلعه ومشى به، فاخذ ما في الدار، فلامته أمه. فقال: انما قلت احفظ الباب، وما قلت احفظ الدار، ولما تخيلوا صورة عظيمة على العرش، اخذوا يتأولون ما ينافي وجودها على العرش، مثل قوله: «ومن اتاني بمشى أتيته هرولة». فقالوا: ليس المراد به دنو الباب، وانما المراد قرب المنزل والحظ، وقالوا في قوله تعالى: «الا أن يأتيهم الله في ظلل» هو محمول على ظاهرها في مجيء الذات، فهم يحملونه عاماً ويحرمونه عاماً، ويسمون

الاضافات الى الله تعالى صفات ، فانه قد اُضاف اليه النفخ والروح ،  
 وابتوا خلقه باليد ، فلو قالوا خلقه لم يمكن انكار هذا بل قالوا هي صفة  
 تولى بها خلق آدم دون غيره فأى مزية كانت تكون لآدم فشنغلهم النظر  
 فى فضيلة آدم ، عن النظر الى ما هو يليق بالحق ، لا يليق به فانه لا يجوز  
 عليه المس ، ولا العمل بالآلات ، وانما آدم اُضافه اليه . فقالوا نطلق على  
 الله تعالى اسم الصورة لقوله : خلق آدم على صورته وفهموا هذا الحديث  
 وهو قوله عليه السلام : اذا ضرب احدكم فليجتنب الوجه ، ولا يقل قبح  
 الله وجهك ولا وجهاً أشبه وجهك . فان الله خلق آدم على صورته . فلو  
 كان المراد به الله عز وجل لكان وجه الله سبحانه يشبه وجه هذا المخاصم  
 لان الحديث كذا جاء - ولا وجهاً أشبه وجهك - ورووا حديث خولة  
 بنت حكيم : وان آخر وطئمة وطئها الله بوج وما علموا النقل ولا السير  
 وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : اللهم اشد وطأتك على مضر ، وان  
 المراد به آخر وقعة قاتل فيها المسلمون بوج . وهى غزاة حنين . فقالوا :  
 نحمل الخبر على ظاهره وأن الله وطئ ذلك المكان ، ولا شك ان عندهم  
 ان الله تعالى كان فى الارض ثم صعد الى السماء ، وكذلك قالوا فى قوله :  
 « ان الله لا يمل حتى تملاوا » . قالوا : يجوز ان الله يوصف بالملل فجهلوا اللغة  
 وما علموا أنه لو كانت حتى ههنا للغاية لم تكن بمدح لأنه اذا مل حين  
 يمل فأى مدح وانما هو كقول الشاعر :

جلبت منى هذيل بخرق لا تمل الشر حتى يملوا

والمعنى لا يمل وان ملوا . وقالوا فى قوله عليه الصلاة والسلام : الرحم  
 شجينة من الرحمن تتعلق بحقوى الرحمن . فقالوا - الحقو - صفة ذات

وذكروا احاديث لو رويت في نقض الوضوء ما قبلت وعمومها وضعت  
 الملاحذة كما روى عن عبد الله بن عمرو. قال: خلق الله الملائكة من نور الذراعين  
 والصدر. فقالوا: ثبت هذا على ظاهره. ثم ارضوا العوام بقولهم ولا  
 نثبت جوارح فكأنهم يقولون فلان قائم وما هو قائم، فاختلف قولهم  
 هل يطلق على الله عز وجل انه جالس او قائم كقوله تعالى: « قانما بالقسط »  
 وهؤلاء أخس فهما من جحلا لأن قوله قانما بالقسط لا يراد به القيام وانما  
 هو كما يقال الامير قائم بالعدل. وانما ذكرت بعض اقوالهم لئلا يسكن الى  
 شيء منها فالحذر من هؤلاء عبادة، وانما الطريق طريق السلف على أني  
 اقول لك قد قال احمد بن حنبل رحمة الله عليه: من ضيق علم الرجل ان يقلد  
 في دينه الرجال. فلا ينبغي أن تسمع من معظم في النفوس شيئا في الاصول  
 فتقلده فيه، ولو سمعت عن احد مالا يوافق الاصول الصحيحة فقل هذا  
 من الراوى لانه قد ثبت عن ذلك الامام انه يقول بشيء من رأيه. فلو  
 قدر ناصحته عنه فانه لا يقلد في الاصول ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما  
 فهذا أصل يجب البناء عليه فلا يهولك ذكر معظم في النفوس، وكان  
 المقصود شرح هذا أن ديننا سليم، وانما أدخل أقوام فيه ما تأذينا به، ولقد  
 أدخل المتزهدون في الدين ما ينفرون الناس، حتى انهم يرون أفعالهم  
 فيستبعدون الطريق وأكثر أدلة هذه الطريق القصاص فان العامى اذا  
 دخل الى مجلسهم وهو لا يحسن الوضوء كموه بدقايق الجنيد، واشارات  
 الشبلي. فرأى ذلك العامى أن الطريق الواضح لزوم زاوية وترك الكسب  
 للعائلة ومناجاة الحق في خلوة على زعمه. مع كونه لا يعرف أركان الصلاة  
 ولا أدبه العلم ولا قوم أخلاقه مخالطة العلماء، فلا يستفيد من خلوته إلا كما

يستفيد الحمار من الاصطبل . فإن امتد عليه الزمان في ثقله زاد يبسه وربما خايلت له الما ليخوليا أشباحاً يظنهم الملائكة ثم يطاطيء رأسه ، ويمد يده للتقبيل . فكم قد رأينا من أكار ترك الزرع وقعد في زاوية فصار الى هذه الحالة فاستراح من تعبته ، فلو قيل له عد صريضاً قال مالى عادة فلعن الله عادة تخالف الشريعة . فيرى العامى بما يورده القصاص طريق الشرع هذه لا التي عليها الفقهاء ، فيقعون في الضلال . ومن المتزهدين من لا يبالي بعمل بالشرع أم لا ثم تتفاوت جهالهم . فمنهم من سلك مذهب الاباحة ويقول الشيخ لا يعارض ، وينهك في المعاصى . ومنهم من يحفظ ناموسه فيفتى بغير علم ، لثلا يقال الشيخ لا يدري . ولقد حدثني الشيخ أبو حكيم رحمة الله عليه : أن الشريف الدحالى وكان يقصد فيزار ويتبرك به حضر عنده يوماً فسئل أبو حكيم — هل تحل المطلقة ثلاثاً اذا ولدت ذكراً — قال : فقلت لا والله . فقال لى الشريف : اسكت فوالله لقد اقتببت الناس بأنها تحل من ههنا الى البصرة . وحكى لى الشيخ أبو حكيم أن جد آذاد<sup>(١)</sup> الحداد وكان يتوسم بالعلم جاءت اليه امرأة فزوجها من رجل ولم يسأل عن انقضاء العدة ، فاعترضها الحاكم وفرق بينها وبين الزوج ، وانكر على المزوج قال : فلقيته المرأة . فقالت : ياسيدى أنا امرأة لا اعلم فكيف زوجتى . فقال : دعى حديثهم ما انت الا طاهرة مطهرة . وحدثني بعض الفقهاء عن رجل من العباد أنه كان يسجد للسهو سنين . ويقول : والله ماسهوت ولكن افعله احترازاً . فقال له الفقيه : قد بطلت صلاتك كلها لأنك زدت سجوداً غير مشروع

«١» فى الهندية : ذا الجذاذ وما أثبتناه فى الاحمدية

ثم من الدخل الذى دخل فى ديننا طريق المتصوفة فانهم سلكوا طرقا  
أكثرها تنافى الشريعة ؛ وأهل التدين منهم يقللون ويخففون . وهذا ايسر  
بشرع حتى أن رجلا كان قريبا من زمانى يقال له كثير دخل الى جامع  
المنصور وقال : عاهدت الله عهداً ونقضته ، فقد الزمت نفسى أن لا تأكل  
أربعين يوماً . فحدثنى من رآه أنه بقى عشرة أيام ثم فى العشر الرابع أشرف  
على الموت . قال : فما نقضت حتى تفرغ<sup>(١)</sup> فصب فى حلقه ماء فسمعنا له  
نشيشا كنشيش المقلاة ثم مات بعد أيام . فانظروا الى هذا المسكين وما فعله  
به جهله . ومنهم من فسح لنفسه فى كل ما يحب من التمتع والذات واقتنع  
من التصوف بالقميص والفوطة والعامة اللطيفة ، ولم ينظر من أين يأكل ولا  
من أين يشرب ، وخالط الامراء من ارباب الدنيا ولباس الحرير ، وشراب  
الخمور ، حفظا لماله وجاهه . ومنهم اقوام عملوا سنننا لهم تلقوها من كلمات  
أكثرها لا يثبت . ومنهم من أكب على سماع الغناء والرقص واللعب ثم  
نقسموا هؤلاء فمنهم من يدعى العشق فيه ، ومنهم من يقول بالحلول ، ومنهم  
يسمع على وجه الهوى واللعب وكلا الطريقين يفسد العوام الفساد العام .  
وهذا الشرح يطول وقد صنفت كتبا ترى فيها البسط الحسن ان شاء الله  
الله تعالى . — منها تليس ابليس — والمقصود ان تعلم أن الشرع تام كامل فان  
رزقت فهما له فانت تتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وتترك بنيات  
الطريق ولا تقلد دينك الرجال . فان فعلت فانك لا تحتاج الى وصية اخرى ،  
واحذر جمود النقلة ، وانبساط المتكلمين ، وجموع المزهدين ، وشره اهل  
الهوى ، ووقوف العلماء على صمودة العلم ، من غير عمل ، وعمل المتعبدين بغير

علم ، ومن أيدته الله تعالى بلطفه ورزقه الفهم ، وأخرجه عن ربة التقليد ، وجعله أمة وحده في زمانه . لا يبالي بمن عبث ولا ياتفت الى من لام . قد سلم زمامه الى دليل واضح السبيل ، عصمنا الله واياكم من تقليد المعظمين . وأهلنا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانه درة الوجود ، ومقصود الكون صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه واتباعه ورزقنا اتباعه مع اتباعه .

٧٢ - فصل - اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال عز وجل : «وتلك

الايام ندوا لها بيز الناس» . فتارة فقر وتارة غنى ، وتارة عز وتارة ذل ، وتارة يفرح الموالي وتارة يشمت الاعادي . فالسيد من لازم اصلا واحدا على كل حال . وهو تقوى الله عز وجل فانه ان استغنى ذاته ، وان افتقر فتحت له ابواب الصبر ، وان عوفي تمت النعمة عليه ، وان ابتلى جملته ، ولا يضره ان نزل به الزمان أو صعد ، أو اعراه أو أشبعه أو أجاعه . لأن جميع تلك الاشياء نزول وتغير . والتقوى اصل السلامة حارس لا ينام ، يأخذ باليد عند العثرة ، ويوافق على الحدود والمنكر من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى فانها ستحول وتخليه خاسرا . ولازم التقوى في كل حال فانك لا ترى في الضيق الا السعة ، وفي المرض الا العافية ، هذا نقدها العاجل والآجل معلوم .

٧٣ - فصل - تأملت امرأ عجيبا ، واصلا ظريفا ، وهو انه يبال الابتلاء على المؤمن . وعرض صور اللذات عليه مع قدرته على نيلها . وخصوصا ما كان في غير كلفة من تحصيله كمحبوب موافق في خاوة حصينة . فقلت : سبحان الله ههنا يبين اثر الايمان لا في صلاة ركعتين ، والله ما صعد يوسف عليه السلام ولا سعد الا في مثل ذلك المقام ، فبالله عليكم يا اخواني تأملوا حاله لو كان وافق هواه من كان يكون . وقيسوا بين تلك الحالة وحالة آدم عليه



السلام، ثم زونا بميزان العقل عقبي تلك الخطيئة، وثمرة هذا الصبر، واجعلوا  
 فهم الحال عدة لكم عند كل مشتبهى، وان اللذات تتعرض على المؤمن فتى  
 لقيها في صف حربه وقد تأخر عنه عسكر التدبر للعواقب هزيم، وكأني أرى  
 الواقع في بعض اشرا كها ولسان الحال يقول له قف مكانك؛ أنت وما اخترت  
 لنفسك، فغاية أمره الندم والبكاء فان أمن اخراجه من تلك الهوة لم يخرج الا  
 مدهونا بالخدوش، وكم من شخص ذات قدمه فما ارتفعت بعدها. ومن تأمل  
 ذل اخوة يوسف عليهم السلام يوم: «وتصدق علينا» عرف شؤم الذلل ومن  
 تدبر أحوالهم قاس ما بينهم وبين أخيه من الفروق. وان كانت توبتهم قبلت  
 لانه ليس من رقع وخاط كمن ثوبه صحيح. ورب عظم هيض لم ينجبر فان  
 جبر فعلى وهى. فتيقظوا اخواني لعرض المشتبهات على النفوس، واستوثقوا  
 من لجم الخيل، واتبها للغيم اذا تراكم بالصعود الى تلة فربما مر الوادى  
 فراح بالركب.

٧٤ - فصل - تأملت حالة عجيبة وهو أن المؤمن تنزل به النازلة  
 فيدعو ويبالغ فلا يرى أثراً للاجابة، فاذا قارب اليأس نظر حينئذ الى قلبه فان  
 كان راضيا بالاقدار غير قنوط من فضل الله عز وجل. فالغالب تعجيل  
 الاجابة حينئذ لأن هناك يصلح الايمان والشيطان، وهناك تين. مقادير  
 الرجال، وقد أشير الي هذا في قوله تعالى: حتى يقول الرسول «والذين  
 آمنوا معه متى نصر الله». وكذلك جرى ليعقوب عليه السلام فانه لما فقد  
 ولدًا وطال الأمر عليه لم ييأس من الفرج فاخذ ولده الآخر ولم ينقطع أملة  
 من فضل ربه «أن يأتيني بهم جميعا». وكذلك قال زكريا عليه السلام «ولم  
 أكن بدعائك رب شقيا». فإياك أن تستطيل مدة الاجابة وكن ناظرًا الى

أنه المالك والى أنه الحكيم في التدبير والعالم بالمصالح، والى أنه يريد اختبارك ليلبو أسراركم، والى أنه يريد أن يرى تضرعك، والى أنه يريد أن يأجرك بصبرك الى غير ذلك. والى أنه يتليك بالتأخير لتجارب وسوسة إبليس وكل واحدة من هذه الاشياء تقوى الظن في فضله وتوجب الشكر له إذ أهلك بالبلاء للاتفات الى سؤاله، والفقر المضطر الى اللجأ اليه غنى. كله

٧٥ - فصل - لما كان بدن الآدمي لا يقوم الا باجتلاب المصالح ودفع المؤذى؛ ركب فيه الهوى ليكون سببا لالجاب النافع. والغضب ليكون سببا لدفع المؤذى ولولا الهوى في المطعم، ماتناول الطعام، فلم يقم بدنه فجعل له اليه ميل وتوق. فاذا حصل له قدر ما يقيم بدنه زال التوق؛ وكذلك في المشرب والملبس والمنكح. وفائدة المنكح من وجهين. احدهما: ابقاء الجنس وهو معظم المقصودين. والثاني: دفع الفضلة المحتمنة للمؤذى احتقانها، ولولا تركيب الهوى المائل بصاحبه الى النكاح ما طابه احد؛ ففات النسل وآذى المحتقن. فاما العار فوز فانهم فهو المقصود، وأما الجاهلون فانهم مالوامع الشهوة والهوى ولم يفهموا مقصود وضعها فضاغ زمانهم فيما لا طائل فيه، وفاتهم ما خلقوا لاجله واخرجهم هوام الى فساد المال وذهاب العرض والدين. ثم اداهم الى التلف، وكم قدر أينا من متنعم بيبالغ في شراء الجوارى ليحرك طبعه بالمستجد فما كان بأسرع من أن وهنت قواه الاصلية فتمجبل تلفه، وكذلك رأينا من زاد غضبه نخرج عن الحد ففتك بنفسه وبمن يحبه. فمن علم أن هذه الاشياء انما خلقت اعانة للبدن على قطع مراحل الدنيا، ولم تخلق لنفس الاتمذاذ وانما جعلت اللذة فيها كالحيلة في ايصال النفع بها، إذ لو كان المقصود التنعم بها لما جعلت الحيوانات البهيمية اوفى حظا من الآدمى منها، فطوبى لمن فهم حقائق

الوضع ، ولم يمل به الهوى عن فهم حكم المخلوقات .

٧٦ - فصل - من تأمل عواقب المعاصى رأها قبيحة ، واتقوا تفكرت فى أقوام اعرفهم يقرّون بالزنا وغيره ، فارى من تعرّف فى الدنيا مع جلاذتهم ما لا يقف عند حد ، وكانهم قد البسوا ظلمة ، فالقلوب تنفر عنهم . فان اتسع لهم شىء فاكثره من مال الغير ، وان ضاق بهم أمر أخذوا يتسخطون على القدر ، هذا وقد شغلوا بهذه الأوساخ عن ذكر الآخرة ، ثم عكست فتفكرت فى أقوام صابروا الهوى ، وتركوها ما لا يحل . فمنهم من قد أينعت له ثمرات الدنيا من قوت مستلذ ، ومهاد مستطاب ، وعيش لذيد ، وجاه عريض ، فان ضاق بهم أمر وسعه الصبر ، وطيبه الرضى ، ففهمت بالحال معنى قوله تعالى : « انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » .

٧٧ - فصل - ينبغى للعاقل أن يلازم باب مولاه على كل حال ، وان يتعلق بذيل فضله ان عصى وان أطاع ، وليكن له انس فى خلوته به ، فان وقعت وحشة فليجهد فى رفع الموحش ، كما قال الشاعر :

أمستوحش أنت مما جنيت فاحسن اذا شئت واستأنس

فان رأى نفسه مائلا الى الدنيا طلبها منه ، أو الى الآخرة سألها التوفيق للعمل لها ، فان خاف ضرر ما يرومه من الدنيا سأل الله اصلاح قلبه ، وطب مرضه ، فانه اذا اصلاح لم يطلب ما يؤذيه ، ومن كان هكذا كان فى العيش الرغد غير أن من ضرورة هذه الحال ملازمة التقوى ، فانه لا يصلح الانس الا بها ، وقد كان أرباب التقوى يتشاغلون عن كل شىء الا عن اللجأ والسؤال وفى الحديث : ان قتيبة بن مسلم لما صاف الترك هاله امرم فقال : ابن محمد

ابن واسع؟ فقيل هو في أقصى الميمنة جانح على سية قوسه يومى بأصبعه نحو السماء، فقال قتيبة: تلك الاصبع الفاردة. احب الى من مائة الف سيف شهير، وسنان طير. فلما فتح عليهم قال له: ما كنت تصنع؟ قال آخذ لك بمجامع الطرق.

٧٨ - فصل - ينبغي لمن تظاهرت نعم الله عز وجل عليه أن يظهر منها ما يبين أثرها، ولا يكشف جماتها، وهذا من اعظم لذات الدنيا التي يأمر الحزم بتركها، فان العين حق. واني تفقدت النعم فرأيت اظهارها حلواً عند النفس الا أنها ان أظهرت لوديد لم يؤمن تشعث باطنه بالغيظ، وان أظهرت لعدو فالظاهر اصابته بالعين لموضع الحسد، الا أنى رأيت بعد الحسود كاللازم، فانه في حال البلاء يتشفي، وفي حال النعم يصيب بالعين ولعمري ان النعم عليه يشتهي غيظ حسوده، ولكنه لا يؤمن أن يخاطر بنعمته، فان الغالب اصابة الحاسد لها بالعين، فلا يساوى الا لتذاذ باظهار ما غيظ به ما افسدت عينه باصابتها، وكتمان الامور في كل حال فعل الحازم، فانه ان كشف مقدار سنه استهرموه ان كان كبيراً، أو احتقروه ان كان صغيراً، وان كشف ما يعتقده ناصبه الاضداد بالعداوة، وان كشف قدر ماله استحقروه ان كان قليلاً، وحسدوه ان كان كثيراً، وفي هذه الثلاثة يقول الشاعر:

احفظ لسانك لاتبح بثلاثة سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبلى بثلاثة بموه ومخرق ومكذب

وقس على ما ذكرت ما لم اذكره، ولا تكن من المذاييع الغر الذين لا يحملون اسرارهم حتى يفشونها الى من لا يصلح، ورب كلمة جرى بها اللسان،

هلك بها الانسان .

٧٩- فصل - رأيت كل من يعثر بشيء أو يزلق في مطر يلتفت الى ما عثر به ، فينظر اليه طبعاً موضوعاً في الخلق . اما ليحذر منه ان جاز عليه مرة أخرى من مثله ، أو لينظر مع احترازه وفهمه كيف فاته التحرز من مثل هذا ، فاخذت من ذلك اشارة وقلت : يا من عثر مراراً هبل لأبصرت ما الذي عثرك فاحترزت من مثله ، أو قبحت لنفسك مع حزمها تلك الواقعة ، فان الغالب ممن يلتفت أن معنى التفاته كيف عثر مثلي مع احترازه بمثل ما ارى ، فالعجب لك كيف عثرت بمثل الذنب الفلاني والذنب الفلاني ؟ كيف غرك زخرف تعلم بعقلك باطنه ، وترى بعين فكرك ما له ؟ كيف آثرت فانيا على باق ؟ كيف بعث بوكس ، كيف اخترت لذة رقدة على انتباه معاملة . أه لك لقد اشتريت بما بعث احمال ندم لا يقلها ظهر ، وتنكيس رأس أمسى بعيد الرفع ، ودموع حزن على قبح فعل مالمدها انقطاع ، واقبح الكل أن يقال لك بماذا ؟ ومن اجل ماذا ؟ وهذا على ماذا ؟ يا من قلب الغرور عليه الصيحة ، ووزن له والميزان راكب .

٨٠- فصل - تأملت قوله تعالى : « من اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » . قال المفسرون : هداى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابى . فوجدته على الحقيقة ان كل من تبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما ، فقد سلم من الضلال بلا شك . وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك ، اذامات على ذلك . وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى اصلاً . ويبين هذا قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » . فان رأيت في شدة فله من اليقين بالجزاء ما يصير الصاب عنده عسلاً ، والاغلب طيب العيش في كل حال ، والغالب انه لا ينزل

به شدة الا اذا انحرف عن جادة التقوى . فاما الملازم لطريق التقوى فلا آفة تطرقه ، والا بلية تنزل به ، وهذا هو الاغلب . فان ندر من تطرقه البلايا مع التقوى . فذاك في الاغلب لتقدم ذنب يجازى عليه ، فان قدرنا عدم الذنب . فذاك لادخال ذهب صبره كير البلاء حتى يخرج تبراً أحمر فهو يرى عذوبة العذاب . لانه يشاهد المبتلى في البلاء الالم . قال الشبلي : أحبك الناس لنعمائك . وانا احبك لبلائك .

٨١ - فصل - لا ينال لذة المعاصي الا سكران الغفلة ، فاما المؤمن فانه لا يلتذ لأنه عند التذاذه يقف بازائه علم التحريم ، وحذر العقوبة ، فان قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي فيتغنص عيشه في حال التذاذه ، فان غلب سكر الهوى كان القلب متنغصاً بهذه المراقبات ، وان كان الطبع في شهوته وما هي الا لحظة ، ثم خدمن غريم ندم ملازم ، وبكاء متواصل ، واسف على ما كان مع طول الزمان ، حتى أنه لو تيقن العفو وقف بازائه حذر العتاب ، فافٍ للذنوب ما قبح آثارها ، وما اسوأ اخبارها ، ولا كانت شهوة لا تنال الا بمقدار قوة الغفلة .

٨٢ - فصل - بكرت يوماً اطلب الخلوة الى جامع الرصافة . فجعلت اجول وحدي واتفكر في ذلك المكان ومن كان به من العلماء والصالحين ، ورأيت أقواماً قد جاورا فيه فسألت احدهم : منذ كم أنت هاهنا فاوماً الى قريب من اربعين سنة ، فرأيته في بيت كثير الدرن والوسخ وجعلت اتفكر في حبسه لنفسه عن النكاح هذه المدة . فاخذت النفس تحسن ذلك ، وتدم الدنيا والاعتزاز بها . فاقبل العلم ينكر على النفس ، ونهض الفهم لحقائق الامور ، وموضوع الشرع يقوى ما قال العلم . فينحل من

ذلك ان قلت للنفس : اعلمى أن هؤلاء على ضربين : منهم من يجاهد  
 نفسه في الصبر على هذه الاحوال فتفوته فضائل المخالطة لاهل العلم والعمل  
 وطلب الولد ، ونفع الخلق ، وارتفاع نفسه بمجالسة أهل الفهم ، فيحدث له  
 من نفسه حالة تشابه فيها الوحش فتؤثر الافراد لنفس الافراد . وربما  
 حبس الطبع ، وساء الخلق . وربما حدث من حبس مآئه المحققن سمية  
 أفسدت بدنه وعقله ، وربما أورثته الخلوة وسوسة ، وربما ظن انه من  
 الاولياء وأستغنى بما يعرفه ، وربما خيل له الشيطان أشياء من الخيالات  
 وهو بعدها كرامات ، وربما ظن أن الذي هو فيه الغاية ولا يدري أنه  
 الى الكراهة اقرب ، فان رسول الله صلي الله عليه وسلم : نهى ان يبیت  
 الرجل وحده ، وهؤلاء كل منهم يبیت وحده ، ونهى عن التبتل وهذا  
 بتل ، ونهى عن الرهبانية وهذا من خفي خدع ابليس التي يوقع بها في  
 ورطات الضلال بالطف وجه واخفاء والضرب الثاني : مشايخ قد فنوا  
 فاتقطعوا ضرورة ، اذ ايس لاحدهم مأوى فهم في مقام الزمى ، وان كان  
 الضرب الاول قد قطعوا حبل نفوسهم في العلم والعمل والكسب وتعلقت  
 همهم بفتوح يطرق عليهم الباب ، فرضوا بالعمى بعد البصر . وبالزمن  
 بعد الاطلاق . فقالت لى النفس : لا ارضى لك هذا الذى نقوله ، فانك انما  
 تميل الى ايثار نكاح المستحسنات والمطاعم المشتبهات فاذا لم تكن من أهل التعبد  
 فلا تطعن فيهم . فقلت لها : ان فهمت حديثك وان كنت تقلدين صور الاحوال  
 فلا فهم لك . اما المستحسنات فان المقصود من النكاح اشياء منها طلب الولد ، ومنها  
 شفاء النفس باخراج الفضلة المؤذية ، وكمال خروجها لا يكون الا بوجود  
 المستحسن . واعتبر هذا بالوطىء دون الفرج فانه يخرج من الفضلات

ما لا يخرج بالوطني في الفراغ وتبتمام خروج تلك الفضيلة تفرغ النفس عن  
 شواغلها فتدري اين هي كما نأمر القاضى بالا كل قبل الحكم . ونهاه عن الحكم  
 وهو غضبان او حاقن . وبكمال بلوغ هذا الغرض يكون كمال الولد لتبتمام النطفة  
 التي تخالق منها ، ثم للنفس حظ فهو يستوفيه استيفاء الناقة حظها من العلف  
 في السفر ، وذلك يعين على سيرها ، واما المطاعم فالجاهل من يطلبها لذاتها  
 او لنفس لذاتها . وانما المراد اصلاح عدم الناقة لجمع ههما . ونيل مرادها من  
 غرضها الصارف لها عن الفكر في هواها ، واذا تأمات حال السرب الاول  
 رأيت من هذا عجبا ، فان النبي صلى الله عليه وسلم اختار لنفسه عائشة  
 رضيت الله عنها وكانت مستحسنه ، ورأى زينب فاستحسنها فزوجهها ،  
 وكذلك اختار صفية . وكان اذا وصف له امرأة بعث بخطيبها . وكان اعلى  
 رضيت الله عنه اربع حرائر . وسبع عشرة سرية مات عنهن ، وقبل هذه الامة  
 فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان عليه السلام الف امرأة .  
 فمن ادعى خلافا في هذه الطرق . او ان هو لاء ارواها هم . وانفقوا بضائع  
 العمر في هذه الاغراض وغيرها أفضل . فتد ادعى على الكاملين  
 النقصان وانما هو الناقص فهمه لاهم ؛ وقد كان سفيان الثوري اذا سافر ففى  
 سفرته حمل مشوية فالوذج ، وكان حسن المطعم ، وكان يقول إن الدابة  
 اذا لم تحسن اليها لم تعمل ، وهذه الفنون التي أشرت اليها ان قصادت  
 للحاجة اليها . أو تقضاء وطر النفس منها . او لبلوغ الاغراض الدينية  
 والدينيوية منها . فكله قصد صحيح لا يعكز عليه حاله ، ومن يقوم ويقعد  
 في ركعات لا يفهم معناها . وفي تسبيحات أكثر الفاظها ردية ، كلا ليس  
 الا العلم الذي هو أفضل الصفات ، وأشرف العبادات ، وهو الآمر



بالمصالح . والناطق بالنصائح ، ثم منفعة العلم معروفة ، وزهد الزاهد لا يتعدى عتبة بابه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس ، ثم اعتبر فضل الرسل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . والجوارح على التي لا تصيد . والطين الذي يعمل منه ما ينتفع به على الطين في المقاع ، وغاية العلماء تصرفهم بالعلم في المباح ، وأكثر المتزهدين جهلة يستعبدونهم تقبيل اليد لاجل تركهم ما أيسح ، فيم فوتت العزلة علماً يصلح به أصل الدين ، ولم أوقع في بلية هلك بها الدين ، وإنما عزلة العالم عن الشر فحسب ، والله الموفق .

٨٣ - فصل - ينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي . فإنه ليس بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم ، وإنما هو قائم بالقسط . حاكم بالعدل : وإن كان حلمه يسع الذنوب . إلا أنه إذا شاء عفا فعفا كل كفيف من الذنوب ، وإذا شاء واخذ باليسير ، فالحذر الحذر . ولقد رأيت أقواماً من المترفين كانوا يتقبلون في الظلم والمعاصي باطنة وظاهرة ، فتعبوا من حيث لم يحتسبوا . فقلعت اصولهم . ونقض ما بنوا من قواعد حكموها لذراريهم ، وما كان ذلك إلا أنهم أهملوا جانب الحق عز وجل ، وظنوا أن ما يفعلونه من خير يقاوم ما يجري من شر ، قالت سفينة ظنونهم . فدخلها من ماء الكيد ما أغرقهم ، ورأيت أقواماً من المنتسبين إلى العلم أهملوا انظر الحق عز وجل إليهم في الخلووات . فمحي محاسن ذكركم في الخلووات . فكانوا موجودين كالمعدومين ، لاحتلاوة لرويتهم ، ولا قلب يحن إلى لقاءهم ، فوالله الله في مراقبة الحق عز وجل . فإن ميزان عدله تبين فيه الذرة ، وجزاؤه مرصد للمخطيء ولو بعد حين ، وربما ظن

المعروف وهو أمهال وللذنوب عواقب سيئة ، فالله الله . الخلوات . البواطن .  
البواطن . النيات النيات . فان عليكم من الله عينا ناظرة ، واياكم والاعتزاز  
بجمله وكرمه ، فكم استدرج . وكونوا على مراقبة الخطايا مجتهدين في  
محوها ، وما شئ ينفع كالتضرع مع الحمية عن الخطايا ، فلعله .

وهذا فصل اذا تأمله المعامل لله تعالى نفعه ، ولقد قال بعض المراقبين  
لله تعالى : قدرت على لذة هي غاية وليست بكبيرة . فنازعتني نفسي اليها اعتمادا  
على صغرها . وعظم فضل الله تعالى وكرمه . فقلت لنفسي : إن غلبت هذه  
فأنت انت ، واذا اتيت هذه فن أنت ؛ وذكرتها حالة أقوام كانوا يفسحون  
لانفسهم في مسامحة كيف انطوت اذكارهم ، وتمسكت عقوبة الاعراض  
عنهم ، فبهم فارغوت ورجعت عما همت به والله الموفق .

٨٤ - فصل - كثير من الناس يتسامحون في امور يظنونها قربة .  
وهي تقدر في الأصول ، كاستعارة طلاب العلم جزءا لا يردونه ، وقصد  
الدخول على من يأكل ليؤكل معه ، وتناول طعام لم يدع الألسان اليه ، والتسامح  
بمرض العدو التذاذاً بذلك ، واستصغاراً لمثل هذا الذنب ، واطلاق  
البصر في المحرم هو انا بتلك الخطيئة ، وفتوى من لا يعلم لثلاثا يقال هو  
جاهل ، ونحو ذلك مما يظن صغيرا وهو عظيم ، واهون ما يصنع ذلك بصاحبه  
أن يحطه من مرتبة المتميزين بين الناس ، ومن مقام رفعة القدر عند الحق ،  
وربما قيل له بلسان الحال : يا من أو تمن على امر يسير نخان ، ما بلية حظك  
فانوبه ، قال بعض السلف : تسامحت بلقمة فتناولتها فانا اليوم اربعين سنة الى  
خلف ، فالله الله اسمعوا ممن قد جرب ، كونوا على مراقبة . وانظروا في  
العواقب . واعرفوا عظمة الناهي . واحذروا من نفخة تحترق ، وشررة تستصغر

فربما أحرقت بلدا. وهذا الذي أشرت إليه يسير يدل على كثير، وأنموذج يعرف باقي المحقرات من الذنوب، والعلم والمراقبة يعرفانك ما أخللت بذكره، ويعلمانك إن تلمحت بعين البصيرة أثر شؤم فعله، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

٨٥- فصل - رأيت من نفسي عجباً تسأل الله عز وجل حاجاتها، وتنسى جناباتها، فقلت: يا نفس السوء أو مثلك ينطق فان نطق فينبغي أن يكون السؤال العفو فحسب. فقالت: فمن أطلب مراداتي؟ قلت: ما أمنعك من طلب المراد. اما أقول حقي التوبة، وانطقتي كما تقول في العاصي بسفره اذا اضطر الى الميتة لا يجوز له ان يأكل، فان قيل لنا أقيموت؛ قلنا لا بل يتوب ويأكل؟ فالله الله من جرأة على طلب الاغراض مع نسيان ما تقدم من الذنوب التي توجب تنكيس الرأس، ولئن تشاغلنا باصلاح ما مضى والندم عليه جاءتك مراداتك، كما روى: من شغله ذكرى عن مسأتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وقد كان بشر الحافي يبسط يديه للسؤال ثم يسبلهما ويقول: مثلي لا يسأل. ما أبقيت الذنوب لي وجهها، وهذا يختص يبشر لقوة معرفته. كان وقت السؤال كالمخاطب كفاحا فاستحى للزلل، فاما أهل الغفلة فسؤالهم على بعد، فافهم ما ذكرته. وتشاغل بالتوبة من الزلل. ثم العجب من سؤال الانك فانك لا تكاد تسأل مهما من الدنيا. بل فضول العيش، ولا نسأل صلاح القلب والدين مثل ما نسأل صلاح الدنيا، فاعقل أمرك فانك من الانبساط والغفلة على شفا جرف، وليكن حزنك على زلاتك شاغل لك عن مراداتك، فقد كان الحسن البصرى شديد الخوف. فلما قيل له في ذلك قال: وما يؤمنني أن

يكون أطلع على في بعض ذنوبي فقال اذهب لاغفرت لك .

٨٦ - فصل - أعجب العجب دعوى المعرفة مع البعد عن العرفان بالله ، ما عرفه الا ماخاف منه ، فاما المظمن فليس من أهل المعرفة ، وفي المتزهدين اهل تغفيل يكاد أحدهم يوطن على أنه ولي محبوب ومقبول ، وربما نالت عليه الطاف ظنها كرامات ونسى الاستدراج الذي لفت مساكنته الاطاف ، وربما احتقر غيره ووطن أن محلته محفوظة به . تغرر كيمعات ينتصب فيها ، او عبادة ينصب بها ، وربما ظن أنه قطب الارض وأنه لا ينال مقامه بعده أحد . وكأنه ما علم أنه بينا موسى مكالم بنىء يوشع ، وبيننا زكريا عليهم السلام مجاب الدعوة نشر بالمنشار ، وبيننا يحيى عليه السلام يوصف بأنه سيدسلط عليه كافر احتز رأسه ، وبيننا بلعام معه الاسم الأعظم صار مثله كمثل الكاب ، وبيننا الشريعة يعمل بها نسخت وبطل حكمها ، وبيننا البدن معمورا خرب وساط البلاء عليه ، وبيننا العالم يدأب حتى ينال مرتبة يعتقددها ، نشأ طفل في زمان ترقى الى سبر عيو به وغطاه ، وكم من متكلم يقول : مامثلى لو عاش فسمع ما حدث بعده من الفصاحة عد نفسه أخرسا . هذا وعظ ابن السماك . وابن عمار . وابن سمعون . لا يصلح لبعض تلامذتنا ولا يرضاه ، فكيف يعجب . ينفق شيئا<sup>(١)</sup> وربما اتى بعدنا من لا بعدنا ، فالله الله من مساكنة مسكن ، ومخالفة مقام . وليكن التيقظ على انزعاج محتقر للكثير من طاعاته ، خائفا على نفسه من تقلباته ، ونفوذ الاقدار فيه . واعلم ان تلمح هذه الاشياء التي أشرت اليها يضرب عنق العجب ، ويذهب كبر الكبر .

٨٧ - فصل - من عاش مع الله عز وجل طيب العيش في زمن

(١) كذا في الهندية . وفي الاحمدية : يتفق شيئا

السلامة ، خُفَّت عليه في زمن البلاء ، فهناك المحك . ان الملك عز وجل  
 يينا يبنى نقض ، وينا يعطى سلب ، فطيب العيش والرضى هناك يبين ،  
 فاما من توامات لديه النعم فانه يكون طيب القلب لتواصلها ، فاذا مسته  
 نفحة من البلاء فبعيد ثباته ، قال الحسن البصرى : كانوا يتساوون في وقت  
 النعم فاذا نزل البلاء تباينوا ، فالعاقل من اعد ذخرا ، وحصل زادا ، وازداد  
 من العدد للقاء حرب البلاء . ولا بد من لقاء البلاء ، ولولم يكن الا عند  
 صرعة الموت ، فانها ان نزلت والعياذ بالله فلم تجد معرفة توجب الرضى او  
 الصبر . اخرجت الى الكفر ، ولقد سمعت بعض من كنت اظن فيه كثرة  
 الخير وهو يقول في ايامى موته : ربى هو ذا يظلمنى . فلم ازل منزعا مهتما  
 بتحصيل عدة التى بها ذلك القرن . كيف وقد روى ان الشيطان يقول  
 لا عوانه في تلك الساعة : عليكم بهذا ، فان فاتكم لم تقدرواعليه ، وأى قلب  
 يثبت عند امسالك النفس ، والاخذ بالكظم ، ونزع النفس والعلم بمفارقة  
 المحبوبات الى ما لا يدرى ماهو ، وايس في ظاهره الا القبر والبلاء ، فنسأل الله  
 عز وجل يقينا يقينا شر ذلك اليوم ، لعلنا نصبر للقضاء أو نرضى به ونرغب  
 الى مالك الامور في ان يهب لنا من فواضل نعمه على احبابه ، حتى يكون  
 لقاءه احب الينا من بقائنا ، وتفويضا الى تقديره اشهى لنا من اختيارنا ،  
 ونعوذ بالله من اعتقاد الكمال لتديرننا ، حتى اذا انعكس علينا امر عدنا الى  
 القدر بالتسخط . وهذا هو الجهل المحض ، والخذلان الصريح اعاذنا الله منه .

٨٨- فصل - ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيب عيشا من العارفين  
 بالله عز وجل ، فان العارف به مستأنس به في خلوته ، فان عمت نعمه علم  
 من أهداها ، وان مر مر حلا مذاقه في فيه ، لمعرفته بالمبتلى . وان سأل

فتعوق مقصوده، صار مراده ماجرى به القدر، علما منه بالمصلحة بعد يقينه بالحكمة، وثقته بحسن التدبير. وصفة العارف ان قلبه مراقب لمعرفه، قائم بين يديه، ناظر بعين اليقين اليه، فقد سرى من بركة معرفته الى الجوارح ما هذبتها:

فان نظقت فلم انطق بغيركم وان سكت فانتم عقد اضهارى  
 اذا تسلط على العارف اذى أعرض نظره عن السبب، ولم يرسوى السبب،  
 فهو في أطيب عيش معه، ان سكت تفكر في اقامة حقه، وان نطق تكلم  
 بما يرضيه، لا يسكن قلبه الى زوجة ولا الى ولد، ولا يتشبث بذيل محبة  
 احد، وانما يعاشر الخلق بيدنه وروحه عند مالك روجه. فهذا الذى لاهم  
 عليه فى الدنيا ولا غم عنده وقت الرحيل عنها، ولا وحشة له فى القبر، ولا  
 خوف عليه يوم المحشر. فأما من عدم المعرفة فانه معتر لا يزال يضجج من البلاء  
 لانه لا يعرف المبتلى، ويستوحش لفقد غرضه لانه لا يعرف المصلحة،  
 ويستأنس بجنسه لانه لا معرفة بينه وبين ربه، ويخاف من الرحيل لانه  
 لا زاد له ولا معرفة بالطريق. وكم من عالم وزاهد لم يرزقا من المعرفة الا  
 ما رزقه العامى البطلال، وربما زاد عليهما. وكم من عامى رزق منها ما لم  
 يرزقاه مع اجتهادهما، وانما هي مواهب وأقسام. ذلك فضل الله يؤتيه  
 من يشاء

١٨٩ - فصل - بالله عليك يا مرفوع القدر بالتقوى لاتبع عزها بذل

المعاصى، وصابر عطش الهوى فى هجير المشتهى وان أمض وأر مض،  
 فاذا بلغت النهاية من الصبر فاحتكم وقل. فهو مقام من لو أقسم على الله  
 لآبره، تالله لو لا صبر عمر ما انبسطت يده بضرب الارض بالدرّة، ولو لاجد

انس بن النضر في ترك هواه . وقد سمعت من آثار عزمته لئن اشهدني الله  
مشهد ليرين الله ما اصنع ، فاقبل يوم احد يقا تل حتى قتل فلم يعرف الا يدنا نه .  
قلوا لهذا العزم ما كان انبساط — يوم والله لا تكسر سن الربيع — وجه ، بالله  
عليك تذوق حلاوة كف الكف عن المنهى ، فانها شجرة تثمر عز الدنيا  
وشرف الآخرة ، ومتى اشتد عطشك الى ما تهوى فابسط انامل الرجاء الى  
من عنده الرى الكامل ، وقل قد عيل صبر الطبع في سنينه العجاف ، فعجل  
لى العام الذي فيه اغاث وأعصر . بالله عليك تفكر فيمن قطع اكثر العمر في  
التقوى والطاعة ثم عرضت له فتنة في الاخير ، كيف نطح مركبه الجرف  
ففرق وقت المعود ، أف والله الدنيا لابل للجنة ان أوجب نيلها اعراض  
الحبيب ! انما نسب العامى باسمه واسم ابيه ، فاما ذوو الاقدار فاللقاب قبل  
الانساب . قل لى من أنت وما عمك وألى أى مقام ارتفع قدرك ، يامن  
لا يصبر لحظة عما يشتهى . بالله عليك أتدرى من الرجل ؟ الرجل والله من اذا  
خلا بما يحب من المحرم وقدر عليه وتقلقل عطشا اليه نظر الى نزار الحق اليه  
فاستحى من اجالة همه فيما يكرهه ، فذهب العطش كأنك لا تترك لنا الاما  
لا تشتهى ، أو مالا تصدق الشهوة فيه أو مالا تقدر عليه ، كذا والله عادتك  
اذا تصدقت اعطيت كسرة لا تصلح لك ، أو فى جماعة يمدحو نك ، هيهات  
والله لانك ولا يتنا حتى تكون معا ملتك انا خالصة . تبذل اطايبك .  
وتترك مشتهياتك ، وتصبر على مكروهاتك ، علما منك ان كنت معاملا  
بانك اجير وما غربت الشمس . فان كنت محبارايت ذلك قليلا فى جنب  
رضى حبيبك عنك ، وما كلامنا مع الثالث .

٩٠ - فصل - رأيت فى العقل نوع منازعة للتطلع الى جميع حكم الحق

عز وجل في حكمه، وربما لم يبيز له بعضها مثل النقض بعد البناء فيقف متحيرا  
وربما انتهر الشيطان تلك الفرصة، فوسوس اليه ابن الحكمة من هذا؛ فقلت  
له احذر ان تخدع يامسكين، فانه قد ثبت بالدليل القاطع لما رأيت من اتقان  
الصنایع عندك حكمة الصانع، فان خفي عليك بعض الحكم فضعف ادراكك  
ثم ما زالت للملوك اسرار. فن انت حتى تطاع بضعفك على جميع حكمه.  
يكفيك الجمل. وياك اياك أن تتعرض لما يخفي عليك. فانك بعض موضوعاته  
وذرة من مصنوعاته. فكيف تتحكم على من صدرت عنه؛ ثم قد ثبتت  
عندك حكمته وحكمه وملكه. فاعمل آلتك على قدر قوتك في مطالعة ما  
يمكن من الحكم، فانه سيورثك الدهش. ونمض عما يخفي عليك فحقيق بذى  
البصر الضعيف الا يقاوى نور الشمس.

٩١- فصل - أعجب الاشياء مجاهدة النفس. لانها تحتاج الى صناعة  
عجيبة. فان اقواما اطلقوها فيما تحب، فاقعتمهم فيما كرهوا. وإن اقواما  
بالغوا في خلافها حتى منعوها حقها، وظلموها. وأرظلمهم لها في تعبداتهم  
فمنهم من اساء غذاءها فأثر ذلك ضعف بدنها عن اقامة واجبها، ومنهم من  
افردها في خلوة أثمرت الوحشة من الناس وآت الى ترك فرض أو فضل  
من عيادة مريض، أو بر والدة. وانما الخازم من تعلم منه نفسه الجد وحفظ  
الاصول. فاذا فسح لها في مباح لم تتجاسر أن تتعداه. فيكون معها  
كالملك اذا مزح بعض جنده، فانه لا ينبسط اليه الغلام. فان انبسط ذكر  
هيبة المملكة. فكذلك المحقق يعطيها حظها ويستوفي منها ما عليها.

٩٢- فصل - رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا. إن  
طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسم. وان طال



النهار فبالنوم ، وهم في اطراف النهار على دجلة أو في الاسواق . فشيبتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجرى بهم ، وما عندهم خبر . ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود . فهم في تعبئة الزاد والتأهب للرحيل ، الا أنهم يتفاوتون . وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الاقامة فالمتيقظون منهم يتطلعون الى الاخبار بالنافق هناك ، فيستكثرون منه فيزيد ربحهم . والغافلون منهم يحملون ما اتفق ، وربما خرجوا لامع خفير . فلم ممن قد قطعت عليه الطريق فبقى مفلسا . فالله الله في مواسم العمر . والبدار البدار قبل الفوات ، واستشهدوا العلم ، واستدلوا الحكمة ، وناقسوا الزمان ، وناقشوا النفوس ، واستظهروا بالزاد . فكان قد حدى الحادى فلم يفهم صوته من وقع دمع الندم .

٩٣- فصل - اضر ما على المريض التخليط . وما من أحد الا وهو مريض بالهوى ، والحمية عنه رأس الدواء ، والتخليط يديم المرض . وتخليط أرباب الآخرة على ضربين : احدهما تخليط العلماء ، وهو إما لمخالطة الاضداد كالسلطين فانهم يضعفون قوى يقينهم كلما زادت المخالطة ، ويقدمون دليلهم عند المرادين . فاني اذا رأيت طبيباً يخلط ويحميني شككت أو وقفت : والثاني تخليط الزهاد ، وقد يكون بمخالطة أرباب الدنيا . وقد يكون بحفظ الزاموس في اظهار التخشم ، لاجتلاب محبة العوام . فالله الله فان ناقد الجزاء بصير ، والاخلاص في الباطن ، والصدق في القلب ، ونعم طريق السلامة ستر الحال .

٩٤- فصل - لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم ، وكان أنفهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه وان كان غيره اعلم

منه، ولقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون الجواب لئلا ينكسر الجاه وان وقع خطأ، ولقيت عبد الوهاب الانماطي فكان على قانون السلف لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب اجرا على سماع الحديث، وكنت اذا قرأت عليه أحاديث الرقاق بكى واتصل بكأوه، فكنت وانا صغير السن حينئذ يعمل بكأوه في قلبي، ويبنى قواعد. وكان على سميت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل، ولقيت الشيخ ابا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متمقنا محققا، وربما سئل المسئلة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت فانتفعت بروية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول، ورأيت مشايخ كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح، فراحوا عن القلوب وبدد تبديدهم ماجموا من العلم. فقل الانتفاع لهم في حياتهم، ونسوا بعد مماتهم، فلا يكاد احد أن يلتفت الى مصنفاتهم، فالله الله في العلم بالعمل فانه الاصل الاكبر والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلسا على قوة الحجة عليه.

٩٥ - فصل - سبحان الملك العظيم الذي من عرفه خافه، ومن أمن مكره قط ما عرفه. لقد تأملت امرأ عظيما انه عز وجل يهمل حتى كأنه يهمل فيرى ايدى العصاة مطلقة كأنه لا مانع، فاذا زاد الانبساط ولم ترعوى العقول اخذ اخذ جبار، وانما كان ذلك الامهال ليلو صبر الصابر، وليلبي في

الامهال للظالم ، فيثبت هذا على صبره . ويجزى هذا بقبيح فعله . مع أن هنالك من الحلم في طي ذلك مالا نعلمه . فاذا اخذ اخذ عقوبة رأيت على كل غلطة بتعة . وربما جمعت فضرب العاصي بالحجر الدامغ . وربما خفي على الناس سبب عقوبته فقيل فلان من اهل الخير فواجه ماجرى له : فيقول القدر : حدود لذنوب خفية صار استيفاؤها ظاهراً ، فسبحان من ظهر حتى لا يخفاء به ، واستتر حتى كأنه لا يعرف ، وامهل حتى طمع في مسامحته ، وناقش حتى تحيرت العقول من مؤاخذته . لاحول ولا قوة الا بالله .

٩٦ - فصل - تأملت العلم والميل اليه والتشاغل به ، فاذا هو يقوى القلب قوة يميل به الى نوع قساوة ، ولولا قوة القلب وطول الأمل لم يقع التشاغل به ، فاني أكتب الحديث ارجو أن أرويه ، وأبتدىء بالتصنيف ارجو أن أتمه ، فاذا تأملت الى باب المعاملات قل الأمل ، ورق القلب ، وجاءت الدموع ، وطابت المناجاة ، وغشيت السكينة ، وصرت كأني في مقام المراقبة . الا ان العلم أفضل واقوى حجة ، واعلى رتبة ، وان حدث منه ماشكوت منه . والمعاملة وان كثرت الفوائد التي أشرت اليها منها فانها قريبة الى أحوال الجبان الكسلان . الذي قد اقتنع بصلاح نفسه عن هداية غيره ، وانفرد بعزائمه عن اجتذاب الخلق الى ربهم . فالصواب المكوف على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرفقات تلذيعها لا يقدر في كمال التشاغل بالعلم . فاني لا أكره لنفسى من جهة ضعف قلبي ورقته أن أكثر زيارة القبور وان أحضر المحتضرين . لأن ذلك يؤثر في فكري ويخرجني من حيز المتشاغلين بالعلم الى مقام الفكر في الموت ، ولا انتفع بنفسى مدة . وفصل الخطاب في هذا أنه ينبغي ان يقاوم المرض بضده ، فن كان قلبه

قاسياً شديداً القسوة وليس عنده من المراقبة ما يكفه عن الخطأ قاوم ذلك  
بذكر الموت ومحاضرة المحتضرين . فأما من قلبه شديد الرقة فيكفيه ما به  
بل ينبغي له أن يتشاغل بما ينسيه ذلك لينتفع بعيشه ، وليفهم ما يقضى به ، وقد  
كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح ويسابق عايشه ، ويتلطف بنفسه فن سار سيرته عليه  
الصلاة والسلام فهم من مضمونها ما قلته من التلطف بالنفس .

٩٧ - فصل - أظرف الأشياء أفاقة المحتضر عند موته ، فانه ينتبه

انتباها لا يوصف ، ويقاق قلقاً لا يحمد ، ويتلهف على زمانه الماضي ، ويود لو  
ترك والتدارك ، ويصدق توبته على مقدار يقينه بالموت ، ويكاد يقتل نفسه  
قبل موتها بالأسف ، ولو وجدت ذرة من تلك الاحوال في أو ان العافية  
حصل كل مقصود من العمل بالتقوى ، فالعاقل من مثل تلك الساعة وعمل  
بمقتضى ذلك . فان لم ينهياً تصوير ذلك على حقيقته تخالبه على قدر يقظته ، فانه  
يكف كفف الهوى ويبعث على الجد . فاما من كانت تلك الساعة نصب  
عينيه كان كالأسير لها ، كما روى عن حبيب العجمي انه كان اذا اصبح يقول  
لامرأته : اذا مت اليوم ففلان يغسلني . وفلان يحملني . وقال معروف لرجل  
صل بنا الظهر . فقال : إن صليت بكم الظهر لم اصل بكم العصر ، فقال : وكأنك  
تؤمل أن تعيش الى العصر . نعوذ بالله من طول الامل . وذكر رجل رجلاً  
بين يديه بغيبة فجعل معروف يقول له : اذكر القطن اذا وضعوه على  
عينيك .

٩٨ - فصل - ربما أخذ المتيقظ بيت شعر فاخذ منه اشارة فانتفع

بها ، قال الجنيد : ناولني سرى رقة فيها مكتوب سمعت حادياً في طريق مكة  
تبرفها الله تعالى يقول :

ابكى وما يدريك ما يبكي ابكى حذارا أن تفارقيني

وتقطعى جبلى وتهجرينى

فانظر رحمك الله ووفقك الى تأثير هذه الايات عند سرى حتى  
 احب أن يطلع منها الجنيد على ما اطلع عليه ، ولم يصلح للاطلاع على مثلها  
 الا الجنيد ، فان أقواما فيهم كثافة طبع وخشونة فهم . قال بعضهم لما سمع  
 مثل هذه . الى ما يشار بهذه ؛ أن كان الى الحق فالحق عز وجل لا يشار اليه  
 بلفظ تأنيث ، وان كان الى امرأة فإين الزهد ، واعمري ان هذا حذاء أهل  
 الغفلة اذا سمعوا مثل هذا ، ولذلك ينهى عن سماع القصائد وأقوال أهل  
 الغناء ، لأن الغائب حمل تلك الايات على مقاصد النفس ، وغلبات الهوى  
 ومن ابن لنا مثل الجنيد وسرى ، واذا وجدنا مثلها فهمما خبيران بما يسمعان  
 واما اعتراض هذا الكثيف الطبع فالجواب : أن سرى لم يأخذ الاشارة من  
 اللفظ ، ولم يقس ذلك على مطلوبه فيصيره تأنيثا أو تذكيرا ، وانما اخذ  
 الاشارة من المعنى ؛ فكانه يخاطب حبيبته بمعنى الايات ، فيقول : ابكى  
 حذارا من اعراضك وابعادك . فهذا الحاصل له . وما التفت قط الى تذكير  
 ولا الى لفظ تأنيث فافهم هذا . وما زال المتيقظون يأخذون الاشارة من مثل  
 هذا حتى كانوا يأخذونها من هذا الذى تقوله العامة ويلقبونه بكان وكان  
 فرايت بخط ابن عقيل عن بعض مشايخه الكبار أنه سمع امرأة تنشد :

غسلت له طول الليل فركت له طول النهار

خرج يعان غيرى زلق وقع فى الطين

فاخذ من ذلك اشارة معناها : يا عبدى انى حسنت خلقك ، وأصلحت

شأنك ، وقومت بنيتك ، فاقبلت على غيرى ، فانظر عواقب خلافك لى ، وقال

ابن عقيل : وسمعت امرأة تقول : من هذا الكان وكان كلمة بقيت في  
قلعها مدة :

كم كنت بالله أقل لك      لذا التواني غائله  
وللتقيح خميره      تبين بعد قليل

قال ابن عقيل : فأوقعه من تخجيل على إهمالنا لامور غدا تبين خمارها  
بين يدي الله تعالى .

٩٩ - فصل - أمكنني تحصيل شيء من الدنيا بنوع من أنواع  
الرخص فكنت كلما حصل شيء منه فاتني من قلبي شيء فكلما استنارت لي  
طريق التحصيل تجدد في قلبي ظامة . ففقت يانفس السوء - الأثم حزاز  
القلوب - وقد قال استفتت نفسك فلاخير في الدنيا كلها اذا كان في القلب من  
تحصيلها شيء أو جب نوع كدر ، وأن الجنة لو حصلت بسبب يقدر في الدين أو  
في المعاملة ما لذت ، والنوم على المزابل مع سلامة القلب من الكدر الذم نكأت  
الملوك . وما زلت أغلب نفسي تارة وتغلبني أخرى ، ثم تدعى الحاجة الى تحصيل  
ما لا بد لها منه . وتقول : فما اتعدى في الكسب المباح في الظاهر . فقلت لها :  
أوليس الورع يمنع من هذا . قالت : بلى . قلت : اليس القسوة في القلب  
تحصل به . قالت : بلى . قلت : فلا خير لك في شيء هذا ثمرة ، نفلوت يوما  
بنفسى فقلت لها : ويحك اسمعي احديثك إن جمعت شيئاً من الدنيا من وجه  
فيه شبهة أفانت على يقين من انفاقه . قالت : لا . قلت : فالحننة أن يحظى به  
الغير ولا تنالين الا الكدر العاجل ، والوزر الذي لا يؤمن ويحك اتركي هذا  
الذي يمنع منه الورع لأجل ! الله فعامله بتركه ، وكأنك لا تريد أن لا تتركي إلا

ما هو محرم فقط أو ما لا يصبح وجهه ، أو ما سمعت أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، أمالك عبرة في أقوام جمعوا خازنه سواعم ، وأملوا فما بلغوا مناهم ، كم من عالم جمع كتباً كثيرة ما انتفع بها ، وكم من منتفع ما عنده عشرة أجزاء .  
 كم من طيب العيش لا يملك دينارين ، وكم من ذى قناطر منغص ، أمالك فطنة تتلمح أحوال من يترخص من وجهه فيسلب منه من أوجهه ربما نزل المرض بصاحب الدار أو يبعث من فيها فانفق في سنته اضعاف ما ترخص في كسبه ، والمتقى معافي . فضجت النفس من لومي . وقالت : اذا لم اتعد واجب الشرع فما الذي تريد مني . فقلت : لها أضن بك عن الغبن وانت أعرف بباطن أمرك . قالت : فقل لي ما أصنع . قلت : عليك بالمراقبة لمن يراك ، ومثلي نفسك بحضرة معظم من الخلق فانك بيزيدي الملك الاعظم يرى من باطنك ما لا يراه المعظمون من ظاهره فخذى بالاحوط . واحذرى من الترخص في بيع اليقين ، والتقوى بما جل الهوى ، فان وقع الطبع مما تلقين فقولى له : مهلاً ، فما انقضت مدة الاشارة ، والله مرشدك الى التحقيق . ومعينك بالتوفيق .

١٠٠ - فصل - ما زلت اسمع عن جماعة من الاكابر وارباب المناصب انهم يشربون الخمر ويفسقون ويظالمون ، ويفعلون أشياء توجب الحدود فبقيت اتفكر أقول متى يثبت على مثل هؤلاء ما يوجب حداً ؟ فلو ثبت فن قيمه واستبعد هذا في العادة لانهم في مقام احترام لاجل مناصبهم ، فبقيت تفكر في تعطيل الحد الواجب عليهم ، حتى رأيناهم قد نكبوا وأخذوا مرات ، ومررت عليهم العجايب ، فقوبل ظلمهم بأخذ أموالهم ، وأخذت منهم الحدود مضاعفة بعد الحبس الطويل . والقيد الثقيل . والذل العظيم . وفيهم من قتل بعد ملافاة كل شدة ، فعلمت انه ما يهمل شيء . فالحذر الحذر

فان العقوبة بالمرصاد .

١٥١ - فصل - أجهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع ، فمن ذلك حفظ ماله وطلب تنميته والرغبة في زيادته ، لانه سبب بقاء الانسان - مثاله - فقد نهى عن التبذير فيه ، فقيل له « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » فاعلم انه سبب لبقائه « التي جعل الله لكم قياما » أى قواما لمعاشكم وقال عز وجل « ولا تبسطها كل البسط » وقال تعالى « ولا تبذر تبذيرا » وقال تعالى « لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » ومن فضيلة المال أن الله تعالى قال « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا » وقال تعالى « وأنفقوا فى سبيل الله » وقال تعالى « ينفقون أموالهم » وقال تعالى « لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح » وجعل المال نعمة وزكاته تطهيرا . فقال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها » وقال صلى الله عليه وسلم : نعم المال الصالح للرجل الصالح . وقال : ما نفعنى مال كمال أبى بكر . وكان أبو بكر رضى الله عنه يخرج الى التجارة ويترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينهاه عن ذلك . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . لأن أموت بيز شعبتى جبيل اطلب كفاف وجهى احب الى من أن اموت غازبا فى سبيل الله . وكان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يتجرون ، ومن سادات التابعين سميد بن المسيب . فهات وخلف مالا وكان يحتكر الزيت ، وما زال السلف على هذا ثم تعرض نوائب كالمرض يحتاج فيها الى شىء من المال فلا يجد الانسان بدا من الاغتيال فى طلبته ، فيبذل عرضه أو دينه ، ثم للنفس قوة بدنية عند وجود المال ، وهو معدود عند الاطباء من الادوية ، حكمة وضعها الواضع ، وانما ينبغ اقوام طلبوا طريق الراحة فادعوا أنهم متوكلون وقالوا نحن لانمسك شيئا . ولا ننزود



لسفر، ورزق الابدان يأتي، وهذا على مضادة. الشرع فان رسول الله ﷺ  
نهى عن اضاءة المال، وموسى عليه السلام لما سافر في طلب الخضر تزود، ونبينا  
ﷺ لما هاجر تزود، وابلغ من هذا قوله تعالى «وتزودوا فاذا خير الزاد التقوى»  
ثم يدعى هؤلاء المتصوفة بغض الدنيا فلا يفهمون ما الذي ينبغي أن يبغض،  
ويرون زيادة الطلب للمال حرصا وشرها، وفي الجملة انما اخترعوا بأرائهم  
طريقا فيها شيء من الرهبانية اذا صدقوا وشيء من البهجة اذا نصبوا  
شباك الصيد بالتزهد فسموا ما يصل اليهم من الارزاق فتوحا. قال ابن قتيبة  
في غريب الحديث في قوله ﷺ: واليد العليا. قال. هي المعطية. قال فالعجب  
عندي من قوم يقولون هي الآخذة، ولا أرى هؤلاء القوم الا قوما استطابوا  
السؤال، فهم يحتجون للدناءة، فاما الشرائع فانها برئية من حالمهم. وفي  
الحديث: ضاق البلد بمواشي ابراهيم ولوط عابها السلام فافترقا. وكان  
شعيب عليه السلام كثير المال. ثم قد ندم طعمه في زيادة الاجر من موسى  
عليه السلام فقال: «فان آتمت عشرا فمن عندك»، وكان ابن عقيل رحمه الله  
يقول: من قال اني لا احب الدنيا فهو كذاب، فان يعقوب عليه السلام  
لما طلب منه ابنه يامين قال: «هل آمنكم عليه». فقالوا: «وتزداد كيل بعير».  
فقال: خذوه، وقال بعض السلف: من ادعى بغض الدنيا فهو عندى كذاب  
الى ان يثبت صدقه، فاذا ثبت صدقه فهو مجنون، وقد نفر جماعة من  
المتصوفة خلقا من الخلق عن الكسب، وأوحشوا بينهم وبينه، وهو دأب  
الانبياء والصالحين. وانما طلبوا طريق الراحة وجلسوا على الفتوح. فاذا  
شبعوا رقصوا. فاذا انهضم الطعام أكلوا. فان لاحت، لهم حيلة على غنى  
أوجبوا عليه دعوة، إما بسبب شكر أو بسبب استغفار، واطم الطامات

ادعاهم ان هذا قربة ، وقد انعقد اجماع العلماء ان من ادعى الرقص قربة الى الله تعالى كفر ، فلو انهم قالوا مباح كان اقرب حالا ، وهذا لأن القرب لا يعرف الا بالشرع . وليس في الشرع امر بالرقص ولا نذب اليه ، ولقد بلغني عن جماعة منهم انهم كانوا يوقدون الشمع في وجوه المردان وينظرون اليهم ، فاذا سئلوا عن ذلك سخروا بالسائل فقالوا : نعتبر بخلق الله ، افتراهم أقوى من النبي صلى الله عليه وسلم حين اجلس الشاب الذي وفد عليه من وراء ظهره . وقال : وهل كانت فتنة داود الامن النظر ، هيئات لقد تملك الشيطان تلك الازمة فقادها الى ما أراد ، والعجب ممن يذم الدنيا وهو يأكل فيشبع ، ولا ينظر من اين المطعم ، وما زال صالحوا السلف يفتشون على المطعم حتى كان ابراهيم ابن ادم يسهر هو وأصحابه ويقولون مع من نعمل غداً ؟ وكان سرى السقطي يعرف بطيب الغذاء . وله في الورع مقامات . نجاء قوم يتسمون بالصوفية يدعون اتباع أولئك السادة ، ويأكلون من مال فلان . وهم يعرفون أصول تلك الاموال ، ويقولون رزقنا ، فواعجبا اذا كان الآكل لا يبالي به من اين ، ولا امتناع من شهوة ولا تقلل . ولا يخلو الرباط من المطبخ ، ولا ينقطع ايلة . وأصله من مال قد عرف من اين هو ، والحمام دائر والمغني يدق بدف فيه جلاجل ورفيقه بالشبابه ، وسعدى وليلى في الانشاد . والمردان في الشمع . ثم يذم الدنيا بعد هذا ، فقولوا لنا : من يتاهى بالناس ؛ ولكن من صرت عليهم زرجتهم فانه اخس منهم .

١٠٢ - فصل - عرض لي في طريق الحج خوف من العرب . فسرنا على طريق خيبر ، فرأيت من الجبال الهائلة والطرق العجيبة ما اذهاني ، وزادت عظمة الخالق عز وجل في صدري . فصار يعرض لي عند ذكر تلك الطرق

نوع تعظيم لا اجده عند ذكر غيرها، فصحت بالنفس وبحك اعبرى الى البحر وانظري اليه والى عجائبه بعين الفكر : تشاهدى أهواله اعظم من هذه ، ثم اخرجى عن الكون والتفتى اليه فانه ترينه بالاضافة الى السموات والافلاك كذرة فى فلاة . ثم جولى فى الافلاك وطوفى حول العرش وتلمحى ما فى الجنان والنيران ، ثم اخرجى عن الكل والتفتى اليه ، فانك تشاهدينه فى قبضة القادر الذى لا تقف قدرته عند حد ، ثم التفتى اليك فتلمحى بدايتك ونهايتك ، وتفكرى فيما قبل البداية ، وليس الا العدم ، وفيما بعد البلى وليس الا التراب ، فكيف يأنس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدأ والمنتهى وكيف يغفل فعل القلوب عن ذكر هذا الاله العظيم ، بالله لو صححت النفوس عن سكر هواها لذابت من خوفه ، او لغابت من حبه ، غير ان الحس غلب فعظمت قدرة الخالق عند رؤيته جبيل ، وان الفطنة لو تلمحت المعانى لدلت القدرة عليه او فى من دليل الجبل ، سبحان من شغل اكثر الخلق بما هم فيه عما خلقوا له سبحانه .

١٠٣ - فصل - للبلايا نهايات معلومة الوقت عند الله عز وجل . فلا بد للمبتلى من الصبر الى ان ينقضى اوان البلاء فان تقلقل قبل الوقت لم ينفع التقلقل . كما ان المادة اذا انحدرت الى عضو فانها ان ترجع ، فلا بد من الصبر الى حين البطالة . فاستعجال زوال البلاء مع تقدير مدته لا ينفع . فالواجب الصبر وان كان الدعاء مشروعا ولا ينفع الا به الا أنه لا ينبغى للداعى ان يستعجل بل يتعبد بالصبر والدعاء والتسليم الى الحكيم ، ويقطع المواد التى كانت سببا للبلاء فان غالب البلاء أن يكون عقوبة . فاما المستعجل فزاحم للمدبر وليس هذا مقام العبودية وانما المقام الاعلى هو الرضى والصبر

هو اللازم . والتلاحي بكثرة الدعاء نعم المعتمد ، والاعتراض حرام ،  
والاستعجال مزاحمة للتدبير ، فافهم هذه الأشياء فأنها تهون البلاء .

١٠٤ - فصل - ليس في الوجود شيء اصعب من الصبر اما على  
المحبوب او على المكروهات ، وخصوصا اذا امتد الزمان او وقع اليأس من  
الفرج وتلك المدة تحتاج الى زاد يقطع به سفرها ، والزاد يتنوع من اجناس  
فمنه تلمح مقدار البلاء وقد يمكن أن يكون اكثر . ومنه انه في حال فوقها  
اعظم منها مثل ان يتبلى بفقد ولد وعنده اعز منه ، ومن ذلك رجاء العوض  
في الدنيا ، ومنه تلمح الاجر في الآخرة ، ومنه التلذذ بتصوير المدح والثناء  
من الخلق فيما يمدحون عليه والاجر من الحق عز وجل ، ومن ذلك بأن  
الجزع لا يفيد بل يفضح صاحبه الى غير ذلك من الاشياء التي يقدها العقل  
والفكر فليس في طريق الصبر نفقة سواها ، فينبغي للصابر ان يشغل بها  
نفسه ويقطع بها ساعات ابتلائه وقد صبح المنزل .

١٠٥ - فصل - ينبغي لمن وقع في شدة ثم دعا أن لا يحتاج في قلبه  
أمر من تأخير الاجابة او عدمها ، لأن الذي اليه أن يدعو والمدعو مالك  
حكيم ، فان لم يجب فعل ما يشاء في ملكه . وان أخر فعل بمقتضى حكمته ،  
فالمترض عليه في سره خارج عن صفة عبد مزاحم بمرتبة مستحق (١) ثم  
ليعلم ان اختيار الله عز وجل له خير من اختياره لنفسه . فربما سأل سيلاسال  
به وفي الحديث : ان رجلا كان يسأل الله عز وجل ان يرزقه الجهاد فهتف  
به هائف انك ان غزوت اسرت وان اسرت تنصرت . فاذا سلم العبد

(١) في الاحمدية : لمرتبة مستحق .

تحمكها لحكمته وحكمه وايقن ان السكل ملكه طاب قلبه قضيت حاجته او لم تقض وفي الحديث: مامن مسلم دعا الله تعالى الا وأجابه. فاما ان يعجلها واما أن يؤخرها وأما أن يدخرها له في الآخرة. فاذا رأى يوم القيمة ان ما اجيب فيه قد ذهب وما لم يجب فيه قد بقي ثوابه ، قال : ليتك لم تجب لي دعوة قط . فافهم هذه الأشياء وقد سلم قلبك من ان يحتاج فيه ريب أو استعجال .

١٠٦- فصل - من اراد أن يعرف رتبة العلماء على الزهاد فليتنظر في رتبة جبريل وميكائيل ومن خص من الملائكة بولاية تتعلق بأخلق ، وباقي الملائكة قيام التعبد في مراتب الرهبان في الصوامع . وقد حظي أولئك بالتقريب على مقادير علمهم بالله تعالى . فاذا مرأ خدم بالوحي انزعج اهل السماء حتى يجبرهم بالخبر ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق . كما اذا انزعج الزاهد من حديث يسمعه سأل العلماء عن صحته ومعناه . فسبحان من خص الخصوص بخصائص شرفوا بها على جنسهم ، ولا خصيصة اشرف من العلم . زيادته صار آدم مسجوداً له وبنقصانه صارت الملائكة ساجدة ، فاقرب الخلق من الله العلماء وليس العلم بمجرد صورته هو النافع بل معناه وانما ينال معناه من تعلمه للعمل به ، فكما دله على فضل اجتهد في نيته وكلما زاد نهاه عن نقص بالغ في مساعدته ، فحينئذ يكشف العلم له سره ، ويسهل عليه طريقه ، فيصير كجذب ببحث الجاذب فاذا حركه عجل في سيره والذي لا يعمل بالعلم لا يطلعه العلم على غوره ولا يكشف له عن سره ، فيكون كجذوب لجاذب جاذبه فافهم هذا المثل وحسن قصدك والا فلا تتعب .

- ١٠٧ - فصل - اعلم ان اصلح الامور الاعتدال في كل شيء واذا رأينا ارباب الدنيا قد غلبت آمالهم ، وفسدت في الخير اعمالهم ، امرناهم بذكر الموت والقبور والآخرة . فاما اذا كان العالم لا يغيب عن ذكره الموت واحاديث الآخرة تقرأ عليه وتجري على لسانه فتذكاره الموت زيادة على ذلك لا تفيد الا انقطاعه بمره . بل ينبغي لهذا العالم الشديد الخوف من الله تعالى الكثير الذكر للآخرة أن يشاغل نفسه عن ذكر الموت ليمتد نفس امله قليلا فيصنف ويعمل اعمال خيرة ، ويقدر على طلب ولد . فاما اذا لهج بذكر الموت كانت مفسدته عليه اكثر من مصلحته ، الم تسمع ان النبي صلى الله عليه وسلم سابق عائشة رضي الله عنها فسبقته وسابقتها فسبقتها ، وكان يزح ويشاغل نفسه . فان مطالعة الحقائق على التحقيق تفسد البدن ونزع النفس . وقد روى عن احمد بن حنبل رحمه الله عليه : انه سأل الله تعالى ان يفتح عليه باب الخوف ففتح عليه بخاف على عقله . فسأل الله ان يرد ذلك عنه ، فتأمل هذا الاصل فانه لا بد من مغالبة النفس وفي ذلك صلاحها والله الموفق والسلام .

- ١٠٨ - فصل - من أعمال فكره الصافي دله على طاب أشرف المقامات ، ونهاه عن الرضى بالنقص في كل حال . وقد قال ابو الطيب المتنبى :

ولم ار في عيوب الناس عيبا      كنقص القادرين على التمام

فينبغي للعاقل ان ينتهي الى غاية ما يمكنه ، فلو كان يتصور للأدنى صعود السموات لرأيت من اقبح النقائص رضاه بالارض . ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض ، غير انه اذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن ، والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس الى غاية كما لها الممكن لها في العلم والعمل . وانا اشرح

من ذلك ما يدل مذكوره على مغفله . اما في البدن : فليست  
الصورة داخلة تحت كسب الآدمي بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها  
فقبيح بالعقل اهمال نفسه وقد نبه الشرع على الكل بالبعض . فامر بقص  
الاذفار، وتنف الابط، وحلق العانة، ونهى عن اكل الثوم والبصل التي  
لاجل الراحة . وينبغي له أن يقيس على ذلك ويطلب غاية النظافة ونهاية  
الزينة، وقد كان النبي ﷺ يعرف مجيئه بريح الطيب فكان الغاية في النظافة  
والنزاهة، ولست أمر بزيادة التقشف الذي يستعمله الموسوس أو المترفون  
ولكن التوسط هو محمود. ثم ينبغي له أن يرفق بيده الذي هو راحته  
ولا ينقص من قوتها فننقص قوتها. ولست أمر بالشبع الذي يوجب الجشا  
انما أمر بالتوسط فان قوى الآدمي كميز جارية كم فيها من منفعة لصاحبها  
ولغيره، ويعين صانعا ولا يلتفت الى قول الموسوسين من المتزهدين الذي  
جدوا في التقلل فضعفوا عن الفرائض وليس ذلك من الشرع ولا نقل  
عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه . إنما كان الرسول صلى الله عليه  
وسلم وأصحابه اذا لم يجدوا جاعوا، وربما آثروا فصبوا ضرورة، وكذلك  
ينبغي أن ينظر لهذه الرحلة في علفها - قرب لقمة منعت لقمات - فلا  
يعطيها ما يؤذيها بل ينظر لها في الاصلاح ولا يتلفت الى متزهد يقول لا بلغها  
الشهوات، فان النظر ينبغي أن يكون في حل المطعم وأخذ ما يصلح  
بمقدار . ولم ينقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه رضی الله  
عنهم ما احذته الموسوسون في ترك المشتهيات على الاطلاق، انما نقل عنهم  
تركها لسبب إما للنظر في حلها أو للخوف من مطالبة النفس بها في كل وقت

ويجوز ذلك وينبغي له أن يجتهد في التجارة والكسب ليفضل على غيره ولا يفضل غيره عليه ، وليبلغ من ذلك غاية لا تمنعه عن العلم ، ثم ينبغي له أن يطلب الغاية في العلم . ومن أقبح النقص التقليد ، فان قويت همته رفته الى أن يختار لنفسه مذهباً ولا يتمذهب لاحد . فان المقلد أعمى يقوده مقلده . ثم ينبغي أن يطلب الغاية في معرفة الله تعالى ومعاملته ، وفي الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها الاحصلها . فان القنوع بما نزل المبارك حالة الارذال .

فكن رجلاً رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

ولو أمكنك عبور كل احد من العلماء والزهاد فافعل ، فانهم كانوا رجلاً وانت رجل ، وما قعد من قعد الالدناء الهمة وخساستها . واعلم انك في ميدان سباق والاقوات تنهب . ولا تخلد الى كسل . فمافات من فات الا بالكسل . ولانال من نال الا بالجد والعزم ، وأن الهمة لتغلي في القلوب غليان مافي القدور ، وقد قال بعض من سلف :

ليس لي مال سوى كرى      فيه أمني من العدم

قنعت نفسي بما رزقت      وتمطت في العلامى

١٠٩ - فصل - ليس في الدنيا أنفع للعلماء من جمع المال للاستغناء عن الناس ، فانه اذا ضم الى العلم حيز الكمال ، وأن جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب ، فاحتاجوا الى ما لا بد منه ، وقل الصبر فدخلوا مداخل شانتهم وإن تأولوا فيها . الا أن غيرها كان أحسن لهم ، فالزهري مع عبد الملك ، وأبو عبيدة مع طاهر بن الحسين ، وابن ابى الدنيا مؤدب المعتضد . وابن قتيبة صدر كتابه بمدح الوزير . وما زال خلف من العلماء والزهاد يعيشون في ظل جماعة من المعروفين بالظلم . وهؤلاء وإن كانوا سلكوا



طريقا من التأويل فانهم فقدوا من قلوبهم وكال دينهم أكثر مما نالوا من الدنيا .  
وقدرأينا جماعة من المتصوفة والعلماء يغشون الولاية لاجل نيل مافي ايديهم .  
فمنهم من يداهن ويرائي ، ومنهم من يمدح بما لا يجوز ، ومنهم من يسكت  
عن منكرات الى غير ذلك من المدهانات وسببها الفقر . فعلمنا أن كمال العز وبعد  
الرياء انما يكون في البعد عن العمال الظلمة ، ولم نر من صح له هذا الا في احد  
رجلين . أما من كان له مال كسعيد بن المسيب كان يتجر في الزيت وغيره ،  
وسفيان الثوري كانت له بضائع ، وابن المبارك . واما من كان شديد الصبر قنوعا  
بما رزق وان لم يكفه كبشر الحافي ، واحمد بن حنبل ، ومتى لم يجد الانسان  
كصبر هذين ، ولا كمال أوائك ، فالظاهر تغلبه في المحن والآفات ، وربما  
تلف دينه . فعليك يا طالب العلم بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس  
فانه يجمع لك دينك . فمأ رأينا في الاغلب مناققا في التدين والتزهـد  
والتخضع ولا آفة طرأت على عالم الاجب الدنيا ، وغالب ذلك الفقر . فان  
كان من له ما يكفيه ثم يطلب بتلك المخالطة الزيادة ، فذلك معدود في أهل  
الشره ، خارج عن حيز العلماء ، نعوذ بالله من تلك الاحوال .

١١٠ - فصل - أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر الى ثمرته . ومن  
تأمل ثمرة الفقه علم أنه أفضل العلوم . فان أرباب المذاهب فاقوا بالفقه على  
الخلائق أبدا ، وان كان في زمن أحدهم من هو أعلم منه بالقرآن أو بالحديث  
أو باللغة ، واعتبر هذا باهل زماننا فانك ترى الشاب يعرف مسائل الخلاف  
الظاهرة فيستغنى ، ويعرف حكم الله تعالى في الحوادث ما لا يعرفه التحريـر  
من باقي العلماء . وكم رأينا مبرزا في علم القرآن أو في الحديث أو في التفسير  
أو في اللغة لا يعرف مع الشيخوخة معظم أحكام الشرع . وربما جهل علم ما ينويه

في صلواته ، على أنه ينبغي للفقهاء ألا يكون أجنبيا عن باقي العلوم . فانه لا يكون فقيها بل يأخذ من كل علم بحظ ثم يتوفر على الفقه فانه عز الدنيا والآخرة .

١١١ - فصل - رأيت كثير من الناس يتحرزون من رشاش نجاسة

ولا يتعاشون من غيبة ، ويكثرون من الصدقة ولا يبائعون بمعاملات الربا ويتهدون بالليل ويؤخرون الفريضة عن الوقت ، في أشياء يطول عددها من حفظ فروع وتضييع أصول ، فبحثت عن سبب ذلك ، فوجدته من شيئين : أحدهما العادة ، والثاني غلبة الهوى في تحصيل المطلوب . فانه قد يغلب فلا يترك سماعه ولا بصراً . ومن هذا القبيل أن أخوة يوسف قالوا حين سمعوا صوت المنادى : « انكم لسارقون » . « لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين » ، فجاء في التفسير أنهم لما دخلوا مصر كروا أفواه ابلهم لئلا تناول ما ليس لهم فكأنهم قالوا قد رأيتم ما صنعنا بابلنا فكيف نسرق ، ونسواهم تفاوت ما بين الورع واختطاف أكلة لا يملكونها ، وبين لقاء يوسف عليه السلام في الجب وبيعه بثمن بخس ، وفي الناس من يطيع في صفار الامور دون كبارها ، وفيما كلفته عليه خفيفة أو معتادة ، وفيما لا ينقص شيئا من عاداته في طعامه وملبسه ، نرى اقواما يأخذون بالربا ويقول أحدكم كيف يراني عدوى بعيناني بعث دارى ، أو تغير ملبوسى ومركوبى ؛ ونرى اقواما يوسوسون في الطهارة ويستعملون الكثير ولا يتعاشون من غيبة ، واقواما يستعملون التأويلات الفاسدة في تحصيل أغراضهم مع علمهم أنها لا تجوز ، حتى أتى رأيت رجلا من أهل الخير والتعبد أعطاه رجل مالا ليبنى به مسجدا ، فاخذه لنفسه وانفق عوض الصحيح قراضة ، فلما احتضر

قال لذلك الرجل اجعلني في حل فاني فعلت كذا وكذا ، ونرى أقواما  
 يتركون الذنوب لبعدهم عنها، فقد ألفوا الترك ، واذا قربوا منها لم يتماكروا .  
 وفي الناس من هذه الفنون عجائب يطول ذكرها ، وقد علمنا أن خلقا من  
 علماء اليهود كانوا يحملون ثقل التعبد في دينهم ، فلما جاء الاسلام وعرفوا صحته  
 لم يطيقوا مقاومة أهوائهم في محو رياستهم ، وكذلك قيصر فانه عرف  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدليل ثم لم يقدر على مقاومة هواه وترك ملكه .  
 فالله الله في تضييع الاول ؛ ومن اهمال سرح الهوى ، فانه أن اهملت  
 ماشية نفشت في زروع التقى ، ومماثل الهوى الا كسيع في عنقه سلسلة  
 فان استوثق منه ضابطه كفه . وربما لاحت له شهواته الغالبة عليه فلم  
 تقاومها السلسلة فالت ، على أن من الناس من يكف هواه بسلسلة ، ومنهم  
 من يكفه بخيط ، فينبغي للعاقل أن يحذر شياطين الهوى ، وأن يكون  
 بصيرا بما يقوى عليه من أعدائه ، وبمن يقوى عليه .

١١٢ - فصل - من أعظم الغلط الثقة بالناس والاسترسال الى الاصدقاء  
 فان أشد الأعداء وأكثرهم أذى الصديق المنقلب عدوا . لانه قد اطع على  
 خفي السر ، قال الشاعر :

احذر عدوك مرة واخذر صديقك الف مره

فلربما انقلب الصديق فكان أدري بالضره

واعلم أن من الأمر الموضوع في النفوس الحسد على النعم ، أو الغبطة  
 وحب الرفعة ، فاذا رآك من يعتقدك مثالا له وقد ارتقت عليه فلا بد أن  
 يتأثر وربما حسد ، فان أخوة يوسف عليهم السلام من هذا الجنس جرى  
 لهم . فان قلت . كيف يبقى الانسان بلا صديق ؟ قلت لك أترك ما تعلم أن

المجانس يحسد، وأن أكثر العوام يعتقدون في العالم أنه لا يتبسم ولا يتناول من شهوات الدنيا شيئاً، فإذا رأوا بعض انبساطه في المباح هبط من أعينهم، فإذا كانت هذه حالة العوام، وتلك حالة الخواص، فمع من تكون المعاشرة؟ لا بل والله مائصح المعاشرة مع النفس لأنها متلونة، وليس إلا المدارات للخلق والاحتراز منهم واتخاذ المعارف من غير طمع في صديق صادق. فان ندر فليكن غير مماثل، لأن الحسد إليه أسبق. وليكن مرتفعاً عن رتبة العوام، غير طامع في نيل مقامك. وان ثانت معاشرة هذا لا تشفى لأن المعاشرة ينبغي أن تكون بين العلماء للمجانس لزمهم من الاشارات في المخالطة ما تطيب به المجالسة، ولكن لا يبيل الى الوصال، ومثل هذه الحال انك ان استخدمت الاذكياء عرفوا باطنك، وان استخدمت الابله انعكست مقاصدك. فاجعل الاذكياء لخواججك الخارجة. والبله لخواججك في منزلك لئلا يعلموا أسرارك. واقنع من الأصدقاء، بمن وصفته لك، ثم لا تلقه الا متدرعا درع الحذر، ولا تطامع على باطن يمكن أن يستر عنه. وكن كما يقال عن الذئب:

ينام باحدى مقلتيه ويتقى بأخرى الاعادى فهو يقظان هاجم

١١٣ - فصل - رأيت جماعة ممن أفنى أوائل عمره وربعان شبابه في طلب العلم يصبر على أنواع الأذى، وهجر فنون الراحة، أنفة من الجهل، ورذيلته، وطلبه للعلم، وفضيلته، فلما نال منه طرفاً رفعه عن مراتب أرباب الدنيا، ومن لا علم له الا بالعاجل ضاق به معاشه، فسافر البلاد يطلب من الاراذل، ويتواضع للسفلة وأهل الدناءة والمكاس وغيرهم، فخاطبت بعضهم وقلت: ويحك أين تلك الأنفة من الجهل التي سهرت لاجلها، وأظلمات

نهارك بسببها ، فلما ارتفعت وانتفعت عدت الى أسفل سافلين ، أما بقى  
 عندك ذرة من الأنفة تنبوه عن مقامات الأراذل ، ولا معك يسير من  
 العلم يسير بك عن مناخ الهوى ، ولا حصلت بالعلم قوة تجذب بها زمام  
 النفس عن مراعى السوء . غير أنه يبين لى أن سهرك وتعبك كأنه كان  
 لنيل الدنيا . ثم انى أراك تزعم أنك تريد شيئا من الدنيا تستعين به على طلب  
 العلم . فاعلم أن التفانك الى نوع كسب تستغنى به عن الارذال أفضل  
 من التزيد فى علمك ، فلو عرفت ما ينقص به لم تر ما قد عزمتم عليه زيادة  
 مما يحتوى عليه هذا العزم السفر الذى كله مخاطرة بالنفس ، وبذل الوجه  
 الذى طال ماصين لمن لا يصلح التفات مثلك الى مثله ، وبعيد أن تقنع بعد  
 شروءك فى هذا الأمر بقدر الكفاف ، وقد علمت ما فى السؤال بعد  
 الكفاف من الأثم ، وأبعد منه أن تقدر على الورع فى المأخوذ ، ومن لك  
 بالسلامة والرجوع الى الوطن ، وكم رمى فقر فى بواديه من هالك ، <sup>(١)</sup> ثم  
 ما يحصله يقنى ويبقى منه ما أعطى ، وعيب المتقين إياك ، واقتداء الجاهلين  
 بك ، ويكفيك انك عدت على ما علمت من ذم الدنيا بشينه اذ فعلت ما يناقضه ،  
 خصوصا وقد مر أكثر العمر ، ومن أحسن فيما مضى يحسن فيما بقى .

١١٤ - فصل - رأيت الشره فى تحصيل الاشياء يفوت الشره  
 مقصوده ، وقد رأينا من كان شرها فى جمع المال فحصل له الكثير منه  
 وهو حريص على الازدياد ، ولو فهم علم أن المراد من المال انفاقه فى العمر .  
 فاذا أنفق العمر فى تحصيله فات المقصودان جميعا ، وكم رأينا ممن جمع المال ولم  
 يتمتع به فأبواه لغيره وأفى نفسه كما قال الشاعر :

(١) فى الهندية : فقر من فؤاد به من هالك

كدودة القز ماتبنيه يهدمها وغيرها بالذى تبنيه ينتفع  
وكذلك رأينا خلقا كثيرا يحرصون على جمع الكتب فينفقون  
أعمارهم في كتابتها، وكذاب أهل الحديث ينفقون الأعمار في النسخ والسماع  
الى آخر العمر. ثم ينقسمون، فمنهم من يتشاغل بالحديث وعلمه وتصحيحه  
ولعله لا يفهم جواب حادثة، ولعله عنده حديث - أسلم سالمها الله - مائة  
طريق. وقد حكى لى عن بعض أصحاب الحديث انه سمع جزء ابن عرفة  
عن مائة شيخ، وكان عنده سبعون نسخة، ومنهم من يجمع الكتب ويسمعها  
ولا يدري ما فيها الا من حيث صحتها، ولا من فهم معناها. فتراه يقول  
الكتاب الفلانى سماعى وعندى به نسخة، والكتاب الفلانى والفلانى فلا  
يعرف علم ما عنده من حيث فهم صحيحه من سقيم. وقد صدده اشتغاله  
بذلك عن المهم من العلم فهم كما قيل الخطيئة :

زوامل للاخبار لاعلم عندها      بمثلها الا كعلم الاباعر

لعمرك ما يدري البعير اذا غدا      بأوساقه اوراح مافى الغرائر

ثم ترى منهم من يتصدر ويفتقر الزمان الى تصدده للرواية  
فيمد يده الى ما ليس من شغلة. فان أفتى خطأ، وان تكلم فى الاصول  
خلط، ولولا انى لا أحب ذكر الناس لذ كرت من أخبار كبار علمائهم وما  
خلطوا ما يعتبر به، ولكنه لا يخفى على المحقق حالهم، فان قال قائل: ليس  
فى الحديث. فهو مان لا يشبعان، طالب علم وطالب دنيا قلت: اما العالم فلا  
أقول له اشبع من العلم، ولا اقتصر على بعضه، بل أقول له قدم المهم فان  
العاقل من قدر عمره وعمل بمقتضاه. وان كان لا سبيل الى العلم بمقدار العمر،  
غير انه يبنى على الاغلب. فان وصل فقد أعد لكل مرحلة زاداً، وان

مات قبل الوصول فنيتها تسلك. <sup>(١)</sup> فاذا علم العاقل أن العمر قصير ، وان العلم كثير ، فقبیح بالعاقل الطالب الكمال الفضايل أن يتشاغل مثلاً بسماع الحديث ونسخه ليحصل كل طريق ، وكل رواية ، وكل غريب . وهذا لا يفرغ من مقصوده منه في خمسين سنة خصوصاً ان تشاغل بالنسخ . ثم لا يحفظ القرآن ، أو يتشاغل بعلوم القرآن ولا يعرف الحديث ، أو بالخلاف في الفقه ولا يعرف النقل الذي عليه مدار المسئلة . فان قال قائل : فدر لي ما تختار لنفسك . فاقول : ذو الهمة لا يخفى من زمان الصبي كما قال سفيان ابن عيينة : قال لي أبي وقد بلغت خمس عشرة سنة انه قد انقضت عنك شرائع الصبا . فاتبع الخير تكن من أهله . ، فجعلت وصية أبي قبلة أميل إليها ولا أميل عنها ، ثم قبل شروعي في الجواب أقول : ينبغي لمن له أنفة أن يأنف من التصغير الممكن دفعه عن النفس ، فلو كانت النبوة مثلاً تأتي بكسب لم يجز له أن يقنع بالولاية ، أو تصور أن يكون مثلاً خليفة لم يحسن به ان يقتنع بامارة ، ولو صح له ان يكون ملكاً لم يرض أن يكون بشراً والمقصود أن ينتهي بالنفس الى كمالها الممكن لها في العلم والعمل ، وقد علم قصر العمر وكثرة العلم فيبتدى بالقرآن وحفظه ، وينظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفى عليه بذلك منه شيء ، وان صح له قراءة القراءات السبعة وأشياء من النحو وكتب اللغة وابتدأ باصول الحديث من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن ، ومن حيث علم الحديث كعرفة الضعفاء والاسماء ، فليتنظر في أصول ذلك ، وقد رتب العلماء من ذلك ما يستغنى به الطالب عن التعب ، ولينظر في التواريخ ليعرف ما لا يستغنى

(١) في الهندية : قبل الوصول فحسبه ذلك .

عنه كنسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأقاربه وأزواجه وما جرى له ،  
ثم ليقبل على الفقه فلينظر في المذهب والخلاف ، وليكن اعتماده على  
مسائل الخلاف فلينظر في المسئلة وما تحتوي عليه فيطلبه من مظانه ،  
كتفسير آية وحديث وكلمة لغة ، ويتشغل باصول الفقه وبالقرائن .  
وليعلم أن الفقه عليه مدار العلوم ، ويكفيه من النظر في الاصول ما يستدل  
به على وجود الصانع ، فاذا اثبتته بالدليل وعرف ما يجوز عليه مما لا يجوز ،  
وأثبت ارسال الرسل وعلم وجوب القبول منهم ، فقد احتوى على المقصود  
من علم الاصول فان اتسع الزمان للتزيد من العلم فليكن من الفقه فانه لا نفع ،  
ومهما فسح له في المهل فأمكنه تصنيف في علم فانه يخلف بذلك خلفه خلفا  
صالحا ، مع اجتهاده في التسبب الى اتخاذ الولد

ثم يعلم أن الدنيا معبرة فيلتفت الى فهم معاملة الله عز وجل ، فان مجموع  
ما حصله من العلم بدله عليه ، فاذا تعرض لتحقيق معرفته ووقف على باب معاملته  
فقل أن يقف صادق الا ويجذب الى مقام الولاية ، ومن أريد وفق وان الله عز  
وجل أقواما يتولى تربيتهم ويبعث اليهم في زمن الطفولية مؤدبا ، ويسمى العقل .  
ومقوما ، ويقال له الفهم . ويتولى تأديبهم وتثقيفهم ، ويسمى لهم أسباب القرب  
منه ، فان لاح قاطع قطعهم عنه . وان تعرضت بهم فتنة دفعها عنهم . فنسأل  
الله عز وجل أن يجعلنا منهم ، ونعوذ به من خذلان لا ينفع معه اجتهاد .

١١٥ - فصل - إن للخلاوة تأثيرات تبين في الجلوة ، كم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذرا من عقابه . أو رجاء  
اثوابه ، أو إجلالا له ، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عودا هندية على مجمر  
فيفوح طيبه فيستنشقه الخلائق ولا يدرون أين هو . وعلى قدر المجاهدة



في ترك ما يقوى محبته ، أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب ، ويتفاوت تفاوت العود ، فيرى عيون الخلق تعظم هذا الشخص والسنتهم تمدحه ولا يعرفون لم. ولا يقدر على وصفه لبعدهم عن حقيقة معرفته وقد تمتد هذه الأرايح بعد الموت على قدرها ، فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسى ، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره وقبره . ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبدا ، وعلى عكس هذا من هاب الخلق ، ولم يحترم خلوته بالحق . فانه على قدر مبارزته بالذنوب وعلى مقادير تلك الذنوب ، يفوح منه ريح الكراهة فتمتته القلوب ، فان قل مقدار ما جنى قل ذكر الاسن له بالخير ، وبقي مجرد تعظيمه . وأن أكثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه لا يمدحونه ولا يذمونه . ورب خال بذنوب كان سبب وقوعه في هوة شقوة في عيش الدنيا والآخرة وكأنه قيل له إبق بما آثرت فيبقى أبدا في التخبيط ، فانظروا إخواني الى المعاصي آثرت وعثرت . قال أبو الدرداء رضى الله عنه : أن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى فيلقى الله بنفضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعرون ، فتدحوا ما سطرته ، وأعرفوا ما ذكرته . ولا تهملوا خلواتكم ولا سرائركم ، فان الاعمال بالنية ، والجزاء على مقدار الاخلاص .

١١٦ - فصل - من عرف جريان الاقدار ثبت لها ، وأجهل الناس بعد هذا من قاواها . لان مراد المقدر الذل له . فاذا قاوت القدر فقلت مرادك من ذلك لم يبق لك ذل . - مثال هذا - أن يجوع الفقير فيصبر قدر الطاقة . فاذا عجز خرج الى سؤال الخلق مستحيا من الله كيف يسألهم ، وان كان له عذر بالحاجة التي الجأته ، غير انه يرى أنه مغلوب الصبر فيبقى معتذرا مستحيا وذلك المراد منه ، أو ليس بخروج النبي صلى الله عليه وسلم

من مكة فلا يقدر على العود اليها حتى يدخل في خفارة المطعم بن عدي وهو كافر ، فسبحان من ناط الامور بالاسباب ، ليحصل ذل العارف بالحاجة الى التسبب .

١١٧ - فصل - سبحان المتصرف بخاقه بالاغتراب والاذلال ليلو صبرهم ، ويظهر جواهرهم في الابتلاء ، هذا آدم صلى الله عليه وسلم تسجد له الملائكة ثم بعد قليل يخرج من الجنة ، وهذا نوح عليه السلام يضرب حتى يفشى عليه ثم بعد قليل ينجو في السفينة ويهلك أعداؤه ، وهذا الخليل عليه السلام يلتقى في النار ثم بعد قليل يخرج الى السلامة ، وهذا الذي يحضج مستسلما ثم يسلم ويبقى المدح ، وهذا يعقوب عليه السلام يذهب بصره بالفراق ثم يعود بالوصول ، وهذا الكليم عليه السلام يشتغل بالرعى ثم يرقى الى التكليم ، وهذا زيننا محمد صلى الله عليه وسلم يقال له بالامس اليتيم ويقلب في عجائب يلاقها من الاعداء تارة ومن مكائد الفقر أخرى ، وهو أثبت من جبل حراء ثم لما تم مراده من الفتح . وبلغ الغرض من أكبر الملوك وأهل الارض نزل به ضيف النقلة . فقال : وأكرباه . فن تلمح بحر الدنيا وعلم كيف تتلقى الامواج ، وكيف يصبر على مدافعة الايام لم يستهول زول بلاء ، ولم يفرح بما جل رخاء .

١١٨ - فصل - ينبغي للعاقل أن لا يقدم على العزائم حتى يزن نفسه هل يطيقها ، ويجرب نفسه في ركوب بعضها سرا من اخلق فانه لا يأمن أن يرى في حالة لا يصبر عليها ، ثم يعود فيفتضح . مثاله - رجل سمع بذكر الزهاد فرمى ثيابه الجميلة ولبس الدون وانفرد في زاوية وغاب على قلبه ذكر الموت والآخرة . فلم يلبث متقاضى الطبع أن الح بما جرت به العادة . فن القوم

من عاد بمره إلى أكثر مما كان عليه كأكل الناقة من مرض، ومنهم من توسط الحال فبقي كالمذبذب. وإنما العاقل هو الذي يستر نفسه بين الناس بثوب وسط لا يخرج منه من أهل الخير، ولا يدخله في زى أهل الفاقة. فان قويت عزيمته عمل في بيته ما يطيق، وترك ثوب التجمل لستر الحال. ولم يظهر شيئاً للخلق. فانه أبعد من الرياء، وأسلم من الفضيحة وفي النار من غلب عليه قصر الأمل وذكر الآخرة حتى دفن كتب العلم، وهذا الفعل عندي من أعظم الخطأ وأن كان منقولاً عن جماعة من الكبار ولقد ذكرت هذا لبعض مشايخنا فقال: أخطأوا كلهم وقد تأولت لبعضهم بانه كان فيها حديث عن قوم ضعفاء ولم يميزوها. كما روى عن سفيان في دفن كتبه. أو كان فيها شيء من الرأي فلم يحبوا أن يؤخذ عنهم فكان من جنس تحريق عثمان رضى الله عنه المصاحف لثلاث يؤخذ بشيء مما فيها من المجتمع على غيره وهذا التأويل يصح في حق علماءهم فاما غسل أحمد بن أبي الحواري كتبه وابن أسباط فتفريط محض. فالحذر الحذر من فعل يمنع منه الشرع أو من ارتكاب ما يظن عزيمة وهو خطيئة، أو من اظهار مالا يقوى عليه المظهر فيرجع القهقري. وعايكم من العمل بما تطيقون كما قال صلى الله عليه وسلم.

١١٩ - فصل - اجهل الجهال من اثر عاجل على آجل لا يأمن سوء مغيبته فكم قد سمعنا عن سلطان وأمير وصاحب مال أطلق نفسه في شهواتها، ولم ينظر في حلال وحرام فنزل به من الندم وقت الموت أضعاف ما التذولقي من مرير الحشرات مالا يقاومه ولا ذرة من كل لذة. ولو كان هذا حسب لكنى حزنا وكيف والجزاء الدائم بين يديه فالدنيا محبوبه للطبع لا ريب في ذلك ولا انكر على طالبها ومؤثر شهواتها، ولكن ينبغي له أن ينظر في

كسبها ويعلم وجه أخذها، ليسلم له عاقبة لذته. والا فلا خير في لذة من بعدها النار. وهل عد في العقلاء قط من قبيل له اجلس في المملكة سنة ثم تقتلك، هيهات بل الأمر بالعكس وهو أن العاقل من صابر مرارة الجهد سنة بل سنين ليستريح في عاقبته، وفي الجملة أف للذة أعقت عقوبة وقد أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال أخبرنا أبو بكر الخطيب قال أخبرنا الحسن ابن أبي طالب قال حدثنا يوسف بن عمر القواس قال حدثنا الحسين بن اسماعيل املاء قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن مسامة البلخي قال حدثنا محمد بن علي القوهستاني قال حدثنا دلف بن أبي دلف. قال: رأيت كأن آتيا أتى بعد موت أبي فقال: أجب الامير. فقمتم معه فادخلني دار وحشة وعرة سوداء الحيطان مقلعة السقوف والابواب ثم أصعدني درجا فيها ثم أدخلني غرفة فاذا في حيطانها أثر النيران، واذا في أرضها أثر الرماد واذا أبي عريان واضعا رأسه بين ركبتيه فقال لي كالمستفهم: دلف. قلت: نعم أصلح الله الامير؟ فأنشأ يقول:

أبلغن أهلنا ولا تخف عنهم  
قد سئلنا عن كل ماقد فعلنا  
أفهمت قلت: نعم؛ فانشاء يقول:

فلو انا اذا متنا تركنا  
ولكننا اذا متنا بعثنا  
لكان الموت راحة كل حي  
ونسأل بعده عن كل شيء

١٢٠ - فصل - الذات كلها بين حسي وعقلي: فنهاية اللذات الحسية واعلاها النكاح. وغاية اللذات العقلية العلم. فن حصلت له الغايتان في الدنيا فقد نال النهاية وأنا أرشد الطالب الى أعلا المطلوبين. غير أن للطالب

المرزوق علامة وهو أن يكون مرزوقاً علو الهمة وهذه الهمة تولد مع  
الطفل فتراه من زمن طفولته يطلب معالي الأمور . كما يروى في الحديث  
أنه كان أعبد المطلب مفرش في الحجر فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي  
وهو طفل فيجلس عليه فيقول . عبد المطلب : أن لابني هذا شأننا . فان قال قائل  
فاذا كانت لي همة ولم أرزق ما اطلب فما الحيلة ؟ - فالجواب - انه اذا امتنع الرزق  
من نوع لم يمتنع من نوع آخر ، ثم من البعيد ان يرزقك همة ولا يعينك فانظر  
في حالك فاعمله أعطاك شيئاً ما شكرته ، او ابتلاك بشيء من الهوى ما صبرت  
عنه . واعلم أنه ربما زوى عنك من لذات الدنيا كثيراً ليوثر ك على لذات العلم  
فانك ضعيف ربما لا تقوى على الجمع فهو أعلم بما يصلحك ، وأما ما اردت  
شرحه لك فان الشاب المبتدى في طلب العلم ينبغي له أن يأخذ من كل علم  
طرفاً ويعمل علم الفقه الأهم ، ولا يقصر في معرفة النقل ، فيه تبين سير  
الكاملين واذا رزق فصاحة من حيث الوضع ثم أضيف إليها معرفة اللغة  
والنحو فقد شحذت شفرة لسانه على أجود مسن . ومتى أدى العلم لمعرفة الحق  
وخدمة الله عز وجل فتحت له أبواب لا تفتح لغيره ، وينبغي له بالتواضع  
أن يجعل جزءاً من زمانه معروفاً الى توفير الاكتساب والتجارة ، مستنبها  
فيها غير مباشر لها مع التدبير في العيش الممتنع من الاسراف والتبذير  
فان رواية العلم والعمل به الي درجة المعرفة لله عز وجل ، وربما شغلته  
لذة ما وصل اليه عن كل شيء . وبالها حالة سليمة من آفة ، وان وجد من  
طبعه منازعا الى الشوق في النكاح فليتخير السراري فان الحرائر في الاغاب  
غل وليعزل عن المملوكات الى أن يجرب خلقهن ودينهن ، فان رضين طلب  
الولد منهن والا فلا استبدال بهن سهل ولا يتزوج حرة الا أن يعام انها تصبر على

التزويج عليها والتسرى، وليكن قصده الاستمتاع بها لا إجهاد النفس في  
الانزال. فان ذلك يهدم قوته فيضعف الاصل فهذه الجامعة من لذتي  
الحس والعقل ذكرتها على وجه الاشارة وفهم الذكي يملئ عليه ما لم أشرحه.

١٢١ - فصل - في تعليم حفظ العلم: أعلم أن المتعلم يفتقر الى دوام  
الدراسة ومن الغلط الانهماك على الاعادة ليلا ونهارا فانه لا يلبث صاحب هذه  
الحال الا أياما ثم يفتر أو يمرض. وقد روينا ان الطبيب دخل على أبي بكر  
ابن الانباري في مرض موته فنظر الى مائه وقال: قد كنت تفعل شيئا لا يفعله  
احد ثم خرج فقال: ما يجيء منه شيء. فقليل له: ما الذي كنت تفعل: قال كنت  
اعيد كل اسبوع عشرة آلاف ورقة. ومن الغلط حفظ الكثير أو الحفظ من  
فنون فان القاب جارحة من الجوارح وكما أن من الناس من يحمل المائة  
رطل ومنهم من يعجز عن عشرين رطلا، فكذلك القلوب فليأخذ الانسان  
على قدر قوته ودونها فانه اذا استنفذها في وقت ضاعت منه اوقات كما أن  
الشهه بأكل فضل لقيمات فيكون سببا الى منع أكلات، والصواب أن يأخذ  
قدر ما يطيق ويعيد في وقتين من النهار والليل ويرفه القوى في بقية الزمان  
والدوام أصل عظيم. فكم بمن ترك بعد الحفظ فضع زمن طويل في استرجاع  
محفوظ قد نسي، وللحفظ اوقات من العمر فافضلها الصبا وما يقاربه من  
اوقات الزمان، وافضلها اعادة الاسحار وانصاف النهار، والغدوات خير من  
العشيات. واوقات الجوع خير من اوقات الشبع. ولا يحمد الحفظ بحضرة  
خضرة وعلى شاطئ نهر، لأن ذلك يلهي والاماكن العالية للحفظ خير من  
السواقل، والخلوة أصل وجمع المهم أصل الاصول، وترفيه النفس من الاعادة  
يوما في الاسبوع ليثبت المحفوظ وتأخذ النفس قوة كالبنيسان يترك أياما

حتى يستقر ثم يبني عليه ، وتقليل المحفوظ مع الدوام أصل عظيم ، وان لا يشرع في فن حتى يحكم ما قبله ومن لم يجد نشاطا للحفظ فليتركه . فان مكابرة النفس لا تصلح ، واصلاح المزاج من الاصول العظيمة فان للما كولات أقرأ في الحفظ قال الزهرى : ما أكلت خلا منذ عاجلت الحفظ وقيل لابي حنيفة بم يستعان على حفظ الفقه . قال : يجمع الهم . وقال حماد بن سلمة : بقلة الهم وقال مكحول : من نظف ثوبه قل هم ، ومن طابت ريحته زاد عقله ، ومن جمع بينهما زادت مروءته . وأختار للمبتدى في طلب العلم أن يداغ النكاح معها أمكن فان أحمد بن حنبل لم يتزوج حتى تمت له أربعون سنة وهذا لاجل جمع الهم فان غلب عليه الأمر تزوج واجتهد في المدافعة بالفعل لتتوفر القوة على اعادة العلم ، ثم لينظر ما يحفظ من العلم فان العمر عزيز والعلم عزيز . وان أقواما يصرفون الزمان الى حفظ ما غيره أولى منه . وان كان كل العلوم حسنا ولكن الاولى تقديم الهم والافضل ، وأفضل ما تشوغل به حفظ القرآن ثم الفقه وما بعد هذا بمنزلة تابع ومن رزق يقظة دلته يقظته فأم يحتج الى دليل ، ومن قصد وجه الله تعالى بالعلم ذله المقصود على الاحسن «واتقوا الله ويعلمكم الله» .

١٢٢ - فصل - من أراد دوام العافية والسلامة فليتق الله عز وجل ، فانه ما من عبد أطاق نفسه في شيء يتنافيه التقوى وأن قل إلا وجد عقوبته عاجلة أو آجلة ، ومن الاعتذار أن تسيء فترى احسانا فتظن انك قد سوحت ، وتنسى : «من يعمل سوءا يجز به» ودر بما قالت النفس انه يغفر فتساحت ولا شك انه يغفر ولكن لمن يشاء . وأنا أشرح لك حالا فتأمله بفكرك تعرف معنى المغفرة . وذلك أن من هفا هفوة لم يقصدها ولم يعزم عايبها

قبل الفعل ولا عزم على العود بعد الفعل ثم انتبه لما فعل فاستغفر الله كان  
 فعله وان دخله عمدا في مقام خطأ، مثل - ان يعرض له مستحسن فيغلبه الطبع  
 فيطلق النظر ويتشاغل في حال نظره بالتذاذ الطبع عن تلمح معنى النهي،  
 فيكون كالتائب أو كالسكران فاذا انتبه لنفسه ندم على فعله فقام الندم  
 بغسل تلك الأوساخ التي كانت كأنها غلطة لم تقصد. فهذا معنى قوله تعالى:  
 « اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ». فاما المداوم  
 على تلك النظرة المرددة لها، المصر عليها، فكأنه في مقام متعمد للنهي مبارزا  
 بالخلاف فالعفو يبعد عنه بمقدار اصراره، ومن البعد أن لا يرى الجزاء على  
 ذلك كما قال ابن الجلاء: رأيت شيخى وأنا قائم أتأمل حدثا نصرانيا فقال:  
 ما هذا؟ اترين غيبها ولو بعد حين. فنسيت القرآن بعد أربعين سنة.  
 واعلم أنه من أعظم المحن الاعترار بالسلامة بعد الذنب، فان العقوبة  
 تتأخر. ومن أعظم العقوبة الا يحس الانسان بها. وان تكون في سلب  
 الدين وطمس القلوب وسوء الاختيار للنفس، فيكون من آثارها سلامة  
 البدن وبلوغ الاغراض. قال بعض المتبرين اطالقت نظرى فيما لا يحل لى ثم  
 كنت انتظر العقوبة فاجئت الى سفر طويل لانية لى فيه، فلقيت المشاق.  
 ثم أعقب ذلك موت أعز اخلق عندى، وذهاب أشياء كان لها وقع عظيم  
 عندى، ثم تلافيت امرى بالتوبة فصلح حالى. ثم عاد الهوى فيحملنى على  
 اطلاق بصرى مرة أخرى، فطمس قلبى وهدمت رفته، واستلب منى ما هو  
 اكثر من فقد الاول، ووقع لى تعويض عن المفقود ما كان فقده اصلح. فلما  
 تأملت ما عوضت وما سلب منى صحت من ألم تلك السياط. فيها انا أنادى من  
 على الساحل: اخوانى احذروا لجة هذا البحر، ولا تغتروا بسكونه، وعليكم



بالساحل ولازموا حصن التقوى فالعقوبة مرة . واعلموا ان في ملازمة التقوى مرارات من فقد الاغراض والمشتبهات ، غير انها في ضرب المثل كالحمية تعقب صحة . والتخليط ربما جلب موت الفجأة وباللّٰه لو نتم على المزابيل مع الكلاب في طاب رضى المبتلى كان قليلا في نيل رضاه ، ولو باغتم نهاية الأمانى من أغراض الدنيا مع اعراضه عنكم كانت سلامتكم هلاكا وعافيتكم مرضا ، وصحتكم سقما والامر بأخره والعافل من تلمح العواقب ، وصابروا رحمكم الله تعالى هجير البلاء في أسرع زواله . والله الموفق إذ لا حول الا به ، ولا قوة الا بفضله .

١٢٣ - فصل - قدم الى بغداد جماعة من أهل البدع الاعاجم فارتقوا منابر التذكير للعوام ، فكان معظم مجالسهم أنهم يقولون ليس لله في الارض كلام . وهل المصحف الا ورق وعفص وزاج . وان الله ليس في السماء وان الجارية التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم اين الله ؟ كانت خرساء فاشارت الى السماء أى ليس هو من الاصنام التي تعبد في الارض ، ثم يقولون اين الحروفية الذين يزعمون أن القرآن حرف وصوت ، هذا عبارة جبريل . فما زالوا كذلك حتى هان تعظيم القرآن في صدور أكثر العوام ، وصار احدهم يسمع فيقول هذا هو الصحيح ؛ والا فالقرآن شيء يجيء به جبريل في كيس . فشكى الى جماعة من اهل السنة فقلت لهم اصبروا فلا بد للشبهات أن ترفع رأسها في بعض الأوقات ، وان كانت مدموغة . وللباطل جولة وللحق صولة والدجالون كثير . ولا يخلو بلد ممن يضرب البهرج على مثل سكة السلطان . قال قائل : فهاجوا بنا عن قولهم . قلت : اعلم وفقك الله تعالى ان الله عز وجل ورسوله قنعا من الخلق بالايان بالجميل ولم يكلفا معرفة التفاصيل أما لأن الاطلاع على التفاصيل

يخبط القائد وأما لأن قوى البشر تعجز عن مطالعة ذاك فأول ما جاء به  
 الرسول ﷺ إثبات الخالق ونزل عليه القرآن بالدليل على وجود الخالق بالنظر  
 في صنعه فقال تعالى: «أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا» وقال  
 تعالى: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون». وما زال يستدل على وجوده بمخلوقاته،  
 وعلى قدرته بمصنوعاته، ثم اثبت نبوة نبيه بمجزاته، وكان من اعظماها  
 القرآن الذي جاء به فمعجز الخلاق عن مثله واكتفى بهذه الادلة جماعة  
 من الصحابة ومضى على ذلك القرن الاول والمشرق صاف لم يتكدر. وعلم  
 الله عز وجل ما سيكون من البدع فبالغ في اثبات الادلة وملا بها القرآن،  
 ولما كان القرآن هو منبع العلوم، واكبر المعجزات للرسول، اكدا الأمر  
 فيه فقال تعالى: «وهذا كتاب أنزلناه مباركاً ونزل من القرآن ما هو شفاء».  
 فاخبر أنه كلامه بقوله تعالى: «يريدون أن يبدلوا كلام الله» وأخبر انه مسموع  
 بقوله تعالى: «حتى يسمع كلام الله». وأخبر أنه محفوظ فقال تعالى: «في لوح  
 محفوظ» وقال تعالى: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» واخبر  
 أنه مكتوب ومتلو فقال تعالى: «وما كنت تتوا من قبله من كتاب ولا تخطه  
 يمينك»، الى ما يطول شرحه من تعدد الآيات في هذه المعاني التي توجب  
 اثبات القرآن.

ثم نزه نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يكون اتى به من قبل نفسه .  
 فقال تعالى: «أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك» وتواعده لو فعل  
 فقال تعالى: «ولو تقول علينا بعض الأقاويل». وقال في حق الزاعم انه  
 كلام الخلق حين قال: «إن هذا الا قول البشر. سأصليه سقر». ولما  
 عذب كل امة بنوع عذاب تولاه بعض الملائكة كصيحة جبريل عليه

السلام بشمود ، وإرسال الريح على عاد ، والخسف بقارون ، وقلب جبريل دار لوط عليهما السلام ، وإرسال الطير الأبايل على من قصد تخريب الكعبة .  
تولى هو بنفسه عقاب المكذبين باقرآن فقال تعالى : « ذرني ومن يكذب بهذا الحديث » . « ذرني ومن خلقت وحيدا » . وهذا لأنه أصل هذه الشرائع والمثبت لكل شريعة تقدمت . لأن جميع الملل ليس عندهم ما يدل على صحة ما كانوا فيه الاكتابنا لأن كتبهم غيرت وبدلت . وقد علم كل ذي عقل أن القائل : « إن هذا إلا قول البشر » إنما أشار الى ما سمعه . ولا يختلف أولوا الأبواب وأهل الفهم للخطاب . أن قوله « وأنه » كناية عن القرآن ، وقوله : « نزل به » كناية أيضا عنه وقوله : « هذا كتاب » إشارة الى حاضر . وهذا أمر مستقر لم يختلف فيه أحد من القدماء في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم ، ثم دس الشيطان دسائس البدع فقال قوم : هذا المشار اليه مخلوق ، فثبت الامام احمد رحمه الله ثبوتنا لم يشته غيره على دفع هذا القول لئلا يتطرق الى القرآن ما يمحو بعض تعظيمه في النفوس ، ويخرجه عن الاضافة الى الله عز وجل . ورأى أن ابتداع ما لم يقل فيه لا يجوز استعماله فقال : كيف أقول ما لم يقل ، ثم لم يختلف الناس في غير ذلك ، الى أن نشأ على بن اسمعيل الأشعري . فقال مرة : بقول المعتزلة ، ثم عن له فادعى أن الكلام صفة قائمة بالنفس . فاجبت دعواه هذه أن ما عندنا مخلوق وزادت فخبطت العقائد فما زال اهل البدع يجوبون في تيارها الى اليوم .

والكلام في هذه المسئلة مرتب بذكر الحجج والشبه في كتب الاصول فلا أطيل به ههنا بل أذكر لك جملة تكفي من أراد الله هداه ، وهو أن الشرع قنع منا بالايان جملة وبتعظيم الظواهر ، ونهى عن الخوض

فيما يثير غبار شبهته ولا يقوى على قطع طريقه اقدم الفهم ، وإذ كان قد  
 نهى عن الخوض في القدر فكيف يجوز الخوض في صفات المقدّر؟ وما  
 ذلك إلا لأحد الأمرين اللذين ذكرتهما . إما خوف اثاره شبهة نزل  
 العقائد ، أو لأن قوى البشر تعجز عن إدراك الحقائق ، فإذا كانت ظواهر  
 القرآن تثبت وجود القرآن فقال قائل ليس ههنا قرآن . فقد رد الظواهر  
 التي تعب الرسول عليه السلام في إثباتها وقرر وجودها في النفوس ، وبماذا يحل  
 ويحرم ، وبيت ويقطع ، وليس عندنا من الله تعالى تقدم بشيء ، وهل  
 للمخالف دليل إلا أن يقول قال الله فيعود فيثبت مانفى . فليس الصواب لمن  
 وفق الا الوقوف مع ظاهر الشرع فان اعترضه ذو شبهة . فقال : هذا صوتك  
 وهذا خطك . فابن القرآن ؟ فليقل له : قد أجمعنا أنا وانت على وجود شيء  
 به نحتاج جميعا . وكما أنك تنكر على أن أثبت شيئا لا يتحقق لى اثباته حسا ،  
 فانا أنكر عليك كيف تنفى وجود شيء قد ثبت شرعا ، وأما قولهم هل فى  
 المصحف إلا ورق وعفص وزاج ، هذا كقول القائل : هل الآدمى اللحم  
 ودم ؟ هيهات ان معنى الآدمى هو الروح ، فمن نظر الى اللحم والدم وقف  
 مع الحسن . فان قال : فكذا أقول أن المكتوب غير الكتابة ، قلنا له : وهذا مما  
 ننكره عليك لأنه لا يثبت تحقيق هذا لك ولا لخصمك ، فان أردت بالكتابة  
 الجبر وتخطيطه فهذا ليس هو القرآن ، وان أردت المعنى القائم بذلك فهذا  
 ليس هو الكتابة ، وهذه الأشياء لا يصلح الخوض فيها فان مادونها لا يمكن  
 تحقيقه على التفصيل كالروح مثلا ، فانا نعلم وجودها فى الجملة ، فاما حقيقتها  
 فلا . فاذا جهلنا حقائقها كذا الصفات الحق أجهل ، فوجب الوقوف مع  
 السمعيات مع نفي مالا يليق بالحق ، لان الخوض يزيد الخائض تخييطا ولا

يفيده تحصيلا بل يوجب عايمه نفي ما يثبت بالسمع من غير تحقيق أمر عقلي ،  
فلاوجه للسلامة الا طريق السلف والسلام . وكذلك أقول أن اثبات الاله  
بظواهر الآيات والسنن ألزم للعوام من تحديتهم بالتنزيه وان كان التنزيه لازما .  
وقد كان ابن عقيل يقول : الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآي والسنن .  
لأنهم يأمنون بالاثبات فتى محو ناذك من قلوبهم زالت السياسات والحشمة  
ونهاقت العوام في الشبهة أحب الى من اغراقهم في التنزيه . لان التشبيه  
ينغمسهم في الاثبات . فيطمعوا ويخافوا شيئا قد أنسوا الى ما يخاف مثله  
ويرجى . فالتنزيه يرمى بهم الى النفي ولاطمع ولاخفاة من النفي ، ومن  
تدبر الشريعة رآها عامة للمكافين في التشبيه بالانفاظ التي لا يسطى ظاهرها  
سواه كقول الاعرابي : أو بضحك ربنا ، قل : نعم . فلم يكنهم من هذا القول .

١٢٤ - فصل - أعظم البلايا أن يعطيك همة عالية ويمنعك من  
العمل بمقتضاها ، فيكون من تأثير همتك الانفة من قبول ارفاق الخلق  
استثقالا لجل منهم ، ثم يبتليك بالفقر فتأخذ منهم ويلطف مزاجك ،  
فلا تقبل من المأكولات ماسهل احضاره ، فتحتاج الى فضل نفقة ، ثم  
يقلل رزقك ويعلق همتك بالمستحسنيات . ويقطع بالفقر السبيل اليهن .  
ويريك العلوم في مقام معشوق . ويضعف بدنك عن الاعادة ويحلى يديك  
من المال الذي تحصل به الكتب . ويقوى توفك الى درجات العارفين والزهاد ،  
ويجوجك الى مخالطة أرباب الدنيا وهذا البلاء المبين ، وأما الخسيس الهمة  
الذي لا يستنكف من سؤال الخاق ، ولا يرى الاستبدال بزوجه ، وبكتفي  
بيسير من العلم . ولا يتوق الى أحوال العارفين . فذاك لا يؤلمه فقد شيء ،  
ويرى ما وجد هو الغاية . فهو يفرح فرح الاطفال بالزخارف ، فما أهون

الأمر عليه . انما البلاء على العارف ذى الهمة العالية الذى تدعوه همته الى جمع الاضداد للتزيد من مقام الكمال ، وتقصير خطاه عن مدارك مقصوده فياله من حال ينفذ في طريقه زاد الصابرين ولولا حالات غفلة تعترى هذا المبتلى يعيش بها لكان دوام ملاحظته للمقامات يعنى بصره ، واجتهاده فى السلوك يحفى قدمه ، لكن ملاحظات الامداد له تارة يبلوغ بعض مراده وتارة بالغفلة عما قصد ، وهذا كلام عزيز لا يفهمه إلا أربابه ، ولا يعلم كنهه الا اصحابه .

١٢٥ - فصل - تراعت على نفسى فى طلبها شيئا من أغراضها بتأويل فاسد . فقلت لها : بالله عليك تصبرى . فى المعبر شغلا يحذر الفرق من كثرة الموج عن التنزه فى عجائب البحر . اذا هممت بفعل فقدرى حصوله ثم تلمحى عواقبه وما تجتنبين من ثمراته . فقل ذلك الندم على ما فعلت ، ولا يؤمن أن يشمر غضب الحق عز وجل وإعراضه عنك ، فاف للقاطع عنه ولو كان الجنة ، ثم أعلمى أيتها النفس أنه ما يمضى شىء جزافا . وان ميزان العدل تبين فيه الذرة فتلمح الأموال والاحياء ، وانظرى الى من نشر ذكره بالخير والشر ، وزيادة ذلك وتقصانه ، فسبحان من أظهر دليل الخلووات على أربابها ، حتى أن حبات القلوب تتعلق باهل الخير . وتنفر من أهل الشر . من غير مطالعة لشيء من أعمال الكل . قال ابليس : أوترك مرادك لاجل الخلق ؟ قلت : لا ؛ انما هذا بعض الثمرات الحاصلة من طريق الغرض . ونحن نرى من يمشى ثلاثين فرسخا ليقال ساع ، فالمتقى قد نال شرف الذكر وان لم يقصد نيل ذلك مترجحاله فى وزن الجزاء « سيجعل لهم الرحمن ودا » . قالت النفس : لقد أمرتني بالصبر على العذاب ، لأن ترك الاغراض عذاب

قلت: لك عن الغرض عوض. ومن كل متروك بدل. وأنت في مقام مستعبد ولا يصح للأجير أن يلبس ثياب الراحة في زمان الاستئجار، وكل زمان المتقى نهار صوم، ومن خاف العقاب ترك المشتبه، ومن رام القرب استعمل الورع، وللصبر حلاوة تبين في العواقب.

١٢٦ - فصل - من نازعته نفسه الى لذة محرمة فشفغله نظره اليها عن تأمل عواقبها وعقابها. وسمع هتاف العقل يناديه ويحك لا تفعل؛ فانك تقف عن الصعود. وتأخذ في الهبوط ويقال لك ابق بما اخترت فان شغله هواه فلم يلتفت الى ما قيل له، لم يزل في نزول، وكان مثله في سوء اختياره كالمثل المضروب: أن الكلب قال للأسد: يا سيد السباع. غير اسمي فانه قبيح. فقال له: أنت خائن لا يصلح لك غير هذا الاسم. قال: فجزبني. فاعطاه شقة لحم وقال: احفظ لي هذه الى غد وأنا أغير اسمك، فجاع وجعل ينظر الى اللحم ويصبر. فلما غلبته نفسه قال: وأي شيء باسمي، وما كلب الاسم حسن. فأكل، وهكذا الخسيس الهمة، القنوع باقل المنازل، المختار عاجل الهوى على آجل الفضائل، فالله الله في حريق الهوى اذا نار وانظر كيف تطفئه، فرب زلة في بر بوار، ورب أمر لم ينقلع، والفائت لا يستدرك على الحقيقة، فابعد عن أسباب الفتنة، فان المقاربة محنة لا يكاد صاحبها يسلم والسلام.

١٢٧ - فصل - رأيت اخلق كلهم في صف محاربة، والشياطين يرمونهم بنبل الهوى، ويضربونهم باسياف اللذة. فاما المخلطون فصرعى من أول وقت اللقاء، وأما المتقون ففي جهد جهيد من المجاهدة، فلا يدمع طول الوقوف في المحاربة من جراح فهم يجرحون ويداوون، الا ان القتل

محفوظ ، بلى ! أن الجراحة في الوجه شين باق فليحذر ذلك .

### ١٢٨ - فصل - الدنيا فسخ ، والجاهل بأول نظرة وقع ، فاما العاقل

المتقى فهو يصابر المجاعة . ويدور حول الحب ، والسلامة بعيدة . فكم من صابر واجتهد سنين ثم في آخر الأمر وقع ، فالحذر الحذر . فقد رأينا من كان على سنن الصواب ، ثم زل على شفير القبر .

### ١٢٩ - فصل - إعلموا اخواني ومن يقبل نصيحتي . أن للذنوب

تأثيرات قبيحة ، مراراتها تزيد على حلاوتها أضعافا مضاعفة ، والمجازى بالمرصاد لا يسبقه شيء ولا يفوته ، أو ليس يروى في التفسير . أن كل واحد من أولاد يعقوب عليهم السلام - وكانوا اثني عشر - ولد له اثنا عشر ولدا . الا يوسف فانه ولد له أحد عشر وجوزى بتلك الهمة فتقص ولدا ، فوا أسفا لمضروب بالسياط ما يحس بالالم ، ولمشخن بالجراح وما عنده من نفسه خيرا ولتقلب في عقوبات ما يدري بها ، ولعمرى أن أعظم العقوبة أن لا يدري بالعقوبة ، فوا عجبا للمغالط نفسه يرضى ربه بطاعة ويسرق معصية ، ويقول حسنة وسيئة ، ويك من كيسك تمفق ، ومن بضاعتك تهدم ، ووجه جاهك تشين ، رب جراحة قتلت ، ورب عثرة أهلكت ، ورب فارط لا يستدرك ، ويحك انتبه لنفسك ما الذي تنتظر باو بتك ؟ وماذا ترقب بتو بتك المشيب ؟ فها هو أو هن العظم وهل بعد رحيل الأهل والأولاد والأقارب . الا اللحاق . قدر أن ما تؤمله من الدنيا قد حصل ، فكان ماذا ؟ اما هو عاجل فشغلك عاجلا . ثم آخر جرعة اللذة شرقة . إما أن تفارق محبوبك ويفارقك فيالها جرعة مريرة تود عندها أن لو لم تراه .

آه لمحجوب العقل عن التأمل ، ولمصدود عن الورود ، وهو يرى النهل .



أما في هذه القبور نذير ، أما في كروور الزمان زاجر ؛ أين من ملك وبلغ المنى  
 فيما أمل . نادمهم في نادمهم . هيهات صموا عن مناديبهم . فلو أن ما بهم بالموت ،  
 إنما القبور رهنية . العمل حصل يامعدوما بالأمس . يامتلاشى الاشلاء في الغد .  
 بأى وجه تلقى ربك . أيساوى ماتناله من الهوى لفظ عتاب ؛ بالله ان الرحمة  
 بعد المعاتبة ، ربما لم تستوف قلع البغضة من صميم القلب ، فكيف ان  
 عقب العتاب عقاب . وقد أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال . أخبرنا  
 أبو بكر الخطيب ، قال أخبرنا محمد بن الحسين المعدل . قال أخبرنا أبو الفضل  
 الزهرى . قال أخبرنا أحمد بن محمد الزعفرانى قال حدثنا أبو العباس بن واصل  
 المقرئ . قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الصيرفى قال : رأى جار لنا يحيى بن  
 أكرم بعد موته في منامه فقال : ما فعل بك ربك ؟ فقال : وقفت بين يديه فقال  
 لى : سوءة لك يا شيخ . فقلت يارب : إن رسولك قال أنك لتستحى من أبناء  
 الثمانين أن تعذبهم وأنا ابن ثمانين أسير الله فى الارض . فقال لى : صدق  
 رسولى قد عفوت عنك . وفى رواية أخرى عن محمد بن سلم الخواص . قال :  
 رأيت يحيى بن أكرم فى المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين  
 يديه وقال لى يا شيخ السوء لولا شيبتك لأحرقتك بالنار ، والمقصود من هذا  
 النظر بعين الاعتبار ، هل يفى هذا بدخول الجنة فضلا عن لذات الدنيا . فنسأل  
 الله عز وجل أن ينهنا من رقعات الغافين . وأن يرينا الاشياء كماهى لنعرف  
 عيوب الذنوب والله الموفق .

١٣٠ - فصل - ضاق بى أمر أوجب غما لازما دائما ، واخذت  
 أبالغ فى الفكر فى الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه . فإرأيت  
 طريقا للخلاص . فعرضت لى هذه الآية : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » .

فعلت أن التقوى سبب للمخرج من كل نيم . فما كان الا أن هممت بتحقيق  
التقوى فوجدت المخرج ، فلا ينبغي للخواق أن يتوكل أو يتسبب أو يتفكر  
الا في طاعة الله تعالى . وامثال أمره ، فان ذلك سبب لفتح كل مرتج ، ثم  
أعجبه أن يكون من حيث لم يقدره المتفكر المحتال المدبر ، كما قال عز وجل :  
« ويرزقه من حيث لا يحتسب » . ثم ينبغي الممتقى أن يعلم أن الله عز وجل  
كافيه فلا يعاقب به بالاسباب ، فقد قال عز وجل : « ومن يتوكل على الله فهو  
حسيبه » .

١٣١ - فصل - من العجب الحاحك في طلب أغراضك وكلما زاد  
تعوبها زاد الحاحك . وكنسى انها قد تمتنع لا حداً أمرين ، اما المصلحتك فربما  
معجل أذى ، وأما لذنوبك فان صاحب الذنوب بعيد من الأجابة ، فنظف  
طرق الاجابة من أوساخ المعاصي ، وانظر فيما تطلبه هل هو لاصلاح دينك ،  
أو لجرد هواك . فان كان للهوى المجرّد . فاعلم ان من اللطف بك والرحمة لك ،  
تعويقه . وانت في الحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه فيمنع رفقاه . وان  
كان اصلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيره ، أو كان صلاح الدين بعدمه  
وفي الجملة تدبير الحق عز وجل لك خير من تدبيرك ، وقد يمنحك ما تهوى  
ابتلاء ليباوصبرك . فاره الصبر الجميل ترى عن قرب ما يسر ، ومتى نظفت  
طرق الاجابة من ادران الذنوب ، وصبرت على ما يقضيه لك . فكل ما يجري  
اصح لك ، عطاء كان أو منعا .

١٣٢ - فصل - يجب على من لا يدري متى يبغته الموت أن يكون  
مستعدا . ولا يغتر بالشباب والصحة ، فان أقل من يموت الاشياخ ، واكثر  
من يموت الشبان . ولهذا يتندر من يكبر ، وقد انشدوا :

يعمر واحد فيغير قوما وينسى من يموت من الشباب  
ومن الاغترار طول الأمل ، وما من آفة أعظم منه . فانه لولا طول  
الأمل ما وقع اهل اصلا . وانما يقدم المعاصي ويؤخر التوبة لطول الأمل  
وتبادر الشهوات وتنسى الانابة لطول الأمل . وان لم تستطع قصر الأمل  
فاعمل عمل قصير الأمل ، ولا تمس حتى تنظر فيما مضى من يومك ، فان رأيت  
زلة فامحها بتوبة ، أو خرقا فارقه باستغفار ، واذا اصبحت فتأمل ماضى  
في ليك ، واياك التسوييف فانه أكبر جنود ابليس :

وخذ لك منك على مهلة ومقبل عيشك لم يدبر  
وخف هجمة لا تقيل العنا روتطوى الورود على المصدر  
ومثل لنفسك أى الرعيل يضمك فى حلبة المحشر  
ثم صور لنفسك قصر العمر . وكثرة الاشغال . وقوة الندم على التفريط  
عند الموت . وطول الحسرة على البدار بعد الفوت . وصور ثواب الكاملين  
وانت ناقص ، والمجتهدين وانت متكاسل ، ولا تخل نفسك من موعظة  
تسمعها ، وفكرة تحدثها بها ، فان النفس كالفرس المتشيطان ان اهملت لجامه  
لم تأمن أن يرمى بك ، وقد والله دنستك هواؤك ، وضيعت عمرك . فالبدار  
البدار فى الصيانة ، قبل تلف الباقي بالصباية . فكلم تعرقل فى فسخ الهوى  
جناح حازم ، وكم وقع فى بئر بوار مخمور . ولا حول ولا قوة الا بالله .

١٣٣ - فصل - الحذر الحذر من المعاصي . فان عواقبها سيئة . وم  
من معصية لا يزال صاحبها فى هبوط ابدا مع تعثر اقدمه ، وشدة فقره  
وحسراته على ما يفوته من الدنيا ، وحسرة لمن نالها فلو قارب زمان جزائه  
على قبيحه الذى ارتكبه كان اعتراضه على القدر فى فوات اغراضه يعيد

العذاب جديدا ، فوا أسفا لمعاقب لا يحس بعقوبته ، وآه من عقاب يتأخر حتى ينسى سببه ، أو ليس ابن سيرين يقول : عبرت رجلا بالفقر فافتقرت بعد أربعين سنة . وابن الجلا يقول : نظرت الى شاب مستحسن فنتسيت القرآن بعد أربعين سنة فوا حسرة لمعاقب لا يدري ان أعظم العقوبة عدم الاحساس بها . فإله الله في تجويد التوبة عساها تكف كف الجزاء . والحذر الحذر من الذنوب خصوصا ذنوب الخلوات . فان المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه ، واصلح ما بينك وبينه في السر وقد اصلح لك أحوال العلانية ولا تقترر بستره أيها العاصي فربما يجذب عن عورتك ، ولا يحلمه فربما بغت العقاب ، وعليك بالقلق واللجاليه والتضرع . فان نفع شيء فذلك ، وتقوت بالحزن ، وتمزكأس الدمع ، واحفر بمعول الاسى قايب قلب الهوى لملك تذبطن من الماء ما يغسل جرم جرمك .

١٣٤ - فصل - اخواني : اسمعوا نصيحة من قد جرب وخبر ، انه بقدر اجلالكم لله عز وجل يحلكم ، وبمقدار تعظيم قدره واحترامه يعظم اقداركم وحرمتكم ، واقدر أيت والله من أنفق عمره في العلم الى أن كبرت سنه ، ثم تعدى بعض الحدود فهان عند الخلق . وكانوا لا ياتفتنون اليه مع غزارة علمه وقوة مجاهدته . ولقد رأيت من كان يراقب الله عز وجل في صبوته مع قصوره بالاضافة الى ذلك العالم . فعظم الله قدره في القلوب حتى علقته النفوس ، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير ، ورأيت من كان يرى الاستقامة اذا استقام فاذا زاغ مال عنه اللطف . ولولا عموم السر وشمول رحمة الكريم لافتضح هؤلاء المذكورون ، غير أنه في الاغلب تأديب أو تلطف في العقاب كما قيل :

ومن كان في سخطه محسنا فكيف يكون اذا ماضى  
غير ان العدل لا يجابي . وحاكم الجزاء لا يجور . وما يضيع عند الأميز شىء .  
١٣٥ - فصل - ايها المذنب اذا أحسست نفحات الجزاء فلا تكثرن  
الضجيج ، ولا تقوان قد تبت وندمت فهل لازال عنى من الجزاء ما أكره  
فاعل توبتك ما تحققت . وان للمجازاة زمانا يمتد امتداد المرض الطويل .  
فلا تنجع فيه الحيل حتى ينقض أوانه ، وان بين زمان : «وعصى» الى ابان :  
«فتلقى» مدة مديدة . فاصبر ايها الخاطيء حتى يتخلل ماء عينيك خلال ثوب  
القلب المتنجس . فاذا اعصرته كف الاسى . ثم تكررت دفع الغسلات .  
حكيم بالطهارة ، بقى آدم يبكي على زلله ثلاث مائة سنة ، ومكث أيوب عليه  
السلام في بلائه ثمانية عشرة سنة ، وأقام يعقوب يبكي على يوسف عليهما  
السلام ثمانين سنة وللبلايا أوقات ثم تنصرم ، ورب عقوبة امتدت الى  
زمان الموت . فاللازم لك أن تلازم محراب الانابة ، وتجلس جلسة المستجدي .  
وتجمل طعامك القلق ، وشر بك البكاء ، فربما قدم بشير القبول فارتدي يعقوب  
الحزن بصيرا . وان مت في سجن سجنك فربما ناب حزن الدنيا عن حزن  
الآخرة ، وفي ذلك ربح عظيم .

١٣٦ - فصل - الواجب على العاقل ان يحذر مغبة المعاصي فان نارها  
تحت الرماد . وربما تأخرت العقوبة ثم فجأت . وربما جاءت مستعجلة .  
فليبادر باطفاء ما أوقد من نيران الذنوب ، ولاماء يطفى تلك النار الا ما كان  
من عين العين ، اهل خصم الجزاء يرضى قبل أن يبت الحاكم في حكمه .

١٣٧ - فصل - واعجبنا من عارف بالله عز وجل يخافه ولو في تلف  
نفسه . هل العيش الامعه ؟ هل الدنيا والآخرة الاله ؟ أف لترخص في

فعل ما يكره لنيل ما يحب ، تالله لقد فاتته اضعاف ما حصل ، أقبل على ما أقوله  
ياذا الذوق هل وقع لك تعبير في عيش ، وتخييط في حال ، الاحال مخالفته :

ولا انثنى عزمي عن بابكم الا تعثرت باذيالي

اما سمعت تلك الحكاية عن بعض السلف انه قال : رأيت على سور  
بيروت شابا يذكر الله تعالى فقالت له : الك حاجة ؟ فقال : اذا وقعت لي  
حاجة سألته اياها بقلبي فقمضاها ، يارباب المعاملة بالله اعيكم لا تكذروا  
المشرب قفوا على باب المراقبة ووقوف الحراس وادفعوا مالا يصلح أن يبلج  
فيفسد ، واهجروا اغراضكم لتحصيل محبوب الحبيب ، فان اغراضكم تحصل  
على أنني أقول أف لمن ترك بقصد الجزاء اهذا شرط العبودية ، كلا ؟  
إنما ينبغي لي اذا كنت مملوكا أن أفعل ليرضى لاء أعطى ، فان كنت مجبا  
رأيت قطع الأراب في رضاه وصلا . أقبل نصحي يا مخدوعا بغيره ان  
ضعفت عن حمل بلاوته فاستغث به . وان أملك كرب اختياره فانك بين يديه .  
ولا تياس من روجه وان قوى خناق البلاء ، بالله أن موت الخادم في الخدمة  
حسن عند العقلاء .

إخواني لنفسى أقول : فمن له شرب معي فليرد ، أيتها النفس لقد أعطاك  
مالم تأمل . وبلغك مالم تطلب . وستر عليك من قبيحك مالم فاح ضجت  
المشام . فما هذا الضجيج من فوات كمال الاغراض . أمملوكة أنت أم حرة ؟  
أما علمت انك في دار التكليف وهذا الخطاب ينبغي أن يكون للجهال ،  
فاين دعواك المعرفة . أتراه لو هبت نفحة ، فاخذت البصر كيف كانت تطيب  
لك الدنيا ، وأسفا عليك لقد عشيت البصيرة التي هي اشرف . وما علمت  
كم أقول عسى ولعل ؟ وأنت في الخطا الى قدم ، قربت سفينة العمر من

ساحل القبر ، ومالك في المركب بضاعة تريح ، تلاعبت في بحر العمر ربح  
الضعف ففرقت تليفق القوى وكان قد فصلت المركب . بلغت نهاية الاجل  
وعين هواك تتلفت الى الصبا ، بالله عليك لا تشمتي بك الاعداء . هذا  
أقل الاقسام وأوفى منها ، ان اقول بالله عليك لا يفوتنك قدم سابق مع  
قدرتك على قطع المضمار الخلوة الخلوة واستحضري قرين العقل ، وجولي  
في حيرة الفكر . واستدركي صبابة الاجل قبل ان تميل بك الصبابة عن  
الصواب . واعجبا كلما صعد العمر نزلت . وكلما جد الموت هزلت . أتراك  
من ختم له بفتنة ، وقضيت عليه عند آخر عمره المحنة . كان اول عمرك  
خييرا من الاخير ، كنت في زمن الشباب اصاح منك في زمن أيام المشيب  
« وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » نسأل الله عز وجل  
مالا يحصل مطلوبنا الا به وهو نوفيقه انه سميع مجيب .

١٢٨ - فصل - قدرت في بعض الايام على شهوة للنفس هي عندها  
احلام من الماء الزلال في فم الصادي . وقال التأويل : ما ههنا مانع ولا معوق  
الانوع ورع ، وكان ظاهر الأمر امتناع الجواز . فرددت بين الأمرين ،  
فمنعت النفس عن ذلك . فبقيت حيرتي لمنع ما هو الغاية في غرضها من غير  
صاد عنه بحال الاحذر المنع الشرعي . ففقت لها : يا نفس والله ما من سبيل  
الى ما لا يؤمن من دونه ؟ فتقلقت ، فصحت بها كم وافقتك في مراد ذهبت  
لذته وبقي التأسف على فعله . فقدرى بلوغ الغرض من هذا المراد اليس  
الندم يبقى في مجال اللذة اضعاف زمانها ، فقالت : كيف اصنع : فقلت :  
صبرت ولا والله ما بي جلادة على الحب لكني صبرت على الرغم

وها أنا انتظر من الله عز وجل حسن الجزاء على هذا الفعل . وقد تركت باقي هذه الوجهة البيضاء . أرجو أن أرى حسن الجزاء على الصبر فاسطره فيه ان شاء الله تعالى . فانه قد يعجل جزاء الصبر وقد يؤخره ، فان عجل سطرته ، وان أخر فما أشك في حسن الجزاء لمن خاف مقام ربه ، فانه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، والله انى ما تركته الا الله تعالى ويكفينى تركه ذخيرة ، حتى لو قيل لى اذكرك يوماً آثرت الله على هواك . قلت : يوم كذا وكذا . فافتخرى أيتها النفس بتوفيتك من وفقك ، فكم قد خذل سواك . واحذرى أن تخذلى فى مثلها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وكان هذافى سنة إحدى وستين وخمسمائة ، فلما دخلت سنة خمسة وستين . عوضت خيراً من ذلك بما لا يقارب مما لا يمنع منه ورع ولا غيره . قلت : هذا جزاء الترك لاجل الله سبحانه فى الدنيا . ولأجر الآخرة خير والحمد لله .

١٣٩ - فصل - لا انكر على من طلب لذة الدنيا طريق المباح . لانه ليس كل احد يقوى على الترك ، انما المحنة من طلبها فلم يجدها ، او اكثر الامن طريق الحرام . فاجتهد فى تحصيلها ، ولم يبال كيف حصلت فهذه المحنة التى بنحس العقل فيها حقه ، ولم ينتفع صاحبه وجوده لانه لو وزن ما أوتر وعقابه طاشت كفة اللذة التى فنيت عند أول ذرة من جزائها ، وكم قدر رأينا ممن آثر شهوته فسلبت دينه فليعجب العاقل حين التصفح لاحوالهم كيف آثروا شيئاً ما اقامو معه ، وصاروا الى عقاب لا يفارقهم فالله الله فى بنحس العقول حقها . وينظر السالك ابن يضع القدم قرب مستعجل وقع فى بير بوار . ولتكن عين التيقظ مفتوحة فانكم فى صف حرب



لا يدري فيه من أين يتلقى النبيل ، فأعينوا أنفسكم ولا تعينوا عليها .

١٤٥ - فصل - الحق عز وجل أقرب الى عبده من حبل الوريد ، لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه ، فامر بقصد نيته ورفع اليدين اليه والسؤال له . فقلوب الجهال تستشعر البعد ، ولذلك تقع منهم المعاصي . اذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا ، والتمتعظون عاموا قربه فحضرتهم المراقبة وكفتهم عن الانبساط . ولولا نوع تغطية على عين المراقبة الحقيقية لما انبسطت كف بأكل ولا قدرت عين على نظر . ومن هذا الجنس « انه ليغاز على قلبي » ومتى تحققت المراقبة حصل الانس ، وإنما يقع الانس بتحقيق الطاعة ، لان المخالفة توجب الوحشة والموافقة مبسطة المستأنسين . فياللذة عيش المستأنسين . وبإخساره المستوحشين . وليست الطاعة كما يظن أكثر الجهال أنها في مجرد الصلاة والصيام . إنما الطاعة الموافقة بامثال الأمر واجتناب النهي . هذا هو الاصل والقاعدة الكلية . فكم من متعبد بعيد ، لانه مضيع الاصل وهادم للقواعد بمخالفة الامر وارتياب النهي . وإنما المحقق من أمسك ذؤابة ميزان المحاسبة للنفس فأدى ما عليه واجتنب ما نهى عنه . فان رزق زيادة تنفل والالم يضره والسلام .

١٤١ - فصل - الدنيا في الجملة معبر . فينبغي للانسان ان لا ينافس بلذاتها وأن يعبر الايام . فانه لو تفكر في كيفية الذبائح ووسخ من يباشرها وعمل الكامخ وغيرها من الماء كولات ما طابت له ، ولو تفكر في جولان اللقمة مختلطة بالزريق ما قدر على اساعتها . فلا يخلو من حالين . اما ان يريد التنعم باللذات المباحات ، او يريد دفع الوقت

بالضرورات. وأيهما طلب فلا ينبغي له ان يبحث فيما يناله عن باطنه ، فانه لو نظر الى عبورة الزوجة نبا عنها ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها : مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رآه منى . فينبغى للعاقل ان يكون له وقت معلوم يأمر زوجته بالتصنع له فيه ثم يغمض عن التفتيش ليطيب له عيشه ؛ وينبغي لها ان تتفقد من نفسها هذا فلا تحضره الا على احسن حال ، وبمثل هذا يدوم العيش . فاما اذا حصلت البذلة بانتهابها العيوب فنبت النفس وطلبت الاستبدال . ثم يقع في الثانية مثل ما يقع في الاولى . وكذلك ينبغي ان يتصنع لها كتصنعها له ليدوم الود بحسن الائتلاف . ومتى لم يجز الأمر على هذا في حق من له أنفة من شئ تنبو عنه النفس وقع في احد أمرين . اما الاعراض عنها . واما الاستبدال بها . ويحتاج في حالة الاعراض الى صبر عن اغراضه ، وفي حالة الاستبدال الى فضل مؤنة وكلاهما يؤذى . ومتى لم يستعمل ما وصفنا لم يطب له عيش في متعة . ولم يتقدر على دفع الزمان كما ينبغي .

١٤٢ - فصل - نازعتنى نفسى الى امر مكروه فى الشرع ، وجعلت تنصب لى التآويلات وتدفع الكراهة . وكانت تأويلاتها فاسدة ، والحجة ظاهرة على الكراهة . فلجأت الى الله تعالى فى دفع ذلك عن قلبى : وأقبلت على القراءة . وكان درسى قد بلغ الى سورة يوسف فافتحتها . وذلك الخاطر قد شغل قلبى حتى لا أدرى ما قرأ . فلما بانمت الى قوله تعالى « قال معاذ الله انه ربي احسن مشواى » انتبهت لها وكأنى خوطبت بها ، فأفقت من تلك السكرة ، ففقت بانفس أفهمت ؛ هذا حر يبيع ظلما فراعى حق من احسن اليه ، وسماه مالكا وان لم يكن عليه ملك ، فقال : انه ربي . ثم زاد فى بيان موجب كيف كفه

عما يؤذيه فقال : أحسن مثواى فكيف بك وأنت عبد على الحقيقة  
 لمولى مازال يحسن اليك من ساعة وجودك ، وأن ستره عليك الزلل  
 أكثر من عدد الحصى . افما تذكركين كيف ربك وعلمك ورزقك ودافع عنك ،  
 وساق الخير اليك ، وهدائك أقوم طريق ، ونجائك من كل كيد ، وضم الى حسن  
 الصورة الظاهرة جودة الذهن الباطن ، وسهل لك مدارك العلوم حتى نلت  
 فى قصير الزمان ما لم ينله غيرك فى طويله ، وجلى فى عرصة لسانك عرائس  
 العلوم فى حلق الفصاحة بعد أن ستر عن الخلق مقابحك ، فتلقوها منك  
 بحسن الظن ، وساق رزقك بلا كلفة تكاف ولا كدر من ، رغدا غير  
 نزر . فوالله ما أدرى اى نعمة عليك اشرح لك ، حسن الصورة وصحة الآلات ،  
 أم سلامة المزاج واعتماد التركيب ، أم لطف الطبع الخالى عن حساسة ،  
 أم الهام الرشاد منذ الصغر ، أم الحفظ بحسن الوقاية عن الفواحش والزلل ،  
 أم تجيب طريق النقل واتباع الأثر من غير جمود على تقليد لمعظم ، ولا  
 انحراط فى سلك مبتدع « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » كم كايد نصب  
 لك المكاييد فوقك ، كم عدو حط منك بالذم فرقاك ، كم أعطش من  
 شراب الامانى خلقا وسقاك ، كم أمات من لم يبلغ بعض مرادك وابقاك .  
 فانت تصبحين وتمسين سليمة البدن ، محروسة الدين ، فى تزيد من العلم  
 وبلوغ الامل ، فان منعت مرادا فرزقت الصبر عنه بعد ان تبين لك وجه  
 الحكمة فى المنع حتى يقع اليقين بان المنع أصاح . ولو ذهبت أعد من هذه  
 النعم ما نسخ ذكره امتلات الطروس ولم تنقطع الكتابة . وأنت تعلمين  
 ان ما لم اذكره أكثر . وان ما أوامأت الى ذكره لم يشرح . فكيف يحسن  
 بك التعرض بما يكرهه « معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه لا يفلح

١٤٣ - فصل - ما رأيت اعظم فتنة من مقاربة الفتنة وقل  
 أن يقاربها الا من يقع فيها . ومن حام حول الحمي يوشك أن يقع فيه .  
 قال بعض المعتبرين : قدرت مرة على لذة ظاهرها التحريم ويحتمل الاباحة ،  
 اذا الامر فيها مردد ، فجاهدت النفس فقالت : انت ماتقدر فلماذا تترك .  
 فقارب المقدور عليه فاذا تمكنت فتركت كنت تاركا حقيقة ، ففعلت  
 وتركت ، ثم عاودت مرة اخرى في تأويل ارتنى فيه الجواز وان كان الأمر  
 يحتمل . فلما وافقتها اثر ذلك ظلمة في قلبي لخوف ان يكون الامر محرما .  
 فرأيت انها تارة تقوى على بالترخص والتأويل ، وتارة اقوى عليها  
 بالمجاهدة والامتناع . فاذا رخصت لم آمن ان يكون ذلك الامر  
 محظورا . ثم ادى عاجلا تأثير ذلك الفعل في القلب . فلما لم آمن عليها  
 بالتأويل تفكرت في قطع طمعها من ذلك الامر المؤثر فلم أزدك الابان  
 قلت لها : قدرى ان هذا الأمر مباح قطعا . فوالله الذي لا اله الا هو لا عدت  
 اليه . فانقطع طمعها باليمين والمعاهدة ، وهذا ابغ دواء وجدته في امتناعها  
 لان تأويلها لا يبلغ الى ان تأمر بالحنث والتكفير . فاجود الاشياء قطع  
 اسباب الفتن وترك الرخص فيما يجوز اذا كان حاملا ومؤديا الى ما لا يجوز .  
 والله الموفق .

١٤٤ - فصل - لولا غيبة العاصي في وقت المعاصي كان كالمعاند ،  
 غير ان الهوى يحول بينه وبين الفهم للحال ، فلا يرى الاقضاء شهوته ،  
 والافلو لاحت له المخالفة خرج من الدين بالخلاف ، فانما يقصد هواه فيقع  
 الخلاف ضمنا وتبعاً . واكثر ما يقع هذا في مقاربة الفتنة . وقل من يسلم

عند المقاربة . لانه كتقديم نار الى حلقا . ثم لوميز العاقل بين قضاء  
 وطره لحظة وانقضاء باقي العمر بالخسرة على قضاء ذلك الوطر لما قرب  
 منه ولو أعطى الدنيا ، غير ان سكرة الهوى تحول بين الفكر وذلك . آه  
 كم من معصية مضت في ساعتها كأنها لم تكن ثم بقيت آثارها ، واقلها  
 ما لا يبرح من المرارة في الندم . والطريق الأظم في الحذر ان لا يتعرض  
 لسبب فتنة . ولا يقاربه . فن فهم هذا وبالغ في الاحتراز كان الى السلامة  
 أقرب .

١٤٥ -- فصل -- البلايا على مقادير الرجال . فكثير من الناس  
 تراهم ساكتين راضين بما عندهم من دين ودنيا ، واولئك قوم لم يرادوا  
 لمقامات الصبر الرفيعة ، او علم ضعفهم عن مقاومة البلاء فلطف بهم . انما  
 المحنة العظمى ان ترزق همة عالية لا تقنع منك الا بتحقيق الورع . وتجويد  
 الدين ، وكمال العلم . ثم تبغى بنفس تميل الى المباحات ، وتدعى أنها تجمع  
 بذلك همها ، وتشفى مرضها ، لتقبل مزاحة العلة على تحصيل الفضائل .  
 وهاتان الحالتان كضدين ، لان الدنيا والآخرة ضرتان . واللازم في  
 هذا المقام مراعاة الواجبات ، وان لا يفسح للنفس في مباح لا يؤمن ان  
 يتعدى منه اعراض عن واجب ورع . المبتلى بصحيح . فلان يبكي الطفل  
 خير من أن يبكي الوالد . واعلم ان فتح باب المباحات ربما جر أذى كثيرا  
 في الدين . فأوثق السمك قبل فتح الماء ، والبس الدرع قبل لقاء الحرب ،  
 وتلمح عواقب ما تجنى قبل تحريك اليد ، واستظهر في الحذر باجتنب  
 ما يخاف منه وان لم يتيقن

١٤٦ - فصل - ينبغى لطالب العلم أن يكون جل همته مصروفا

الى الحفظ والاعادة . فلو صحح صرف الزمان الى ذلك كان الأولى ،  
غير ان البدن مطية ، واعداد السير مظنة الاقطاع . ولما كانت القوى  
تكل فتحتاج الى تجديد ، وكان النسخ والمطالعة والتصنيف لا بد منه ، مع  
أن المهم الحفظ ، وجب تقسيم الزمان على الأمرين ، فيكون الحفظ في  
طرفي النهار وطرفي الليل ، ويوزع الباقي بين عمل بالنسخ والمطالعة ، وبين  
راحة للبدن وأخذ لحظه . ولا ينبغي أن يقع الغبن بين الشركاء ، فانه متى  
أخذ أحدهم فوق حقه أثر الغبن وبان اثره . وان النفس لنهرب الى النسخ  
والمطالعة والتصنيف عن الاعادة والتكرار ، لأن ذلك اشهى وأخف  
عليها . فليحذر الراكب من إهمال الناقة ، ولا يجوز له أن يحمل عليها مالا  
تطبيق . ومع العدل والانصاف يتأني كل مراد . ومن انحرف عن الجادة  
طالت طريقه . ومن طوى منازل في منزل أو شك أن يفوته ماجد لاجله .  
على أن الانسان الى التحريض أحوج لان <sup>(١)</sup> الفتور أولى من الجد . وبعد  
فالا لازم في العلم طلب المهم . فرب صاحب حديث حفظ مثلاً لحديث : من  
أتى الجمعة فليغتسل : عشرين طريقاً ، والحديث قد ثبت من طريق واحد ،  
فشغله ذلك عن معرفة آداب الغسل . والعمر أقصر وأنفس من أن يفرط  
منه في نفس . وكفى بالعقل مرشد الى الصواب من عضده التوفيق .

### ١٤٧ - فصل - اذا صح قصد العالم استراح من كلف التكليف

فان كثيراً من العلماء يأفون من قول لأدري ، فيحفظون بالفتوى جاههم  
عند الناس لثلاثي يقال جهلوا الجواب ، وان كانوا على غير يقين مما قالوا . وهذا  
نهاية الخذلان . وقد روى عن مالك بن انس أن رجلاً سأله عن مسألة

(١) كذا في النسخ الثلاثة

فقال : لا أدري ، فقال سافرت البلدان اليك ، فقال ارجع الى بلدك وقل  
سألت مالكا فقال لا أدري . فانظر الى دين هذا الشخص وعقله كيف  
استراح من السكفة ، وسلم عند الله عز وجل . ثم ان كان المقصود الجاه  
عندهم فقلوبهم بيد غيرهم . والله لقد رأيت من يكثُر الصلاة والصوم  
والصمت ، ويتخشع في نفسه ولباسه والقلوب تنبو عنه ، وقدره في النفوس  
ليس بذلك . ورأيت من يلبس فاخر الثياب وليس له كبير نفل ولا تخشع  
والقلوب تنهافت على محبته . فتدبرت السبب فوجدته السريرة . كما روى  
عن انس بن مالك أنه لم يكن له كبير عمل من صلاة وصوم ، وإنما كانت له سريرة .  
فن أصلح سريرته فاح عبير فضله . وعبقت القلوب بنشر طيبه . فآله الله  
في السرائر . فانه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر .

١٤٨ - فصل - نزلت في شدة وأكثرت من الدعاء أطلب الفرج  
والراحة ، وتأخرت الاجابة ، فآزعجت النفس وقلقت ، فصحت بها ويالك ،  
تأملى أمرك . أمملوكة أنت أم حرة مالكة ؟ أم مدبرة أنت أم مدبرة ؟  
أما علمت أن الدنيا دار ابتلاء واختبار ، فإذا طابت أغراضك ولم تصبري  
على ما ينافي مرادك فاين الابتلاء . وهل الابتلاء الا الاعراض وعكس  
المقاصد . فافهم معنى التكليف وقدهان عليك ماعز ، وسهل ما استصعب .  
فلما تدبرت ما فاتته سكنت بعض السكون . فقلت لها : وعندي جواب  
ثان وهو انك تقتضين الحق باغراضك ولا تقتضين نفسك بالواجب له .  
وهذا عين الجهل . وإنما كان ينبغي أن يكون الامر بالعكس ، لانك مملوكة  
والمملوك العاقل يطالب نفسه باداء حق المالك ، ويعلم أنه لا يجب على  
المالك تبليغه ما بهوى . فسكنت اكثر من ذلك السكون . فقلت لها :

وعندي جواب ثالث . وهو أنك قد استبطأت الاجابة وانت سدوت  
 طرقها بالمعاصي . فلو قد فتحت الطريق أسرع ، كأنك ما علمت أن سبب  
 الراحة التقوى . أو ما سمعت قوله تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجا  
 ويرزقه » ، « يجعل له من أمره يسرا » ، أو ما فهمت أن العكس بالعكس ؟  
 آه من سكر غفلة صار أقوى من كل سكر في وجهه مياه المراد بمنعها  
 من الوصول الى من زرع الاماني . فعرفت النفس أن هذا حق فاطمأنت .  
 فقلت : وعندي جواب رابع . وهو أنك تطلبين مالا تعلمين عاقبته  
 وربما كان فيه ضررك . فمثلك كمثلك طفل محموم يطالب الحلوى . والندبرك  
 أعلم بالمصالح . كيف وقد قال « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » ،  
 فلما بان الصواب للنفس في هذه الاجوبة ، زادت طمأننتها . فقات لها :  
 وعندي جواب خامس . وهو أن هذا المطلوب ينقص من أجرك ،  
 ويحط من مرتبتك . فنع الحق لك ما هذا سبيله عطاء منه لك . ولو أنك  
 طلبت ما يصاح آخرتك كان أولى لك . فأولى لك أن تفهمي ما قد شرحت  
 فقالت : لقد شرحت في رياض ما شرحت ، فهمت اذ فهمت .

١٤٩ - فصل - حضرنا بعض أعذية أرباب الاموال ، فرأيت  
 العلماء أذل الناس عندهم . فالعلماء يتواضعون لهم ويدلون لموضع طمعهم فيه ،  
 وهم لا يحفلون بهم لما يعلمونه من احتياجهم اليهم . فرأيت هذا عيبا في الفريقين .  
 أما في أهل الدنيا فوجه العتب أنهم كانوا ينبغي لهم تعظيم العلم . والسكن  
 لجهلهم بقدره فاتهم وآثروا عليه كسب الاموال . فلا ينبغي أن  
 يطلب منهم تعظيم مالا يعرفون ولا يعلمون قدره . وإنما أعود  
 باللوم على العلماء واقول : ينبغي لكم أن تصونوا أنفسكم التي شرفت



بالعلم عن الذل للانذال . وان كنتم في غنى عنهم كان الذل لهم  
والطلب منهم حراما عليكم . وان كنتم في كفاف فلم تؤثروا التنزه  
عن الذل بالعفة عن الخطام الفاني الحاصل بالذلة . الا انه يتخيل لى من هذا  
الامر ، انى علمت قلة صبر النفس على الكفاف والعزوف عن الفضول ، فان  
وجد ذلك منها فى وقت لم يوجد على الدوام . فالاولى للعالم أن يجتهد فى  
طلب الغنى ، ويبالغ فى الكسب ، وان ضاع بذلك عليه كثير من زمان طلب  
العلم . فانه يصون بعرضه عرضه . وقد كان سعيد بن المسيب يتجر فى الزيت  
وخلف مالا . وخلف سفيان الثورى مالا وقال لولائك لنممدلوانى . وقد سبق  
فى كتابى هذا فى بعض الفصول شرف المال ، ومن كان من الصحابة والعلماء  
يقننيه ، والسر فى فعلهم ذلك . وحى طالبى العلم على ذلك ما يبتته من أن  
النفس لا تثبت على التعفف ، ولا تصبر على دوام الزهد . وكم قد رأينا  
من شخص قويته عزيمته على طلب الآخرة فاخرج مافى يده ، ثم ضعفت  
فعاد يكتسب من أقبح وجه . فالاولى ادخار المال والاستغناء عن الناس .  
ويخرج الطمع من القلب . ويصفوا نشر العلم من شائبة ميل . ومن تأمل  
اخبار الاخيار من الاحبار وجدتم على هذه الطريقة . وانما سلك طريق  
الترفة عن الكسب من لم يثر عنده بذل الدين والوجه . فطلب الراحة  
ونسى انها فى المعنى عناء . كما فعل جماعة من جهال المتصوفة فى اخراج مافى  
أيديهم وادعاء التوكل . وما علموا أن الكسب لا ينافى التوكل . وانما  
طلبوا طريق الراحة وجعلوا التعرض للناس كسبا . وهذه طريقة مركبة  
من شيئين . أحدهما قلة الأنفة على العرض . الثانى قلة العلم .

لا يقصدون العصيان ، وإنما يقصدون موافقة هواهم ، فتبع العصيان تبعاً .  
 فنظرت في سبب ذلك الاقدام مع العلم بوقوع المخالفة فاذا به ملاحظتهم  
 لكرم الخالق . وفضله الزاخر . ولو أنهم تأملوا عظمته وهيبته ما انبسطت  
 كف بمخالفته . فانه ينبغي والله أن يحذر من أقل فعله تعميم الخلق بالموت ،  
 حتى القاء الحيوان البهيم للذبح ، وتعذيب الاطفال بالمرض ، وفقر العالم ،  
 وغنى الجاهل . فليعرض المقدم على الذنوب على نفسه الحذر ممن هذه صفته .  
 فقد قال الله تعالى « ويحذركم الله نفسه » وملاحظة أسباب الخوف أدنى الى  
 الأمان من ملاحظة أسباب الرجاء . فالتأفف آخذ بالحزم ، والراجي متعلق  
 بجبل طمع . وقد يخلف الظن .

١٥١ - فصل - رأيت عموم أرباب الاموال يستخدمون العلماء  
 يستذلونهم بشئ يسير يعطونهم من زكاة أموالهم . فان كان لأحدكم ختمة  
 قال فلان ما حضر . وان مرض قال فلان ما ردد . وكل منته عليه شئ نزر  
 يجب تسليمه الى مثله . وقد رضى العلماء بالذل في ذلك لموضع الضرورة فرأيت  
 ان هذا جهل من العلماء بما يجب عليهم من صيانة العلم . ودواؤه من جهتين .  
 احدهما القناعة باليسير . كما قيل : من رضى بالخل والبقل لم يستعبده أحد .  
 والثاني صرف بعض الزمان المصروف في خدمة العلم الى كسب الدنيا . فانه  
 يكون سبباً لاعزاز العلم ، وذلك أفضل من صرف جميع الزمان في طلب  
 العلم ، مع احتمال هذا الذل . ومن تأمل ما تأملته وكانت له أنفة قدر قوته .  
 واحتفظ بما معه ، اوسعى في مكتسب يكفه . ومن لم يأنف من مثل هذه  
 الاشياء لم يحظ من العلم الا بصورته دون معناه .

١٥٢ - فصل - مدار الامر كله على العقل . فانه اذا تم العقل

لم يعمل صاحبه الا على أقوى دليل . وثمرة العقل فهم الخطاب ، وتلمح المقصود من الامر . ومن فهم المقصود وعمل على الدليل كان كالباني على أساس وثيق . واني رأيت كثيرا من الناس لا يعملون على دليل . بل كيف اتفق . وربما كان دليلهم العادات . وهذا أقبح شيء يكون . ثم رأيت خلقا كثيرا لا يتبعون الدليل بطريق اثبانه كاليهود والنصارى ، فانهم يقلدون الآباء ولا ينظرون فيما جاء من الشرائع هل صحيح أم لا . وكذلك يثبتون الاله ولا يعرفون ما يجوز عليه مما لا يجوز ، فينسبون اليه الولد ، ويمنعون جواز تغييره ما شرع . وهو لاء لم ينظروا حق النظر لافي اثبات الصانع وما يجوز عليه ، ولا في الدليل على صحة النبوات ، فتقع أعمالهم ضائعة كالباني على رمل . ومن هذا القبيل في المعنى قوم يتعبدون ويتزهدون وينصبون أبدانهم في العلم باحاديث باطلة . ولا يسألون عنها من يعلم . ومن الناس من يثبت الدليل ولا يفهم المقصود الذي دل عليه الدليل . ومن هذا الجنس قوم سمعوا ذم الدنيا فزهدوا ، وما فهموا المقصود ، فظنوا أن الدنيا تدم لذاتها وان النفس تجب عداوتها ، فحملوا على أنفسهم فوق ما يطاق . وعذبوها بكل نوع . ومنعوا حظوظها . جاهلين بقول عليه الصلاة والسلام : ان لنفسك عليك حقا . وفيهم من ادته الحال الى ترك الفرائض . ونحول الجسم . وضعف القوى . وكل ذلك لضعف الفهم للمقصود والتلمح المراد . كما روى عن داود الطائي انه كان يترك ماء في دن تحت الارض فيشرب منه وهو شديد الحر . وقال لسفيان اذا كنت تأكل اللذيذ الطيب ، وتشرب الماء البارد المبرد ، فتي تحب الموت والقدوم على الله . وهذا جهل بالمقصود . فان شرب الماء الحار يورث امراضا في البدن ولا يحصل به الري . وما أمرنا

بتعذيب انفسنا في الصورة، بل بخلاف ماتدعو اليه من مانهى الله عنه  
 وفي الحديث الصحيح: أن ابا بكر رضى الله عنه لما حلب له الراعى في  
 طريق الهجرة صب الماء على القدح حتى برد أسفله، ثم سقى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم، وفرش له في ظل صخرة. وكان يستعذب لرسول  
 الله صلى الله عليه وسلم الماء. وقال: ان كان عندكم ماء بات في شن والا  
 كرعنا. ولو فهم داود رحمه الله ان اصلاح عاف الناقة متعين لقطع النزل  
 لم يفعل هذا. ألا ترى الى سفيان الثورى فانه كان شديد المعرفة والخوف  
 وكان يأكل اللذيذ ويقول: ان الدابة اذا لم يحسن اليها لم تعمل. ولعل  
 بعض من لم يسمع كلامى هذا يقول: هذا ميل على الزهاد. فاقول:  
 كن مع العلماء وانظر الى طريق الحسن. وسفيان. ومالك. وابى حنيفة.  
 واحمد. والشافعى. وهؤلاء اصول الاسلام. ولا تقلد دينك من قل  
 علمه وان قوى زهده. واحمل امره على انه كان يطيق هذا ولا تقدر بهم  
 فيما لا تطيقه، فليس امرنا اليها. والنفس وديعة عندنا. فان انكرت  
 ماشرحته فانت ملحق بالقوم الذين انكرت عليهم. هذا رمز الى المقصود  
 والشرح يطول

١٥٣ - فصل - الواجب على العاقل أن يتبع الدليل ثم لا ينظر  
 فيما لا يجنى من مكروه. مثاله أنه قد ثبت بالدليل القاطع حكمة الخلق  
 عز وجل وملكه وتدييره. فاذا رأى الانسان عالما محروما. وجاهلا  
 مرزوقا، أوجب عليه الدليل المثبت حكمة الخالق التسليم اليه، ونسبة  
 العجز عن معرفة الحكمة الى نفسه. فان اقواما لم يفعلوا ذلك جهلا منهم،  
 أفترام بماذا حكموا بفساد هذا التديير؟ أليس بمقتضى عقولهم؟

أوما عقولهم من جملة مواهبه؟ فكيف يحكم على حكمته وتدييره ببعض مخلوقاته التي هي بالاضافة اليه انقص من كل شيء؟ ولقد بلغني عن اللعين ابن الراوندي انه كان جالسا على الجسر وفي يده رغيف يأكله ، فجازت خيل واموال فقال : لمن هذه ، فقيل لفلان الخادم . فجازت خيل واموال فقال : لمن هذه فقيل لفلان الخادم . فلما مر الخادم رأى شخصا محمقرا ، فرمى الرغيف الى ناحيته وقال : وهذا فلان ما هذا القسمة . ولو فكر المدبر لبات له وجوه اقلها جهله بمن يدعى معرفته وقلة تعظيمه . وذلك يوجب عليه أشد مما كان فيه من تضيق العيش . ولكنه ميراث ابليس ، حيث اعتقد سوء التدبير في تفضيل آدم عليه السلام . فالعجب من تلميذ يتمعلم على أستاذه ، ومن مملوك يتيه على سيده . ومما ينبغي ان يتبع فيه الدليل ولا يلتفت الى ماجنت الحمال ، ان العلم اشرف مكتسب . وقد رأى جماعة من الجهلة قلة حظوظ العلماء من الدنيا فازروا على العلم وقلوا لافائدة فيه . وذلك لجهلهم بمقدار العلم ، فان تابع الدليل لا يبالي ماجنى . وانما يبين الاختبار بفقد الغرض . ولو لم يكن من الدليل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم الا اعراضه عن الدنيا وتضيق العيش عليه ، ثم لم يخاف شيئا وحرم اهله الميراث . فدل على صدق طلبه لمطابو آخر . وربما رأى الجاهل قوما من العلماء يفعلون خطيئة فيزدري على العلم ويدعيه ناقصا وهذا غلط كبير . فليثق الله العاقل ويعمل بمقتضى العقل فيما يأمر به من طاعة الله تعالى والعمل بالعلم . وليعلم ان الابتلاء في الصبر على فوات المطلوبات ، ويلتزم اتباع الدليل وان جنى مكروها والله الموفق .

١٥٤ - فصل - قرأت سورة يوسف عليه السلام . فتعجبت من مدحه عليه السلام على صبره وشرح قصته للناس ورفع قدره بترك ما ترك، فتأملت خبيثة الأمر فاذا هي مخالفة الهوى المكروه . فقلت : واعجبا لو وافق هواه من كان يكون ، ولما قد خالفه لقد صار أمرا عظيما يضرب الامثال بصبره ، ويفتخر على الخلق باجتهاده . وكل ذلك قد كان بصبر ساعة فياله عزا وفخرا . يقاوم كل لحظة من ذكره امثال ساعة الصبر عن المحبوب . وبالعكس منه حالة آدم في موافقته هواه ، لقد عادت تقيصة في حقه ابدأ لولا التدارك فتاب عليه فنامحوا رحمهم الله عاقبة الصبر ونهاية الهوى . فالعقل من ميز بين الأمرين . الحلوين والمرين . فان من عدل ميزانه ولم تملم به كفة الهوى رأى كل الارباح في الصبر ، وكل الخسران في موافقة النفس . وكفى بهذا موعظة في مخالفة الهوى لاهل النهى والله الموفق

١٥٥ - فصل - رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب ، الا ان يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين . فاما مجرد العلم بالحلال والحرام فليس له كبير عمل في رقة القلب وانما ترق القلوب بذكر رقائق الاحاديث ، واخبار السلف الصالحين . لانهم تناولوا مقصود النقل ، وخرجوا عن صور الافعال المأمور بها الى ذوق معانيها والمراد بها . وما اخبرتك بهذا الا بعد معالجة وذوق . لاني وجدت جمهور المحدين وطلاب الحديث همه احدم في الحديث العالي وتكثير الاجزاء . وجمهور الفقهاء في علوم الجسد وما يغالب به الخصم . وكيف يرق القلب مع هذه الأشياء . وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر

الى سمته وهدية . لا لاقتباس علمه . وذلك ان ثمرة علمه هديه وسمته . فافهم  
 هذا و امزج طاب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا  
 ليكون سببا لرفقة قلبك . وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الاخير  
 كتابا فيه اخباره وآدابه . فجمعت كتابا في اخبار الحسن ، وكتابا في اخبار  
 سفيان الثوري ، و ابراهيم بن آدم ، وبشر الحافي ، و احمد بن حنبل ،  
 و معروف ، وغيرهم من العلماء والزهاد . والله الموفق للمقصود . ولا يصلح  
 العمل مع قلة العلم . فهما في ضرب المثل كسائق وقائد والنفس بينهما حرون  
 ومع جد السائق والقائد ينقطع المنزل . ونعوذ بالله من الفتور .

١٥٦ - فصل - ترخصت في شيء يجوز في بعض المذاهب  
 فوجدت في قلبي قسوة عظيمة . ونحاييل لي نوع طرد عن الباب ، و بعد  
 وظلمة تكاثفت . فقالت نفسي : ما هذا . أليس ما خرجت عن اجماع  
 الفقهاء . فقلت لها : يا نفس السوء جوابك من وجهين . احدهما أنك  
 تأولت ما لا تعتقدين فلو استفتيتي لم تفت بما فعلت . قالت : لو لم اعتقد  
 جواز ذلك ما فعلته . قلت : الا ان اعتقادك ما ترضينه لغيرك في الفتوى .  
 والثاني انه ينبغي لك الفرح بما وجدت من الظلمة عقيب ذلك ، لانه لولا  
 نور في قلبك ما أثمر مثل هذا عندك . قالت فلقد استوحشت بهذه الظلمة  
 المتجددة في القلب . قلت : فاعزمي على الترك وقدرى ما تركت جائزا بالاجماع ،  
 وعدى هجره ورعا ، وقد سلمت .

١٥٧ - فصل - ما أفادتني تجارب الزمان انه لا ينبغي لاحد ان يظاهر  
 بالعداوة أحدا مهما استطاع ، فانه ربما يحتاج اليه . وان الانسان قد لا يظن  
 الحاجة اليه يوما ما كما قد يحتاج الي عويد منبوذ لا يلتفت اليه . وكم من

محتقر احتيج اليه . وان لم تقع الحاجة الى ذلك الشخص في جاب نفع  
وقعت الحاجة في دفع ضرر . ولقد احتجت في عمري الى ملاطفة أقوام  
ماخطر لي قط وقوع الحاجة الى التلطف بهم . واعلم ان المظاهرة بالعداوة  
قد تجلب اذى من حيث لا يعلم . لان المظاهر بالعداوة كشاهر السيف  
ينتظر مضربا . وقد يلوح مضرب خفي ، وان اجتهد المتدرع في ستر نفسه  
فيغتنمه ذلك العدو . فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد في ان لا يظهر  
بالعداوة أحدا ما بينت من وقوع احتياج الخلق بعضهم الى بعض واقدار  
بعضهم على ضرر بعض . وهذا فصل مفيد تبيين فآيدته للانسان مع  
تغلب الزمان .

### ١٥٨ - فصل - رأيت النفس تنظر الى لذات أرباب الدنيا العاجلة

وتنسى كيف حصلت وما يتضمنها من الآفات . ويبان هذا انك ان رأيت  
صاحب امارة وسلطنة فتأملت نعمته وجدتها مشوبة بالظلم . فان لم يقصد  
هو حصل من عماله . ثم هو خائف منزعج في كل اموره حذرا من عدوان  
يسمه قاق ممن هو فوقه أن يعزله . ومن نظيره أن يكيدده ثم أكثر زمانه  
يمضي في خدمة من يخافه من السلاطين ، وفي حساب اموالهم ، وتنفيذ أوامرهم  
التي لا تخلوا من أشياء منكورة . وان عزل أربى ذلك على جميع مانال من  
لذة . ثم تلك اللذة تكون معمورة بالحذر فيها ومنها وعليها . وان رأيت  
صاحب تجارة رأيت قد تقطع في البلاد ، فلم ينل مانال الا بعد علو السن  
وزهاب زمان اللذة . كما حكى ان رجلا من أولاد الرؤساء كان حال شبيبته  
فقيرا ، فلما كبر استغنى وملك اموالا واشترى عبيدا من الترك وغيرهم  
وجوار من الروم فقال هذه الايات في شرح حاله :



ما كنت أرجوه اذ كنت ابن عشرينا      ملكته بعد أن جاوزت سبعينا  
 تطوف بي من الأتراك أغزلة      مثل الغصون على كشيان يبرينا  
 وخرد من بنات الروم رائمة      يحكين بالحسن حور الجنة العينا  
 يغمزني بأساريع منعمة      تكاد تعقد من أطرافها لينا  
 يردن أحياء ميت لا حراك به      وكيف يحيين ميتا صار مدقونا  
 قالوا أينك طول الليل يسهرنا      فما الذي تشكى قلت الثمانينا

وهذه الحالة هي الغالبة ، فان الانسان لا يكاد يجتمع له كل ما يحبه الا عند قرب رحيله ، فان بدر ما يجب في بداية شبابه فالصبوة مانهة من فهم التدابير في الالتذاذ ، والانسان في حالة الصبوة لا يدري أين هو الا ان يبلغ ، فاذا بلغ كانت همته في المنكوح كيف اتفق ، وان تزوج جاء الاولاد فمنعوه المدة وانكسر في نفسه وافتقر الى الكسب عليهم ، فبينما هو قد دعك في تلك المديدة القريبة الثلاثين وخطه الشيب فانفرق من نفسه لعله ان النساء ينفرقن منه كما قال ابن المعز بالله :

لقد أتعبت نفسي في مشيبي      فكيف تجبني الخرد الكعاب

فاذا فيهم المتمتع بالمستحسنيات ، وخرج عن طلب صورة النكاح ، لم يجد ما لا يبلغ به المراد ، فان كسب ضاع زمن تمتعه ، واذا تم المطلوب فالشيب أقبح قذى واعظم مبغض . ثم ان صاحب المال هو خائف على ماله ، محاسب لمعامله ، مذموم ان اسرف وان قتر ، ولده يرصد موته ، وجاريتة قد لا ترضى بشخصه ، وهو مشغول بحفظ حواشيه ، فقد مضى زمانه في محن ، واللذات فيها خلس معتادة لالذة فيها ، ثم في القيامة يحشر الامير والتاجر ، الا من عصم الله فياك اياك أن تنظر الى صورة نعيمهم فانه تستطيعه لبعده

عنك ، ولو قد نلته برد عندك ، ثم في ضمنه من محن الدنيا والآخرة مالا يوصف فعليك بالقناعة مهما أمكن ، ففيها سلامة الدنيا والدين . وقد قيل لبعض الزهاد وعنده خبز يابس : كيف تشتهي هذا . فقال : أتركه حتى أشتهيه .

١٥٩ - فصل - وقع بيني وبين أرباب الولايات نوع معاداة لاجل المذهب . فاني كنت في مجلس التذكير انظر ان القرآن كلام الله وأنه قديم ، وأقدم أبا بكر ، واتفق في أرباب الولايات من يميل الى مذهب الاشعري ، وفيهم من يميل الى مذهب الروافض ، وتماثوا على في الباطن ، فقلت يوما في مناجاتي للحق سبحانه وتعالى : سيدي نواصي السكل بيدك ، وما فيهم من يقدر لي على ضر ، إلا أن تجريه على يده ، وانت قلت سبحانه « وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله » وطببت قلب المبتلى بقولك : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » فان اجريت على أيدي بعضهم ما يوجب خذلاني كان خوفي على مانصرته أكثر من خوفي على نفسي ، لثلا يقال لو كان على حق ماخذل وان نظرت الى تقصيري وذنوبي فاني مستحق للخذلان ، غير اني اعيش بما نصرته من السنة ، فادخلني في خفارته ، وقد استودعني اياك خلق من صالحى عبادك ، فان لم تحفظني فاحفظني بهم . سيدي انصرني على من عاداني ، فانهم لا يعرفونك كما ينبغي ، وهم معرضون عنك على كل حال ، وأنا على تقصيري اليك انسب .

١٦٠ - فصل - روى عن الخلاج الصوفي انه كان يقعد في الشمس في الحر الشديد وعرقه يسيل ، فجاز بعض العقلاء فقال : يا أحمق هذا تقاوى على الله تعالى . وما أحسن مقال هذا ؛ فانه ما وضع التكليف الا على

خلاف الاغراض ، وقد يخرج صاحبه الى أن يعجز عن الصبر . فالجاهل  
الاحق من تقاوى ويسأل البلاء كما قال ذلك الابله : فكيف ماشئت  
فاختبرني .

### ١٦١ - فصل - والسعيد من ذل وسأل العافية ، فانه لا يوهب

العافية على الاطلاق فلا بد من بلاء ، فلا يزال العاقل يسأل العافية لتغلب على  
جمهور أحواله فيقرب الصبر على يسير البلاء . وفي الجملة ينبغي للانسان أن  
يعلم أنه لا سبيل الى محبوباته ، ففي كل جرعة غصص ، وفي كل لقمة شجاء :  
وكم من يعشق الدنيا قديما ولكن لا سبيل الى الوصال

وعلى الحقيقة ما الصبر الا على الافدار ، وقل ان تجرى الاقدار الاعلى  
خلاف مراد النفس : فالعاقل من دارى نفسه في الصبر بوعد الأجر ،  
وتسهيل الامر ، ليذهب زمان البلاء سالما من شكوى ، ثم يستغيث بالله  
تعالى سائلا العافية ، فاما المتجاد فاعرف الله قط . نعوذ بالله من الجهل به ،  
ونسأله عرفانه ، انه كريم مجيب .

### ١٦٢ - فصل - الجادة السليمة والطريق القويمه ، الاقتداء

بصاحب الشرع . والبدار الى الاستنان به ، فهو الكامل الذي لا نقص  
فيه فان خلفا كثيرا انحرفوا الى جادة الزهد ، وحملوا أنفسهم فوق الجهد ،  
فأفقوا في أواخر العمر ، والبدن قد نهك ، وفاتت أمور مهمة من العلم  
وغيره . وان أقواما انحرفوا الى صورة العلم فبالغوا في طابه ، فأفقوا في  
أواخر قدم ، وقد فاتهم العمل به . فطريق المصطفى صلى الله عليه وسلم العلم  
والعمل ، والتلطف بالبدن ، كما أوصى عبد الله بن عمر وعمر بن العاص وقال له :  
ان انفسك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، فهذه هي الطريق الوسطى

الفصل . فاما اليبس المجرد ، فكم فوت من علم ، لو حصل نيل به أكثر مما نيل  
بالعمل ، فان مثل العالم كرجل يعرف الطريق ، والعابد جاهل بها ، فيمشي  
العابد من الفجر الى العصر ، ويقوم العالم قبيل العصر فيلتقيان وقد سبق  
العالم فضل شوطه . فان قال قائل : يزيل هذا ، قلت : صورة التعبد خدمة لله  
تعالى ، وذلك له ، وربما لم يطالع العابد على معنى تلك الصورة ، لانه ربما ظن انه  
أهل لوجود الكرامة على يده ، وانه مستحق تقبيل يده ، أو انه خير من  
كثير من الناس ، وذلك كله ثقله العلم . وأعني بالعلم فهم أصول العلم ، لا كثرة  
الرواية ومطالعة مسائل الخلاف ، فاذا طالع العالم الاصولي ، سبق هذا العابد  
بحسن خاق ، ومداراة الناس ، وتواضعه في نفسه ، وارشاده الخلق الى الله  
تعالى ، فيعسر على هذا العابد ، وهو في ليل جهله بالحال راقد . ربما تزوج  
العابد ثم حمل نفسه على التجفف فخبس زوجته عن مطلوبها ولم يطلقها ،  
وصار كالتى حبست المرة فلاهى أطعمتها ولاهى أرسلتها تأكل من خشاش  
الارض . ومن تأمل حالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، رأى كاملا من الخلق  
يعطى كل ذى حق حقه ، فتارة يمزح ، وتارة يضحك ، ويداعب الاطفال ،  
ويسمع الشعر ، ويتكلم بالمعاريض ، ويحسن معاشرة النساء ، ويأكل ما قدر  
عليه وفتح له ، وان كان لذيذا كالعسل ، ويستعذب له الماء ، ويفرش له  
في الظل ، ولم ينكر ذلك . ولم يسمع عنه بمثل ما حدث بعده من جهال  
المتصوفة والمتزهدين ، من منع النفس شهواتها على الاطلاق . فقد كان  
يأكل البطيخ بالرطب ، ويقبل ، ويمص اللسان ، ويطلب المستحسنات . فاما  
أكل خبز الشعير ووزن الماء كوز ، ونجفيف البدن ، وهجر كل مشتى ، فانه  
تعذيب للنفس ، وهدم للبدن ، لا يقتضيه عقل ، ولا يمدحه شرع . وانما

اقتنع أقوام بالقليل ، لأسباب مثل ان حدثت شبهة فتمثلوا ، واختلط  
 طعام بطعام فتورعوا . ثم كان النبي صلى الله عليه وسلم يوفى العبادة  
 حقها بقيام الليل والاجتهاد في الذكر . فعليك بطريقته التي هي أكمل  
 الطرق بشرعته التي لا شوب فيها . ودع حديث فلان وفلان من  
 الزهاد ، واحمل أمرهم على أحسن محمل ، وأقم لهم الأعذار مهما قدرت ،  
 فان لم تجد عذرا فهم محجوجون بفعله ، اذ هو قدوة الخلق ، وسيد  
 العقلاء . وهل فسد الناس الا بالانحراف عن الشريعة ؛ ولقد حدثت  
 آفات من المتصوفة والمزهدين ، خرقوا بها شبكة الشريعة وعبروا ،  
 فمنهم من يدعي المحبة والشوق ، ولا يعرف المحبوب ، فتراه يصيح ويستغيث  
 ويمزق ثيابه ويخرج عن حد الشرع بدعواه ومضمونها . ومنهم من حمل  
 على نفسه بالجوع والصوم الدائم ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أنه قال لعبد الله بن عمر : صم يوما وافطر يوما ، فقال أريد أفضل من ذلك  
 فقال لأفضل . وفيهم من خرج الى السياحة فأفات نفسه الجماعة ،  
 وفيهم من دفن كتب العلم وقعد على يلى ويصوم ، ولم يعلم ان دفتها خطأ  
 قبيح ، لان النفس تغفل وتحتاج الى التذكير في كل وقت ، ونعم المذكر  
 كتب العلم . وانما دخل ابليس على كل قوم منهم من حيث قدر ، وكان مقصوده  
 بدفن الكتب اطفاء المصباح ، ليسير العابد في الظلمة . وما أحسن ما قال بعض  
 العلماء لرجل سأله فقال : أريد ان أمضى الى جبل الآكام ، فقال هذه  
 - هو كلة - وهذه كلمة عامية معناها حب البطالة . وعلى الحقيقة الزهاد في  
 مقام الخفافيش ، قد دفنوا انفسهم بالغرلة عن نفع الناس ، وهي حالة حسنة  
 اذا لم تمنع من خير من جماعة ، واتباع جنازة ، وعيادة مريض ، الا انها حالة

الجبناء ، فاما الشجعان فهم يتعامون ويعامون . وهي مقامات الانبياء عليهم السلام أترى كم بين العابدين اذ انزلت به حادثة وبين الفقيه ؛ بالله لو مال الخلق الى التعبد لضاعت الشريعة . على أنه لو فهم معنى التعبد لم يقتصر به على الصلاة والصوم فرب ماش في حاجة مسلم فضل تعبده ذلك على صوم سنة والعمل بالبدن سعى الآلات الظاهرة . والعلم سعى الآلات الباطنة من العقل والفكر والفهم ، فلذلك كان أشرف . فان قلت : كيف تدم المعتزلين للشر الى التعبد ؛ قلت : ما أذمهم ، بل حدثت منهم حوادث اقتضاها الجهل من الدعاوى والآفات التي سببها قلة العلم ، وحملوا على أنفسهم التي ليست لهم وعن غير اذن الأمر ما لم يجز حتى أن أحدهم يري أن فعل ما يؤذى النفس على الاطلاق فضيلة ، حتى قال بعض الحمقى : دخلت الحمام فوجدت غفلة ، فأليت أن لا أخرج حتى أصبح كذا وكذا تسييحة ، فطال الأمر فمرضت . وهذا رجل خاطر بنفسه في فعل ما ليس له . ومن المتصوفة والزهاد من قنع بصورة اللباس ، وركب من الجهل في الباطن ما لا يسمعه كتاب . طهر الله الارض منهم وأعان العلماء عليهم ، فان أكثر الحمقى معهم ، فلو أنكروا عالم على أحدهم مال العوام على العالم بقوة الجهل . ولقد رأيت كثيرا من المتعبدين وهو في مقام المعجزات يسبح تسميحات لا يجوز النطق بها ، ويفعل في صلواته ما لم ترد به السنة . ولقد دخلت يوما على بعض من كان يتعبد ، وقد أقام إماما وهو خلفه في جماعة يصلي بهم صلاة الضحى ويجهر ، فقلت لهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صلاة النهار عجباء ، فغضب ذلك الزاهد وقال : كم ينكر هذا علينا . وقد دخل فلان وأنكر وفلان وأنكر ، نحن نرفع أصواتنا حتى لا ننام ، فقلت : واعجبوا ومن قال لكم لا نناموا ، أليس في الصحيحين

من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : قم ونم ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام ، وامله ماضت عليه ليلة الإلارنام فيها . ولقد شاهدت رجلا كان يقال له حسين القزويني بجامع المنصور وهو يمشي في الجامع مشيا كثيرا دائما ، فسألت ما السبب في هذا المشي ؟ فقيل لي حتى لا ينام . وهذه كلها حماقات أو جبهات قلة العلم ، لانه اذا لم تأخذ النفس حظها من النوم اختلط العقل ، وفات المراد من التعبد لبعده الفهم . ولقد حدثني بعض الصالحين المجاورين بجامع المنصور ان رجلا اسمه كثير دخل عليهم الجامع فقال : اني عاهدت الله على أمر ونقضته ، وقد جعلت عقوبتي لنفسى أن لا آكل شيئا أربعين يوما . قال : فكث منها عشرة أيام قريب الحال يصلى في جماعة ، ثم في العشر الثاني بان ضعفه وكان يدارى الامر ، ثم صار في العشر الثالث يصلى قاعدا ، ثم استطرح في العشر الرابع ، فلما تمت الاربعون جيء بنقوع فشربه فسمعنا صوته في حلقه مثل ما يقع الماء على المقلا ، ثم مات بعد أيام . فقلت : بالله العجب ، انظروا ما فعل الجهل باهله ، ظاهر هذا انه في النار ، الا أن يعفى عنه . ولو فهم العلم وسأل العلماء لعرفوه انه يجب عليه أن يأكل ، وان ما فعله بنفسه حرام . ولكن من أعظم الجهل استبداد الانسان بعامه . وكل هذه الحوادث نشأت قليلا قليلا حتى تمكنت . فاما الشرب الاول فلم يكن فيه من هذا شيء ، وما كانت الصحابة تفعل شيئا من هذه الاشياء . وقد كانوا يؤثرون وياكلون دون الشبع . ويصبرون اذا لم يجدوا . فمن أراد الاقتداء فعليه برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ففي ذلك الشفاء والمطلوب . ولا ينبغي أن يخذ العاقل الى تقليد معظم شاع اسمه ، فيقول قال : ابو يزيد ، وقال الثوري ، فان المقلد

أعمى ، وكم قد رأينا أعمى يأنف من حمل عصا . فمن فهم هذا المشار اليه طلب  
الافضل والاعلى والله الموفق

١٦٣ - فصل - تأملت الدخول الذي دخل في ديننا في العلم والعمل  
فوأيته من طريقين قد تقدا هذا الدين وأنس بهما . فاما أصل الدخول  
في العلم والاعتقاد فن الفاسفة . وهو أن خلقا من العلماء في ديننا لم يقنعوا  
بما قنع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانعكاف على الكتاب والسنة ،  
فأوغلوا في النظر في مذاهب أهل الفاسفة وخاضوا في الكلام الذي حملهم  
على مذاهب ردية أفسدوا بها العقائد . وأما أصل الدخول في باب العمل  
فن الرهبانية ، فان خلقا من المترهدين أخذوا عن الرهبان طريق  
التقشف ولم ينظروا في سير نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وسمعوا ذم  
الدنيا وما فهموا المقصود ، فاجتمع لهم الأعراض عن علم شرعنا مع سوء  
الفهم للمقصود ، فحدثت منهم بدع قبيحة . فأول ما ابتدأ به ابليس أنه  
أمرهم بالأعراض عن العلم ، فدفنوا كتبهم وغسلوها ، وأزهم زاوية التعبد  
فيما زعم ، وأظهر لهم من الخزعبلات ما أوجب إقبال العوام عليهم فجعل  
الهمم هوام ، ولوعاموا أنهم منذ دفنوا كتبهم وفارقوا العلم انطق مصباحهم  
مافعلوا ، لكن ابليس دقيق المنقب وفي دفين تحت الارض . وبالعلم يعلم فساد  
الطريقين ويهتدى الى الاصوب . نسأل الله عز وجل أن لا يجر منا اياه فانه  
الثور في الظلم . والانيس في الوحدة . والوزير عند الحادثة

١٦٤ - فصل - أعوذ بالله من صحبة البطالين . لقد رأيت خلقا  
كثيرا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثير الزيارة ، ويسمون ذلك  
التردد خدمة ، ويطلبون الجلوس ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يعني ،



ويتخلله غيبة . وهذا شيء يفعلُه في زماننا كثير من الناس ، وربما طلبه المزور  
وتشوق اليه واستوحش من الوحدة ، وخصوصا في أيام التهاني والاعياد ،  
فتراهم يمشى بعضهم الى بعض ، ولا يقصرون على الهدوء والسلام بل  
يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان . فلما رأيت أن الزمان  
أشرف شيء ، والواجب انتهاءه بفعل الخير كرهت ذلك وبقيت معهم بين  
أمرين . ان انكرت عليهم وقمت وحشة لموضع قطع المألوف . وان  
تقبلته منهم ضاع الزمان ، فصرت ادافع باللقا جهدي ، فاذا غلبت قصرت  
في الكلام لأتعب الفراق . ثم اعددت اعمالا تمنع من المحادثة لأوقات  
لقائهم لثلاثي الزمان فارغا . فجعلت من المستعمل للقائهم قطع الكاغد  
وبرى الافلام ، وحزم الدفاتر ، فان هذه الاشياء لا بد منها ، ولا تحتاج الى  
فكر وحضور قلب ، فارصدها لاقوات زيارتهم ، لثلاثي ضيع شيء من  
وقتي . نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر ، وان يوقفنا  
لاغتنامه . ولقد شاهدت خلقا كثيرا لا يعرفون معنى الحياة . فمنهم من  
أغناه الله عن المكسب بكثرة ماله . فهو يقعد في السوق اكثر النهار ينظر  
الى الناس ، وكم تمر به من آفة ومنكر . ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج  
ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحوادث من السلاطين والغلاء والرخص  
الى غير ذلك . فعلمت ان الله تعالى لم يطلع على شرف العمر ومعرفة قدر  
أوقات العافية الا من وفقه والهمة اغتنام ذلك « وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »  
١٦٥ - فصل - رأيت من الرأي القويم ان نفع التصانيف اكثر  
من نفع التعاليم بالمشافهة ، لأنني أشافه في عمري عددا من المتعلمين واشافه  
بتصنيفي خلقا لا تحصى ما خلقوا بعد ودليل هذا ان ارتفاع الناس بتصانيف

المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشائخهم . فينبغي للعالم  
 أن يتوفر على التصانيف ان وفق للتصنيف المفيد ، فانه ليس كل من  
 صنف صنف ، وليس المقصود جمع شيء كيف كان . وانما هي اسرار  
 يطلع الله عز وجل عليها من شاء من عباده ويوفقه لكشفها ، فيجمع ما فرق  
 أو يرتب ما شئت ، أو يشرح ما اهل ، هذا هو التصنيف المفيد وينبغي  
 اغتنام التصنيف في وسط العمر ، لان اوائل العمر زمن الطلب ، وآخره  
 كلال الحواس . وربما خان الفهم والعقل من قدر عمره ، وانما يكون التقدير  
 على العادات الغالبة ، لأنه يعلم الغيب فيكون زمان الطلب والحفظ  
 والتشاغل الى الاربعين ، ثم يبتدىء بعد الاربعين بالتصانيف والتعليم . هذا  
 اذا كان قد بلغ ما يريد من الجمع والحفظ وأعين على تحصيل المطالب فاما  
 اذا قلت الآلات عنده من الكتب ، او كان في أول عمره ضعيف الطلب  
 فلم ينل ما يريد في هذا الأوان ، اخر التصانيف الى عام خمسين سنة . ثم  
 ابتداء بعد الخمسين في التصنيف والتعليم الى رأس الستين ، ثم يزيد فيما بعد  
 الستين في التعليم ويسمع الحديث والعلم ويعمل التصانيف الى أن يقع مهم  
 الى رأس السبعين ، فاذا جاوز السبعين جعل الغالب عليه ذكر الآخرة  
 والتهى للرحيل . فيوفر نفسه على نفسه الامن تعليم محتسبه ، او تصنيف  
 يفتقر اليه ، فذلك اشرف العدد للآخرة . ولتكن همته في تنظيم نفسه  
 وتهذيب خلاله ، والمبالغة في استدراك زلاته ، فان اختطف في خلال  
 ما ذكرنا فنية المؤمن خير من عمله ، وان بلغ الى هذه المنازل فقد بينا  
 ما يصلح لكل منزل . وقد قال سفيان الثوري : من بلغ سن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فليتخذ لنفسه كفننا . وقد بلغ جماعة من العلماء سبعاً وسبعين

سنة ، منهم احمد بن حنبل ، فان بلغها فليعلم أنه على شفيع القبر ، وان كل يوم يأتي بعدها مستطرف فان تمت له الثمانون فليجعل همته كلها مصروفة إلى تنظيف خلاله ، وتهيئة زاده ، وليجعل الاستغفار حليفه ، والذكر أليفه ، وليدقق في محاسبة النفس في بذل العلم ، أو مخالطة الخلق ، فان قرب الاستعراض للجيش يوجب عليهم الحذر من العارض . وليبالغ في إبقاء أثره قبل رحيله ، مثل بث علمه ، وإنفاق كتبه ، وشيء من ماله . وبعد من تولاه الله عز وجل علمه ، ومن أراد أهمه . نسأل الله عز وجل أن ينعم علينا بان يتولانا ولا يتولى عنا إنه قريب مجيب .

### ١٦٦ - فصل - رأيت عادات الناس قد غلبت على عملهم بالشرع ،

فهم يستوحشون من فعل الشيء لعدم جريان العادة لا لنهي الشرع ؛ فكم من رجل بوصف بالخير يبيع ويشترى ، فاذا حصلت له القراضة باعها بالصحيح من غير تقليد الامام ، أو عمل برخصة عادة من القوم ، واستنقلا للاستفتاء ونرى خلفا يحافظون على صلاة الرغائب ويتوانون عن الفرائض ، وكثيراً من المتصوفين لا يستوحشون من ظلم الناس ، ثم يتصدقون على الفقراء ، وربما توانوا عن إخراج الزكاة ، وتكاسلوا باستعمال التأويلات فيها ، ثم إذا حضر أحدكم مجلس وعظ بكى كأنه يصانع بتلك الحال . ومنهم من يخرج بعض الزكاة مصانعة عمالم بخرجه . ومنهم من يعلم أن أصل ماله حرام ، ويصعب عليه فراقه للعادة . وفيهم من يحلف بالطلاق ويحنت ويرى الفراق صعباً ، فربما تأول وربما تكاسل عن التأويل اتكالا على عفو الله تعالى ، ووعدا من النفس بالتوبة . ومنهم من يرى أن استعمال الشرع ربما كان سبباً في تضيق معاشه . وقد ألف التفسيح فلا يسهل عليه

فراق ماقد الف والعادات في الجملة هي المهلكة ولقد حضر عندي رجل شيخ ابن ثمانين سنة ، فاشترت منه دكانا وعقدت معه العقد ، فلما افترقنا غدر بعد أيام ، فطلبت منه الحضور عند الحاكم فاني ، فأحضرته فحلف باليمين الغموس أنه ما بعته ، فقلت ما تدور عليه السنة ، وأخذ يبرطل لمن يحول بيني وبينه من الظامة ، فرأيت من العوام من قد غلبت عليه العادات فلا يلتفت معها الى قول فقيه ، يقول هذا ما قبض الثمن فكيف يصح البيع ؛ وآخر يقول كيف يجوز لك ان تأخذ دكانه بغير رضاه ؛ وآخر يقول يجب عليك أن تقيله البيع ، فلما لم أقله أخذه وأقاربه يأخذون عرضي ، ورأى أنه يحامي عن ملكه ، ثم سمعني بي الى السلطان سعاية يحرص فيها من الكذب ما أدهشني ، ويبرطل مالا خلق من الظامة ، فبالغوا وسمعوا ، الا أن الله تعالى نجاني من شرهم . ثم أتت عليه البينة عند الحاكم ، فقال بعض أرباب الدنيا للحاكم لا تحكم له ، فوقف عن الحكم بعد ثبوت البينة عنده ، فرأيت من هذا الحاكم ومن حاكم آخر أعلى منه من ترك انفاذ الحق حفظا لرياستهم ماهوت عندي ما فعله ذلك الشيخ حفظا لماله لجهله وعلم هؤلاء ، فينجل لي من الأمر أن العادات غلبت على الناس ، وان الشرع أعرض عنه ، وان وقعت موافقة للشرع فكما اتفق اولاً جل العادة ، فان الانسان لو ضرب بالسياط ما أظفر في رمضان عادة قد استمرت ، ويأخذ اعراض الناس وأموالهم عادة ، فكيف قد رأيت هذا الشيخ يصلح ويحافظ على الصلاة ، ثم لما خاف فوت غرضه ترك الشرع جانبا ، ولم قد رأيت أولئك الحكام يتعبدون ويطلبون العلم . غير أنهم لما خافوا على رياستهم ان تزول تركوا جانب الدين . ثم ان الله تعالى نصرني عليه وتقدم الى الحاكم بانفاذ ما ثبت عنده ، ودرات السنة فات

الشيخ على قل . ففسأله عز وجل التوفيق للاقتياد لشرعه ومخالفة أهوائنا .  
**١٦٧ - فصل -** ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزا ولا شرفا ولا راحة  
 ولا سلامة أفضل من العزلة ، فانه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند  
 الله عز وجل وعند الخلق ، لأن الخلق يهون عليهم من بخالطهم ، ولا يعظم  
 عندهم قول المخالط لهم ، ولهذا عظم قدر الخلفاء لا حتجا بهم . واذا رأى العوام  
 أحد العلماء مترخصا في أمر مباح هان عندهم . فالواجب عليه صيانة علمه  
 وإقامة قدر العلم عندهم فقد قال بعض الساف : كنا نمزح ونضحك ،  
 فاذا صرنا يقتدى بنا فما أراه يسمننا ذلك ، وقال سفيان الثوري : تعلموا  
 هذا العلم وأكظموا عليه ، ولا تخطوه بهزل فتعجه القلوب ، فإعادة الناس  
 لا ينبغي أن تنكر . وقد قال صلى الله عليه وسلم إمامة : لولا حدثان قومك في الكفر  
 لنقضت الكعبة وجعات لها باين . وقال احمد بن حنبل في الركتين قبل  
 المغرب : رأيت الناس يكرهونها فتركتهما . ولا تسمع من جاهل يرى مثل  
 هذه الأشياء رياء . انما هذه صيانة للعلم . وبيان هذا أنه لو خرج العالم الى  
 الناس مكشوف الرأس أوفى يده كسرة يأكلها قل عندهم وان كان مباحا ،  
 فيصير بمثابة تخليط الطيب الأمر بالحلية ، فلا ينبغي للعالم أن ينسبط عند  
 العوام حفظا لهم ، ومتى أراد مباحا فليستتر به عنهم . وهذا القدر الذي لاحظته  
 ابو عبيدة حين رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قد قدم الشام راكبا  
 على حمار ورجلاه من جانب ، فقال : يا أمير المؤمنين يتلقاتك عضاء الناس ،  
 فما أحسن ما لاحظ ! الآن عمر رضى الله عنه أراد تأديب ابى عبيدة بحفظ  
 الأصل فقال : ان الله أعزكم بالاسلام فمهما طلبتم العز في غيره أذلكم .  
 والمعنى ينبغي أن يكون طلبكم العز بالدين لا بصور الافعال ، وان كانت

الصور تلاحظ ، فإن الانسان يخلو في بيته عريانا ، فاذا خرج الى الناس لبس ثوبين وعمامة ورداء ومثل هذا لا يكون تصنعاً ولا ينسب الى كبر . وقد كان مالك بن أنس يفتسل ويقطيب ويقعد للحديث . ولا تلتفت يا هذا الى ماترى من بذل العلماء على أبواب السلاطين ، فإن العزلة أصون للعالم والعلم ، وما يخسرهُ العلماء في ذلك أضعاف ما يربحونه . وقد كان سيد الفقهاء سعيد ابن المسيب لا يغشى الولاية ، وعن قول هذا سكتوا عنه . وهذا فعل الحازم . فإن أردت اللذة والراحة فعليك أيها العالم بقعر بيتك ، وكن معتزلاً عن أهلك يطب لك عيشك ، واجعل للقاء الأهل وقتاً ، فاذا عرفوه تصنعوا للقائك . فكانت المعاشرة بذلك اجود . وليكن لك بيت في بيتك تخلوفيه وتحادث سطور كتبك ، وتجري في حبايات فكرك ، واحترس من لقاء الخلق وخصوصاً العوام ، واجتهد في كسب يعفك عن الطمع . فهذه نهاية لذة العالم في الدنيا . وقد قيل لابن المبارك مالك لا تجالسنا ؟ فقال : انا ذهاب فاجالس الصحابة والتابعين ، وأشار بذلك الى أنه ينظر في كتبه . ومتى رزق العالم الغنى عن الناس والخلوة ، فإن كان له فهم يجلب التصانيف فقد تكاملت لذته وان رزق فهما يرتقى الى معاملة الحق ومناجاته فقد تعجل دخول الجنة قبل المات . نسأل الله عز وجل همة عالية تسمو الى الكمال ، وتوفيقاً لصالح الاعمال ، فالسالكون طريق الحق افراد .

١٦٨ - فصل - تأملت احوال الناس في حالة علو شأنهم فرأيت اكثر

الخلق تبين خسارهم حينئذ فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب . ومنهم من فرط في اكتساب العلم . ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات حينئذ فكلمهم نادم في حالة الكبر حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت ، أو قوى ضعفت

أوفضيلة فانت . فيمضى زمان الكبر في حسرات ، فان كانت للشيخ افاقة من  
ذنوب قدسلفت قال والسفاحلى ماجنيت ، وان لم يكن له افاقة صار متأسفا على  
فوات ما كان يلتذ به . فأما من انفق عصر الشباب فى العلم فانه فى زمن الشيخوخة  
يحمد جنى ماغرس ، ويلتذ بتصنيف ما جمع ، ولا يرى مايفقد من لذات البدن  
شيئا بالاضافة الى مايناله من لذات العلم ، هذا مع وجود لذاته فى الطلب الذى  
كان تأمل به ادراك المطلوب . وربما كانت تلك الاعمال اطيب مما نيل منها  
كما قال الشاعر :

أهتر عند تمي وصلها طربا ورب أمنية أحلى من الظفر  
ولقد تأملت نفسى بالاضافة الى عشيرتى الذين انفقوا اعمارهم فى  
اكتساب الدنيا ، وانفقت زمن الصبوة والشباب فى طلب العلم ، فرأيتنى  
لم يفتنى ما نالوه الا مالو حصل لى ندمت عليه ، ثم تأملت حالى فاذا عيشى  
فى الدنيا أجود من عيشهم . وجاهى بيز الناس أعلى من جاههم . وما نلتهم من  
معرفة العلم لا يقاوم . فقال لى ابليس : ونسيت تعبك وصهرك . فقلت  
له . ايها الجاهل ، تقطيع الأيدى لا وقع له عند رؤية يوسف ، وما طالت  
طريق أدت الى صديق :

جزى الله المسير اليه خيرا وان ترك المطايا كالمزاد  
ولقد كنت فى حلاوة طلبى العلم التى من الشدائد ما هو عندى  
احلى من العسل لاجل ما اطلب وارجو . كنت فى زمان الصبا آخذ معى  
أرغفة يابسة فاخرج فى طلب الحديث ، واقعد على نهر عيسى فلا قدر على  
اكلها الا عند الماء ، فكلمنا اكلت لقمة شربت عليها . وعين همتى لا ترى  
الا لذة تحصيل العلم . فأثمر ذلك عندى انى عرفت بكثرة سماحى لحديث

سير الرسول ﷺ واحواله وآدابه ، واحوال اصحابه وتابعيهم ، فصررت في معرفة طريقه كابن أجود ، واثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرك بالعلم ، حتى اني اذكر في زمان الصبوة ووقت الغلظة والعزبة قدرتي على أشياء كانت النفس تتوق اليها توقان العطشان الى الماء الزلال ولم يتمتعني عنها الا ما اثمر عندي من العلم من خوف الله عز وجل . ولولا خطايا لا يخلو منها البشر ، لقد كنت اخاف على نفسي من العجب ، غير أنه عز وجل صانني وعلمني واطاعني من اسرار العلم على معرفته ، وايتار الخلوة به ، حتى أنه لو حضر معي معروف وبشر لرأيتهما زحمة ثم عاد فغمسني في التقصير والتفريط حتى رأيت اقل الناس خيرا مني . وتارة يوقظني لقيام الليل ولذة مناجاه ، وتارة يحرمني ذلك مع سلامة بدني . ولولا بشارة العلم بان هذا نوع تهذيب وتأديب خرجت اما الى العجب عند العمل ، واما الى اليأس عند البطالة . لكن رجائي في فضله قد عادل خوفا منه . وقد يغلب الرجاء بقوة اسبابه ، لاني رأيت قد رباني منذ كنت طفلا ، فان ابني مات وانا لا اعقل به ، والام لم تلتفت الي . فركز في طبعي حب العلم ، وما زال يوقيني على المهم فالمهم ، ويحملني الى من يحملني على الاصوب ، حتى قوم أمرى . وكم قد قصصني عدو فصدته عني . واذا رأيت قد نصرني وبصرني ودافع عني ووهب لي قوى رجائي في المستقبل بما قدر رأيت في الماضي . ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر اكثر من مائة الف ، واسلم على يدي اكثر من مائة نفس ، وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل . ويحق لمن تلمح هذا الانعام ان يرجو التمام . وربما لاحت اسباب الخوف بنظري الى تقصيري وزللي .



ولقد جاست يوما فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم الامن  
 قدرق قلبه . اودمعت عينه . فقلت لنفسى : كيف بك ان نجوا وهلكت :  
 فصحت بلسان وجدى : الهى وسيدى ان قضيت على بالعباد غدا فلا  
 تعلمهم بعداى صيانة لكرمك لا لأجلى ، اثلا يقولوا عذب من دل عليه .  
 الهى قد قيل لنبيك صلى الله عليه وسلم : اقتل ابن ابى المنافق فقال :  
 لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه . الهى فاحفظ حسن عقائدكم فى  
 بكرمك ان تعلمهم بعداى الدليل عليك . حاشاك والله يا رب من  
 تكدير الصافى .

لا تبر عودا انت ريشته حاشا لىانى الجود ان ينقضا

لا تعطش الزرع الذى نبتته بصوب انعامك قد روضنا

١٦٩ - فصل - من الامور التى تخفى على العاقل ان يرى انه متى  
 لم يكن عنده امرأة او جارية يهواها هوى شديدا انه لا يلتذ فى الدنيا ، فاذا  
 صور محبوبا مملوكا تخايل لذة عظيمة ، واذا كان عنده من لا يميل اليه اعتقد  
 نفسه محروما ، وهذا أمر شديد الخفاء ، فينبغى ان يوضح . وهوان المملوك  
 مملوك . ومتى قدر الانسان على ما يشتميه مله ومال الى غيره ، تارة لبيان  
 عيوبه التى تكشفها المخالطة . فانه قد قال الحكماء : العشق العمى عن  
 عيوب المحبوب . وتارة لمكان القدرة عليه ، والنفوس لانزال تتطلع الى ما لا تقدر  
 عليه . ثم لو قدرنا دوام المحبة مع القدرة فانها قد تكون ولكن ناقصة  
 بمقدار القدرة ، وانما يقويها بنجى المحبوب . فيكون تجنبه كالامتناع ،  
 او امتناعه من الموافقة ، فاذا صفا فلا بد من أ كدار ، منها الحذر عليه ،  
 ومنها قلة ميله الى هذا العاشق ، وربما تكلف القرب منه بعلم الانسان

بقلة ميل محبوبه اليه ينغص بل يبغض ، فان خاف منه خيانة احتاج الى حراسته فقويت النغص ، واصلح المقدمات التوسط ، وهو اختيار ما تميل النفس اليه ولا يرتقى الى مقام العشق ، فان العاشق في عذاب . وانما يتخايل الفارغ من العشق التذاذ العاشق وليس كذلك . فانه كما قيل :

وما في الارض اشقى من محب      وان وجد الهوى عذب المذاق  
 تراه باكيا في كل وقت      مخافة فرقة او لاشتياق  
 فيبكي ان نأوا شوقا بهم      ويبكي ان دنوا خوف الفراق  
 فتسخن عينه عند التذاني      وتسخن عينه عند الفراق

١٧ - فصل - ما ابتلى الانسان قط بأعظم من علو هتمه . فان من عات هتمه يختار المعالي ، وقد لا يساعد الزمان ، وقد تضعف الآلة ، فيبقى في عذاب . واني أعطيت من علو الهمة طرفا فانابه في عذاب ، ولا اقول ليته لم يكن فانه انما يحاو العيش بقدر عدم العقل ، والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل . ولقد رأيت اقواما يصفون علو همهم ، فتأملتها فاذا بها في فن واحد . ولا يزالون بالنقص فيما هو أهم ، قال الرضي :

ولسكل جسم في النحول بلية      وبلاء جسمي من تفاوت همتي  
 فنظرت فاذا غاية أمله الأمانة . وكان ابو مسلم الخرساني في حال شببته لا يكاد ينام ، فقيل له في ذلك فقال : ذهن صاف ، وهم بعيد ، ونفس تتوق الى معالي الامور ، مع عيش كعيش الرماح . قيل : فما الذي يرد غلبتك . قال : الظفر بالملك . قيل فاطلبه ، قال : لا يطلب الا بالاهوال ، قيل فاركب الاهوال ، قال : العقل مانع ، قيل فما تصنع ؟ قال : سأجعل من عقلي جهلا ، واحاول به خطرا لا ينال الا بالجهل ، وادبر بالعقل ما لا يحفظ

الابه ، فان الخمول اخو العدم . فنظرت الى حال هذا المسكين فاذا به قد ضيع  
 أهم المهمات وهو جانب الآخرة ، وانتصب في طلب الولايات . فكيف فتك  
 وقتل حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا ، ثم لم يتنعم في ذلك من ثمان  
 سنين ، ثم اغتيل ونسى تدبير العقل فقتل ومضى الى الآخرة على أقيح حال .  
 وكان المتنبي يقول :

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه      ومركوبه رجلاه والثوب جلده  
 ولكن قلبا بين جنبي ماله      مدى ينتهي بي في مراد احده  
 ترى جسمه يكسى شنوفا تربه      فيختار أن يكسى دروعا تهده  
 فتأملت هذا الآخر فاذا نهيمته فيما يتعلق بالدنيا فحسب . ونظرت  
 الى علو همتي فرأيتها عجبا . وذلك اني أروم من العلم ما أتيقن أني لأصل  
 اليه ، لأنني احب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها ، وأريد استقصاء كل  
 فرد . هذا أمر يعجز العمر عن بعضه ، فان عرض لي همة في فن قد بلغ  
 منتهاه رأيتُه ناقصا في غيره . فلا أعد همته تامة . مثل المحدث فاته الفقه .  
 والفقيه فاته علم الحديث . فلا أرى الرضى بنقصان من العلوم الا حادثا  
 عن نقص الهمة . ثم اني أروم نهاية العمل بالعلم ، فاتوق الى ورع بشر ،  
 وزهادة معروف ، وهذا مع مطالعة التصانيف وافادة الخلق ومعاشرتهم  
 بعيد . ثم اني أروم الغنى عن الخلق ، واستشرف الافضال عليهم . والاشتغال  
 بالعلم مانع من الكسب . وقبول المنن مما تأباه الهمة العالية . ثم اني أتوق  
 الى طلب الاولاد ، كما أتوق الى تحقيق التصانيف ، لبقاء الخلفان نائبين  
 عني بعد التلف . وفي طلب ذلك ما فيه من شغل القلب المحب للتفرد . ثم  
 اني أروم الاستمتاع بالمستحسنات : وفي ذلك امتناع من جهة قلة المال ثم

لو حصل فرق جمع المهمة . وكذلك أطلب لبدني ما يصلحه من المطاعم  
 والمشارب ، فانه متعود للترفه واللفظ ، وفي قلة المال مانع ، وكل ذلك  
 جمع بين أضداد . فاين انا وما وصفته من حال من كانت غاية همته  
 الدنيا . وانا لأحب أن يחדش حصول شيء من الدنيا وجهه ديني بسبب .  
 ولا أن يؤثر في علمي ولا في عملي . فوافقني من طلب قيام الليل . وتحقيق  
 الورع مع اعادة العلم . وشغل القلب بالتصانيف . وتحصيل ما يلائم البدن  
 من المطاعم . ووا اسفى على ما يفوتني من المناجاة في الخلوة مع ملاقات الناس  
 وتعليمهم . وبا كدر الورع مع طلب ما لا بد منه للعائلة . غير اني قد استسلمت  
 لتعذبي ، واعل تهذيبي في تعذبي ، لان عليان المهمة تطلب المعالي المقربة  
 الى الحق عز وجل . وربما كانت الخيرة في الطلب دليلا الى المقصود .  
 وهانا أحفظ أنفاسي من ان يضع منها نفس في غير فائدة ، وان بلغ همي  
 مرده ، والافنية المؤمن أبغ من عمله .

١٧١١ - فصل - لما سطرت هذا الفصل المتقدم ، رأيت ادكار  
 النفس بما لا بد لها في الطريق منه ، وهو انه لا بد لها من التلطف ، فان قاطع  
 مرحلتين في مرحلة خليك بان يقف . فينبغي ان يقطع الطريق بألف  
 ممكن . واذا تعبت الرواحل نهض الحادى يغنيها ، واخذ الراحة للجديد .  
 وغوص السابح في طلب الدر صعود ، ودوام السير يجسر الابل : والمفازة  
 صعبة . ومن اراد ان يرى التلطف بالنفس فلينظر في سير الرسول صلوات الله وسلامه  
 فانه كان يتلطف بنفسه ، و يمازح ويخالط النساء ، ويقبل ويمص اللسان ،  
 ويختار المستحسنات . ويستعذب له الماء ويختار الماء البارد ، والأوفق من  
 المطاعم كلحم الظهر والذراع والحلوى ، وهذا كله رفق باناقة في طريق السير .

فأما من جرد عليها السوط فإنه يوشك أن لا يقطع الطريق . وقد قال <sup>عنه</sup> :  
 أن هذا الدين متميز فأوغلوا فيه برفق ، فإن المنبت لأرضاً قطع . ولا ظهراً  
 ابقى : واعلم أنه ينبغي للعاقل أن يغالط نفسه فيما يكشف العقل عن عوارده ،  
 فإن فكر المتيقظ يسبق قبل مباشرة المرأة إلى أنها اعتناق يجسد يحتوى  
 على قدارة . وقبل بلع اللقمة أنها متقلبة في الريق لو أخرجها الإنسان <sup>(١)</sup> . في  
 قرب الموت وما يجري عليه بعده ، لبغض عاجل لذته : فلا بد من مغالطة تجرى  
 لينتفع الإنسان بعيشه كما قال ليبيد :

فأكذب النفس إذا حدثها      أن صدق النفس يزرى بالأمل  
 وقال البستي :

أفد طبعك المسكد وبالهم راحة      تجم وعلاه بشيء من المزح  
 ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن      بمقدار ما يعطى الطعام من الملح  
 وقال أبو علي بن الشبل :

وإذا هممت ففاج نفسك بالني      وعداً نخيرات الجنان عدات  
 واجعل رجاءك دون يأسك جنة      حتى تزول بهمك الاوقات  
 واستر عن الجلساء بئك إنما      جلساؤك الحساد والشمات  
 ودع التوقع للحوادث أنه      للحى من قبيل المات مات  
 فالهم ليس له ثبات مثل ما      في أهله مالمسرور ثبات  
 لولا مغالطة النفوس عقولها      لم يصف للمتيقظين حياة  
 وقال أيضاً :

بحفظ الجسم تبقى النفس فيه      بقاء النار تحفظ بالوعاء

(١) بياض بالأصل في ثلاث نسخ

فباليأس المعض فلا تمتها ولا تمدد لها طول الرجاء  
 وعددها في شدائدها رخاء وذكرها الشدائد في الرخاء  
 يمد صلاحها هذا وهذا وبالتركيب منفعة الدواء

وقد كان عموم السلف يخضبون الشيب لأن لا يرى الانسان منهم  
 ما يكره ، وان كان الخضاب لا يعدم النفس علمها بذلك ، ولكنه نوع  
 مخادعة للنفس . وما زالت ترى الظاهر . وانما الفكر والعقل مع الغائب .  
 ولا بد من مغالطة تجرى ليتم العيش . ولو عمل العامل بمقتضى قصر الأمل  
 ما كتب العلم ولا صنف . فافهم هذا الفصل مع الذى تقدمه ، فان الاول  
 فى مقام العزيمة ، وهذا فى مكان الرخصة ، ولا بد للتعب من راحة  
 واعانة . والله عز وجل على قدر صدق الطالب . وقوة اللجأ ، وخلع الحول  
 والقوة ، وهو الموفق .

١٧٢ - فصل - فى تعليم التسدير . قوام الأدمى بشيئين الحرارة  
 والرطوبة . ومن شأن الحرارة أن تحلل الرطوبة وتفنيها . فالأدمى محتاج  
 الى تحصيل خلف المتحلل ، فأبدان النشو تغتذى بأكثر مما يتحلل منها .  
 والأبدان المتناهية تغتذى بمقدار ما يتحلل منها ، والأبدان التى قد أخذت فى  
 الهرم يتحلل منها أكثر مما تغتذى به ، فينبغى للنشو البالغ أن يتحفظ فى  
 النكاح ، لأنه يربى قاعدة قوة يجد أثرها فى الكبر . وأما المتوسط والواقف  
 السن فينبغى أن يحذر فضول الجماع ، فان حصل له مثل ما يخرج منه  
 فأسرف ، فاللازم أخذ من الحاصل ، ويوشك أن يسرع النفاذ . وأما الشيخ  
 فترك النكاح كاللازم له ، خصوصا اذا زاد علو السن ، لانه ينفق من الجوهر  
 الذى لا يحصل مثله أبدا . ثم ينبغى أن ينظر العاقل فى ماله فيكتسب أكثر مما

ينفق ليكون الفاضل مدخرا لوقت العجز . وليحذر السرف ، فان العدل هو الأصلح . ثم ينظر في الزوجة ، والمطلوب منها شيئان : وجود الولد ، وتدير المنزل ، فاذا كانت مبدرة فعيب لا يحتمل ، فان انضمت صفة العقر فلا وجه للمساك ، الا أن تكون مستحسنة الصورة ، فان ضم اليها عقل وعفاف حسن الامساك . وان كانت مما يحتاج أن تحفظ فتركها لازم . فأما الخدم فليجتهد في تحصيل خادم لا تستعبده الشهوة ، فان عبد الشهوة له مولى غير سيده . ولينظر المالك في طبع المملوك . فمنهم من لا يأتى الا على الاكرام فيكرمه فانه يريح محبته . ومنهم من لا يأتى الا على الاهانة فليداره وليعرض عن الذنوب ، فان لم يمكن عاتب بلطف ، وليحذر العقوبة ما أمكن وليجعل للمالك زمن راحة . والعجب ممن يعنى بدابته وينسى مداراة جاريته . وأجود المالك الصغار . وكذلك الزوجات ، لأنهم متعودون خلق المشتري . وليحفظ نفسه بالهيبه من الانحراف مع الزوجة ، ولا يطلعها على ماله ، فانها سفیهة تطلب كثرة الانفاق . وأما تدير الاولاد فخفظهم من مخالطة تفسد . ومتى كان الصبي ذا أفة - حيا - رجي خيره . وليحمل على صحبة الاشراف والعلماء ، وليحذر من مصاحبته للجهال والسفهاء ، فان الطبع لص . وليحذر الصبي من الكذب غاية التحذير ، ومن المخالطة للصبيان . وليوصه بزيادة البر للوالدين ، وليحفظ من مخالطة النساء . فاذا بلغ فليزوج بصبية لم تعرف غيره فينتفعان . هذه الاشارة الى تدير أمور الدنيا . فأما تدير العلم فينبغي ان يحمل الصبي من حين يبلغ خمس سنين على التساغل بالقرآن والفقه وسماع الحديث وليحصل له المحفوظات اكثر من المسموعات ، لان زمان الحفظ الى خمس عشرة سنة ، فاذا بلغ تشتت همته ، فليضرب تارة ، ويرثى أخرى ، ليبلغ

وقد حصل محفوظات سنوية . وأول ما ينبغي ان يكلف حفظ القرآن متقنا ، فانه يثبت ويختلط باللحم والدم ، ثم مقدمة من النحو يعرف بها اللحن ، ثم الفقه مذهبا وخلافا . وما أمكن بعد هذا من العلوم فحفظه حسن . وليحذر من عادات أصحاب الحديث ، فانهم يفنون الزمان في سماع الاجزاء التي تتكرر فيها الأحاديث ، فيذهب العمر وما حصلوا فهم شيء ، فاذا بلغوا سننا طلبوا جواز فتوى ، أو قراءة جزء من القرآن ، فمادوا القهقري ، يحفظون بعد كبر السن فلا يحصل مقصودهم . فالحفظ في الصبا للمهم من العلم أصل عظيم ، وقد رأينا كثيرا ممن تشاغل بالمسموعات وكتابة الاجزاء ورأى الحفظ صعبا قال الى الأسهل فمضى عمره في ذلك ، فلما احتاج الى نفسه قعد يتحفظ على كبر فلام يحصل مقصوده . فاليقظة لفهم ما ذكرت وانظر في الاخلاص ، فما ينفع شيء دونه .

### ١٧٣- فصل - اشتد الغلاء ببغداد في أول سنة خمس وسبعين .

وكلما جاء الشعير زاد . فتواقع الناس على اشتراء الطعام . فاعتبط من يستعد كل سنة يزرع ما يقوته ، وفرح من بادر في أول النيسان الى اشتراء الطعام فانه يضاعف ثمنه ، وأخرج الفقراء ما في بيوتهم فرموه في سوق الهوان ، وبان ذل نفوس كانت عزيزة ، فقلت يا نفس خذي من هذه الحال إشارة ، لينبطن من له عمل صالح وقت الحاجة اليه ، وليفرحن من له جواب عند اقبال المسئلة . وكل الويل على المفرط الذي لا ينظر في عاقبته فتنبهسى ، فقد نهبت ناس الدنيا على أمر الآخرة ، وبادري موسم الزرع مادامت الروح في البدن ، فالزمان كله تشرين قبل أن يدخل نيسان الحصاد ، ومالك زرع ، وحاجة المفتقرين الى أموالهم تمنعهم من الايثار .



١٧٤ - فصل - تأملت حالة أزعجتني . وهو أن الرجل قد يفعل مع امرأته كل جميل وهي لا تحبه ، وكذا يفعل مع صديقه والصديق يبغضه ، وقد يتقرب الى السلطان بكل ما يقدر عليه والسلطان لا يؤثره ؛ فيبقى متحيرا يقول: ما حياتي ، فحفت ان تكون هذه حالي مع الخالق سبحانه ، أتقرب اليه وهو لا يريدني ، وربما يكون قد كتبني شقيفا في الازل . ومن هذا خاف الحسن فقال : أخاف ان يكون اطلع على بعض ذنوبي فقال : لا غفرت لك فليس الا القلق والخوف لعل سفينة الرجا تسلم يوم دخولها الشاطيء من جرف .

١٧٥ - فصل - جرى بيني وبين أصحاب الحديث كلام في قول الامام احمد : صح الحديث عن رسول الله ﷺ سبع مائة الف حديث ، فقلت له انما يعنى به الطرق ، فقال : لا الالمتون ، فقلت هذا بعيد التصور . ثم رأيت لابي عبد الله الحاكم كلاما ينصر ما قال ذلك الشخص ، وهو انه قال في كتاب المدخل الى كتاب الاكليل كيف يجوز ان يقال : ان حديث رسول الله ﷺ لا يبالغ عشرة آلاف حديث ، وقد روى عنه من أصحابه أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفا وعشرين سنة بمكة ثم بالمدينة . حفظوا أقواله وادفعا له ، ونومه ويقظته وحركاته وغير ذلك سوى ما حفظوا من أحكام الشريعة . واحتج بقول احمد : صح الحديث عن رسول الله ﷺ سبع مائة الف حديث وكسر ، وان اسحق ابن راهويه كان يئلى سبعين الف حديث حفظا ، وان ابا العباس بن عقدة قال : أحفظ لاهل البيت ثلاث مائة الف حديث قال ابن عقدة وظهر لابن كريب بالكوفة ثلاثمائة الف حديث قلت : ولا يحسن ان يشار بهذا الى المتون . وقد عجت كيف خفي هذا على الحاكم وهو يعلم ان أجمع المسانيد الظاهرة مسند احمد بن حنبل ، وقد طاف الدنيا مرتين حتى حصله وهو اربعون الف حديث ،

منها عشرة آلاف مكررة، قال حنبل بن اسحق : جمعنا احمد بن حنبل انا  
 وصالح وعبد الله وقرأ علينا المسند ، وقال لنا : هذا كتاب جمعه من أكثر من  
 سبع مائة الف وخمسين الفا . فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله  
 ﷺ فارجعوا اليه ، فان وجدتموه والا فليس بحجة . أفترى يخفى على متيقظ  
 انه اراد بكونه جمعه من سبع مائة الف انه اراد الطرق . لأن السبع مائة  
 الالف ان كانت من كلام رسول الله ﷺ فكيف أهملها ، فان قيل فقد أخرج  
 في مسنده أشياء ضعيفة . ثم اعوذ بالله ان يكون سبع مائة الف ما تحقق منها  
 سوى ثلاثين الفا وكيف ضاعت هذه الجملة . ولم أهملت وقد وصلت كلها الى زمن  
 احمد فانتقى منها ورمى الباقي ، وأصحاب الحديث قد كتبوا كل شئ من الموضوع  
 والكذب ، وكذلك قال أبو داود : جمعت كتاب السنن من ست مائة الف حديث  
 ولا يحسن ان يقال ان الصحابة الذين رووها ماتوا ولم يحدثوا بها التابعين  
 فان الامر قد وصل الى احمد فاحصى سبع مائة الف حديث ، وما كان  
 الأمر ليذهب هكذا عاجلا ، ومعلوم انه لو جمع الصحيح والمحال الموضوع  
 وكل منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغ خمسين الفا ، فإين  
 الباقي ، ولا يجوز ان يقال تلك الاحاديث كلام التابعين ، فان الفقهاء نقلوا  
 مذاهب القوم ودونوها واخذوا بها ، ولا وجه لتركها ، ففهم كل ذى لب  
 ان الاشارة الى الطرق ، وان ماتوهمه الحماكم فاسد ، ولو عرض هذا الاعتراض  
 عليه ، وقيل له : فإين الباقي لم يكن له جواب ، لكن الفهم عزيز . والله المتعم  
 بالتوفيق . ومثل هذا تنفيل قوم قالوا : ان البخارى لم يخرج كلما صح عنده ،  
 وان ما أخرج كالا نموذج ، والافسكان يطول . وقد ذهب الى نحو هذا ابو  
 بكر الاسمعيلى . وحكى عن البخارى انه قال : ما تركت من الصحيح اكثر ،

وانما يعنى الطرق . يدل على ماقلته ان الدارقطنى وهو سيد الحفاظ جمع مايلزم البخارى ومسلم إخرجه ما لم يذكره أحاديث يسيرة ، ولو كان كما قالوا الأخرج مجلدات ، ثم قوله : مايلزم البخارى دليل صريح على ماقلته ، لانه من أخرج الانموذج لايلزمه شيء . وكذلك أخرج ابو عبد الله الحاكم كتابا جمع فيه مايلزم البخارى إخرجه فذكر حديث الطائر فلم يلتفت الحفاظ الى ماقال ، فما أقل فهم هؤلاء الذين شغلهم الحديث من التدقيق الذى لايلزم فى صحة الحديث . وانما وقع لقلة الفقه والفهم . إن البخارى ومسلم تركا أحاديث أقوام ثقات لانهم خولفوا فى الحديث ، فنقص الاكثرون من الحديث وزادوهم ولو كان ثم فقه لعلموا ان الزيادة من الثقة مقبولة ، وتركوا أحاديث أقوام لانهم انفردوا بالرواية عن شخص . ومعلوم ان انفرد الثقة لا عيب فيه . وتركوا من . ذلك الغرائب . وكل ذلك سوء فهم . ولهذا لم يلزم الفقهاء هذا ، وقالوا : الزيادة من الثقة مقبولة ولا يقبل القدر حتى يبين سببه . وكل من لم يخالط الفقهاء وجهه مع الحديثين تأذى وساء فهمه . فالحمد لله الذى أنعم علينا بالحالتين .

١٧٦ - فصل - اعلم ان الله عز وجل وضع فى النفوس اشياء لا تحتاج الى دليل . فالنفوس تعلمها ضرورة . واكثر الخلق لا يحسنون التعبير عنها ، فانه وضع فى النفس ان المصنوع لا بد له من صانع ، وان المبنى لا بد له من بان ، وان الاثنين اكثر من الواحد ، وان الجسم الواحد لا يكون فى مكانين فى حالة واحدة ، ومثل هذه الاشياء لا تحتاج الى دليل ، وألهم العرب النطق بالصواب من غير لحن ، فهم يفرقون بين المرفوع والمنصوب بأمارات فى جياتهم ، وان عجزوا عن النطق بالعلة ، قال عثمان بن جنى : سألت يوماً

ابا عبد الله محمد بن العساف العقبلي فقالت له : كيف تقول ضربت اخوك ؟ فقال : اقول ضربت اخاك ، فأدرته على الرفع فأبى . وقال لا أقول اخوك ابداً . قال : فكيف تقول ضربني اخوك ؟ فرفع ، فقلت : أليس زعمت انك لانقول اخوك ابداً ، فقال ايش هذا ، اختلفت جهتها في الكلام . وهذا أدل شيء على تأملهم مواقع الكلام . واعطاهم اياه في كل موضع حقه ، وانه ليس استرسالاً ولا ترخيماً . قال عثمان : واللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . والنحو انتحاء سمعت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير وغير ذلك ليلحق من ليس من اهل اللغة اهلها .

١٧٧ - فصل - مفيد . تدبرت احوال الاخير والاشرار فرأيت سبب صلاح الاخير النظر ، وسبب فساد الاشرار إهمال النظر . وذلك أن العاقل ينظر فيعلم انه لا بد له من صانع ، وان طاعته لازمة ، ويتأمل معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم قياده الى الشرع ، ثم ينظر فيما يقربه اليه . ويذلفه لديه ، فاذا شق عليه اعادة العلم تأمل ثمرته فسهل ذلك ، واذا صعب عليه قيام الليل فكذلك ، واذا رأى مشتهى تأمل عاقبته فعمل ان اللذة تفتى والعار والاثم يبقى ، فيسهل عليه الترك . واذا اشتهى الانتقام ممن يؤذيه ذكر ثواب الصبر وندم الغضب على أفعاله في حال الغضب . ثم لا يزال يتأمل سرعة ممر العمر فيقتنمه بتحصيل أفضل الفضائل فينال مناه . وأما الغافل فانه لا يرى الا الشيء الحاضر . فمنهم من لم يتأمل في معنى المصنوع واثبات الصانع ، فجحدوا وتركوا النظر وجحدوا الرسل وما جاؤا به ، ونظروا الى العاجل ، ولم يتفكروا في مبداه ومنتهاه ، فليس عندهم

من عرفان المطعم الا الأكل . ولو تأملوا كيف أنشئ ولما ذاجعل حافظاً للأبدان  
لعرفوا حقائق الأمور . وكذلك كل شهوة تعرض لهم لا ينظرون في عاقبتها  
بل في عاجل لذتها . وكم قد جنّت عليهم من وقوع حد وقطع يد وفضيحة .  
فتعجيل اللذة يفوّت الفضائل ، ويحصل الرزايل ، وسببه عدم النظر في  
العواقب . وهذا شغل العقل . وذلك المذموم شغل الهوى . نسأل الله عز  
وجل يقظة ترينا العواقب ، وتكشف لنا الفضائل والمعائب ، انه قادر  
على ذلك .

١٧٨ - فصل - خلقت لي همة عالية تطلب الغايات ، بلغت السن  
وما بلغت ما أملت ، فأخذت أسأل تطويل العمر ، وتقوية البدن ، وبلوغ  
الآمال ، فانكرت عليّ العادات وقالت : ما جرت عادة بما تطلب ، فقلت انما  
اطلب من قادر يخرق العادات ، وقد قيل لرجل : لنا حويجة فقال : اطلبوا لها  
رجيلاً . وقيل لا آخر جئناك في حاجة لا ترزؤك ، فقال هلا طلبتم لها  
سفاسف الناس . فاذا كان اهل الأنفة من ارباب الدنيا يقولون هذا فلم  
لانطمع في فضل كريم قادر . وقد سألته هذا السؤال في ربيع الآخر من  
سنة خمس وسبعين فان مدّ لي أجل وبلغت ما أملتة نقلت هذا الفصل الى  
ما بعد وبيضاة ، واخبرت ببلوغ آمالي ، وان لم يتفق ذلك فسيدي أعلم  
بالمصالح ، فانه لا يمنع بخلا ، ولا حول الابيه .

١٧٩ - فصل - ما أقل من يعمل لله تعالى خالصا لان أكثر الناس  
يحبون ظهور عباداتهم . وسفيان الثوري كان يقول : لا أعتد بما ظهر من  
عملي وكانوا يسترون أنفسهم ، واليوم ثياب القوم تشهرهم . وقد كان ايوب  
السختياني يطول قيصه حتى يقع على قدميه ، ويقول كانت الشهرة في

التطويل ، واليوم الشهرة في التقصير . فاعلم ان ترك النظر الى الخلق ومحو اجاه من قلوبهم بالعمل واخلاص القصد وسترا الحال هو الذي رفع من رفع . فقد كان أحمد بن حنبل يمشى حافيا في وقت ونعليه في يديه ويخرج للقاط . وبشر يمشى حافيا على الدوام وحده . ومعروف يلتقط النوى . واليوم صارت الرياسات اكثر من كل حاجة . وما تتمكن الرياسات حتى يتمكن من القلب الغفلة ، ورؤية الخلق ، ونسيان الحق ، فحينئذ تطلب الرياسة على اهل الدنيا . ولقد رأيت من الناس عجبا حتى من يتزبالعلم ، إن رأى في أمشى وحدي أنكر على . وإن رأى ازور فقيرا عظم ذلك . وإن رأى أنبسب بتبسم نقصت من عينه ، فقلت : فواعجبا هذه كانت طريق الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضی الله عنهم . فصارت احوال الخلق نوااميس لاقامة اجاه لاجرم والله سقطتم من عين الحق ، فاسقطكم من عين الخلق . فكم ممن يتعب في تربية ناموس ولا يلتفت اليه ولا يحظى بمراده ، ويفوته المراد الا كبر . فالتفتوا اخواني الى اصلاح النيات ، وترك التزين للخلق . ولتكن عمدتكم الاستقامة مع الحق ، فبذلك صعد السلف وسعدوا . واياكم وما الناس عليه اليوم ، فانه بالاضافة الى يقظة السلف نوم .

### ١٨٠ - فصل - والله ما ينفع تأديب الوالد الا لم يسبق اختيار الخالق

لذلك الولد ، فانه سبحانه اذا أراد شخصا ربه من طفولته وهداه الى الصواب ، ودله على الرشاد ، وحبب اليه ما يصلح ، وصحبته من يصلح ، وبغض اليه ضد ذلك ، وقبح عنده سفاسف الامور ، وعصمه من القبائح ، واخذ بيده كلما عثر . واذا أبغض شخصا تركه دائم التعشير متخبطا في كل حال ، ولم يخلق له همة لطلب المعالي ، وشغله بالردايل عن الفضائل . وان قال لم

خصصت بهذا، قال الخطاب الذي لا يجاب « بما كسبت ايديكم ».

١٨١ - فصل - من أكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه ان هذه النفس الناطقة المميزة المحركة للبدن على مقتضى ارادتها، ودبرت مصالحها، وترقت الى معرفة الأفلاك، واكتسبت ما أمكن تحصيله من العلوم، وشاهدت الصانع في المصنوع، فلم يحجبها ستروان تكاثف، لا يعرف مع هذا ماهيتها ولا كيفيتها ولا جوهرها ولا عملها بأشغالها، ولا يفهم من اين جاءت، ولا يدري اين تذهب، ولا كيف تعلقت بهذا الجسد. وهذا كله يوجب عليها ان لها مدبرا وخالقا. وكفى بذلك دليلا عليه. اذ لو كانت وجدت بها لما خفيت احوالها. فسبحانه سبحانه.

١٨٢ - فصل - سبحان من من على الخلق بالعلماء الفقهاء الذين فهموا مقصود الامر ومراد الشارع. فهم حفظة الشريعة فأحسن الله جزاءهم. وان الشيطان ليتجافهم خوفا منهم، فانهم يقدرون على أذاه، وهو لا يقدر على اذاهم. ولقد تلاعب بأهل الجهل والقليل الفهم. وكان من اعجب تلاعبه ان حسن لأقوام ترك العلم ثم لم يقنعوا بهذا حتى قدحوا في المتشاغين به. وهذا لو فهموه قدح في الشريعة. فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: باغوا عني. وقد قال له ربه عز وجل « بلغ » فاذا لم يتشاغل بالعلم فكيف يبلغ الشريعة الى الخلق. ولقد نقل مثل هذا عن كبار الزهاد، كبشر الحافي، فانه قال لعباس بن عبد العظيم: لا تجالس أصحاب الحديث. وقال لاسحق بن الصيف: انك صاحب حديث فاحب ان لا تعود الى، ثم اعتذر فقال: انما الحديث فتنة الا لمن اراد الله به. واذا لم يعمل به فتركه أفضل. وهذا عجب منه: من اين له ان طلابه لا يريدون الله به، وانهم

لا يعملون به ، أو ليس العمل به على ضربين : عمل بما يجب ، وذلك لا يسمع احدا تركه ، والثاني نافلة ولا يلزم ، والتشاغل بالحديث أفضل من التنفل بالصوم والصلاة . وما ظنه اراد الاطريقه في دوام الجوع والتهجد ، وذلك شيء لا يلام تاركه . فان كان يريد ان لا يوغل في علوم الحديث فهذا خطأ لأن جميع اقسامه محمودة . أفترى لو ترك الناس طلب الحديث كان بشريفتي ! فالله الله في الالتفات الى قول من ليس بفقيره ، ولا يهولنك تعظيم اسمه فالله يعفو عنه .

١٨٣ - فصل - العاقل من يحفظ جانب الله عز وجل وان غضب الخلاق . وكل من يحفظ جانب المخلقين ويضيع حق الخالق يقلب الله قلب الذي قصد ان يرضيه فيسخطه عليه . قال المأمون لبعض اصحابه : لا تعص الله بطاعتي فيسلطني عليك . ولما بالغ طاهر بن الحسين فيما فعل بالأمين وفتك به وصلب رأسه وان كان ذلك عن ارادة المأمون ، ولكن بقي أثر ذلك في قلبه ، فكان لا يقدر ان يراه . ولقد دخل عليه يوما فبكى المأمون ، فقال له طاهر : لم تبك لا أبكي الله عينك ، فلقد دانت لك البلاد ، فقال ابكي لأمر ذكره ذل ، وسره حزن ، ولن يخلوا احد من شجن . فلما خرج طاهر نفذ الى حسين الخادم مايتي أنف درهم وسأله ان يسأل المأمون لم بكى فلما تعدى المأمون قال : يا حسين اسقني . قال : لا والله لأسقيك حتى تقول لي لم بكيت حين دخل عليك طاهر . قال : يا حسين وكيف عنيت بهذا حتى سألت عنه . قال لغمي بذلك . قال : يا حسين أمر إن خرج من رأسك قتلتك . قال ياسيدي ومتي اخرجت لك سرا . قال : اني ذكرت أخي محمدا وما ناله من الذلة فحقتني العبرة فاسترحمت الى افاضتها . ولن يفوت طاهرا مني



مايكره . فاخبر حسين طاهرا بذلك ، فركب طاهر الى احمد بن ابى خالد فقال له : ان المعروف عندى ليس بضايغ فغيبني عن عينه . قال : سأفعل فدخل على المأمون فقال : مابت البارحة . قال : ولم قال : لأنك وليت غسان ابن عباد خراسان . وهو ومن معه أكلة رأس ، فاخاف ان يخرج خارج من الترك فيصطلمه . قال : فن ترى قال : طاهر بن الحسين . فعقد له فمضى ، فبقي مدة ثم قطع الدعاء للمأمون على المنبر يوم الجمعة . فقال له صاحب البريد : مادعوت لأمر المؤمنين قال سهو فلا تكتب . ففعل ذلك في الجمعة الثانية والثالثة . فقال له : لا بد ان اكتب لثلاث كتبت التجار ويسبقونى قال : اكتب فكتب ، فدعا المأمون احمد بن ابى خالد وقال : انه لم يذهب على احتيالك في امر طاهر ، وانا اعطى الله عهدا ان لم تشخص حتى توافقني به كما خرجته من قبضتي لتذمن عقباك ، فشخص وجعل يتلوم في الطريق ويعتل بالمرض ، فوصل الى الرى وقد بلغته وفاة طاهر . قلت : ولما خرج الراشد من بغداد وارادوا تولية المقتدى شهد جماعة من الشهود بأن الراشد لا يصلح للخلافة فترعوه وولى المقتدى ، فبلغني انه ذكر للمقتدى بعض الشهود فذمه ، وقال : كان فيمن أعان على ابى جعفر . وعلى ضد هذا كل من يراعى جانب الحق والصواب يرضى عنه من سخط عليه . ولقد حدثني الوزير ابن هبيرة ان المستنجد بالله كتب اليه كتابا وهو يومئذ ولى عهد ، واراد ان يستره من أبيه قال فقلت : للواصل به والله ما يمكنني اقرؤه ولا أجيب عنه . فله اولى الخلافة دخلت عليه فقلت : اكبر دليل على صدقي واخلاصي انى ما حايتك فى ابيك . فقال : صدقت انت الوزير . وحدثني بعض الاصدقاء ان قوما الحقوا الى المخزن بعض دين لهم ليستخلص ، فقال : المسترشد لصاحب

المخزن : خالصه لهم وخذ ماضمونا لنا . فأحضر ابن الرطبي وعرض الأمر عليه ، فقال : هذا أمر بظلم ومأحكم فيه . فقال : ان السلطان قد تقدم ، قال ما أفعل . فأحضر قاضيا آخر فبنت الحكم ، فأخبر الخليفة بالحال . فقال : أما ابن الرطبي فيشكر على ما قال . وأما الآخر فيعزل . وذلك لانه بان له ان الحق ما قاله ابن الرطبي . وكذلك ما طلبه السلطان من ان ياقتب ملك الملوك ، فاستفتى الفقهاء فاجازوا ذلك وامتنع من اجازته الماوردي ، فعظم قدره عند السلطان . ومثل هذا اذا تتبع كثير . فينبغي ان يحسن التقصد لطاعة الخالق وان سخط المخلوق ، فانه يعود صاغرا ولا يسخط الخالق ، فانه يسخط المخلوق فيفوت الحظان جميعا .

#### ١٨٤ - فصل - مفيد ينبغي للعاقل أن ينظر الى الاصول فيمن

يخالطه ويعاشره ويشاركه ويصادقه ويواجه أو يتزوج اليه . ثم ينظر بعد ذلك في الصور ، فان صلاحها دليل على صلاح الباطن . أما الاصول فان الشيء يرجع الى أصله . وبعيد ممن لا أصل له ان يكون فيه معنى مستحسن . وان المرأة الحسنة اذا كانت من بيت ردي فقل أن تكون صينة وكذلك أيضاً المخالط والصديق والمباضع والمعاشر . فياك أن تخالط الامن له أصل يخاف عليه الدنس ، فانغالب السلامة . وان وقع ذلك كان نادراً . وقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لرجل : أشتر على فيمن أستعمل . فقال : أما أرباب الدين فلا يريدونك . وأما أرباب الدنيا فلا تردهم . ولكن عليك بالأشراف ، فانهم بصونون شرفهم عما لا يصلح . وقد روى أبو بكر الصولى قال حدثني الحسين بن يحيى عن اسحق قال : دعاني المعتصم يوماً فأدخلني معه الحمام ، ثم خرج نخلابى وقال : يا أبا اسحق في نفسى شيء

أريد أن أسألك عنه ، ان أخى المأمون اصطنع قوما فأنجبوا ، واصطفيت  
 أنا مثلهم فلم ينجبوا ، قلت ومن هم قال : اصطنع طاهرا وابنه واسحق وآل  
 سهل فقد رأيت كيف هم . واصطنعت أنا الافشين فقد رأيت الى ما آل  
 أمره . وأسأش فلم أجده شيئا ، وكذلك ايتاخ ووصيف . قلت : يا أمير  
 المؤمنين ، ههنا جواب على أمان من الغضب . قال لك ذلك . قلت : نظر  
 أخوك الى الاصول فاستعملها فأنجبت فروعها ، واستعملت فروعا لأصول  
 لها فلم تنجب ، فقال : يا أبا اسحق مقاساة ما مربى طول هذه المدة أهون  
 على من هذا الجواب . أما الصور ، فانه متى صحت البنية ولم يكن فيها عيب  
 فالغالب صحة الباطن وحسن الخلق ، ومتى كان فيها عيب فالعيب في الباطن  
 ايضا ، فاحذر من به عاهة كالأقرع والأعمى وغير ذلك ، فان بواطنهم في  
 الغالب ردية ، ثم مع معرفة أصول المخالطة وكال صورته لا بد من التجربة  
 قبل المخالطة ، واستعمال الحذر لازم ، وان كان كما ينبغي .

١٨٥ فصل - ينبغي أن يكون شغل العاقل في العواقب  
 والتحرز مما يمكن ان يكون . ومن الغلط النظر في الحالة الحاضرة كالموافق  
 لمعاشه وصحة بدنه ، وربما جرى له مصحوبه فينبغي ان يعمل على انقطاع  
 ذلك ، فيكون مستعدا لتغير الاحوال . وكذلك النظر في لذة تغنى وتبقى  
 تبعثها وعارها ، وإيثار الكسل والدعة لما يجيء من بقاء الجهل . وكذلك  
 تحصيل المرادات التي لا تحصل الا بالتلطف في الاحتيال ، خصوصا اذا  
 أريد من ذكي فانه يفطن بأقل تلويح ، فن أراد غلبة الذكي دقق النظر وتلطف  
 في الاحتيال ، وقد ذكر في كتب الميل ما يشهد الخواطر ، وأتينا بجملة  
 منه في كتاب الاذكياء ، مثل ما روى ان رجلا من الأشراف كان لا يقوم

لأحد ولا يخشى أحدا ، فجاز عليه بعض الوزراء فلم يرد ولم يقم ، فقال ذلك  
 الوزير لرجل : أخبر فلانا اني قد كلمت أمير المؤمنين في حقه : وقد أمر له  
 بمائة ألف ، فليحضر ليقبضها ، فأخبره ذلك الرجل فقال الشريف : ان كان  
 أمر لي بشيء فلينفذه لي ، وانما مقصوده ان يضع مني بالتردد عليه . فتى وقع  
 الانسان مع ذكي فينبغي ان يتحرز منه ويسرق أغراضه بصنوف الاحتيال  
 وينظر فيما يجوز وقوعه فليحترز منه كما ينظر صاحب الرقعة النقلات .  
 وكثير من الاذكاء لم يقدروا على اغراضهم من ذكي فأعطوه وبانغوا في  
 اكرامه ليصيده . فان كان قليل الفطنة وقع في الشرك ، وان كان أقوى  
 منهم ذكاء علم ان تحت هذه الجنية خبية فزاده ذلك احترازا . وأقوى ما  
 ينبغي ان يكون الاحتراز من موتور ، فانك اذا آذيت شخصا فقد غرست  
 في قلبه عداوة ، فلا تأمن تفريع تلك الشجرة ، ولا تلتفت الى ما يظهر من  
 ود وان حلف فان قاربته فكن منه على حذر .

١٨٦ - فصل - في حفظ السر . رأيت أكثر الناس لا يتألمون  
 من إفشاء سرهم ، فاذا ظهر عاتبوا من أخبروا به . فوا عجباً كيف ضاقوا  
 بحبسه ذراعاً لأموا من أفشاء ، وفي الحديث : استعينوا على قضاء أموركم  
 بالكتمان : ولعمري ان النفس يصعب عليها كتم الشيء ، وترى بأفشائه راحة ،  
 خصوصا اذا كان مرضا أو هما أو عشقا ، وهذه الاشياء في إفشائها قرينة .  
 انما اللازم كتمانها احتيال المحتمل فيما يريد ان يحصل به غرضا ، فان سوء  
 التدبير إفشاء ذلك قبل تمامه ، فانه اذا ظهر بطل ما يراد أن يفعل ، ولا عذر لمن  
 أفشى هذا النوع . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفر او ري بغيره .  
 فان قال قائل : انما أحدث ، قيل له وكل حديث جاوز الاثنى عشر شائع . وربما

لم يكتم صديقك . ولم قد سمعنا من يحدث من الملوك بالقبض على صاحب  
فتم الحديث الى الصاحب وهرب ففات السلطان مراده . وانما الرجل  
الحازم الذي لا يتعداد سره ولا يفشيهِ الى احد . ومن العجز إفشاء السر  
الى الولد والزوجة ، والمال من جملة السر . فاطلاهم عليه ان كان كثير افر بما  
تمنوا هلاك الموروث . وان كان قليلا تبرموا بوجوده . وربما طلبوا من  
الكثير على مقدار كثرته فأتلفته النفقات . وستر المصائب من جملة كتمان  
السر ، لان اظهارها يسر الشامت ويؤلم المحب . وكذلك ينبغي ان يكتم  
مقدار السن ، لانه ان كان كبيرا استهرموه وان كان صغيرا احتقروه . ومما  
قد انهال فيه كثير من المفرطين انهم يذكرون بين أصدقائهم اميرا أو  
سلطانا فيقولون فيه فيبلغ ذلك اليه فيكون سبب الهلاك . وربما رأى  
الرجل من صديقه اخلاصا وافيا فاشاع سره . وقد قيل :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف مرة

فلربما انقلب الصديق فكان أدري بالضره

ورب مفش سره الى زوجة أو صديق فيصير بذلك رهينا عنده ولا  
يتجاسر أن يطلق الزوجة ، ولا ان يهجر الصديق ، مخافة ان يظهر سره  
القبيح . فالحازم من عامل الناس بالظاهر ، فلا يضيئ سره في صدره . فان  
فارقته امرأة أو صديق أو خادم لم يقدر احد منهم ان يقول فيه ما يكره .  
ومن أعظم الأسرار الخلوات ، فلينظر الحازم فيها من الانبساط بمراى من  
مخلوق . ومن خلق له عقل ثاقب دله على الصواب قبل الوصايا .

١٨٧ - فصل - ما رأيت أصعب على النفس من الحفظ للعلم

والتكرار ، وخصوصا تكرار ما ليس لها في نفس تكراره وحفظه حظ ،

مثل مسائل الفقه . بخلاف الشعر والسجع ، فان لها لذة في اعادته وان كان يصعب ، لانها تلتذ به مرة ومرتين ، فاذا زاد التكرار صعب عليها ، ولكن دون صعوبة الفقه وغيره من المستحسنات عند الطبع ، فتراها تخلد الى الحديث والشعر والتصانيف والنسخ ، لانه يمر بها كل لحظة ما لم تره ، فهو في المعنى كالماء الجاري ، لانه جزء بعد جزء ، وكذا من ينسخ ما يجب ان يسمعه أو يصنف ، فانه يلتذ بالجمدة ويستريح من تعب الاعداد ، الا انه ينبغي للعاقل ان يكون جل زمانه للاعداد ، خصوصا الصبي والشاب ، فانه يستقر المحفوظ عندهما استقرارا لا يزول ، ويجعل أوقات التعب من الاعداد للنسخ ، ويحذر من تقلبها الى النسخ عن الاعداد فيقهرها ، فانه يحمد ذلك حمد السري وقت الصباح ، وسيندم من لم يحفظ ندم الكسبي وقت الحاجة الى النظر والفتوى ، وفي الحفظ نكتة ينبغي ان تلاحظ ، وهو ان الفقيه يحفظ الدرس ويميده ؛ ثم يتركه فينساها فيحتاج الى زمان آخر لحفظه ، فينبغي ان يحكم الحفظ ويكثر التكرار ليثبت قاعدة الحفظ .

١٨٨ - فصل - ما عرف نفعا كالعزلة عن الخلق خصوصا للعالم والزاهد فانك لا تكاد ترى الا شامتا بنكبة أو حسودا على نعمة ، ومن يأخذ عليك غلطاتك . فيا للعزلة ما الذها . سلمت من كدر غيبة ، وآفات تصنع ، واحوال المداجاة ، وترضيع الوقت . ثم خلا فيها القلب بالفكر ، لأنه مستلذ عنه بالمخالطة ، فدبر أمر دنياه وآخرته . فمثله كمثل الحمية يخلو فيها المعابلا بخلاط فيذبيها . وما رأيت مثل ما يصنع المخالط ، لأنه يرى حالته الحاضرة من لقاء الناس وكلامهم فيشتغل بها عما بين يديه . فمثله كمثل رجل يريد سفرا قد أرف ، فجالس أقوا ما فسغلوه بالحديث حتى ضرب البوق وما تزود ، فلو لم يكن في

العزلة إلا التفكير في زاد الرحيل والسلامة من شر المخالطة كفى / ثم لا عزلة  
على الحقيقة إلا للعالم والزاهد، فانهما يعلمان مقصود العزلة، وان كانا لا في عزلة.  
وأما العالم فعلمه مؤنسه، وكتبه محدثه، والنظر في سير السلف مقومه،  
والتفكير في حوادث الزمان السابق فرجته. فان ترقى بعلمه الى مقام المعرفة  
الكاملة للخالق سبحانه وتشبث بأذيال محبته تضاعفت لذاته، واشتغل بها  
عن الأكران وما فيها. فخلا بحبيبه وعمل معه بتمتضي علمه (وكذلك الزاهد  
تعبده أنيسه، ومعبوده جليسه، فان كشف لبصره عن المعمول معه غاب عن  
الخلق، وغابوا عنه: انما اعتزلا ما يؤذى. فهما في الوحدة بين جماعة. فهذان  
رجلان قد سلما من شر الخلق، وسلم الخلق من شرورهما، بل هما قدوة  
للمتعبدين وعلم السالكين. ينتفع بكلامهما السامع. وتجرى موعظتهما المدامع.  
وتنتشر هيبتهما في المجامع. فمن أراد أن يتشبه بأحدهما فليصبر الخلو وان  
كرهها ليثمر له الصبر العسل / وأعوذ بالله من عالم مخالط للعالم: خصوصا  
لأرباب المال والسلطين يجتلب ويجتلب ويختلب فباي حصل له شئ من الدنيا  
الا وقد ذهب من دينه أمثاله. ثم أين الأنفة من الذل للفساق. فالذي لا يبالي  
بذلك هو الذي لا يذوق طعم العلم ولا يدري ما المراد به، وكأنه به وقد وقع في  
بادية جرز وقفر أمل مهلك في تلك البرارى. وكذلك المنزه اذا خالط وخلط،  
فانه يخرج الى الريا والتصنع والنفاق، فيفوته الحظان لا الدنيا ونعيمها تحصل  
له ولا الآخرة. فנסأل الله عز وجل خلوة خلوة. وعزلة عن الشر لذة  
يستصلحنا فيها المناجاة. ويلهم كلا منا طلب نجاته. انه قريب مجيب.

١٨٩ - فصل - ما أبله من لا يعلم متى يأتيه الموت: وهو لا يستعد للقاتنه.

وأشد الناس بلاءً وتعقيلًا من قد عبر الستين وقارب السبعين، فان ما بينهما

هو معترك المنايا . ومن نازل المعترك استعد وهو غافل عن الاستعداد :

قال الشباب لعلنا في شيبنا ندع الذنوب فما يقول الأشيب

والله ان الضحك من الشيخ ماله معنى . وان المزاح منه بارد المعنى . وان

تعرضه بالدنيا وقد دفعته عنها يضعف القوى ويضعف الرأي . وهل بقي

لابن ستين منزل . فان طمع في السبعين فانما يرتقى اليها بعناء شديد . ان قام

دفع الأرض . وان مشى لهث . وان قعد تنفس . ويرى شهوات الدنيا ولا

يقدر على تناولها . فان أكل كد المعدة ، وصعب الهضم ، وان وطى أذى

المرأة ، ووقع دنفا لا يقدر على رد ماذهب من القوة الى مدة طويلة . فهو

يعيش عيش الأسير . فان طمع في الثمانين فهو يزحف اليها زحف الصغير :

وعشر الثمانين من خاضها فان الملمات فيها فنون

فالعاقل من فهم مقادير الزمان . فانه فيما قيل قبل البلوغ صبي ليس على عمره

عيار ، الا ان يرزق فطنة ففي بعض الصبيان فطنة تحثمهم من الصغر على اكتساب

المكارم والعلوم . فاذا بلغ فليعلم انه زمان المحاهدة للهوى وتعلم العلم . فاذا رزق

الأولاد فهو زمان الكسب للمعاملة . فاذا بلغ الاربعين انتهى تمامه . وقضى

مناسك الاجل . ولم يبق الا الأتحدار الى الوطن :

كان الفتى يرتقي من العمر معاما الى أن يجوز الاربعين وينحط

فينبغي له عند تمام الاربعين أن يجعل جل همته التزود للآخرة . ويكون

كل تلمحه لما بين يديه . وبأخذ في الاستعداد للرحيل . وان كان الخطاب

بهذا لابن عشرين ، الا أن رجاء التدارك في حق الصغير لا في حق الكبير .

فاذا بلغ الستين فقد أعذر الله اليه في الأجل وجاز من الزمن . فليقبل بكليته

الى جمع زاده ، وتهيء آلات السفر ، وليعتقد كل يوم يحى فيه لغنيمه ما هي



في الحساب . خصوصا اذا قوى عليه الضعف وزاد ، فانه لا محرك<sup>(١)</sup> ، كهو وكلامه .  
 علت سنه فينبغي أن يزيدا جهاده . فاذا دخل في عشر الثمانين فليس الا الوداع .  
 وما بقي بمكة . العمر تجارة الانفس . آسف على تفریط أو تعبد على ضعف .  
 نسأل الله عز وجل بقظة تامة تصرف عنارقاد الغفلات . وعملا صالحا نأمن  
 معه من الندم يوم الانتقال . والله الموفق .

١٩٠ - فصل - مانهى السلف عن الخوض في الكلام الا لا أمر  
 عظيم ، وهو أن الانسان يريد أن ينظر مالا يقوى عليه بصره فر بما تحير  
 فخرج الى الحجب ، لأننا اذا نظرنا في ذات الخالق حار العقل وبهت الحس ،  
 لانه لا يعرف شيئا لا بداية له ، لا يعلم الا الجسم والجوهر والعرض ، فاثبات  
 ما يخرج عن ذلك لا يفهمه ، وان نظرنا في أفعاله رأيناه بحكم البنائهم ينقضه  
 ولا نطلع على تلك الحكمة ، فالاولى للعاقل ان يكف كف التطلع الى  
 ما لا يطبق النظر اليه ، ومتى قام العقل فنظر في دليل وجود الخالق  
 بمصنوعاته ، وأجاز بعثة نبي واستدل بمجزاته ، كفاه ذلك ان يتعرض لما  
 قد أغنى عنه ، واذا قال القرآن كلام الله تعالى بدليل قوله «حتى يسمع كلام الله»  
 كفاه . واما من تحذلق فقال : التلاوة هي المتلو أو غير المتلو ، والقراءة هي  
 المقرء أو غير المقرء ، فيضيع الزمان في غير تحصيل ، والمقصود العمل بما فهم .  
 وقد حكي ان ملكا كتب الى عماله في البلدان اني قادم عليكم فاعملوا كذا وكذا ،  
 ففعلوا الا واحدا منهم ، فانه قعد يتفكر في الكتاب فيقول : أترى كتبه  
 بمداد أو بجر أترى كتبه قائما أو قاعدا ، فا زال يتفكر حتى قدم الملك ولم  
 يعمل مما أمره به شيئا ، فأحسن جوائز السكل وقتل هذا .

## ١٩١ - فصل - لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها واللذة فيها

شرف العلم وزهرة العفة وأنفة الحمية ، وعز القناعة ، وحلاوة الافضال على الخلق ، فأما الالتذاذ بالمطعم والمنكح فشغل جاهل باللذة ، لان ذلك لا يراد لنفسه بل لاقامة العوض في البدن والولد ؛ وأى لذة في النكاح وهي قبل المباشرة لا تحصل ، وفي حال المباشرة فلق لا يثبت عند انقضائها ، كأن لم يكن ، ثم يثمر الضعف في البدن . وأى لذة في جمع المال فضلا عن الحاجة . فانه مستعبد للخازن ، يبيت حذرا عليه ، ويدعوه قليله الى كثيرة . وأى لذة في المطعم وعند الجوع يستوى خشنه وحسنه . فان ازداد الاكل خاطر بنفسه . قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : بنيت الفتنة على ثلاث ، النساء وهن فنج ايليس المنسوب . والشراب وهو سيفه المرهف . والدينار والدرهم ، وهما سهماه المسمومان . فمن مال الى النساء لم يصف له عيش . ومن أحب الشراب لم يتمتع بعقله . ومن أحب الدينار والدرهم كان عبدا لهما ما عاش .

## ١٩٢ - فصل - أصل كل محنة في العقائد قياس أمر الخالق على

أحوال الخلق . فان الفلاسفة لما رأوا ايجاد شيء لا من شيء كالمستحيل في العادات قالوا بقدم العالم . ولما عظم عندهم في العادة الاحاطة بكل شيء قالوا : انه يعلم الجمل لا التفاصيل . ولما رأوا تلف الابدان بالبلاء أنكروا اعادتها . وقالوا الاعادة رجوع الأرواح الى معادنها . وكل من قاس صفة الخالق على صفات المخلوقين خرج الى الكفر . فان المجسمة دخلوا في ذلك لانهم حملوا أوصافه على ما يعقلون . وكذلك تديره عز وجل . فان من حمله على ما يعقل في العادات رأى ذبح الحيوان لا يستحسن ، والامراض تستقبح ، وقسمة

الغنى للأبله ، والفقر للجلد العاقل أمرا يناق الحكمة . وهذا في الاوضاع بين الخلق . فأما الخالق سبحانه فان العقل لا ينتهي إلى حكمته . بلى . قد ثبت عنده وجوده وماسكه وحكمته . فتعرضه بالتفاصيل على ما تجرى به عادات الخلق جهل . ألا ترى الى أول المعترضين وهو ابليس كيف ناظر فقال : أنا خير منه ، وقول خليفته وهو أبو العلاء المعرى :

رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

ونسأل الله عز وجل توفيقا للتسليم ، وتسليما للحكيم « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا » أترى تقدر على تعليل أفعاله فضلا عن مطالعة ذاته ، وكيف تقيس أمره على أحوالنا ، فاذا رأينا نبينا صلى الله عليه وسلم يسأل في أمه وعمه فلا يقبل منه ويتقلب جائعا والدنيا ملك يده . ويقتل أصحابه والنصر بيد خالقه ، أوليس هذا مما يحير ؛ فالنا والاعتراض على مالك قد ثبتت حكمته واستقر ملكه

١٩٣ - فصل - تأملت عجبا ، وهو ان كل شيء نفيس خطير يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله . فان العلم لما كان أشرف الاشياء لم يحصل الا بالتعب والسهر والتكرار وهجر الذات والراحة . حتى قال بعض الفقهاء : بقيت سنين أشتهى المريسة لا أقدر ، لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس . ونحو هذا تحصيل المال ، فانه يحتاج الى المخاطرات والاسفار والتعب الكثير . وكذلك نيل الشرف بالكرم والجود ، فانه يفتقر الى جهاد النفس في بذل المحبوب ، وربما آل الى الفقر . وكذلك الشجاعة ، فانها لا تحصل الا بالمخاطرة بالنفس . قال الشاعر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر والاقدام قتال  
ومن هذا الفن تحصيل الثواب في الآخرة . فانه يزيد على قوة

الاجتهاد والتمهد ، أو على قدر وقع المبدول من المال في النفس ، أو على قدر الصبر على فقد المحبوب ومنع النفس من الجزع . وكذلك الزهد يحتاج الى صبر عن الهوى . والعفاف لا يكون الا بكف كف الشره . ولو لا ما عانى يوسف عليه السلام ما قيل له أيها الصديق . والله أقوام مارضوا من الفضائل الا بتحصيل جميعها فهم يبالغون في كل علم ويجهدون في كل عمل . ويثابرون على كل فضيلة . فاذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائية وهم لها سابقون . وأكمل أحوالهم إعراضهم عن أعمالهم . فهم يحتقرونها مع التمام ويعتذرون من التقصير . ومنهم من يزيد على هذا فيتشاغل بالشكر على التوفيق لذلك ، وهم من لا يرى ما عمل أصلا لانه يرى نفسه وعمله لسيده . وبالعكس من المذكور عن أرباب الاجتهاد حال أهل الكسل والشره والشهوات ، فائن التذوا باعاجل الراحة لقد أوجبت ما يزيد على كل تعب من الأسف والحسرة . ومن تلمح صبر يوسف عليه السلام وعجلة ما عَزَّ بان له الفرق ، وفهم الربح من الخسران . ولقد تأملت نيل الدر من البحر فرأيتُه بعد معاناة الشدائد . ومن تفكر فيما ذكرته مثلا بانته له أمثال ، فالموفق من تلمح قصر الموسم المعمول فيه ، وامتداد زمان الجزاء الذي لا آخر له انتهب حتى اللحظة . وزاحم كل فضيلة ، فانها اذا فاتت فلا وجه لاستدراكها : أو ليس في الحديث يقال للرجل : « اقرأ وارق فنزلك عند آخر آية تقرأها » . فلو ان الفكر عمل في هذا حق العمل حفظ القرآن عاجلا .

١٩٤ - فصل -- ايس المؤمن بالذى يؤدي فرائض العبادات صورة ، ويتجنب المحظورات فحسب . انما المؤمن الكامل الايمان ولا يختلج في قلبه اعتراض ، ولا يساكن فيما يجرى وسوسة . وكلما اشتد البلاء

عليه زاد ايمانه . وقوى تسليمه . وقد يدعو فلا يرى للاجابة أثرا ، وسره لا يتغير لانه يعلم انه مملوك وله مالك يتصرف بمقتضى ارادته ، فان احتاج في قلبه اعتراض خرج من مقام العبودية الى مقام المناظرة ، كما جرى لابليس . والايان القوي يبين أثره عند قوة البلاء . فأما اذا رأينا مثل يحيى بن زكريا تسلط عليه فاجر فيأمر بذبحه فيذبح . وربما احتاج في الطبع ان يقول فهل رد عنه من جعله نبيا . وكذلك كل نسلط من الكفار على الانبياء والمؤمنين وما وقع رد عنهم ، فان هجس بالفكر ان القدرة تعجز عن الرد عنهم كان كفرا . وان علم ان القدرة متمكنة من الرد وما ردت ، ويجوع المؤمن ويشبع الكفار ويمافي العصاة ، ويمرض المتقين لم يبق الا التسليم للمالك وان أمض وأر مض . وقد ذهب يوسف بن يعقوب عليهما السلام فبكي ثمانين سنة ثم لم يياس ، فقال : «عسى الله ان يأتيني بهم جميعا» وقد دعا موسى عليه السلام على فرعون ، فأجيب بعد اربعين سنة وكان يذبح الانبياء ولا ترده القدرة القديمة العظيمة . وصلب السحرة ، وقطع أيديهم . وكمن بلية نزلت بمعظم القدر ، فما زاده ذلك الا تسليما ورضى فهناك يبين معنى قوله « ورضوا عنه » وههنا يظهر قدر قوة الايمان لاني ركعات ، قال الحسن البصري : استوى الناس في العافية فاذا نزل البلاء تباينوا .

١٩٥ - فصل - اضر ما على العوام المتكلمون . فانهم يخبطون عقائدهم بما يسمعون منه . من أقبح الاشياء أن يحضر العامي الذي لا يعرف أركان الصلاة ولا الربا في البيع مجلس الوعظ فلا ينهأ عن التواني في الصلاة ، ولا يعلمه الخلاص من الربا ، بل يقول له القرآن قائم بالذات ، والذي عندنا مخلوق . فهون القرآن عند ذلك العامي ، فيحلف به على

الكذب . ويح المتكلم لو كان له فهم اعلم أن الله سبحانه وتعالى نصب أعلاما  
تأنس بها النفوس وتطمئن اليها كالكعبة وسماها بيته ، والعرش وذكر  
استواءه عليه ، وذكر من صفاته اليد والسمع والبصر والعين ، وينزل الى  
الى السماء الدنيا، ويضحك . وكل هذا تأنس النفوس بالعادات . وقد جل  
عما تضمنته هذه الصفات من الجوارح . وكذلك عظم أمر القرآن ، ونهى  
المحدث أن يمسه المصحف قال الامر بقوم من المتكلمين الى أن أجازوا  
الاستغناء به . فهو لاء على معاندة الشريعة ، لانهم يهينون ما عظم الشرع .  
وهل الايفال في الكلام مما يقرب الى معرفة الحقائق التي لا يمكن خلافها ؛  
هيئات لو كان كذلك ما وقع بين المتكلمين خلاف ، أو ليس الشرب الاول  
ما تكلموا في شيء من هذا ؛ وان كانوا تعرضوا ببعض الاصول . ثم جاء  
فقهاء الامصار فنهوا عن الخوض في الكلام ، لعلمهم ما يجب وما يجنب  
ومن لم يقنع بعقيدة مثل الصحابة ولا بطريق مثل طريق أحمد والشافعي في  
ترك الخوض فلا كان من كان . ثم بالله تأملوا أليس قد وجب علينا هجر الربا  
بقوله تعالى : « لا تأكلوا الربا » وهجر الزنا بقوله : « ولا تقربوا الزنا » فأى  
فائدة لنا في ذكر قراءة ومقروء وتلاوة ومتلو وقديم ومحدث . فان قيل :  
فلا بد من اعتقاد ، قلنا : طريق السلف أوضح محجة ، لانا نقوله تقليدا ، بل  
بالدليل ولسكننا لم نستفده عن جوهر وعرض وجزء لا يتجزى ، بل بأدلة  
النقل مع مساعدة العقل من غير بحث عما لا يحتاج اليه وليس هذا مكان  
الشرح .

١٩٦ - فصل - ما زلت على عادة الخلق في الحزن على من يموت  
من الاهل والأولاد ، ولا أتخايل الا بلى الأبدان في القبور فاحزن لذلك .

فمرت بي أحاديث قد كانت تمر بي ولا أتفكر فيها ، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم : إنما نفس المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرده الله عز وجل الى جسده يوم يبعثه : فرأيت ان الرحيل الى الراحة ، وان هذا البدن ليس بشيء ، لانه مركب تفكك وفسد ، وسيبني جديدا يوم البعث ، فلا ينبغي أن يتفكر في بلاه . ولتسكن النفس الى أن الارواح انتقلت الى راحة فلا يبقى كبير حزن ، وان اللقاء للاجاباب عن قرب . وانما يبقى الاسف لتعلق الخلق بالصور ، فلا يرى الانسان الاجساد مستحسننا قد نقض فيحزن لتقضه . والجسد ليس هو الأدمى ، انما هو مركبه ، فالارواح لا ينالها البلى . والأبدان ليست بشيء . واعتبر هذا بما اذا قلعت ضرسك فرميتة في حفرة ، فهل عندك خبر مما يلقي في مدة حياتك ، فحكم الابدان حكم ذلك الضرس ، لا تدرى النفس ما يلقي . ولا ينبغي ان تغتم بتمزيق جسد المحبوب وبلاه ، واذا كر تنعم الأرواح ، وقرب التجديد ، وعجل اللقاء والفكر في تحقيق هذا يهون الحزن ويسهل الامر .

١٩٧ - فصل - ينبغي للعاقل أن لا يتكلم في الخلية عن أحد بشي حتى يمثل ذلك الشيء ظاهرا معلنا به ثم ينظر فيما يجنى . فرب رجل وثق بصديق فتكلم عن سلطان بأمر فبلغه فأهاكبه ، أو عن صديق فبلغه فوقمت الواقعة وكذلك ينبغي كتم المذاهب ، فانه ما يربح مظهرها إلا بالمعاداة . ولما صرح الشريف أبو جعفر في زمان المقتدى بمخالفة الأشاعرة أخذ وحبس حتى مات ، وكان المقصود قطع الفتن واصلاح الرعية ، فانه أهم الى السلطان من التعصب لمذهب .

١٩٨ - فصل - رأيت كثيرا من المتغفلين يظهر عليهم السخط

بالأقدار ، وفيهم من قل إيمانه ، فأخذ يعترض ، وفيهم من خرج الى  
 الكفر ، ورأى ان ما يجري كالعبث ، وقال ما فائدة الأعدام بعد الإيجاد ،  
 والابتلاء ممن هو غنى عن أذانا . فقلت لبعض من كان يرمز الى هذا ان  
 حضر عقلك وقلبك حدثتك ، وان كنت تتكلم بمجرد واقعك من غير  
 نظر وإنصاف فالحديث معك ضائع . ويحك ، أحضر عقلك ، واسمع ما أقول :  
 أليس قد ثبت ان الحق سبحانه مالك ، وللمالك ان يتصرف كيف يشاء ؛  
 أليس قد ثبت أنه حكيم والحكيم لا يعيب ؛ وأنا أعلم ان في نفسك من هذه  
 الكلمة شيئاً فإنه قد سمعنا عن جالينوس انه قال : ما أدري ؛ أحكيم هو  
 أم لا . والسبب في قوله هذا ، انه رأى نقضا بعد إحصاء ، فمقاس الحال على  
 أحوال الخلق وهو أن من بنى ثم نقض لا معنى فليس بحكيم . وجوابه  
 لو كان حاضرا أن يقال : بماذا بان لك ان النقض ليس بحكمة ، أليس  
 بعقلك الذي وهبه الصانع لك ؟ وكيف يهب لك الذهن الكامل ويفوته هو  
 الكمال ؛ وهذه المحنة التي جرت لا بليس . فإنه أخذ يعيب الحكمة بعقله ،  
 فلو تفكر علم ان واهب العقل أعلا من العقل ، وان حكمته أوفى من كل  
 حكيم ، لانه بحكمته التامة أنشأ العقول . فهذا اذا تأمله المنصف زال عنه  
 الشك . وقد أشار سبحانه الى نحو هذا في قوله تعالى « اله البنات ولكم  
 البنون » أى جعل لنفسه الناقصات وأعطاكم الكاملين ؛ فلم يبق الا أن  
 تضيف العجز عن فهم ما يجري الى نفسنا . ونقول هذا فعل عالم حكيم .  
 ولنكن ما يبين لنا معناه ، وليس هذا بعجب ، فان موسى عليه السلام خفى عليه  
 وجه الحكمة في نقض السفينة الصحيحة . وقتل الغلام الجميل : فلما يزل الخضر  
 وجه الحكمة اذعن . فليكن مع الخالق كموسى مع الخضر . أو لسنا نرى



المائدة المستحسنة بما عليها من فنون الطعام النفيف الظريف يُقطع ويمضغ .  
ولسنا نملك تلك الافعال ولا ننكر الافساد له ، لعامنا بالمصلحة الباطنة  
فيه ، فما المانع أن يكون فعل الحق سبحانه له باطن لا نعلمه . ومن أجهل  
الجهال العبد المملوك اذا طلب ان يطلع على سر مولاه ، فان فرضه التسليم  
لا الاعتراض . ولو لم يكن في الابتلاء بما ينكره الطباع الا ان يُقصد  
إذعان العقل وتسليمه لكفى . ولقد تأملت حالة عجيبة ، يجوز أن يكون  
المقصود بالموت هي ، وذلك ان اخلق سبحانه غيب في غيب لا يدركه  
الاحساس . فلو انه لم ينقض هذه البنية لتخايل للإنسان انه صنع لابصانع .  
فاذا وقع الموت عرفت النفس نفسها التي كانت لا تعرفها لكونها في الجسد  
وتدرك عجائب الامور بعد رحيلها . فاذا رُدت الى البدن عرفت ضرورة  
انها مخلوقة لمن أعادها . وتذكرت حالها في الدنيا . فان الأذكار تعاد كما  
تعاد الأبدان . فيقول قائلهم « انا كنا قبل في أهلنا مشفقين » ومتى رأت  
ما قد وعدت به من أمور الآخرة . أيقنت يقينا لاشك معه . ولا يحصل  
هذا باعادة ميت سواها . وانما يحصل برؤية هذا الامر فيها فيبني بنية تقبل  
البقاء وتسكن جنة لا ينقضى دوامها ، فيصلح بذلك اليقيزان تجاور الحق ،  
لانها آمنت بما وعد ، وصبرت بما ابتلى ، وسلمت لأقداره ، فلم تعترض ،  
ورأت في غيرها العبر ، ثم في نفسها . فهذه هي التي يقال لها : « ارجى الى  
ربك راضية مرضية فادخلى في عبادى وادخلى جنتى » فأما الشاك والكافر  
فيحرق لها الدخول الى النار واللبث فيها ، لانهما رأيا الأدلة ولم يستفيدا  
ونازعا الحكيم واعتراض عليه ، فعاد شؤم كفرهما يطمس قلوبهما ، فبقيت  
على ما كانت عليه ، فلما لم تنتفع بالدليل في الدنيا لم تنتفع بالموت والاعادة .

ودليل بقاء الخبث في القلوب قوله تعالى « ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه »  
 فنسأل الله عز وجل عقلاً مسلماً يقف على حده ، ولا يعترض على خالقه  
 وموجده . ثم الويل للمعارض ، أي ردّ اعتراضه الأقدار ! فما يستفيد إلا الخزي .  
 نعمو ذب الله ممن خذل .

١٩٩ - فصل - لا ينبغي للمؤمن ان ينزعج من مرض أو نزول  
 موت ، وان كان الطبع لا يملك . الا انه ينبغي له التصبر مهما أمكن ، إما  
 لطلب الأجر بما يعازر ، أو لبيان أثر الرضى بالقضاء ، وما هي الا لحظات  
 ثم تنقضي . ولتفكر المعاني من المرض في الساعات التي كان يعلق فيها  
 أين هي في زمان العافية ! ذهب البلاء وحصل الثواب ، كما تذهب حلوة  
 اللذات المحرمة ويبقى الوزر . ويمضي زمان التسخط بالأقدار ، ويبقى العتاب .  
 وهل الموت الا الآلام تزيد فتعجز النفس عن حملها فتذهب فليتصور  
 المريض وجود الراحة بعد رحيل النفس ، وقد هان ما يلقي ، كما يتصور  
 العافية بعد شرب الشربة المرة . ولا ينبغي ان يقع جزع بذكر البلي ، فان  
 ذلك شأن المركب . أما الراكب ففي الجنة أو في النار . وانما ينبغي أن يقع  
 الاهتمام الكلي بما يزيد في درجات الفضائل قبل نزول المعوق عنها . فالسعيد  
 من وفق لاغتنام العافية ، ثم يختار تحصيل الافضل فالافضل في زمن  
 الاغتنام . وليعلم ان زيادة المنازل في الجنة على قدر التزيد من الفضائل ههنا .  
 والعمر قصير ، والفضائل كثيرة فليبالغ في البدار . فيا طول راحة التعب ،  
 ويا فرحة المغموم ، ويا سرور المحزون . ومتى تخايل دوام اللذة في الجنة من  
 غير منغص ولا قاطع ، هان عليه كل بلاء وشدة .

٢٠٠ - فصل - حضرنا يوماً جنازة شاب مات أحسن ما كانت

الدنيا له ، فرأيت من ذم الناس للدنيا ، وعيب من سكن اليها ، والتقييح  
للغافلين عن الاستعداد لهذا المصراع أمرا كبيرا من الحاضرين . فقلت :  
نعم ما قلتم . ولكن اسمعوا مني ما لم تسمعه . أعجب الأشياء ان العاقل  
اذا علم قرب هذا المصراع منه أوجب عليه عقله البدار بالعمل والقلق من  
الخوف . وقد اشتد ذلك بأقوام فهموا في البرارى ، وطووا الايام  
بالجماعة ، وداموا على سهر الليل ، ولازموا المقابر ، فهلكوا سرعاً . ولمرى  
إن ما خافوه يستحق أكثر من هذا الفعل . ولكن نرى العقل الذى  
أوجب هذا القلق قد أمر بما يوجب السكون ، فقال : انما خلق هذا البدن  
ليحمل النفس كما تحمل الناقة الراكب ، ولا بد من التلطف بالناقة ليحصل  
المقصود من السير ، ولا يحسن في العقل دوام السهر وطول القلق ، لانه  
يؤثر في البدن فيفوت أكثر المقصود . كيف وقد خلق بدن الآدمي  
خالقاً لطيفاً ، فاذا هجر الدم نشف الدماغ ، فاذا دام على السهر قوى اليبس ،  
فاذا لازم الحزن مرض القلب . فلا بد من التلطف بالبدن بتناول ما يصلحه  
وبالقلب بما يدفع الحزن المؤذى له . والافتى دام المؤذى عجل التلف . ثم يأتي  
الشرع بما قد قاله العقل . فيقول : ان انفسك عليك حقا . وان لزوجك  
عليك حقا . فصم وأفطر . وقم وتم . ويقول : كفى بالمرء اثماً ان يضيع من  
يقوت : ويحث على النكاح . وداوم القلق واليبس يترك الزوجة كالارملة ،  
والولد كاليتيم . ولا وجه للتشاغل بالعلم مع هذا القلق . ومن أراد مصداق  
ما قلته فليتأمل حالة الرسول ﷺ ، فانه كان يعدل ما عنده من الخوف  
فيما زح ، ويسابق عائشة ، ويكثر من الزوج . وكان يتلطف بيده ،  
فيختار الماء البائت ، ويحب الحلوى واللحم . ولولا مسا كنة نوع غفلة لما

صنف العلماء ، ولا حفظ العلم ، ولا كُتِبَ الحديث . لازم يقول :  
ربما مت اليوم كيف يكتب وكيف يسمع ويصنف . فلا يهولنكم ماترون  
من غفلة الناس عن الموت حق ذكره ، فإنها نعمة من الله سبحانه بها تقوم  
الدنيا ، ويصلح الدين . وإنما تدم قوة الغفلة الموجبة للتفريط والاهمال  
للمحاسبة للنفس ، وتضييع الزمان في غير التزود ، وربما قويت فحمت على  
المعاصي . فأما اذا كانت بقدر كانت كالمالح في الطعام لا بد منه ، فان كثير  
صار الطعام زعافا . فالغفلة تمدح اذا كانت بقدر كما ينال . ومتى زادت وقع الهم .  
فافهم ما قلته . ولا تقل فلان شديد اليقظة ما ينال الليل ، وفلان غافل ينال  
أكثر الليل ، فان غفلة توجب مصالحة البدن والقلب لا تدم والسلام .

٢٠١ - فصل - ما يكاد يجب الاجتماع بالناس الافارغ ، لأن  
المشغول القلب بالحق يفر من الخلق . ومتى تمكن فراغ القلب من معرفة  
الحق امتلأ بالخلق ، فصار يعمل لهم ومن أجاهم ويهلك بالرياء ولا يعلم . واني  
لا تأمل على بعض من يتزيا بالفقر والتصوف وهو يلبس ثيابا لا تساوي  
دينارا ، وعنده المال الكثير ، وقد أصرح نفسه في المطاعم الشهية ، وهو عامل  
بمقتضى الكبر والتصدر ، فيتقرب الى أرباب الدنيا ، ويستدري أرباب العلم ،  
ويزور أولئك دونهم . وإنما يرُد ما يعطى ليشيع له اسم زاهد ، فتراه يربى  
الناموس وهو في احتياله كشمس ، وفي نهوضه على أغراضه في الباطن كلب  
شرى . فاقول : سبحانه الله ، ما يزهو الا الثياب ، أترى : ما سمع هذا قول النبي  
صلى الله عليه وسلم : ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده : وأعوذ بالله  
من رؤية النفس ، ورؤية الخلق ، فان من رأى نفسه تكبر ، والمتكبر أحمق ،  
لأنه ما من شيء يتكبر به الا ولغيره أكثر منه ، ومن رأى الخلق عبدهم

وهو لا يعلم . فأما العامل لله سبحانه وتعالى فهو بعيد من الخلق ، فان تقربوا إليه ستر حاله بما يوجب بعدهم عنه . وقد رأينا من يرأى ولا يدري فيمتنع من المشى في السوق ، ومن زيارة الاخوان ، ومن أن يشتري شيئاً بنفسه ، وتوهمه نفسه اني أكره مخالطة السوق . وانما هذا يرئى جاهاً بين العلماء ، اذ لو خالطهم لامتحى جاهه . وبطل تقبيل يده . وقد كان بشر الحافي يجلس في مجلس عند العطار . وابلغ من هذا كله أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يشتري ويحمله . وخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين فاشترى ثوباً . وقد كان طلحة بن مطرف قارىء أهل الكوفة ، فلما كثر الناس عليه مشى الى الأعمش فقراً عليه ، فإل الناس الى الأعمش وتركوا طلحة . هذا والله الكبريت الأحمر ، والاكسير ، لا ما يظن اكسيراً في الكيمياء . والمعاملة مع الله تعالى هكذا تكون . فأما ضد هذه الحال فإل عابد للخلق ملبس . وقد عم هذا جمهور الخلق حاشا السلف .

أفدى ظباء فلاة ماعرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب  
 ٢٠٢ - فصل - كل المعاصي قبيحة ، وبعضها أقبح من بعض ، فان الزنا من أقبح الذنوب ، فانه يفسد الفرش ويغير الأنساب ، وهو بالجارة أقبح . فقد روى في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال : قلت يا رسول الله أي ذنب أعظم ؛ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك . قلت : ثم أي ، قال : أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك . قلت ثم أي ، قال : أن تزاني حليلة جارك : وقد روى البخاري في تاريخه من حديث المقداد بن الأسود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره . ولأن يسرق من عشرة أبيات

أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره : وإنما كان هذا ، لأنه يضم الى معصية الله عز وجل انتهاك حق الجار . ومن أقبح الذنوب أن يزني الشيخ ، ففي الحديث : ان الله يبغض الشيخ الزاني : لأن شهوة الطبع قد ماتت ، وليس فيها قوة تغلب ، فهو يحركها ويبالغ ، فكانت معصيته عنادا . ومن المعاصي التي تشبه المعاندة لبس الرجل الحرير والذهب ، خصوصا خاتم الذهب الذي يتحلى به الشيخ وانه من أبرد الأفعال وأقبح الخطايا . ومن هذا الفن الرياء والتخاشع و اظهار التزهيد للخلق ، فانه كالعبادة لهم مع اهمال جانب الحق عز وجل . وكذلك المعاملة بالربا الصريح ، خصوصا من الغنى الكثير المال . ومن أقبح الأشياء أن يطول المرض بالشيخ الكبير ولا يتوب من ذنب ، ولا يعتذر من زلة ، ولا يقضى دينه ، ولا يوصى باخراج حق عليه . ومن قبائح الذنوب أن يتوب السارق والظالم ولا يرد المظالم . والمفرط في الزكاة أوفى الصلاة ولا يقضى . ومن أقبحها أن يحنت في يمين طلاقه ثم يقيم مع المرأة . وقس على ما ذكرته ، فالمعاصي كثيرة ، وأقبحها لا يخفى . وهذه المستقبحات فضلا عن القبائح تشبه العناد للأمر ، فيستحق صاحبها اللعن ودوام العقوبة . واني لأرى شرب الخمر من ذلك الجنس ، لأنها ليست مشتهاة لذاتها ولا لريحها ولا لطعمها فيما يذكر ، إنما لذتها فيما يقال بعد تجرع مرارتها ، فالاقدام على ما لا يدعو اليه الطبع الى أن يصل التناول الى اللذة معاندة . نسأل الله عز وجل ايمانا يحجز بيننا وبين مخالفته . وتوفيقا لما يرضيه . فانما نحن به وله .

٢٠٣ - فصل - اعتبرت على أكثر العلماء والزهاد أنهم يبطنون الكبير

فهذا ينظر في موضعه وارتفاع غيره عليه ، وهذا لا يعود مريضا فقيرا يرى

نفسه خيراً منه ، حتى انى رأيت جماعة يوماً اليهم ، منهم من يقول لأدفن الا  
 في دكة أحمد بن حنبل ، ويعلم أن في ذلك كسر عظام الموتى ، ثم يرى نفسه  
 أهلاً لذلك التصدر ، ومنهم من يقول : ادفنوني الى جانب مسجدى ظناً  
 منه أنه يصير بعد موته مزاراً كمعروف الكرخى . وهذه خلة مهلكة  
 ولا يعلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم : من ظن أنه خير من غيره فقد  
 تكبر : وقل من رأيت الا وهو يرى نفسه . والعجب كل العجب ممن  
 يرى نفسه ، أراه بما ذار آها : ان كان بالعلم فقد سبقه العلماء ، وان كان  
 بالتعب فقد سبقه العبّاد ، أو بالمال فان المال لا يوجب بنفسه فضيلة دينية .  
 فان قال : قد عرفت ما لم يعرف غيرى من العلم فى زمنى ، فما على من  
 تقدم ، قيل له : ما نأمرك يا حافظ القرآن أن ترى نفسك فى الحفظ  
 كمن يحفظ النصف ، ولا يافقيه ، ان ترى نفسك فى العلم كالعامى ، انما تحذر  
 عليك ان ترى نفسك خيراً من ذلك الشخص المؤمن وان قل علمه ، فان  
 الخيرية بالمعاني لا بصور العلم والعبادة . ومن تلمح خصال نفسه وذنوبها  
 علم انه على يقين من الذنوب والتمصير ، وهو من حال غيره على شك .  
 فالذى يُحذر منه الاعجاب بالنفس ، ورؤية التقدم فى أحوال الآخرة .  
 والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه . وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :  
 ان مت ندفنك فى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لأن ألقى الله  
 بكل ذنب غير الشرك أحب الى من أن أرى نفسى أهلاً لذلك . وقدر وينا :  
 ان رجلاً من الرهبان رأى فى المنام قائلاً يقول له : فلان الاسكافى خير منك ،  
 فنزل من صومعته فجاء اليه فسأله عن عمله فلم يذكر كبير عمله ، فقيل له  
 فى المنام : عد اليه وقل له : ممّ صفرة وجهك ، فعاد فسأله فقال : ما رأيت

مسلمًا الا وظننته خيرًا مني فقبل له : فبذلك ارتفع .

٢٠٤ - فصل - متى رأيت صاحبك قد غضب وأخذ يتكلم بما

لا يصالح ، فلا ينبغي أن تعقد على ما يقوله خنصرًا ، ولا أن تؤاخذه به ، فان حاله حال السكران ، لا يدري ما يجري ، بل اصبر لفورته ، ولا تعول عليها ، فان الشيطان قد غلبه ، والطبع قد هاج ، والعقل قد استتر ومتى أخذت في نفسك عليه ، أو أجبته بمقتضى فعله كنت كعافل واجه مجنونًا ، أو كمفنيق عاتب مغمى عليه ، فالذنب لك . بل انظر بعين الرحمة ، وتلمح تصريف القدر له ، وتفرج في لعب الطبع به . واعلم انه اذا انتبه ندم على ما جرى ، وعرف لك فضل الصبر . وأقل الاقسام ان تسامه فيما يفعل في غضبه الى ما يستريح به . وهذه الحالة ينبغي ان يتلمحها الولد عند غضب الوالد ، والزوجة عند غضب الزوج ، فتتركه يشتفي بما يقول ، ولا تعول على ذلك ، فسيعود نادماً معتذراً . ومتى قوبل على حالته ومقاتته صارت العداوة متمكنة ، وجازى في الافاقة على ما فعل في حقه وقت السكر . واكثر الناس على غير هذه الطريق ، متى رأوا غضبان قابله بما يقول ويعمل على مقتضى الحكمة . هذا . بل الحكمة ما ذكرته . وما يعقباها الا العالمون .

٢٠٥ - فصل - ليس في الدنيا أبه ممن يسيء الى شخص ويعلم

انه قد بلغ الى قلبه بالأذى ثم يصطاحان في الظاهر ، فيعلم ان ذلك الأثر محيٍ بالصلح . وخصوصا الملوك ، فان لنتهم الكبرى أن لا يرتفع عليهم أحد ، ولا ينكسر لهم غرض . فاذا جرى شيء من ذلك لم ينجبر . واعتبر هذا بأبي مسلم الخراساني ، فانه غض من قدر المنصور قبل ولايته فحصل ذلك في نفسه فقتله . ومن نظر في التواريخ رأى جماعة قد جرى لهم مثل هذا .



ولا ينبغي لمن أساء الى ذى سلطان أن يقع في يده، فانه اذا رام التخلص لم يقدر. فيبقى ندمه على ترك احترامه. وحسرتة على مسا كنة الضمان للسلامة أشد عليه من كل ما يلقى به من الهوان والأذى. ومن هذا الجنس الاصدقاء المتماثلون. فانك متى آذيت شخصا وبلغ الى قلبه أذاك فلا تثق بمودته، فان أذاك نصب عينه، فان لم يحتل عليك لم يصف لك. ولا تخالط الامن أنعمت عليه بحسب، فهو لم ير منك الا خيرا فيكون في نفسه. وكذلك الولد والزوجة والمعاملون. ويلحق بهذا ان أقول: لا ينبغي أن تعادى أحدا ولا تتكلم في حقه، وربما صارت له دولة فاشتفى، وربما احتيج اليه فلم يقدر عليه. فالعاقل يصور في نفسه كل ممكن ويستمر ما في قلبه من البغض والود، ويدارى مع الغيظ والحقد. هذه مشاور العقل ان قبلت.

٢٠٣ - فصل - كل من لا يتلمح العواقب ويستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل. واعتبر هذا في جميع الاحوال، مثل أن يغتر بشبابه ويدوم على المعاصى ويسوف بالتوبة، وربما أخذ بغتة ولم يبلغ بعض ما أمل. وكذلك اذا سوّف بالعمل أو بحفظ العلم، فان الزمان ينقضى بالتسويق ويفوت المقصود، وربما عزم على فعل خير أو وقف شيء من ماله فسوّف قبغت. فالعاقل من أخذ بالحزم في تصوير ما يجوز وقوعه وعمل بمقتضى ذلك، فان امتد الاجل لم يضره، وان وقع الخوف كان محترزا. ومما يتعلق بالدنيا ان يميل مع السلطان ويسيء الى بعض حواشييه ثقة بقربه منه، وربما تغير ذلك السلطان فارتفع عدوه فانتقم منه. وقد يعادى بعض الاصدقاء ولا يبالى به لانه دونه في الحالة الحاضرة، وربما صعدت مرتبة ذلك فاستوفى ما أسلفه اليه من القبيح وزاد. فالعاقل من نظر فيما

يجوز وقوعه ولم يعاد أحدا ، فان كان بينهما ما يوجب المعادة كتم ذلك ، فان صح له ان يثب على عدوه فينتقم منه انتقاماً يبيحه الشرع جاز ، على ان العفو أصلح في باب العيش . ولهذا ينبغي ان يُخدم البطل ، فانه ربما عمل فعرف ذلك لمن خدم . وقس على أنموذج ما ذكرته من جميع الاحوال .

٢٠٧ - فصل - بقدر صعود الانسان في الدنيا تنزل مرتبته في الآخرة . وقد صرح بهذا ابن عمر رضى الله عنهما فقال : والله لا ينال أحد من الدنيا شيئاً الا نقص من درجاته عند الله ، وان كان عنده كريماً . فالسعيد من اقتنع بالبلغة ، فان الزمان أشرف من أن يضيع في طلب الدنيا . اللهم الا أن يكون متورعاً في كسبه معيناً لنفسه عن الطمع قاصداً اعانة أهل الخير والصدقة على المحتاجين ، فكسب هذا أصلح من بطالته . فأما الصعود الذى سببه مخالطة السلاطين فبمبدأن يسلم معه الدين ، فان وقع سلامته ظاهراً فالعاقبة خطيرة . قال أبو محمد التميمي : ما غبظت أحدا الا الشريف أبا جعفر يوم مات القائم بأمر الله فانه غسله وخرج بنفض أحكامه فمعد في مسجده لا يبالي بأحد ونحن مزعجون لاندرى ما يجري علينا ، وذلك ان التميمي كان متعلقاً على السلطان يمضى له في الرسائل نخاف مغبة القرب . وقد رأينا جماعة من العلماء خالطوا السلطان فكانت مغبتهم سيئة . ولعمري انهم طلبوا الراحة فأخطوا طريقها ، لان غموم القلب لا يوازها لذة مال ، ولا لذة مطعم ، هذا في الدنيا قبل الآخرة . ومن أشرف وأطيب عيشاً من منفرد في زاوية لا يخالط السلاطين ولا يبالي أطاب مطعمه أم لم يطب ، فانه لا يخلو من كسرة وقعب ماء ، وهو سليم من أن

يقال له كلمة تؤذيه أو يعيبه الشرع حين دخوله عليهم أو اخلق . ومن تأمل حال أحمد بن حنبل في انقطاعه وحال ابن أبي داود ويحيى بن أكثم عرف الفرق في طيب العيش في الدنيا والسلامة في الآخرة . وما أحسن ما قال ابن أدهم : لو علم الملوك وابتاء الملوك ما نحن فيه من لذيذ العيش لجادلونا عليه بالسيوف . ولقد صدق ابن أدهم ، فان السلطان ان أكل شيئاً خاف ان يكون قد طرح له فيه سم ، وان نام خاف ان يُغتال ، وهو وراء المغاليق لا يمكنه ان يخرج لفرجة ، فان خرج كان منزعاً من أقرب الخلق اليه ، واللذة التي ينالها تبرد عنده ، ولا يبقى له لذة مطعم ولا منكح ، وكلما استظرف الطعام اكثر منها ففسدت معدته ، وكلما استجد الجوارى اكثر منهن فذهبت قوته ، ولا يكاد يبعد ما بين الوطى فلا يجد في الوطى كبير لذة ، لان لذة الوطىء بقدر بعد ما بين الزمانين ، وكذلك لذة الاكل . فان من أكل على شبع ووطى من غير صدق شهوة وقلق لم يجد اللذة التامة التي يجدها الفقير اذا جاع والعزب اذا وجد امرأة . ثم ان الفقير يرمى نفسه على الطريق في الليل فينام . ولذة الأمان قد حرمها الامراء . فلذتهم ناقصة ، وحسابهم زائد . والله ما عرف من عاش رفيع القدر بالغاً من اللذات مالم يبلغ غيره الا العلماء المخلصين كالحسن وسفيان وأحمد ، والعباد المحققين المعروف ، فان لذة العلم تزيد على كل لذة . وأما ضرهم اذا جاعوا أو ابتلوا بأذى ، فان ذلك يزيد في رفعتهم ، وكذلك لذة الخلوّة والتعبّد . فهذا معروف ، كان منفرداً بربه طيب العيش معه لذيد الخلوّة به ، ثم قدمات منذ نحو أربعائة سنة فما يخلوان يهدى اليه كل يوم ماتقدير مجموعته أجزاء من القرآن . وأقله من يقف على قبره فيقرأ قل هو الله أحد ويهديها له .

والسلاطين تقف بين يدي قبره ذليلة هذا بعد الموت ، ويوم الحشر تنشر الكرامات التي لا توصف ، وكذلك قبور العلماء المحققين . ولما بليت أقوام بمخالطة الامراء أثر ذلك التكدير في أحوالهم كلها . فقال : سفيان بن عيينة منذ أخذت من مال فلان الامير مَنعت ما كان وُهب لي من فهم القرآن وهذا أبو يوسف القاضي لا يزور قبره اثنان . فالصبر عن مخالطة الامراء وان أوجب ضيق العيش من وجه يحصل طيب العيش من جهات ، ومع التخليط لا يحصل مقصود . فن عزم جزم . كان أبو الحسن القزويني لا يخرج من بيته الا وقت الصلاة ، وربما جاء السلطان فيقعد لانتظاره ليسلم عليه ، ومدد النفس في هذا ربما أضجر السامع . ومن ذاق عرف .

٢٠٨ - فصل - من عرف الشرع كما ينبغي وعلم حالة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحوال الصحابة وأكابر العلماء علم ان اكثر الناس على غير الجادة ، وانما يشون مع العادة ، يتزاورون فيغتاب بعضهم بعضاً ، ويطلب كل واحد منهم عورة اخيه ، ويحسده ان كانت نعمة ، ويشمت به ان كانت مصيبة ، ويتكبر عليه ان نصح له ، ويخادعه لتحصيل شيء من الدنيا ، ويأخذ عليه العثرات ان أمكن . هذا كله يجري بين المتتمين الى الزهد لا الرعاع . فالاولى بمن عرف الله سبحانه وعرف الشرع وسير السلف الصالحين الانقطاع عن الكل ، فان اضطر الى لقاء منتسب الى العلم والخير تلقاه وقد لبس درع الحذر ، ولم يطل معه الكلام ، ثم عجل الهرب منه الى مخالطة الكتب التي تحوى تفسيراً لنطاق الكمال

٢٠٩ - فصل - الكمال عزيز . والكامل قليل الوجود . فأول أسباب الكمال يناسب أعضاء البدن ، وحسن صورة الباطن ، فصورة

البدن تسمى خلقاً ، وصورة الباطن تسمى خلقاً . ودليل كمال صورة البدن حسن الصمت ، واستعمال الادب . ودليل صورة الباطن حسن الطباع ، والاخلاق . فالطباع العفة ، والنزاهة ، والأنفة من الجهل ، ومباعدة الشره . والاخلاق الكرم ، والايثار ، وستر العيوب ، وابتداء المعروف ، والحلم عن الجاهل . فمن رزق هذه الاشياء رفته الى الكمال ، وظهر عنه أشرف الخلال ، وان نقصت خلة أوجبت النقص .

٢١٠ - فصل - ليس في الدنيا أبله ممن يريد معاملة الحق سبحانه على بلوغ الاغراض ، فأين تكون البلى اذن : لا والله ، لا بد من انعكاس المرادات ، ومن توقف أجوبة السؤالات ، ومن تشفى الاعداء في أوقات . فأما من يريد أن تدوم له السلامة والنصر على من يعاديه ، والعافية من غير بلاء ، فما عرف التكليف ، ولا فهم التسليم . أليس الرسول صلى الله عليه وسلم يُنصر يوم بدر ، ثم يجرى عليه ما جرى يوم أحد . أليس يُصد عن البيت ثم قهر بعد ذلك . فلا بد من جيد وردى ، والجيد يوجب الشكر ، والردى يحرك الى السؤال والدعاء ، فان امتنع الجواب ، أريد نفوذ البلاء ، والتسليم للقضاء . وههنا يبين الايمان ، ويظهر في التسليم جواهر الرجال . فان تحقق التسليم باطناً وظاهراً فذلك شأن الكامل . وان وجد في الباطن انحصار من القضاء لا من المقضى فان الطمع لا بد أن ينفر من المؤذى دل على ضعف المعرفة . فان خرج الامر الى الاعتراض باللسان ، فتلك حال الجهال ، نعوذ بالله منها .

٢١١ - فصل - من الابتلاء العظيم اقامة الرجل في غير مقامه . مثل أن يحوج الرجل الصالح الى مداراة الظالم والتردد اليه ، والى مخالطة

من لا يصلح ، والى أعمال لا نليق به ، أو الى أمور تقطع عليه مراده الذى يؤثره ، مثل أن يقال للعالم : تردد الى الامير والاخفنا عليك سطوته ، فيتردد فيرى ما لا يصلح ولا يمكنه أن ينكر ، أو يحتاج الى شىء من الدنيا وقد منع حقه فيحتاج أن يعرض بذكر ذلك ، أو يصرح لينال بعض حقه ، ويحتاج الى مداراة من تصعب مداراته ، بل يتشتت همه لتلك الضرورات . وكذلك يفتقر الى الدخول فى أمور لا تليق به ، مثل أن يحتاج الى الكسب فيتردد الى السوق أو يخدم من يعطيه أجرته . وهذا لا يحتمله قلب المراقب لله سبحانه لأجل ما يخالطه من الكدار أو يكون له عائلة وهو فقير فيتفكر فى اغنائهم ، فيدخل فى مداخل كلها عنده عظيمة . وقد يتلى بفقد من يحب ، أو يبلاء فى بدنه ، وبمكس أغراضه وتسليط معاديه عليه ، فيرى الفاسق يقهره . والظالم يذله . وكل هذه الاشياء تكدر عليه العيش ، وتكاد تزلزل القلب ، وليس فى الابتلاء بقوة الاشياء الا التسليم واللجا الى المقدر فى الفرج . فيرى الرجل المؤمن الحازم يثبت لهذه العظائم ولا يتغير قلبه ، ولا يتطق بالشكوى لسانه . أو ليس الرسول ﷺ يحتاج ان يقول : من يواربنى من ينصرنى ، ويفتقر الى ان يدخل مكة فى جوار كافر ، ويشق السلى على ظهره وتقتل أصحابه ، ويدارى المؤلفة ، ويشهد جوعه وهو ساكن لا يتغير . وما ذلك الا أنه علم ان الدنيا دار ابتلاء ، لينظر كيف تعملون . ومما يهون هذه الاشياء علم العبد بالأجر ، وان ذلك مراد الحق : فما لجرح اذا أرضاكم ألم :

٢١٢ - فصل - لا ينكر ان الطبايع تحب المال ، لانه سبب بقاء الابدان ، لكنه يزيد حبه فى بعض القلوب حتى يصير محبوبا لذاته لا للتوصل

به الى المقاصد ، فترى البخيل يحمل على نفسه العجائب ، ويمنعها اللذات ،  
وتصير لذاته في جمع المال . وهذه جملة في خاق كثير . وليس العجب ان  
تكون في الجهال . وينبغي ان يؤثر فيها عند العلماء المجاهدة للطبع ومخالفته ،  
خصوصاً في الافعال اللازمة في المال . فأما ان يكون العالم جامعاً للمال من  
وجوه قبيحة من شبهات قوية وبحرص شديد وبذل في الطلب ، ثم يأخذ  
من الزكوات ولا تحمل له مع الغنى ، ثم يدخره ولا ينفع به ، فهذه بهيمية  
تخرج عن صفات الآدمية ، بل البهيمية أعذر ، لانها بالرياضة تتغير طباعها ،  
وهؤلاء ما غيرتهم بالرياضة ، ولأفادهم العلم . ولقد كان أبو الحسن البسطامي مقياً  
في رباط البسطامي الذي على نهر عيسى ، وكان لا يلبس الا الصوف شتاء  
وصيفاً ، وكان يُحترم ويُقصد ، فخلف ما لا يزيد على أربعة آلاف دينار . ورأينا  
بعض أسياناً وقد بلغ الثمانين وليس له أهل ولا ولد ، وقد مرض فأتى نفسه  
عند بعض أصدقائه يتكلف له ذلك الرجل ما يشتهي وما يشفيه ، فمات فخلف  
أموالاً عظيمة . ورأينا صدقة بن الحسين الناسخ ، وكان على الدوام يذم الزمان  
وأهله ، ويبالغ في الطلب من الناس ويتخفف وهو في المسجد وحده ليس  
له من يقوم بأمره ، فمات فخلف فيما قيل ثلاث مائة دينار . وكان يصحبنا  
أبو طالب بن المؤيد الصوفي . وكان يجمع المال ، فسرق منه نحو مائة دينار ،  
فقتلها عليها وكان ذلك سبب هلاكه . ومن أحوال الناس أنك ترى  
أقواماً جلسوا على صفة القوم يطلبون الفتوح ، فيأتيهم منها الكثير الذي  
يصيرون به من الاغنياء ، وهم لا يمتنعون من أخذ زكاة ولا من طلب .  
وكذلك القصاص ، يخرجون الى البلاد ويطلبون ، فيحصل لهم المال الكثير ،  
فلا يتركون الطلب عادة . فيا سبحان الله . اى شئ أفاد العلم : بل الجهل كان لهؤلاء

اعذر. ومن أقبح أحوالهم لزومهم الأسباب التي تجلب لهم الدين من التواضع والتسك في الظاهر، وملازمة حث العزلة عن المخالطة، وكل هؤلاء بمنزل عن الشرع. ولقد تأملت على بعضهم من القدح في نظيره إلى أن يبلغ به إلى التعرض به للهلاك. فالويل لهم، ما أقل ما يتمتعون بظواهر الدنيا، وإن كان مقلب القلوب قد صرف القلوب عن محبتهم، لأن الحق عز وجل لا يميل بالقلوب إلا إلى المخلصين. فقد فاتتهم الدنيا على الحقيقة، وهي مسك القلوب والآخرة بالانفاق، وما حصوا إلا صورة الخطام. نسأل الله عز وجل عقلا يدبر دنيانا، ويحصل لنا آخرتنا، والرزاق قادر.

٢١٣ - فصل - ينبغي لمن عرف شرف الوجود أن يحصل أفضل الموجود. هذا العمر موسم. والتجارات تختلف. والعامّة تقول: عليكم بما خف حمله وأكثر ثمنه. فينبغي للمستيقظ أن لا يطلب إلا الأنفس وأنفس الأشياء في الدنيا معرفة الحق عز وجل. فن العارفين السالكين من وافي في طريقه بغيته في السفر، ومنهم من همته متعاقبة بطلب ربحه، ومنهم من ينظر إلى ما يرضى الحبيب فيجلبه إلى بلد المعاملة، ويرضى بالقبول ثمنًا، ويرى أن كل البضائع لا تفي بحق الخفارة، ومنهم من يرى لزوم السكر في اختياره السلوك دون غيره فيقر بالعجز. وقد ارتفع قوم عن هذه الأحوال، فأروا مجرد التوفيق يشغلهم عن النظر إلى العمل. أولئك الأقلون عددًا وأن الأعظمون قدرًا أقل نسلا من عنقاء مغرب.

١٢٤ - فصل - من علم قرب الرحيل عن مكة استكثر من الطواف، خصوصا إن كان لا يؤمل العود لكبر سنه وضعف قوته. فكذلك ينبغي لمن قارب ساحل الأجل بعلم سنه أن يبادر اللحظات، وينتظر



الهاجم بما يصلح له فقد كان في قوس الاجل منزع زمان الشباب ،  
واسترخى الوتر المشيب عن سية القوس . فأنحدر الى القاب وضعفت القوى  
أن يوتر ، وما بقى الا الاستسلام لمحارب التلف ، فالبدار البدار الى التنظيف  
ليكون القدوم على طهارة ، وأى عبس في الدنيا يطيب لمن أيامه السليمة  
تغريه الى الهلاك . وصعود عمره نزول عن الحياة . وطول بقائه نقص  
مدى المدة ، فليتفكر فيما يبرز يديه ، وهو أهم مما ذكرناه . أليس في  
الصحيح : مامنكم أحد الا ويعرض عليه مقعده بالغداة والعشى من الجنة  
والنار غدوة وعشيا ، <sup>(١)</sup> فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله : فوا أسفا لههدد ،  
كم يقتل قبل القتل . ويا طيب عيش الموعد بأزيد المنى . وليعلم من شارف  
السبعين ، ان النفس أنين . أعان الله من قد قطع عقبة العمر على رمل زرو والموت .

١٢٥ - فصل - من أراد أن يعلم حقيقة الرضى عن الله عز وجل  
في أفعاله ، وأن يدري من أين نشأ الرضى ، فليفكر في أحوال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم . فانه لما تكاملت معرفته بالخلاق سبحانه رأى أن  
الخلاق مالك ، وللمالك التصرف في مملوكه ، وراه حكما لا يصنع شيئا  
عبثا ، فسلم تسليم مملوك لحكيم ، فكانت العجائب تجري عليه ولا يوجد منه  
تغير ، ولا من الطبع تأفف . ولا يقول بلسان الحال لو كان كذا ، بل يثبت  
للاقدار ثبوت الجبل لعواصف الرياح . وهذا سيد الرسل صلى الله عليه  
وسلم . بعث الى الخلق وحده والكفر قد ملاء الآفاق ، فجعل يفر من مكان  
الى مكان ، واستتر في دار الخيزران ، وهم يضربونه اذا خرج ويدمون عقبه  
وشق السلى على ظهره وهو ساكت ساكن . ويخرج كل موسم فيقول من

(١) هكذا بتكرار الغداة والعشى مرتين في الأصول التي بأيدينا فليراجع

يؤوي من ينصرني ! ثم خرج من مكة فلم يقدر على العود الا في جوار  
 كافر ، ولم يوجد من الطبع تأنف ، ولا من الباطن اعتراض . اذ لو كان  
 غيره لقال : يارب أنت مالك الخلق . وقادر على النصر . فلم أذل ، كما قال عمر  
 رضی الله عنه يوم صلح الحديبية : أسنا على الحق ، فلم نعطي الدنيا في ديننا ؛  
 ولما قال هذا ، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : انى عبد الله ولن يضيعنى .  
 فجمعت الكلمتان الأصلين اللذين ذكرناهما . فقوله : انى عبد الله . اقرار  
 بالملك وكأنه قال : أنا مملوك يفعل بى ما يشاء . وقوله : لن يضيعنى بيان  
 حكمته ، وانه لا يفعل شيئاً عبثاً . ثم يتلى بالجووع فيشد الحجر ، والله خزائن  
 السموات والأرض . وتقتل أصحابه ، ويشج وجهه ، وتكسر رباعيته ،  
 ويمثل بعمه وهو ساكت . ثم يرزق ابناً ويسلب منه ، فيتعلل بالحسن  
 والحسين فيخبر بما سيجرى عليهما . ويسكن بالطبع الى عائشة رضی الله  
 عنها فينقص عيشه بقذفها . ويبالغ في اظهار المعجزات فيقام فى وجهه  
 مسيلمة والعنسى وابن صياد . ويقيم ناموس الامانة والصدق ، فيقال :  
 كذاب ساحر . ثم يعلقه المرض كما يوعك رجلان وهو ساكن ساكت .  
 فان أخبر بحاله فليعلم الصبر . ثم يشدد عليه الموت ، فيسلب روحه الشريفة  
 وهو مضجع فى كساء ملبد وازار غليظ ، وليس عندهم زيت يوقد به المصباح  
 ليلتئذ . هذا الشئ ما قدر على الصبر عليه كما ينبغي نبي قبله . ولو ابتليت به  
 الملائكة ما صبرت هذا آدم عليه السلام يباح له الجنة سوى شجرة فلا  
 يقع ذباب حرصه الا على العقر . ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول فى المباح  
 مالى وللدينا . وهذا نوح عليه السلام يضح مما لاقى فيصيح من كمد وجده  
 « لا تذر على الارض من الكافرين ديارا » . ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم

أهد قومي فانهم لا يعلمون : هذا الكلام موسى صلى الله عليه وسلم ، يستغيث عند عبادة قومه العجل على القدر « ان هي الافتنتك » ويوجه اليه ملك الموت فيقلع عينه . وعيسى صلى الله عليه وسلم يقول : ان صرفت الموت عن أحد فأصرفه عنى . ونبينا صلى الله عليه وسلم يخير بين البقاء والموت فيختار الرحيل الى الرفيق الاعلى . هذا سليمان صلى الله عليه وسلم يقول : هب لى ملكا . ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا . هذا والله فعل رجل عرف الوجود والموجد ، فماتت أغراضه ، وسكنت اعتراضاته فصار هواه فيما يجرى .

٢١٦ - فصل - اكثر شهوات الحسن النساء . وقد يرى الانسان امرأة في ثيابها فيتخايل له أنها أحسن من زوجته ، أو يتصور بفكره المستحسنات وفكره لا ينظر الا الى الحسن من المرأة ، فيسعى في التزوج والتسرى ، فاذا حصل له مراده لم يزل ينظر في عيوب الحاصل التي ما كان يتفكر فيها فيعمل ويطلب شيئا آخر ، ولا يدري أن حصول أغراضه في الظاهر ربما اشتمل على محن ، منها أن تكون الثانية لادين لها أو لاعقل أو لا محبة لها أو لاتدير فيفوت أكثر مما حصل . وهذا المعنى هو الذى أوقع الزناة في الفواحش . لأنهم يجالسون المرأة حال استتار عيوبها عنهم وظهور محاسنها ، فتلد لهم تلك الساعة ، ثم ينتقلون الى أخرى . فليعلم العاقل أن لاسبيل الى حصول مراد تام كما يريد « ولستم بأخديه الا أن تغمضوا فيه » وما عيب نساء الدنيا بأحسن من قوله عز وجل « ولهم فيها أزواج مطهرة » وذو الأنفة بأنف من الوسخ صورة ، وعيب الخلق معنى . فليقنع بما باطنه الدين ، وظاهره الستر والقناعة . فانه يعيش مرفه السر . طيب القلب

ومتى ما استكثر، فانما يستكثر من شغل قلبه ورقة دينه .

١٢٧ - فصل - سبحانه من شغل كل شخص بفن لتنام العيون في الدنيا فأما في العلوم فحجب الى هذا القرآن والى هذا الحديث والى هذا النحو اذ لولا ذلك ما حفظت العلوم وألهم هذا المتعیش أن يكون خبازاً، وهذا أن يكون هرأساً، وهذا أن ينقل الشوك من الصحراء، وهذا أن ينقى البشار ليلتم الخلق . ولو ألهم أكثر الناس أن يكونوا خبازين مثلاً، بات الخبز وهلك، أو هرأسين جفت الهرايس . بل يلهم هذا بقدر لينتظم أمر الدنيا وأمر الآخرة . ويندر من الخلق من يلهمه الكمال وطلب الافضل، والجمع بين العلوم والاعمال، وماملات القلوب، وتتفاوت أرباب هذه الحال . فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار . نسأله العفو ان لم يقع الرضى، والسلامة لم نصلح للمعاملة .

١٢٨ - فصل - علم الحديث هو الشريعة، لانه مبين للقرآن وموضح للحلال والحرام، وكشف عن سير الرسول صلى الله عليه وسلم وسير أصحابه . وقد مزجوه بالكذب، وأدخلوا في المنقولات كل قبيح، فاذا وفق الزاهد والواعظ لم يذكر الا ما شهدا بصحته، وان حرما التوفيق، عمل الزاهد بكل حديث يسمعه لحسن ظنه بالرواة، وقال الواعظ كل شيء يراه لجهله بالتصحيح، ففسدت أحوال الزاهد، وانحرف عن جادة الهدى، وهو لا يعلم . وكيف لا وعموم الاحاديث الدالة على الزهد لا تثبت، مثل حديث ابن عمر رضى الله عنهما: أيما امرىء مسلم اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له : وهذا حديث موضوع، يمتنع الانسان ما يبيح له مما يتقوى به على الطاعة . ومثل قوله : من وضع ثيابا حسانا . وكذلك مارووا « أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قدم له أدمان فقال : أدمان في قدح ، لا حاجة لي فيه ، أكره  
 أن يسألني الله عن فضول الدنيا . وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم : أكل البطيخ بالرطب : ومثل هذا أذنتبع كثير ، فقد بنوا  
 على فساد ، ففسدت أحوال الواعظ والموعوظ ، لأنه يبني كلامه على أشياء  
 فاسدة ومحالات . ولقد كانت جماعة من المتزهدين يعملون على أحاديث  
 ومنقولات لا تصح ، فيضيع زمانهم في غير المشروع . ثم ينكرون على  
 العلماء استعمالهم للمباحات ، ويرون أن التجفف هو الدين . وكذلك الوعظ  
 يحدثون الناس بما لا يصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه .  
 فقد صار المحال عندهم شريعة . فسيحان من حفظ هذه الشريعة بأخبار  
 أخيار ينفون عنها تحريف الغالين ، واتجال المبطلين .

١٢٩ - فصل - كان قد سألتني بعض أصحاب الحديث . هل في  
 مسند احمد ما ليس بصحيح : فقلت : نعم . فعظم ذلك على جماعة ينسبون الى  
 المذهب فحملت أمرهم على أنهم عوام ، وأهملت فسكر ذلك . واذا بهم قد  
 كتبوا افتاوى . فيكتب فيها جماعة من أهل خراسان ، منهم أبو العلاء الهمداني  
 يعظمون هذا القول ، ويردونه وبقبحون قول من قاله . فبقيت دهشاً متمجبا ،  
 وقلت في نفسي : واعجبا صار المنتسبون الى العلم عامة أيضا ، وما ذلك الا  
 أنهم سمعوا الحديث ولم يبحثوا عن صحيحه وسقيمه ، وظنوا أن من قال .  
 ماقلته قد تعرض للطعن فيما أخرجه احمد ، وليس كذلك . فان الامام احمد  
 روى المشهور والجيد والردى ، ثم هو قد رد كثيرا مما روى ولم يقبل به  
 ولم يجعله مذهبا له . أليس هو القائل في حديث الوضوء بالنبيد مجهول :  
 ومن نظر في كتاب العلال الذي صنفه أبو بكر الخلال رأى احاديث كثيرة

كلها في المسند ، وقد طعن فيها أحمد . ونقلت من خط القاضي أبي يعلى محمد ابن الحسين الفراء في مسألة النبيذ قال : انما روى احمد في مسنده ما اشتهر ، ولم يقصد الصحيح ولا السقيم . ويدل على ذلك ان عبد الله قال . قلت لابي : ما تقول في حديث ربيع بن حراس عن حذيفة : قال : الذي يرويه عبد العزيز بن أبي رواد ؟ قلت نعم . قال : الاحاديث بخلافه . قلت : فقد ذكرته في المسند . قال : قصدت في المسند المشهور ، فلو أردت أن أقصد ما صح عندي لم أرد من هذا المسند الا الشيء بعد الشيء اليسير ، ولكنك يا بني تعرف طريقي في الحديث ، لست أخالف ما ضعف من الحديث اذا لم يكن في الباب شيء يدفعه . قال القاضي : وقد أخبر عن نفسه كيف طريقه في المسند . فن جعله أصلاً للصحة فقد خالفه وترك مقصده . قلت : قد غمني في هذا الزمان أن العلماء لتقصيرهم في العلم صاروا كالعامية ، واذا مر بهم حديث موضوع قالوا قدروى . والبكاء ينبغي أن يكون على خسارة الهم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

٢٢٠ - فصل - بلغني عن بعض فساق القدماء انه كان يقول :

ما أرى العيش غير أن تتبع النفس هوها فخطئاً أو مصيباً

فتدبرت حال هذا واذا به ميت النفس ، ليس له أنفة على عرضه ولا خوف عار . ومثل هذا ليس في مسلخ الآدميين ، فان الانسان قديقدم على القتل لتلايقال جبان . ويحمل الاثقال ليقال ما قصر . ويخاف العار فيصبر على كل آفة من الفقر ، وهو يسترد ذلك حتى لا يرى بعين نقصة حتى ان الجاهل اذا قيل له يا جاهل غضب . واللصوص المتهيثون للحرام اذا قال أحدهم للآخر لا تتكلم . فان أختك تفعل وتصنع . أخذته الحمية فقتل الاخت . ومن له نفس

لا تقف في مقام تهمة لئلا يظن به . فأما من لا يبالي أن يرى سكران ، ولا يهتمه ان شهر بين الناس ، ولا يؤلمه ذكر الناس له بالسوء ، فذاك في عداد البهائم . وهذا الذي يريد أن يتبع النفس هو اهالا يلتذ به الا أن لا يخاف عنتاً ولا لوماً ، ولا يكون له عرض يحذر عليه ، فهو بهيمة في مسلاخ انسان ، والا فأى عيش لمن شرب الخمر وأخذ عقيب ذلك وضرب وشاع في الناس ما قد فعل به ، أما يفي ذلك باللذة ، لا ؛ بل يربو عليها أضعافاً . وأى عيش لمن ساكن الكسل اذا رأى أقرانه قد برزوا في العلم وهو جاهل ، أو استغنوا بالتجارة وهو فقير ، فهل يبقى للالتذاذ بالكسل والراحة معنى . ولو تفكر الزاني في الاحدوثة عنه ، أو تصور أخذ الخلد منه ، لكف الكف ، غير انه يرى لذة حاضرة كأنها لمع برق . ويا شوؤم ما أعقبت من طول الاسبى ، هذا كله في العاجل . فاما الآجل فمنغصة العذاب دائمة ، « والذين آمنوا مشفقون منها » نسأل الله أنفة من الرذائل ، وهمة في طلب الفضائل انه قريب مجيب .

٢٢١- فصل - قد تبغت العقوبات ، وقد يؤخرها الحلم ، والعاقلة من اذا فعل خطيئة بادرها بالتوبة ، فكم مغرور بامهال العصاة لم يمهل . وأسرع المعاصي عقوبة ما خلا عن لذة تنسى النهى ، فتكون تلك الخطيئة كالمعاندة والمبارزة ، فان كانت توجب اعتراضاً على الخالق أو منازعة له في عظمته ، فتملك الآتى لا تتلافى . خصوصاً ان وقعت من عارف بالله ، فانه يندر اهاله ، قال عبد المجيد بن عبد العزيز: كان عندنا بخراسان رجل كتب مصحفاً في ثلاثة أيام فلقية رجل فقال : في كم كتبت هذا . فأوماً بالسبابة والوسطى والابهام وقال : في ثلاث « وماسنا من لغوب » فجفت أصابعه

الثلاث، فلم ينتفع بها فيما بعد . وخطر لبعض الفصحاء انه يقدر أن يقول مثل القرآن، فصعد الى غرفة فانفرد فيها، وقال : أمهلوني ثلاثاً، فصعدوا اليه بعد الثلاث ويده قد يست على القلم وهو ميت، قال عبد الحميد : ورأيت رجلاً كان يأتي امرأته حائضاً، فحاض، فلما كثر الأمر به تاب فانقطع عنه . ويلحق هذا أن يعبر الانسان شخصاً بفعل، وأعظمه أن يعيره بما ليس اليه، فيقول يا أعمى، وباقبيح الخلقة . وقد قال ابن سيرين : عبرت رجلاً بالفقر فخبست على دين، وقد تنأخر العقوبة وتأتي في آخر العمر . فيأطول التعثير مع كبر السن لذنوب كانت في الشباب . فالحذر الحذر من عواقب الخطايا والبدار البدار الى محوها بالانابة، فلها تأثيرات قييحة ان أسرعت والا اجتمعت وجاءت .

١٣٢ - فصل - اعلم ان الآدمي قد خلق لأمر عظيم . وهو مطاب بمعرفة خالقه بالدليل، ولا يكفيه التقليد . وذلك يفتقر الى جمع الهم في طلبه . وهو مطاب باقامة المفروضات . واجتناب المحارم . فان سمت همته الى طلب العلم احتاج الى زيادة جمع الهم . فأسعد الناس من له قوت دار بقدر الكفاية، لا من من الناس وصدقاتهم، وقد قنع به، فانه حينئذ يجتمع همه لمطلوباته من الدين والدنيا والعلم . وأما اذا لم يكن له قوت يكفي فالهم الذي يريد اجتماعه في تلك الامور يتشتت ويصير طالباً للتحميل في القوت . فيذهب العمر في تحصيل قوت البدن الذي يريد من بقاءه غير بقاءه، ويفوت المقصود ببقائه . وربما احتاج الى الاندلال . قال الشاعر :

حسبي من الدهر ما كفاني يصون عرضي عن الهوان

مخافة ان يقول قوم فضل فلان على فلان



فيمبغى للعاقل اذا رزق قوتا أو كان له مواد أن يحفظها ليتجمع همه ، ولا ينبغي أن يبذر في ذلك فانه يحتاج فيتشتت همه . والنفس اذا أحرزت قوتها اطمانت . فان لم يكن له مال اكتسب بقدر كفايته وقلل الغلو ليجمع همه . وليقتنع بالقليل ، فانه متى سمت همته الى فضول المال وقع المحذور من التشتت ، لأن التشتت في الأول للعدم ، وهذا التشتت يكون للحرص على الفضول ، فيذهب العمر على البارد :

ومن ينفق الايام في حفظ ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقير

فافهم هذا ايضا صاحب الهمة في طلب الفضائل : فانك مالم تعزل قوت الصبيان شتوا قلبك ، وطبعك طفل . ففرغ همك من استعماته ، واعرف قدر شرف المال الذي أوجب جمع همك ، وصان عرضك عن الخلق . وإياك أن يحملك الكرم على فرط الاخراج فتصير كالفقير المتعرض لك بالتعرض لغيرك وفي الحديث أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عليه آثار الفقر ، فمرّض به فاعطى شيئا . فجاء فقير آخر فآثره الأول ببعض ما أعطى ، فرماه النبي صلى الله عليه وسلم فيه ؛ ونهاه عن مثل ذلك . والقناعة بما يكفي ، وترك التشوف الى الفضول أصل الاصول . ولما آيس الامام أحمد بن حنبل نفسه من قبول الهدايا والصلوات اجتمع همه . وحسن ذكره . ولما أطمعها ابن المديني وغيره سقط ذكرهم . ثم فيمن يطمع ؛ انما هو سلطان جائر ، أو مزك منان ؛ أو صديق مذبل بما يعطى . والعزل الذم من كل لذة ، والخروج عن ربة المن ولو بسف التراب .

١٢٣ - فصل - قد ركب في الطباع حب التفضيل على الجنس .

فأحد الا وهو يجب أن يكون أعلا درجة من غيره ، فاذا وقعت نكبة

أوجبت نزوله عن مرتبة سواه ، فينبغي له ان يتجلد بستر تلك النكبة ،  
 لئلا يرى بعين نقص . وليتجمل المتعفف حتى لا يرى بعين الرحمة . وليتجامل  
 المريض لئلا يشمت به ذوالعافية . وقد قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه  
 حين قدمه مكة وقد أخذتهم الحمى فخاف ان يشمت بهم الأعداء حين  
 ضعفهم عن السعى ، فقال : رحم الله من أظهر من نفسه الجلد فرملوا والرمل  
 شدة السعى . وزال ذلك السبب وبقي الحكيم ، ليتذكر السبب فيفهم معناه .  
 واستأذنوا على معاوية وهو في الموت ، فقال لأهله اجلسوني ، فقعدتمكنا  
 يظهر العافية ، فلما خرج العواد أنشد :

وتجلدى للشامتين أريهم أنى لرب الدهر لأتضعضع  
 واذا المنية انشبت أظفارها ألفت كل تيمة لاتنفع

وما زال العقلاء يظهرون التجلد عند المصائب والفقر والبلاء ، لئلا  
 تحملوا مع النوائب شماتة الأعداء ، وانها لأشد من كل نائبة . وكان  
 فقيرهم يظهر الغنى ، ومرريضهم يظهر العافية ، بلى . ثم نكتة ينبغى التفتن  
 لها ، ربما أظهر الانسان كثرة المال وسبوغ النعم . فأصابه عدوه بالعين  
 فلا يفي ما يتجسس به بما يلاقي من انعكاس النعمة . والعين لا تصيب الا ما يستحسن  
 للشئ ، ولا يكفي الاستحسان في اصابة العين حتى يكون من حاسد ،  
 ولا يكفي ذلك حتى يكون من شرير الطبع . فاذا اجتمعت هذه الصفات  
 خيف من اصابة العين . فليكن الانسان مظهرها للتجمل مقدار ما يأم من  
 اصابة العين ويعلم أنه في خير . وليحذر الإفراط في اظهار النعم ، فان العين  
 هناك محذورة . وقد قال يعقوب لبنيه عليهم السلام « لا تدخلوا من باب  
 واحد وادخلوا من ابواب متفرقة » وانما خاف عليهم العين فيلهم هذا

الفصل فانه ينفع من له تدبر .

٢٢٤ - فصل - انما خلقنا لنحيا مع الخالق في معرفته ومحدثه ورؤيته في البقاء الدائم . وانما ابتدئ كوننا في الدنيا لانها في مثال مكتب نتعلم فيه الخط والأدب ليصلح الصبي عند بلوغه للرتب ، فن الصبيان بعيد الذهن يطول مكثه في المكتب ويخرج وما فهم شيئا . وهذا مثال من لا يعلم وجوده ، ولانال المراد من كونه . ومن الصبيان من يجمع مع بعد ذهنه وقلة فهمه وعدم تعلمه أذى الصبيان ، فهو يؤذيهم ، ويسرق مطاعمهم ، ويستغيثون من يده ، فلا هو صالح ولا فهم ولا كف الشر . وهذا مثل اهل الشر والمؤذنين . ومن الصبيان من علق بشيء من الخط لكنه ضعيف الاستخراج ، ردى الكتابة ، فخرج ولم يعلق الا بقدر ما يعلق به حساب معاملته : وهذا مثل من فهم بعض الشيء وفاته الفضائل التامة . ومنهم من جودا لخط ولم يتعلم الحساب ، واتقن الآداب حفظا ، غير انه قاصر في أدب النفس ، فهذا يصلح ان يكون كاتباً للسلطان على مخاطرة لسوء ما في باطنه من الشره وقلة التأدب . ومنهم من سمت همته الى المعالي الكاملة ، فهو مقدم الصبيان في المكتب ونائب عن معلمهم ، ثم يرتفع عنهم بعزة نفسه ، وأدب باطنه ، وكمال صناعة الآداب الظاهرة . ولا يزال حاث من باطنه يحثه على تعجيل التعلم ، وتحصيل كل فضيلة لعله ان المكتب لا يراى اد لنفسه بل لا أخذ الادب منه ، والرحلة الى حالة الرجولية والتصرف ، فهو يبادر الزمان في نيل كل فضيلة . فهذا مثل المؤمن الكامل يسبق الأقران يوم التجارير ، ويعرض لوح عمله جيد الخط ، فيقول بلسان حاله « هاؤم اقرؤا كتابيه » وكذلك الدنيا واهابها . من الناس هالك بعيد عن الحق وهم الكفار . ومنهم خاطيء مع قليل من الايمان فهو معاقب

والمصير الى خير . ومنهم سليم لكنه قاصر . ومنهم تام لكنه بالاضافة الى من دونه، وهو ناقص بالاضافة الى من فوqe فالبدار البهدار بأر باب الفهوم فان الدنيا معبر الى دار اقامة . وسفر الى القرب من السلطان ومجاورته . فتهيئوا للمجالسة . واستعدوا للمخاطبة . وبالغوا في استعمال الأدب لتصلحوا للقرب من الحضرة . ولا يشغلنكم عن تضمير الخليل تكاسل . وليجعلكم على الجد في ذلك تذكركم يوم السباق ، فان قرب المؤمنين من الخالق على قدر حذرهم في الدنيا . ومنازلهم على قدرهم . فمنازل النفاط كمنزل الحاجب ، ولا منزل الحاجب كمكان الوزير ، جنتان من ذهب آيتهما وما فيهما . وجنتان من فضة آيتهما وما فيهما . والفردوس الاعلى لآخرين . والذين في أرض الجنة ينظرون أهل الدرجات كما يرون الكوكب الدرى ، فليتذكر الساعى حلاوة التسليم الى الامين . وليتذكر في لذاذة المسدح يوم السباق . وليحذر المسابق من تقصير لا يمكن استدراكه . وليخف من عيب يبقى قبح ذكره . هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن ، وليصبر الهوى عن المشتى ، فالايام قلائل . يدخل فقراء المؤمنين قبل الاغنياء الى الجنة بخمس مائة عام . فالجد الجد ، بأقدام المبادرة ، فقد لاح العلم خصوصاً لمن بانث له بانة الوادى ، إما بالعلم الدال على الطريق ، وإما بالشيب الذى هو علم الرحيل وهو يأمله أهل الجد . وكان الجنيد يقرأ وقت خروج روحه ، فيقال له في هذا الوقت : فيقول أبادر طى صحيفتى ، وبعد هذا . فالمراد موفق . والمطلوب معان . واذا أردك لا أمر هياك له .

١٣٥ - فصل - تأملت حالة عجيبة . وهو ان أهل الجنة الساكنين في أرضها في نقص عظيم بالاضافة الى من فوقهم ، وهم يمامون فضل

أولئك . فلو تفكروا فيما فأنهم من ذلك وقعت الحسرات ، غير ان ذلك لا يكون ، لان ذلك لا يقع لهم لطيب منازلهم ، ولا يقع في الجنة غم ، ويرضى كل بما أعطى من وجهين ، أحدهما انه لا يظن ان يكون نعيم فوق ما هو فيه ، وان علت منزلة غيره . والثاني انه يحب اليه كما يحب اليه ولده المستوحش الخلقه ، فيؤثره على الاجنبي المستحسن ، الا أن تحت هذا معنى لطيف . وهو ان القوم خلقت لهم هم قاصرة في الدنيا عن طلب الفضائل ، ويتفاوت قصورها . فمنهم من يحفظ بعض القرآن ولا يتوق الى التمام . ومنهم من يسمع يسيراً من الحديث . ومنهم من يعرف قليلا من الفقه . ومنهم من قد رضى من كل شىء يسيره . ومنهم مقتصر على الفرائض : ومنهم فنوع بصلاة ركعتين في الليل ولو علت بهم الهمم لجدت في تحصيل كل الفضائل ، ونبت عن النقص فاستخدمت البدن كما قال الشاعر :

ولكل جسم في النحول بلية وبلاء جسمي من تفاوت همتي  
وبدل على تفاوت الهمم ان في الناس من يسهر في سماع سمر ولا يسهل  
عليه السهر في سماع القرآن . والانسان يحشر ومعه تلك الهممة ، فيعطى  
على مقدار ما حصت في الدنيا ، فكما لم تتق الى السكالم وقنعت بالدون  
قنعت في الآخرة بمثل ذلك . ثم ان القوم يتفكرون بعقولهم ، فيعلمون  
ان الجزاء على قدر العمل ، ولا يطمع من صلى ركعتين في ثواب من صلى  
الفا . فان قال قائل فكيف يتصور لها ان تروم ما ناله من هو أفضل منها ؛  
قلت : ان لم يتصور نيته يتصور الحزن على فوته ، وهل رأيت عاميا يحزن  
على فوات الفقه حزنا يقلقه ؛ هيئات . لو كان ذلك الحزن عنده لحركه الى  
التشاغل . فليس عندهم هممة توجب الاسف مع أنهم قد رضوا بما هم فيه .

فافهم ماقلته وبادر ، فهذا ميدان السباق .

٢٢٦ - فصل - تفكرت في ابقاء اليهود والنصارى يديننا وأخذ الجزية منهم ، فرأيت في ذلك حكماً عجيبة . منها ما قد ذكر من ان الاسلام كان ضعيفاً فتقوى بما يؤخذ من جزيتهم ، ومنها ظهور عزه بذلمهم الى غير ذلك مما قد قيل . ووقع لي فيه معنى عجيب . وهو ان وجودهم وتعبدهم وحفظهم شرع نبهم صلى الله عليه وسلم دليل على انه قد كان انبياء وشرائع ، وان نبينا صلى الله عليه وسلم ليس ببدع من الرسل ، فقد اجتمعت الجن وهم على إثبات صانع ، واقرار برسل ، فبان أننا ما ابتدعنا ما لم يكن . وهم يصبرون على باطلهم ، ويؤدون الجزية ، فكيف لانصبر على حق ، والدولة لنا . وفي بقائهم احترام لما كان صحيحاً من الدين وليرجع متبصر وليستعمل مفكر .

٢٢٧ - فصل - قد ثبت بالدليل شرف العلم وفضله ، الا أن طلاب العلم افرقوا ، فكل تدعوه نفسه الى شيء ، فمنهم من اذهب عمره في القراءات ، وذاك تفریط في العمر ، لأنه انما ينبغي أن يعتمد على المشهور . منها لاعلى الشاذ ، وما أقبح بالقارى ان يسأل عن مسألة في الفقه ولا يدري ، وليس ماشغله عن ذلك الا كثرة الطرق في روايات القراءات ، ومنهم من يتشاغل بالنحو وعلله فحسب ، ومنهم من يتشاغل باللغة فحسب ، ومنهم من يكتب الحديث ويكثر ولا ينظر في فهم ما كتب . وقد رأينا في مشائخنا المحديثين من كان يسأل عن مسألة في الصلاة فلا يدري ما يقول ، وكذلك القراء ، وكذلك أهل اللغة والنحو . وحدثني عبد الرحمن بن عيسى الفقيه قال حدثني ابن المنصوري قال حضرنا مع أبي محمد بن الحشاش ، وكان امام

الناس في النحو واللغة ، فتذاكروا الفقه ، فقال : سلوني عما شئتم ، فقال له رجل : ان قيل لنا رفع اليدين في الصلاة ما هو فاذا نقول . فقال : هو ركن ؛ فدهشت الجماعة من قلة فقهه . وانما ينبغي أن يأخذ من كل علم طرفاً ثم يهتم بالفقه ، ثم ينظر في مقصود العلوم ، وهو المعاملة لله سبحانه . والمعرفة به والحب له وما أبله من يقطع عمره في معرفة علم النجوم ، وانما ينبغي أن يعرف من ذلك التسيير والمنازل لعلم الاوقات . فأما النظر فيما يدعى انه القضاء والحكم فجهل محض ، لانه لا سبيل الى علم ذلك حقيقة ، وقد جرب فبان جهل مدعيه ، وقد تقع الاصابة في وقت . وعلى تقدير الاصابة لا فائدة فيه إلا تعجيل النعم . فان قال قائل : يمكن دفع ذلك فقد سلم انه لا حقيقة له . وأبله من هؤلاء من يتشاغل بعلم الكيمياء فانه هزبان فارغ . واذ كان الا يتصور قلب الذهب نحاساً لم يتصور قلب النحاس ذهباً . فانما فاعل هذا مستحل للتدليس على الناس في النقود ، هذا اذا صح له مراده . وينبغي لطالب العلم أن يصحح قصده ، إذ فقد الاخلاص يمنع قبول الاعمال . وليجتهد في مجالسة العلماء ، والنظر في الاقوال المختلفة ، وتحصيل الكتب ، فلا يخلو كتاب من فائدة ، وليجعل همته للحفظ ، ولا ينظر ولا يكتب الا وقت التعب من الحفظ . وليحذر صحبة السلطان ، ولينظر في منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، وليجتهد في رياضة نفسه والعمل بعهده ، ومن تولاه الحق وفقه .

٢٢٨ - فصل - مال تعجبي من أقوام لهم أنفة وعندهم كبر زائد في الحد ، خصوصاً العرب الذين من كلمة ينفرون ويحاربون ويرضون بالقل حتى أن قوما منهم أدركوا الاسلام فقالوا : كيف نركع ونسجد ففعلونا

أستاذنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود : ومع هذه الألفة يذلون لمن هم خير منهم هذا يعبد حجراً ، وهذا يعبد خشبة ، وقد كان قوم يعبدون الخيل والبقر ، وإن هؤلاء لأخس من ابليس ، فإن ابليس أنف لادعائه الكمال أن يسجد لناقص فقال « أنا خير منه » وفرعون أنف أن يعبد شيئاً أصلاً . فالعجب من ذل هؤلاء المفتخرين المتعاضمين المتكبرين لحجر أو خشبة ، وإنما ينبغي أن يذل الناقص للكاملين . وقد أشير إلى هذا في ذم الأصنام في قوله تعالى « ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيدي يطشون بها ، أم لهم أعين يبصرون بها » والمعنى أنتم لكم هذه الآلات المدركة وهم ليس لهم ، فكيف يعبد الكامل الناقص ، غير أن هوى القوم في متابعة الأسلاف . واستحلاء ما اخترعوه بأرائهم غطى على العقول ، فلم تتأمل حقائق الأمور . ثم غطى الحسد على أقوام فتركوا الحق وقد عرفوه . فأمية بن الصلت يقر برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتصدده ليؤمن به ، ثم يعود فيقول : لأؤمن برسول ليس من ثقيف . وأبوجهل يقول : والله ما كذب محمد قط ، ولكن إذا كانت السدانة والحجابه في بني هاشم ثم النبوة فما بقي لنا . وأبوطالب يرى المعجزات ويقول : أنى لأعلم أنك على الحق . ولولا أن تعيرني نساء قريش لأقررت بها عينك . فنعوذ بالله من ظلمة حسد . وغيابة كبر ، وحمافة هوى يغطي على نور العقل ، ونسأله إلهام الرشد ، والعمل بمقتضى الحق .

١٣٩ - فصل - قد سمعنا بجماعة من الصالحين عاملوا الله عز وجل على طريق السلامة والمحبة واللطف فعاملهم كذلك ، لأنهم لا يهتمون بطبعهم غير ذلك . ففي الأوائل برخ العابد خرج يستسقى فقال : ما هذا الذي لا نعرفه



منك . اسقنا الساعة فسقوا . وفي الصحابة أنس بن النضير يقول : والله لا تكسر سن الربيع ، فجرى الأمر كما قال . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره . وهوؤلاء قوم غلب عليهم ملاحظة اللطف والرفق فلفظ بهم ، وأجروا على ما اعتقدوا . وهناك أعلام من هؤلاء يسألون فلا يجابون ، وهم بالمنع راضون ، ليس لأحدهم انبساط ، بل قد قيدم الخوف ، ونكس رؤوسهم الحذر ، ولم يروا ألسنتهم أهلا للانبساط ، فغاية آمالهم العفو ، فان انبسط أحدهم بسؤال فلم ير الاجابة ادعى نفسه بالتوبيخ ، فقال : مثلك لا يجاب . وربما قال لعل المصلحة في منعي . وهوؤلاء الرجال حقا . والأبله الذي يرى له من الحق أن يجاب ، فان لم يُجَب تدمر في باطنه كأنه يطلب أجره عمله ، وكأنه قد نفع الخالق بعبادته . وانما العبد حقا من يرضى ما يفعله الخالق ، فان سأل فاجيب رأى ذلك فضلا ، وان منع رأى تصرف مالك في مملوك ، فلم يجزل في قلبه اعتراض بحال .

٢٣٠ - فصل - رأيت جماعة من العلماء يتقسمون ويظنون ان العلم يدفع عنهم ، وما يدرون ان العلم خصمهم وانه يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب . وذلك لأن الجاهل لم يتعرض بالحق ، والعالم لم يتأدب معه . ورأيت بعض القوم يقول : انا قد أقيمت منجلى بين الحصادين ونمت . ثم كان ينفسح في أشياء لا تجوز ، فتفكرت فاذا العلم الذي هو معرفة الحقائق ، والنظر في سير القدماء ، والتأدب بأداب القوم ، ومعرفة الحق وما يجب له ، ليس عند القوم ، انما عندهم صور الفاظ يعرفون بها ما يجمل وما يحرم ، وليس كذلك العلم النافع . انما فهم الاصول ومعرفة المعبود وعظامته وما يستحقه ، والنظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، والتأدب بأدابهم ، وفهم

ما نقل عنهم، هو العلم النافع الذي يدع أعظم العلماء أحقرَ عند نفسه من أجهل  
 الجهال. ورأيت بعض من تعبد مدة ثم فتر، فبلغني أنه قال: قد عبدته  
 عبادة ما عبده بها أحد، والآآن قد ضعفت. فقلت: ما أخوفني أن تكون  
 كلمته هذه سبباً لرد السكل، لأنه قد رأى أنه عمل مع الحق شيئاً، وإنما  
 وقف يسأل النجاة بطلب الدرجات، ففي حق نفسه فعل. وما مثله الا كمثل  
 من وقف يكدي، فلا ينبغي أن يمن على المعطى. وإنما سبب هذا الانبساط  
 الجهل بالحقائق. وأين هو من كبار علماء المعاملة الذين كان فيهم مثل حلة  
 ابن أشيم اذا رآه السبع هرب منه، وهو يقول اذا اتقضى الليل عند صلواته:  
 يارب أجرني من النار. ومثلي يسأل الجنة! وأبلغ من ذاقول عمر: وددت  
 أن أنجو كفا لالي ولا على. وقول سفيان عند موته لحما بن سامية:  
 أترجو مثلي ان ينجو من النار. وقول أحمد: لا. بعد. فأنا أحمد الله عز وجل  
 اذ تخلصت من جهل التسمين بالعلم من هؤلاء الذين ذمهم. وبالزهد  
 من هؤلاء الذين عبهم. فاني قد اطلمت من عظمة الخالق وسير المحققين  
 على ما يخرس لسان الانبساط، ويحو النظر الى كل فعل وكيف أنظر الى فعل  
 المستحسن: وهو الذي وهبه لي وأطلعني على ما خفي عن غيري، فهل  
 حصل ذلك بي أو بلطفه. وكيف أشكر توفيق الشكر! ثم أي عالم اذا  
 سبر أمور العلماء من التقدم لا يحتقر نفسه، هذا في صورة العلم، فدع معناه  
 وأي عابد يسمع بالعباد ولا يجري في صورة التعمد. فدع المعنى. نسأل الله  
 عز وجل معرفة تعرفنا أقدارنا. حتى لا يبقى للعجب بحمق ما عندنا أثر  
 في قلوبنا. ونرغب اليه في معرفة لعظمته يخرس الألسن ان تنطق بالادلال  
 ونرجو من فضله توفيقاً نلاحظ به آفات الاعمال التي بها نزهو حتى نتمر

الملاحظة اعيوبها الخجل من وجودها . إنه قريب مجيب .

٢٣١ - فصل - سبب تنغيص العيش فوات الحظوظ العاجلة :

وليس في الدنيا طيب عيش على الدوام الا للعارف الذي شغله رضى حبيبه والتزود للرحيل اليه . فانه ان وجد راحة في الدنيا استعان بها على طلب الآخرة . وان وجد شدة اغتم الصبر عليها الثواب الآخرة . فهو راض بكل ما يجرى عليه . يرى ذلك من قضاء الخالق ، ويعلم أنه مراده ، كما قال قائلهم :

إن كان رضاكم في سهري فسلام الله على وسنى

فأما من طاب حظه فانه يقلق لفوت مراده ، ويتنفس لبعده ما يشتهي فلو افتقر تغير قلبه ، ولو ذل تغير ، وهذا لأنه قائم مع غرضه وهواه وما أحسن قول الحضري : ايش على منى وايش لى فى : وهذا كلام عارف . لانه ان كان ينظر الى حقيقة المسكة فعبء يتصرف فيه مولاه . فاعتراضه لا وجه له . و ارادته أن يقع غير ما يجب فضول فى البين . وان نظر أن النفس كالمالك له فقد خرجت عن يده من يوم « ان الله اشترى » أفيحسن لمن باع شاة أن يغضب على المشتري اذا ذبحها او يتغير قابه . والله لو قال المالك سبحانه : انما خلقتكم ليستدل على وجودى ، ثم أنا أفنيكم ولا اعادة ، لكان يجب على النفوس العارفة به أن تقول سمعاً لما قلت وطاعة ، وأى شيء لنا فينا حتى نتكلم . فكيف وقد وعد بالأجر الجزيل ، والخلود فى النعيم ، الذى لا ينفد . لكن طريق الوصول يحتاج الى صبر على المشقة وما يبقى لتعب رمل زرد واثرا اذا لاح الحرم . فالصبر الصبر يا أقدام المبتدئين لاح المتزل . والسرور السرور يا متوسطين ضربت الخيم . والفرح الكامل يا عارفين ، قد تلقيتهم بالبشائر . زالت والله أثقال المعاملات عنكم ، فكانت

معرفة فكم بالمبتلى حلاوة تعقبت شربة المجاهدة، فلم يبق في الفم للمرأثر .  
 تخيلوا قرب المناجاة ولذة الحضور . ودوار كؤوس الرضى عنكم فقد  
 أخذت شمس الدنيا في الافول :

ما بيننا له الا تصرّ م هذه السبع البواقى  
 حتى يطول حديثنا بصنوف ما كنا نلاقى

من التغفل ان تعاقب شخصاً او تسيء اليه إساءة عظيمة وتعلم ان  
 مثل ذلك يحدد الحقد ، فتراه ذليلاً لك طاماً تائباً مقلعاً عما فعل ، فتعود  
 فتستطيعه وتنسى ما فعلت وتظن انه قد انحى من قلبه . فربما عمل لك المحن  
 ونصب لك المكائد ، كما جرى لتصير مع الزباء ، واخباره معروفة . فيا لك  
 ان تسأكن من آذيتك ، بل ان كان ولا بد فمن خارج فئات من الاحقاد . ومتى  
 رأيت عدوك فيه غفلة لا يثنيه مثل هذا فأحسن اليه ، فانه يذى عداوتك  
 ولا يظن انك قد اضمرت له جزاء على قبح فعله فينبذ تقدر على بلوغ كل  
 غرض منه . ومن الخور اظهار العداوة للعدو . ومن أحسن التدبير التلطف  
 بالاعداء الى ان يمكن . ولو لم يمكن كان اللطف سبباً في كف أكرههم عن  
 الأذى ، وفيهم من يستحي لحسن فعلك فيتغير قلبه لك . وقد كان جماعة  
 من السلف اذا بلغهم ان رجلاً قد شتمهم اهدوا اليه واعطوه ، فهم بالعاجل  
 يكفون شره ، ويحتالون في قلبه ، ويقع بذلك لهم مهلة لتدبير  
 الحيل عليه ان ارادوا . وكفى بالذهن الناظر الى العواقب والتأمل لسكل  
 ممكن مؤدباً .

٢٣٢ - فصل - تفكرت في قول شيبان الراعى لسفيان : ياسفيان  
 عدّ من الله اياك عطاء منه لك ، فانه لم يمنعك بخلاً ، انما منعك لطفاً . فرأيتك

كلام من قد عرف الحقائق . فان الانسان قد يريد المستحسنات الفائقات فلا يقدر ، وعجزه املح له ، لأنه لو قدر عليهن تشتت قلبه إما بحفظهن او بالكسب عليهن ، فان قوى عشقه لهن ضاع عمره واتقلب هم الآخرة الى الاهتمام بهن . فان لم يردنه فذاك الهلاك الاكبر . وان طلبن نفقة لم يطبقها كان سبب ذهاب مروته وهلاك عرضه ، وان اردن الوطاء وهو عاجز فربما أهلكته او فجرن ، وان مات معشوقه هلك هو أسفاً . فالذى يطلب الفائق يطلب سكيننا لذبحه وما يعلم . وكذلك انفاذ قدر القوت فانه نعمة وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً ومتى كثر ، تشتت اللهم . فالعاقل من علم ان الدنيا لم تخلق للتنعيم ، فقنع بدفع الوقت في كل حال .

٢٣٣ - فصل - رأيت جماعة من الخلق يتعملون بالأقدار ، فيقول قائمهم : ان وُفقت فعلت ، وهذا تعلم بارد ، ودفع الامر بالراح ، وهو يشير الى رد اقوال الانبياء والشرائع جميعها . فانه لو قال كافر للرسول ان وفقني اسامت لم يجبه الا بضرب العنق . وهذا من جنس قول الناس لعلى رضى الله عنه : ندعوك الى كتاب الله فقال : كلمة حق اريد بها باطل . وكذلك قول المتعلمين عن الصدقة « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » واعمرى ان التوفيق أصل الفعل . ولكن التوفيق أمر خفى . والخطاب بالفعل أمر جلي . فلا ينبغي ان يتشاغل عن الجلي بذكر الخفى . ومما يقطع هذا الاحتجاج ان يقال لهذا القائل : ان الله سبحانه لم يكلفك شيئاً . وعندك أدوات ذلك الفعل ولك قدرة عليه ، فان كانت القدرة عليه معدومة والادوات غير محصلة فلا أمر ولا تكليف ، وان كنت تسعى بتلك الادوات في تحصيل غرضك وهو الك

فاسع بها في اقامة مفروضك. مثل ذلك انك تسافر في طلب الربح، وتُسأل  
الحج فلا تفعل، ويثقل عليك الانتباه بالليل. فلو أردت الخروج الى العيد  
انتبهت سحرا، وتقف في بعض أغراضك مع صديق تحادثه ساعات فاذا  
وقفت في الصلاة استعجلت، وثقل عليك. فياك اياك ان تتعلق بامر لا حجة  
لك فيه. ثم من نصيبك ينقص، ومن حظك يضيع، فانما تحرك لك، وانما  
تُحرض لنفعك. فبادر فانك مبادر بك. ومما يزيد كسلك ان تأمته أن تتخايل  
ثواب المجتهدين وقد فاتك. ويكفي ذلك في توييح المقصر ان كانت له نفس.  
فأما الميت الهمة: فإلجرح بميت ايلام. كيف بك اذا قامت من قبرك وقد  
قربت نجائب النجاة لأقوام وتعثرت: وأسرت أقدام الصالحين على الصراط  
وتخبطت، هيهات. ذهبت حلاوة البطالة، وبقيت مرارة الأسف، ونضب  
ماء كأس الكسل، وبقي رسوب الندامة. وما قدر البقاء في الدنيا بالاضافة  
الى دوام الآخرة: ثم ما قدر عمرك في الدنيا ونصفه نوم، وباقية غفلة. فيا خاطبا  
حور الجنة وهو لا يملك فلسا من عزيمة، افتح عين الفكر في ضوء العبر  
لعلك تبصر مواقع خطاياك، فان رأيت تثبطا من الباطن فاستغث بمون  
اللطيف، وتنبه في الاسحار، لعلك تلمح ركب الارياح، وتعلق على قطار  
المستغفرين ولو خطوات، وانزل في رباعة المجتهدين ولو منزلا.

٢٣٤ - فصل - نظرت في قول أبي الدرداء رضی الله عنه: ما أعرف

شيئا مما كنا عليه اليوم الا القبلة، فقلت: واعجبا كيف لو رأنا اليوم وما  
عائنا من الشريعة إلا الرسم. والشريعة هي الطريق. وانما تعرف شريعة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم إما بأفعاله أو أقواله. وسبب الانحراف عن طريقه  
صلى الله عليه وسلم إما الجهل بها فيجری الانسان مع الطبع والعادات، وربما

اتخذ ما يضاد الشريعة طريقاً، وقد كانت الصحابة شاهدته وسمعت منه  
 فقل أن ينحرف أحد منهم عن جادته، إلا أن أبا الدرداء رضى الله عنه رأى  
 بعض الانحراف لميل الطباع فضج فانه قد يعرف الانسان الصواب، غير  
 أن طبعه يميل عنه، وما زالت الاحاديث المنقولة عن الرسول صلى الله عليه  
 وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يقل الاسعاد بها والنظر فيها الى أن أعرض  
 عنها بالكيفية في زمانها هذا وجهت الالنادر، واتخذت طرائق تضاد الشريعة .  
 وصارت عادات، وكانت أسهل عند الخلق من اتباع الشريعة. وإذا كان عامة  
 من ينسب الى العلم قد أعرض عن علوم الشريعة فكيف العوام . ولما أعرض  
 كثير من العلماء عن المنقولات ابتدعوا في الاصول والفروع . فالاصوليون  
 تشاغلوا بالكلام وأخذوه من الفلاسفة وعلماء المنطق . ودخلت أيدي  
 الفروع عيز في ذلك فتشاغلوا بالجدل، وتركوا الحديث الذي عليه يدور الحكم .  
 ثم رأى القصاص ان النفاق بالتفاق، فأقبل قوم منهم على التلبيس بالزهد،  
 ومقصودهم الدنيا . ورأى جهودهم ان القلوب تميل الى الاغاني، فأحضروا  
 المطربين من القراء وأنشدوا أشعار الغزل، وتركوا الاشتغال بالحديث، ولم  
 يلتفتوا الى نهى العوام عن الربا والزنا، وأمرهم بأداء الواجبات، وصار متكلمهم  
 يقطع المجلس بذكر ليلى والمجنون والطور وموسى وأبي يزيد والحلاج والهديان  
 الذي لا محصول له، وانفرد أقوام بالزهد والانتقطاع، فامتنعوا عن عيادة  
 المرضى، والمشى بين الناس، وأظهروا التخاشع، ووضعوا كتباً للرياضات،  
 والتقل من الطعام. وصارت الشريعة عندهم كلام أبي يزيد والشبلي  
 والمتصوفة، ومعلوم ان من سبر الشريعة لم يرفيها من ذلك شيئاً. وأما الامراء  
 فجروا مع العادات، وسموا ما يفعلونه من القتل والقطع سياسات لم يدهم ملوا

فيها بمقتضى الشريعة ، وتبع الأخير في ذلك المتقدم . فأين الشريعة المحمدية  
ومن أين تعرف مع الاعراض عن المنقولات ؟ نسأل الله عز وجل التوفيق  
للقيام بالشريعة ، والاعانة على رد البدع انه قادر .

٢٣٥ - فصل - كنت أسمع على بن الحسين الواعظ يقول على المنبر  
والله لقد بكيت البارحة من يدنفسى ، فبقيت أنا أتفكر وأقول : أى شيء  
قد فعلت نفس هذا حتى يبكى . هذا رجل متنعم له الجوارى التركيات . وقد  
بلغنى أنه تزوج فى السر بجملة من النساء ، ولا يطعم الا الغاية من الدجاج  
والحلوى . وله الدخل الكثير والمال الوافر والجاه العريض والافضال على  
الناس . وقد حصل طرفا من العلم ، واستعبد كثيراً من العلماء بمعرفه ،  
وراحته دائماً . فما الذى يبكيه : فتفكرت فعلمت ان النفس لاتقف على  
حد بل تروم من اللذات ما لا منتهى له ، وكلما حصل لها غرض برد عندها  
وطلبت سواه . فيفنى العمر ويضعف البدن ويقع النقص ، ويرق الجاه ،  
ولا يحصل المراد . وليس فى الدنيا أبله ممن يطلب النهاية فى لذات الدنيا  
وايس فى الدنيا على الحقيقة لذة . انما هى راحة من مؤلم . فالسعيد من اذا  
حصلت له امرأة أو جارية فال إليها ومالت إليه ، وعلم سترها ودينها ، أن  
يعقد الخنصر على صحبتها . وأكثر أسباب دوام محبتها أن لا يطلق بصره .  
فتى أطلق بصره أو أطمع نفسه فى غيرها فان الطمع فى الجديد ينغص الخلق  
وينقص المحالطة ، ويستر عيوب الخارج ، فتميل النفس الى المشاهد الغريب ،  
ويتكدر العيش مع الحاضر القريب كما قال الشاعر :

والمرء مادام ذا عين يقلبها فى عين الناس موقوف على الخطر  
يسر مقلته ماضر بهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر



ثم تصير الثانية كالاولى ، وتطلب النفس ثالثة وليس لهذا آخر ، بل الغض عن المشتبهات ، ويأس النفوس من طلب المستحسنات، يطيب العيش مع المعاشر . ومن لم يقبل هذا النصيح تمثر في طرق الهوى وهلك على البارء ، وربما سعى لنفسه في الهلاك العاجل ، وفي العار الحاضر ، فان كثيرا من المستحسنات لسن بصيئات ولا يفى التمتع بهن بالعار الحاصل ، ومنهن المبذرات في المال ، ومنهن المبغضة للزوج وهو يحبها كما بد صنم . وابلهُ البله الشيخ الذي يطلب صبية .. واعمرى ان كمال المتعة انما يكون بالصبا كما قال القائل : فعلت بنفسى النساء الصغار . ومتى لم تكن الصبية بالغة لم يكمل الاستمتاع ، فاذا بلغت ارادت كثرة الجماع والشيخ لا يقدر . فان حمل على نفسه لم يبلغ مرادها ، وهلك سريعا . ولا ينبغي أن يغتر بشهوته الجماع فان شهوته كالفجر الكاذب . وقد رأينا شيخنا اشترى جارية فبات معها فانقلب عنها ميتا . وكان في المارستان شاب قد بقي شهرين بالقيام فدخلت عليه زوجته فوطئها فانقلب عنها ميتا : فبان أن النفس باقية بما عندها من الدم . والمنى فاذا فرغا ولم تجد ماء تعتمد عليه ذهب ، وان قنع الشيخ بالاستمتاع من غير وطئ فهى لاتقنع فتصير كالعذولة فرما غابها الهوى ففجرت أو احتالت على قتله ، خصوصا الجوارى اللواتى اغلبهن قد جئن من بلاد الشرك ففبين قسوة القاب . وقبيح بمن عبر الستين ان يتعرض بكثرة النساء ، فان اتفق معه صاحبة دين قبل ذلك فايرع لها معاشرتها . وليتم تقصه عندها تارة بالأفناق ؛ وتارة بحسن الخلق ، ويزد في تعريفها أحوال الصالحات والزاهدات ؛ وليكثر من ذكر القيامة وذم الدنيا . ويعرض بذكر محبة

العرب فانهم كانوا يعشقون ولا يرون وطء المعشوق كما قال قائلهم :

انما الحب قبلة وغمز كف وعضد

انما العشق كذا ان نكح الحب فسد

فاز قدر ان يشغلها بحمل أو ولد عرفها به ، فاستبقى قوته في مدة اشتغالها بذلك فان رطىء فليصبر عن الانزال حفظا لقوته وقضاء لحقها . وقد قيل لبشر : لم لم تزوج فقال : على ماذا أغرمسامة ، وقد قال الله عز وجل «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف» والمسكين من دخل في أمر لم يتلمح عواقبه قبل الدخول ورأى حبة الفخ فبادر طالبا لها ناسيا تعرقل الجناح والذبح . ومجموع ما قد بسطته حفظ البصر عن الاطلاق ، وبأس النفس عن التحصيل ، فنوعا بالحاصل خصوصا من قد علت سنه ، وعلم ان الصبية عدو له ، متمنية هلاكه ، وهو يربها لغيره . وفي بعض ما ذكرته ما يردع العاقل عن التعرض لهذه الآفات . نسأل الله عز وجل توفيقا من فضله وعملا بمقتضى العقل والشرع : انه قريب مجيب .

٢٣٦ - فصل - أعجب الاشياء اغترار الانسان بالسلامة ، وتأمله الاصلاح فيما بعد وليس لهذا الامل منتهى ، ولا للاغترار ، فكما أصبح وامسى معاني زاد الاغترار وطال الامل . وأى موعظة أبلغ من أن ترى ديار الاقران واحوال الاخوان وقبور المحبوبين ، فتعلم انك بعد أيام مثلهم . ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه التغييرك . هذا والله شأن الحمقى . حوشى من له عقل ان يسلك هذا المسلك . بل والله ان العاقل ليبادر السلامة فيدخر من زمنها للزمن ، ويتزود عند القدرة على الزاد لوقت العسرة . خصوصا لمن قد علم ان مراتب الآخرة انما نملو بمقدار علو العمل لها . وان التدارك بعد الفوت لا يمكن . وقدّر ان العاصي عفى عنه . أينال

مراتب المال. ومن أجال على خاطره ذكر الجنة التي لاموت فيها ولا مرض ولا نوم ولا غم، بل لذاتها متملة من غير انقطاع، وزيادتها على قدر زيادة الجدهنا انتهب هذا الزمان فلم ينم الا ضرورة، ولم يغفل عن عمارة لحظة. ومن رأى أن ذنبا قد مضت لذته وبقيت آفاته دائمة كفاه ذلك زجرا عن مثله، خصوصا الذنوب التي تتصل آثارها مثل أن يزني بذات زوج فتحمل منه فتلحق بالزوج فيمنع الميراث أهله ويأخذه من ليس من أهله، وتتغير الانساب والفرش، ويتصل ذلك ابدا، وكله شؤم لحظة فنسأل الله عز وجل توفيقا يلهم الرشاد، ويمنع الفساد، انه قريب مجيب.

٢٣٧ - فصل - تأملت سبب تخليط العقائد، فاذا به الميل الى الحس وقياس الغائبات على الحاضر. فان اقواما غلب عليهم الحس، فلما لم يشاهدوا الصانع جحدوا وجوده، ونسوا انه قد ظهر بافعاله، وأن هذه الافعال لا بد لها من فاعل، فان العاقل اذا مر على صحراء خالية ثم عاد وفيها غرس وبناء علم انه لا بد من غارس، اذ الغرس لا يكون بنفسه ولا البناء. ثم جاء قوم فأثبتوا وجود الصانع، ثم قاسوه على احوالهم فشبهوا، حتى ان قائلهم يقول: في قوله: ينزل الى السماء. ينتقل. ويستدل بان العرب لانعرف النزول الا الانتقال. وضل خلق كثير في صفاته كما ضل خلق في ذاته. فظن اقوام انه يتأثر حين سمعوا انه يغضب ويرضى، ونسوا أن صفته تعالى قديمة لا يحدث منها شيء. وضل خلق في أفعاله فاخذوا يعلمون فلم يفعلوا بشيء. فخرج منهم قوم الى أن نسبوا فعله الى ضد تعالى عن ذلك ومن رزق التوفيق فليحضر قلبه لما أقول: أعلم أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات، وصفاته ليست كالصفات، وأفعاله لا تقاس بافعال الخلق. أما

ذاته سبحانه فانا لانعرف ذاتا الا ان تكون جسما وذلك يستدعى سابقة تأليف، وهو منزه عن ذلك، لانه المؤلف، أو أن يكون جوهرًا فالجوهر متحيز، وله أمثال، وقد جيل عن ذلك. أو عرضا، فالعرض لا يقوم بنفسه بل بغيره، وقد تعالى عن ذلك. فاذا أثبتنا ذاتا قديمة خارجة عما يعرف، فليعلم أن الصفات تابعة لتلك الذات، فلا يجوز لنا أن نقيس شيئا منها على ما فعله ونفهمه، بل نؤمن به ونسامه، وكذلك أفعاله، فان أحدنا لو فعل فعلا لا يحتلب به نفعا ولا يدفع به عنه ضررا عابثا. وهو سبحانه أوجد الخلق لا لنفع يعود اليه، ولا لرفع ضرر اذا المنافع لاتصل اليه والمضار لا تنطرق عليه. فان قال قائل: انما خلق الخلق لينفعهم. قلنا: يبطله. انه خلق منهم للكفر وعذبه. ونراه يؤلم الحيوان والاطفال، ويخلق المضار، وهو قادر أن لا يفعل ذلك، فان قال قائل: انه يثيب على ذلك. قلنا: وهو قادر ان يثيب بلا هذه الاشياء، فان السلطان لو أراد أن يغني فقيرا فجرحه ثم أغناه ليم على ذلك، لأنه قادر أن يغنيه بلا جراح. ثم من يرى ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه من الجوع والقتل مع قدرة الناصر، ثم يسأل في أمه فلا يجاب، ولو كان المسؤول بعضنا قلنا لم تمنع مالا يضرك. غير أن الحق سبحانه لا تقاس أفعاله على أفعالنا ولا نعمل. والذي يوجب علينا التسليم ان حكمته فوق العقل، فهي تقضى على العقول، والعقول لا تقضى عليها ومن قاس فعله على أفعالنا غلط الغلط الفاحش. وانما هلك المعتزلة من هذا الفن. فانهم قالوا كيف يأمر بشيء ويقضى بامتناعه، ولو ان انسانا دعانا الى داره ثم أقام من يصد الداخل لعيب. ولقد صدقوا فيما يتعلق

بالشاهد . فاما من أفعاله لا تعمل ولا يقاس بشاهد ، فانا لانصل الى معرفة  
 حكمته فان قال قائل : فكيف يمكنني ان أقود عقلي الى ما ينافيه . قلنا  
 لا منافاة ، لان العقل قد قطع بالدليل الجلي انه حكيم ، وانه مالك ، والحكيم  
 لا يفعل شيئا الا لحكمة ، غير أن تلك الحكمة لا يبلغها العقل . ألا ترى  
 ان الخضر خرق سفينة وقتل شخصا ، فانكر عليه موسى عليهما السلام  
 بحكم العلم ، ولم يطلع على حكمة فعله ، فلما اظهر له الحكمة اذعن والله  
 المثلي الاعلى . فياك اياك ان تقيس شيئا من أفعاله على أفعال الخلق أو شيئا  
 من صفاته أو ذاته سبحانه وتعالى . فانك ان حفظت هذا سلمت من  
 التشبيه الذي وقع فيه من رأى الاستواء اعتمادا ، والنزول نقلة ، ونجوت من  
 الاعتراض الذي اخرج قوما الى الكفر حتى طعنوا في الحكمة . وأول  
 القوم ابليس ، فانه رأى تقديم الطين على النار ليس بحكمة ، ففسى أنه انما  
 علم ذلك بزعمه بالفهم الذي وهب له ، والعقل الذي منحه ففسى أن الواهب  
 اعلم « أو لم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة » ولقد رأيت لابن الرومي  
 اعتراضا على من يقول بتخليد الكفار في النار ينبغي أن يقبل كل ما يقوله العقل ،  
 ولا يرد بعبثه اذ ليس رد بعبثه بأولى من رد الكل ، وتخليد الكفار لا غرض  
 فيه للمعذب ولا للمعذب فلا يجوز أن يكون . فقلت العجب من هذا الذي يدعى  
 وجود العقل ولا عقل عنده . وأول ما أقول له : أصح عندك الخبر عن الخالق  
 سبحانه انه أخبر بخاود أهل النار أم لم يصح ، فان كان صح عنه فالكلام  
 اذن في اثبات النبوة وصحة القرآن ، فما وجه ذكر الفرع مع جحد الأصل . وان  
 قال قد ثبت عندي فواجب عليه ان يتحمل لاقامة العذر ، لا ان يقف في وجه  
 المعارضة . وانما ينكر هذا من يأخذ الأمر من الشاهد ، وقد بينا ان ذات

الحق لا كالدوات . وان صفتة لا كالصفات ، وأن أفعاله لا تعمل . واوتامح  
شيئا من التعليل لخلود الكفار لبيان ، اذ من الجائز ان يكون دوام تعذيبهم  
لاظهار صدق الوعيد . فانه قال : من كفر بي خلدته في العذاب ولا جناية  
كالكفر ولا عقوبة كدوام الاحراق ، فهو يدوم ليظهر صدق الوعد .  
ومن الجائز أن يكون ذلك لتتمة تنعيم المؤمنين فانهم أعداء الكفار ،  
وقد قال سبحانه « ويشف صدور قوم مؤمنين » وكم من قلق في صدر وحنق  
على أبي جهل فيما فعل ، وكم غم في قلب عمار وأمه سمية وغيرهم من أفعال  
الكفار بهم فدوام عذابهم شفاء لقلوب أهل الايمان . ومن الجائز أن يدوم  
العذاب لدوام الاعتراض وذكر المعبذ بما لا يحسن ، فكلما زاد عذابهم زاد  
كفرهم واعتراضهم فهم يعذبون لذلك . ودليل دوام كفرهم « ويخلفون له  
كما يخلفون لكم » فاذن كفرهم مازال ، ومعرفتهم به ما حصلت ، والشر  
كامن في البواطن ، وعلى ذلك يقع التعذيب « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه »  
٢٣٨ - فصل - ينبغي للمؤمن بالله سبحانه إذا نظر في الفصل  
الذي قد تقدم هذا أن لا يعترض على الله سبحانه في شيء لا في باطنه ولا  
في ظاهره ، ولا يطلب تعليلات أفعاله . فان المتكلمين أعرضوا عن السنن  
وتكلموا بأرائهم فما صفي لهم شرب ، بدليل اختلافهم . وكذلك إضمار  
القياس لما أعملوا . جاءت أحاديث تعكر عليهم . والصواب التعليل لما يمكن ،  
والتسليم لما يخفى . وكذلك سؤال الحق سبحانه ، فاذا دعاه المؤمن ولم ير  
اجابة سلم وفوض وتأول للمنع ، فيقول : ربما يكون المنع أصح ، وربما يكون  
لاجل ذنوبي ، وربما يكون التأخير أولى ، وربما لم يكن هذا مصلحة .  
واذا لم يجد تأويلا لم يختلج في باطنه نوع اعتراض ، بل يرى أنه قد تعبد

بالدعاء ، فان أنعم عليه فبفضل ، وان لم يجب فذلك يفعل مايشاء . على أن  
أكثر السؤال إنما يقع في طلب أغراض الدنيا التي اذا ردت كان أصلح  
فليكن هم العاقل في إقامة حق الحق والرضى بتدييره وان أساء . فمتى أقبلت  
عليه أقبل على اصلاح شأنك واذا عرفت أنه كريم فلذله ولا تسأل . ومتى  
أقبلت على طاعته فمحال أن يوجد صنائع وينصح في العمل ثم لا يعطى الاجرة .

٢٣٦ - فصل - والله انى لا تخايل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها  
من غير مرض ولا بصاق ولا نوم ولا آفة تطراً ، بل صحة دائمة وأغراض  
متصلة لا يعتورها منغص ، في نعيم متجدد في كل لحظة الى زيادة لا تنتهى .  
فأطيش ويكاد الطمع يضيق عن تصديق ذلك لولا أن الشرع قد ضمنه .  
ومعلوم أن تلك المنازل انما تكون على قدر الاجتهاد ههنا . فواعجبا من  
مضيع لحظة يقع فيها ، فتسبيحة يغرس لها في الجنة نخلة أو كمام ادايم وظلها .  
فيا أيها الخائف من فوت ذلك شجع قلبك بالرجاء . ويا أيها المنزعج لذكر  
الموت تلمح ما بعد مرارة الشربة من العافية . فانه من ساعة خروج الروح  
لا بل قبل خروجها تنكشف المنازل لأصحابها . فيهون سير المجذوب للذة  
المنتقل اليه . ثم الارواح في حواصل طير تعلق في أشجار الجنة . فكل الآفات  
والخافات في نهار الاجل ، وقد اصفرت شمس العمر . فالبدار البدار قبل  
الغروب ولا معين يرافق على تلك الطريق الا الفكر اذا جلس مع العقل  
فتذا كرا العواقب ، فاذا فرغ المجلس فالنظر في سير المجدين فانه يعود  
مستجلباً للفكر منها للفضائل والتوفيق من وراء ذلك . ومتى أرادك  
اشيء هياك له : فأما مخالطة الذين ليس عندهم خبر الا العاجلة فهو من  
أكبر أسباب مرض الفهم وعلل العقل . والعزلة عن الشرحية ، والحلمية

سبب العافية .

٢٤٠ - فصل - رأيت سبب الهموم والغموم الاعراض عن الله عز وجل والاقبال على الدنيا . وكلما فات منها شيء وقع الغم لفواته . فأما من رزق معرفة بالله تعالى لئلا أنه يستغنى بالرضا بالقضاء فهما قدر له رضى . وان دعا فلم ير أثر الاجابة لم يحتاج في قلبه اعتراض ، لأنه مملوك مدبر فتكون همته في خدمة الخالق . ومن هذه صفته لا يؤثر جمع مال ، ولا مخالطة الخلق ولا الالتذاذ بالشهوات . لأنه إما أن يكون مقصرا في المعرفة فهو مقبل على التعبد المحض يزهد في الفاني لينال الباقي . وإما أن يكون له ذوق في المعرفة فانه مشغول عن الكل بصاحب الكل . فتراه متأدبا في الخلوة به ، مستأنسا بمناجاته ، مستوحشا من مخالطة خلقه ، راضيا بما يقدر له . فعيشه معه كعيش محب قد خلا بحبيبه لا يريد سواه ، ولا بهتم بغيره . فأما من لم يرزق هذه الاشياء ، فانه لا يزال في تنغيص متكدر العيش ، لأن الذي يطلبه من الدنيا لا يقدر عليه ، فيبقى أبدا في الحسرات مع ما يفوته من الآخرة بطيب المعاملة . نسأل الله عز وجل أن يستصلحنا له فانه لا حول ولا قوة الا به .

٢٤١ - فصل - تفكرت في نفسى فرأيتنى مفلسا من كل شيء ان اعتمدت على الزوجة لم يكن كما أريد . ان حسنت صورتها لم تكمل أخلاقها . وان تمت أخلاقها كانت مريدة لرضاها الى . واعلمها تنتظر رحيمى . وان اعتمدت على الولد فكذلك ، والخدام والمريدى كذلك ، فان لم يكن لهما منى فائدة لم يريدانى . وأما صديق فليس ، واخ فى الله كعناق مغرب ، ومعارف يفتقدون أهل الخير ويعتقدون فيهم قد عدموا وبقيت وحدى ، وعدت الى نفسى ، وهى لا تصفو الى أيضا ولا تقيم على حالة سليمة ، فلم يبق الا الخالق



سبحانه . فرأيت انى ان اعتمدت على انعامه فما آمن ذلك البلاء ، وان رجوت عفوه فما امن عقوبته ، فوا أسفا لاطمأنينة ولاقرار . واقلقى من قلقي ، واحرقى من حرقى ، بالله ما العيش الا فى الجنة ، حيث يقع اليقين بالرضى والمعاشرة لمن لا يخون ولا يؤذى . فأما الدنيا فما هى الا دار ذاك .

٢٤٢ - فصل - ينبغى لمن صحب سلطانا أو محمّسا أن يكون ظاهره

معه وباطنه سواء؛ فانه قد يدس اليه من يخبره ، فربما افتضح فى الابتلاء . وقد كان جماعة من الملوك يقصدون تقريب المنادم ، ولا يجعلون له حجرة فى دورهم ، فاذا أرادوا أن يختصوه اختبروه باطنا وذاك لا يدرى ، فيظهر منه ما لا يصلح فيطرده . ولقد امتحن أبرويز رجلا من خاصته ، فدىس اليه جارية معها أطاف ، وأمرها أن لا تقعد عنده فحتمتها . ثم أنفذها مرة أخرى وأمرها أن تقعد بعد التسليم هنيهة ففعلت ، فلاحظها الرجل . ثم بعثها ثالثة وأمرها أن تطيل القعود عنده وتحدثه ، فأطالت الحديث معه ، فابدى لها شيئا من الميل اليها ، فقالت : أخاف أن يطلع علينا ، ولكن دعنى أدبر فى هذا . فذهبت فاخبرت الملك بذلك ، فوجه غيرهما من خواص جواريه بمثل ذلك ، فلما جاءته قال : ما فعلت فلانة قالت مريضة فاربد لونه . ثم فعلت الجارية الثانية مثل ما فعلت الاولى ، فقالت له : ان الملك يمضى الى بستانه فيقيم هناك ، فان أردك على أن تمضى معه فأظهر أنك عليل ، فان خيرك بين الانصراف الى دور نسائك أو المقام ههنا فاختر المقام ههنا ، واخبره أنك لا تقدر على الحركة ، فان أجابك الى ذلك جئت اليك كل ليلة مادام الملك غائبا ، فسكن الى قولها . ثم مضت وأخبرت الملك بذلك . فلما كان بعد ثلاث ، استدعاه الملك فقال : انى مريض . فعاد الرسول فاخبره

فتبسم . وقال : هذا أول الشر . فوجه اليه محفة حمل فيها اليه فلما بصر به  
أبرويز قال : والمحفة الشر الثاني ، فرأى العصاة على رأسه ، قال : والعصاة  
الشر الثالث ، فقال له الملك : أيما أحب اليك الانصراف الى نساءك ليمرّضنك  
أو المقام ههنا الى وقت رجوعي قال : المقام ههنا أرفق لي لقلة الحركة ، فتبسم وقال :  
حركتك ههنا ان تركت اكثر من حركتك الى منزلك . ثم أمره بعصاة الزناة  
التي كان يوسم بها من زناة . فايقن الرجل بالأمر ، وأمر أن يكتب ما كان من  
أمره حرفا حرفا فيقرأ على الناس حرفا حرفا اذا حضروا ، وأن ينفي الى أقصى  
المملكة ، وتجعل العصاة على رأس رمح يكون معه حيث كان ليحذر منه من  
لا يعرفه . فلما نفى أخذ من بعض الموكليز مديفة فجببها ذكره وقال : من أطاع  
عضوا صغيرا فسد عليه جميع أعضائه ، ومات من ساعته . قلت : وقد كان جماعة  
من الامراء يتنكرون ويسألون العوام عن سيرتهم ، فيتكلم العامي بما لا يصلح  
فيضبطونه عليه وربما بعثوا دسيسا . ورب كلمات قالها مسترسل فبلغها فضولي .  
ورأى عمر بن عبد العزيز رجلا من العمال كثير الصلاة ، فدرس عليه من قال له :  
ان أخذت لك الولاية الفلانية فما تعطيني قال : أعطيتك كذا وكذا ، قال  
عمر : غردتنا بصلاتك . وقد بلغت أن رجلا كلم امرأة فأجابته فاستدعته  
الى دارها ، فلما دخل أقامت عن قتله . فقد ينحل من هذه الحكاية أنه  
لا ينبغي أن يسكن الى قول امرأة أو بعل يجوز أنه يكون جاسوسا  
ومختبرا . وكذلك لا يظهر ما ينبغي اخفاؤه من مال او مذهب أو سب رجل  
فربما كان له في الحاضرين قريب . ولا يوثق بمودة لأصل لها ، فربما كانت  
تحتها آفة تقصده . وليحذر من كل أمر يحتمل . ورب كلمة نقلها صديق  
الى صديق فتحدث بها من لا يقصد أذى للقائل فبلغت فتأذى . ورب مظهر

للمحبة مبالغ حتى يستمكن من مراده . فالحذرَ الحذرَ من الطمأنينة الى أحد خصوصاً من عدو آذيته أو قتلت له قريباً ، فربما أظهر الجميل شبكة لاصطيادك كحديث الزباء .

٢٤٣ - فصل - رأيت النفس بعد علو السن يقوى أملها ويزداد حرصها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : يشيب ابن آدم وتشب منه خصلتان الحرص والأمل : ورأيت أكثر أسباب ذلك فراغ اليد من الدنيا وكثرة العائلة وقوة الحاجة ، فيحتاج الانسان الى التعرض بما يشين العرض ليحصل الغرض . فقلت الهى أبعد رؤية جبال عرفة أضل ، أبعد مشارفة الحرم تأخذني أعراب البادية . وأسفاً أطلع فجر النحر وما وصلت الى عرفات وباضياح سفر العمر وما حصل المقصود :

قد كنت أرجوك لنيل المنى واليوم لا أطلب الا الرضى  
ثم قلت : يا نفس مالك ملجأ الا اللجا واستغاثة الغريق فان رُحمت والا  
فكم من حسرة تحت التراب .

٢٤٤ - فصل - شكى لى بعض الاشياخ فقال : قد علت سننى  
وضعفت قوتى ونفسى تطلب منى شراء الجوار الصغار ، ومعلوم أنهم يردن  
النكاح وليس فى ولا تنفع منى النفس بربة البيت اذ قد كبرت فقلت له :  
عندى جوابان . أحدهما الجواب العامى ، وهو أن أقول : ينبغى أن تشتغل  
بذكر الموت وما قد توجهت اليه ، وتحذر من اشتراء جارية لا تقدر على  
إيفاء حقها فانها تبغضك ، فان أجهدت -تمعجت التلف . وان استبقيت  
قوتك غضبت هى ، على انها لا تريد شيخاً كيف كان . وقد أنشدنا على بن  
عميد الله قال أنشدنا محمد التميمى :

أفق يافوادي من غرامى واستمع مقالة محزون عليك شفيق  
 علقت فتاة قلبها متعلق بغيرك فاستوثقت غير وثيق  
 وأصبحت موثوقا وراحت طليقة فكم بين موثوق وبين طليق  
 فاعلم انها تعد عليك الأيام ، وتطلب منك فضل المال لتستعد لغيرك ،  
 وربما قصدت حتفك ، فاحذر والسلامة في الترك ، والاقتناع بما يدفع  
 الزمان . والجواب الثاني فاني أقول : لا يخلو أن تكون قادرا على الوطء  
 في وقت أو لا تكون ، فان كنت لا تقدر فالأولى مصابرة الترك للكل .  
 وان كان يمكن الحازم أن يدارى المرأة بالنفقة وطيب الخلق الا انه يخاطر .  
 وان كنت تقدر في أوقات على ذلك ، ورأيت من نفسك توفقا شديدا ، فعليك  
 بالمراهقات فانهن ما عرفن النكاح ، وما طلبن بالوطء ، وأغمرهن بالانفاق  
 وحسن الخلق مع الاحتياط عليهن ، والمنع من مخالطة النسوة . واذا اتفق  
 وطء فتصبر عن الانزال ريثما تقضى المرأة حاجتها . واعتمد وعظها وتذكيرها  
 بالآخرة . واذكر لها حكايات العشاق من غير نكاح ، وقبح صورة الفعل ،  
 وألفت قلبها الى ذكر الصالحين ، ولا تخل نفسك من الطيب والتزين والكياسة  
 والمداراة والانفاق الواسع . فهذا ربما حرك الناقة المسير مع خطر السلامة .  
 ٢٤٥ - فصل - أبله الناس من عمل على الحال الحاضرة ولم يتصور  
 تغيرها ولا وقوع ما يجوز وقوعه . مثاله ان يفتخر بدولة فيعمل بمقتضى  
 ملكه فاذا تغيرت هلك ، وربما عادى خلقا اغترارا بأنه متسلط أو أنه  
 صاحب سلطان ، فاذا تغيرت حاله أكل كفيه ندماً عند فوات التدارك .  
 وكذلك من له مال يبذره سكونا الى وجود المال ، وينسى حاله عند العدم .  
 وكذا من يتناول الشهوات ، ويكثر من المآكل والمشارب والنكاح ثقة

بعافيته وينسى ما يعقب ذلك من الأمراض والآفات . ومن أظرف الأحوال ان يحب جاريته فيعتقها ويهب لها ، أو امرأة فيسكن اليها ويهب لها فتممكن . ولا تمضى الأيام حتى يسلوها أو يطلب غيرها ، ولا يجد طريقا للخلاص . فان تخلص منها أخذت ما غنمت منه فلقى من الغيظ أضعاف ما يلتذ به ، فلا ينبغي أن يوثق بامرأة ولا بمحبة انسان ، فانه قد يحب امرأة ويظن انه لا يسلوها أبداً فيسترسل اليها والسلو يحدث . وربما أحب غيرها فينسى الأولى فيصعب عليه الخلاص من الأولى . فالعاقل لا يدخل في شيء حتى يهيء الخروج منه ، فان الاشياء لا تثبت ، والمحبة لا تدوم ، والتغير مقرون بكل حال ، وكذلك يعطى ماله ولده ثم يبقى كلاً عليه فيتمنى الولد هلاكه ، وربما عاى به في النفقة ، وكذلك قد يثق بالصديق فيبث أسراره اليه ، وربما أظهر ذلك فكان منها ما يوجب هلاكه . وكذلك يغتر الانسان بالسلامة وينسى طروق الموت فيأتيه بغتة فيهبته وقد فات الاستدراك ولم يبق الا الندم . فالعاقل من كانت عينه مراقبة للعواقب ، محترزة مما يجوز وقوعه ، عاملة بالاحتياط في كل حال حافظلة للمال والسر ، غير واثقة بزوجة ولا ولد ولا صديق ، متأهبة للرحيل متهيئة للنقلة . هذه صفة أهل الحزم ، والتفريط <sup>(١)</sup> المداسع البذر

٢٤٦ - فصل - من أعجب الأمور طلب الاطلاع على تحقيق العرفان لذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله ، وهيئات . ليس الا المعرفة بالجملة وانفذ أوغل المتكلمون فما وقعوا بشيء فرجع عقلاً وهم الى التسليم وكذلك أصحاب الرأي ، مالوا الى القياس فاذا أشياء كثيرة بعكس مرادهم ، فلم

يجدوا ملجأ الا للتسليم ، فسموا ما خالفهم استحساناً . فالفقيه من علل بما  
 يمكن ، فاذا عجز استطرح للتسليم ، هذا شأن العبيد . فأما من يقول لم  
 فعل كذا وما معنى كذا ، فانه يطلب الاطلاع على سر الملك ، وما يجد الى  
 ذلك سبيلا لوجهين : أحدهما ان الله تعالى ستر كثيراً من حكمه عن الخلق .  
 والثاني انه ليس في قوى البشر ادراك حِكم الله تعالى كلها ، فلا يبقى مع  
 المعارض سوى الاعتراض المخرج الى الكفر « فليمدد بسبب الى السماء  
 ثم ليقع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » والمعنى من رضى بأفعالى وإلا  
 فليخنت نفسه فما أفعلى الا ما أريد .

٢٤٧ - فصل - من رزقه الله تعالى العلم ، والنظر في سير السلف ،  
 رأى ان هذا العالم ظامة ، وجمهور العالم على غير الجادة ، والمخالطة لهم تضر  
 ولا تنفع ، فالعجب لمن يترخص في المخالطة وهو يعلم ان الطبع بصير يسرق  
 من المخالطة . وانما ينبغى أن تقع المخالطة للأرفع والأعلى في العلم والعمل  
 ليستفاد منه . فأما مخالطة الدون فانها تؤذى ، الا ان يكون عامياً يقبل من  
 معلمه ، فينبغى ان يخالط بالاحتراز . وفي هذا الزمان ان وقعت المخالطة  
 للعوام فهم ظامة مستحكمة . فاذا ابتلى العالم بمخالطتهم فليشمر ثياب الحذر ،  
 ولتكن مجالسته ايام للتذكرة والتأديب فحسب . وان وقعت المخالطة للعلماء  
 فاكثرهم على غير الجادة . مقصودهم صورة العلم لا العمل به . فلا تكاد ترى  
 من تذاكره أمر الآخرة ، انما شغلهم الغيبة وقصد الغلبة واجتلاب الدنيا ،  
 ثم فيهم من الحسد للنظرء ما لا يوصف . وان وقعت المخالطة للأمرء ،  
 فذاك تعرض لفساد الدين ، لانه ان تولى لهم ولاية دنيوية فالظلم من  
 ضروراتها ، لغلبة العادة عليهم والاعراض عن الشرع . وان كانت ولاية

دينية كالتقضاء ، فانهم يا مرونه باشياء لا يكاد يمكنه المراجعة فيها ، ولو راجع لم يقبلوا ، وأكثر القوم يخاف على منصبه ، فليفعل ما أمر به وان لم يجبر ، وربما رأيت في هذا الزمان أقواماً يبذلون المال ليكونوا قضاة ، أو شهوداً ، ومقصودهم الرفع . ثم أكثر الشهود يشهد على من لا يعرفه ، ويقول انه معرف ويدري انه كذاب وانما عرّف لاجل حبة يعطاها ولم قد وقعت شهادة على غير المشهود عليه ، وعلى مكره . وان وقعت المخالطة لمتزهدين فكثرهم على غير الجادة ، وعلى خلاف العلم ، قد جعلوا لأنفسهم نواميس . فلا يتنسمون ولا يخرجون الى سوق ، ويظهرون التخشع الزائد وكله نفاق . وفيهم من يلبس الصوف تحت ثيابه ، وربما لوح بكمه ايرى . وقد حكى عن طاهر بن الحسين انه قال لبعض المتزهدين : مذمّ قدمت العراق . قال : دخلتها منذ عشرين سنة ، وأنا منذ ثلاثين سنة صائم . قال سألتك عن مسألة فاجبت عن اثنتين . ويوت الصوفية أربطة فهي خوارج على المساجد وهي دكا كيز كريمة يقعد فيها الكسالى من الكسب مع القدرة عليه ، ويتعرضون بالتمود للصدقات ، ولأحوال الظلمة ، وقد أراحوا أنفسهم من إعادة العلم . وأكثرهم لا يصلي نافلة ، ولا يقوم الليل ، بل يهيمهم الماء كول والمشروب والرقص . وقد أخذوا سنناً تخالف الشريعة فهم يلبسون المرقع لا من فقر . وهذا قبيح . لانه ليس عندهم من أمارات الزهد سوى اللبس الدون ، فثيابهم تصيح نحن زهاد ، وبقي أفعالهم المستورة تفضحهم اذا اطلع عليها . فالمطبخ دائر . والحمام والحلوى كثيرة . والطيب والدعة ؟ والكبر حاصل بذلك الكبير . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمالك بن فضلة وقد رآه أشعث الهيئة : أمالك مال ؛ قال بلى من كل المال

آتاني الله عز وجل : قال : فان الله عز وجل اذا أنعم على عبد نعمة أحب أن ترى عليه . ومن أخلاقهم تنفير الناس عن العلم ، ويزعمون أن لا حاجة الى الوسائط ، وانما هو قلب ورب . ولهم من الاقوال والافعال المنكرات ما قد ذكرته في تلميس ابليس ؛ آه لو كان للزمان عمر لا يحتاج كل يوم الى مائة درة . لا بل كان يستعمل السيف في هؤلاء الخوارج . وهم داخل البلد لا قدرة للعلماء عليهم . اذ قولهم فيهم لا يقبل . فمن رزقه الله سبحانه النظر في سير السلف ، ووقفه للاقتداء بهم . أن يعتزل عن أكثر الخلق . ولا يخالطهم فانه من خالطهم أذى . ومن دارا لم يسلم من المداهنة فانتصح اليوم مردود .

### ٢٤٨ - فصل - من البسه أن يبادر عدوا أو حسودا بالخصومة .

وانما ينبغي ان عرفت حاله أن تظهر له ما يوجب السلامة بينكما . وان اعتذر قبلت . وان أخذ في الخصومة صفحت . وأريته أن الامر قريب ، ثم تبطن في الحذر منه . فلا تثق به في حال . وتتجافاه باطنا مع اظهار المخالطة في الظاهر . فاذا اردت أن تؤذيه فأول ما تؤذيه به اصلاحك واجتهادك فيما يعرفك . ومن أعظم العقوبة له العفو عن ذلله . وان بالغ في السب فبالغ في الصفح تنب عنك العوام في شتمه . ويحمدك العلماء على حملك . وما تؤذيه به من ذلك وغيره في الباطن اضعاف ، وما تؤذيه به من كلمة اذا قلتها له سمعت اضعافها . ثم بالخصومة تمامه أنك عدوه فيأخذ الحذر ويسط اللسان ، وبالصفح يجهل مما في باطنك ، فيمكنك حينئذ أن تشتفي منه بما يؤذى دينك فيكون هو الذي قد اشتفى منك . وما ظفر قط من ظفر به الاثم بل الصفح الجميل . وانما يقع هذا ممن يرى أن نسليطه عليه إما عقوبة لذنوب



أو لرفع درجة أو للابتلاء. فهو لا يرى الخضم وإنما يرى القدرة.

٢٤٩- فصل - إذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها فليس لك إلا الدعاء واللجأ بعد أن تقدم التوبة من الذنوب، فإن الزلل يوجب العقوبة، فإذا زال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب، فإذا ثبت ودعوت ولم تر للإجابة أثرا فتنفقد أمرك، فربما كانت التوبة ماصحة، فصحيحها ثم ادع ولا تمل من الدعاء، فربما كانت المصلحة في تأخير الإجابة، وربما لم تكن المصلحة في الإجابة، فانت تثاب وتجاوب إلى منافعك. ومن منافعك أن لا تعطى ما طلبت بل تعوض غيره. فإذا جاء إبليس فقال كم تدعوه ولا ترى إجابة، فقل أنا أتعبد بالدعاء. وأنا موقن أن الجواب حاصل. غير أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح على مناسبت، ولو لم يحصل حصل التعبد والذل. فإياك أن تسأل شيئا إلا وتقرنه بسؤال الخير، فرب مطلوب من الدنيا كان حصوله سببا للهلاك. وإذا كنت قد أمرت بالمشاورة في أمور الدنيا فليستك ليبين لك في بعض الآراء ما يعجز رأيك وترى أن ما وقع لك لا يصلح فكيف لا تسأل الخير ربك وهو أعلم بالمصالح والاستخارة من حسن المشاورة.

٢٥٠- فصل - نظرت إلى الناس فرأيتهم ينقسمون بين عالم وجاهل، فاما الجهال فانقسموا، فمنهم سلطان قد ربي في الجهل ولبس الحرير وشرب الخمر وظلم الناس، وله عمال على مثل حاله، فهو لاء بمعزل عن الخير بالجملة. ومنهم تجار همتهم الاكتساب وجمع الاموال، واكثرهم لا يؤدى الزكاة ولا يتحاشى من الربا. فهو لاء في صور الناس. ومنهم أرباب معاش يطففون الكيال ويخسرون الميزان ويبخسون الناس ويتعاملون بالربا

وهم في الاسواق طول النهار لاهمة لهم الا ما هم فيه . فاذا جاء الليل وقموا  
 نياما كالسكارى . فهمة أحدهم مايا كل ويلتذ به ، وليس عندهم من الصلاة  
 خبر ، فان صلى أحدهم نقرها أو جمع بينهما ، فهو لاء في عداد البهائم . ومن  
 الناس ذوو رذالة في جميع أحوالهم فهذا كناس وهذا زبال وهذا نخال وهذا  
 يكسح الحش فهو لاء أرذل القوم . ومنهم من يطلب اللذات ولا يساعده  
 المعاش فيخرج الى قطع الطريق ، وهو لاء أحمق الجماعة ، إذ لا عيش لهم  
 فان التذوا لحظة باكل أو شرب فحركت الريح قصبه هربوا خوفا من  
 السلطان . وما أقل بقاءهم ، ثم القتل والصلب مع اثم الآخرة . ومنهم أرباب  
 قرى قد عمهم الجهل ، واكثرهم لا يتحاشى من نجاسة ، فهم في زمرة البقر .  
 ورأيت النساء ينقسمن أيضا ، فمنهن المستحسنة التي تبغى ومنهن الخائنة  
 لزوجها في ماله . ومنهن من لا تصلى ولا تعرف شيئا من الدين . فهو لاء حشو  
 النار . فاذا سمعن موعظة فانها كما مرت على حجر . واذا قرى عندهن  
 القرآن فكأهن يسمعن السم . وأما العلماء فالمبتدئون منهم ينقسمون الى ذى  
 نية خبيثة يقصد بالعلم المباهاة لا العمل ، ويئبل الى الفسق ظنا أن العلم  
 يدفع عنه ، وانما هو حجة عليه . وأما المتوسطون والمشهورون ، فاكثرهم  
 يفشى السلاطين ويسكت عن انكار المنكر ، وقليل من العلماء من تسلم له  
 نيته ويحسن قصده . فمن أراد الله به خيرا رزقه حسن القصد في طلب العلم ،  
 فهو يحصله ليمتتع به وينفع ، ولا يبالى بعمل مما يبدله عليه العلم ، فتراه يتجافى  
 أرباب الدنيا ، ويحذر مخالطة العوام ، ويقنع بالقليل خوفا من المخاطرة  
 في الدنيا في تحصيل الكثير ، ويؤثر العزلة فليس مذكرا للآخرة مثلها ،  
 وليس على العالم أضر من الدخول على السلاطين . فانه يحسن للعالم الدنيا

ويهون عليه المنكر، وربما أراد أن ينكر فلا يصح له، فإن عدم القناعة وغلبته نفسه في طلب فضول الدنيا سلم عليه لأنه يتعرض باربابها، وإن الإنسان ليمشي في السوق ساعة فينسى بما يرى ما يعلم، فكيف إذا انضم إلى ذلك التردد إلى الأغنياء والطمع في أموالهم، فأما الوحدة فلهما سبب رجوع القلب وجمع الهم والنظر في العواقب والتبوء للرحيل وتحصيل الزاد. فإذا انضمت إليها القناعة جلبت المستحسنة. ولا تحسن اليوم المجالسة إلا الكتاب يحدئك عن أسرار السلف. فاما مجالسة العلماء فمخاطرة، إذ لا يجتمعون على ذكر الآخرة في الأغلب. ومجالسة العوام فتنة للدين، إلا أن يحترز بمجالسهم ويمنعهم من القول فيقول هو ويكلفهم السماع. ثم يستوفز للبعد عنهم ولا يمكن الانقطاع الكلي إلا بقطع الطمع. ولا ينقطع الطمع إلا بالقناعة باليسير أو يتميز بتجارة، أو أن يكون له عقار يستغله، فانه متى احتاج أشتت الهم، ومتى انقطع العالم عن الخلق وقطع طمعه فيهم وتوفر على ذكر الآخرة فذاك الذي ينفع وينتفع به. والله الموفق.

٢٥١ - فصل - من تأمل بعين الفكر دوام البقاء في الجنة في صفاء بلا كدر، ولذات بلا انقطاع، وبلوغ كل مطلوب للنفس، والزيادة بلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من غير تغيير ولا زوال. ولا يقال ألف ألف سنة ولا مائة ألف ألف. ولو أن الإنسان عد الألف الوف سنين لا ينقضي عدده ولا كان له نهاية. وبقاء الآخرة لانقضاء له. إلا أنه لا يحصل ذلك إلا بنقد هذا العمر. وما مقدار عمر غايته مائة سنة منها خمسة عشر صبوة وجهل. وثلاثون بعد السبعين إن حصلت ضعف وعجز. والتوسط نصفه نوم وبعضه زمان أكل وشرب وكسب والمنتحل منه للعبادات

يسير . أفلا يشتري ذلك الدائم بهذا القليل ؟ ان الاعراض عن الشروع في هذا البيع والشراء لغبن فاحش في العقل ، وخلل داخل في الايمان بالوعد . فان من يدري كيف يعقد البيع بالعلم ، هو الذي يدل على الطريق ويعرف ما يصلح لها ويحذر من فظاعتها . ولقد دخل ابليس على طائفة من المتزهدين بأفات أعظمها أنه صرفهم عن العلم . فكأنه شرع في اطفاء المصباح ليسرق في الظلمة حتى أنه أخذ قوما من كبار العلماء فسلك بهم من ذلك ما ينهى عنه العلم . فرأيت أبا حامد الطوسي يحكي عن نفسه في بعض مصنفاته قال : شاورت متبوعا مقديما من الصوفية في المواظبة على تلاوة القرآن فمنعني منه ، وقال : السبيل ان تقطع علايقك من الدنيا بالكلية بحيث لا يلتفت قلبك الى أهل وولد ومال وعلم ، بل تصير الى حالة يستوى عندك وجود ذلك وعدمه . ثم تخلو بنفسك في زاوية ، فتقتصر من العبادة على الفرائض والرواتب ، وتجلس فارغ القلب . ولا تزال تقول : الله الله الى ان تنتهي الى حالة لو ترك تحريك اللسان رأيت كأن الكلمة جارية على لسانك . ثم تنظر ما يفتح عليك مما فتح مثله على الانبياء والأولياء . قلت وهذا امر لا أتعجب انا فيه من الموصى به وانما أتعجب من الذي قبله مع معرفته وفهمه ، وهل يقطع الطريق بالاعراض عن تلاوة القرآن ؛ وهل فتح للأنبيا ما فتح بمجاهدتهم ورياضتهم . وهل يوثق بما يظهر . ثم ما الذي يفتح . أم اطلاع على علم الغيب أم وحى . فهذا كله من تلاعب ابليس بالقوم . وربما كان ما يتخايل من أثر الما ليخوليا ومن ابليس فعليك بالعلم . وانظر في سير السلف هل فعل أحد منهم من هذا شيئا أو أمر به . وانما تشاغلوا بالقرآن والعلم فدلهم على اصلاح البواطن وتصفيتهما . نسأل الله عز وجل علما نافعا ،

للمدو مانعا انه قادر .

٢٥٢ - فصل - من أراد اصطفا محبوبات فالمحبوب نوعان امرأة  
 يقصد منها حسن الصورة ، وصديق يقصد منه حسن المعنى ، فاذا أعجبك  
 صورة امرأة فتأمل خلالها الباطنة مديدة قبل أن يتعلق القلب بها تعلقاً محكما ،  
 فان رأيتها كما تحب وأصل ذلك كله الدين كما قال : عليك بذات الدين . فمل  
 اليها واستولد لها وكن في ميلك معتدلا الميل ، فانه من الغلط ان تظهر لمحبوبك  
 المحبة ، فانه يشتط عليك ، وتلقى منه الأذى والتجنى والهجران والاذلال  
 وطلب الانفاق الكثير وان كانت تحبك لان هذا لا يحتمله حب الادلال المقهور  
 وتم نكته عجيبة . وهو انك ربما عمات بمقتضى الحال الحاضرة ، وهي نحكم  
 بكمال الحب ، ثم ان ذلك لا يثبت اليك فتقع وتبقى مقهورا ويصعب عليك  
 الخلاص . وربما تمكنت بمعرفة سرك أو بأخذ كثير من مالك . ومن أحسن  
 ما بلغني في هذا أن جارية لبعض الخلفاء كانت تحبه حبا شديدا ولا تظهر له  
 ذلك ، فسمت عن هذا فقالت : لو أظهرت ما عندي فجفاني هلكت .  
 قال الشاعر :

لا تظهرن مودة لحبيب فترى بعينك منه كل عجب

أظهرت يوما للحبيب مودتي فأخذت من هجرانه بنصيدي

وكذا ينبغي ان تكتم بعض حبك للولد ، لانه يتسلط عليك ، ويضيع  
 مالك ، ويبالغ في الادلال ، ويمتنع عن التعلم والتأدب ، وكذلك اذا  
 اصطفت صديقا وخبرته فلا تخبره بكل ما عندك ، بل تعاوده بالاحسان  
 كما تتعاهد الشجرة ، فانها اذا كانت جيدة الاصل حسنت ثمرتها بالتعاهد .  
 ثم كن منه على حذر فقد تتغير الاحوال وقد قيل :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

فربما انقلب الصديق فكان أدري بالمضرة

٢٥٣ - فصل - واما اذا ابغضت شخصاً فلا تظهرن ذلك ، فانك

تنبهه على أخذ الحذر منك ، وتدعوه الى المبارزة ، فيبالغ في حربك والاحتمال

عليك ، بل ينبغي ان تظهر له الجميل ان قدرت ، وتبره ما استطعت فانكسرت

معاداته جبلة بالحياء من بغضك . فان لم تطق فهجر جميل ، لانين فيه

ما يؤذى . ومتى سمعت عنه كلمة فذاعةً فاجعل جوابها كلمة جميلة ، فهى

أقوى في كف لسانه ، وكذلك جميع ما يخاف اظهاره ، فلا تتكلمن به ، فربما

وقعت كلمة أسقطت بها عز السلطان فنقلت اليه فكانت سبب هلاكك .

أو عن صديق فكانت سبب عداوته ، أو صرت رهيناً لمن سمعها خائفاً

ان يظهرها . فالحزم كتمان الحب والبغض . وكذا ينبغي ان تكتم سنك فان

كنت كبيراً استهرموك ، وان كنت صغيراً استحقروك . وكذلك مقدار

مالك ، فانه ان كان كثيراً نسبوك في نفقتك الى البخل . وان كان قليلاً

طلبوا الراحة منك . وكذلك المذهب ، فانك ان أظهرته لم تأمن أن يسمعه

مخالف فيقطع بكفرك . وقد أنشدنا محمد بن عبد الباقي البزار :

احفظ اسانك لاتبح بثلاثة سناوما لا ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة بموه ومخرف ومكذب

٢٥٤ - فصل - طال تعجبي من مؤمن بالله عز وجل مؤمن بجزائه

يؤثر خدمة السلطان مع ما يرى من الجور الظاهر فواعجباً بما الذى يعجبه .

ان كان الذى يعجبه دنويماً فليس ثم الا ان يصاح بين يديه بسم الله ، وأن

يتصدر فى المجالس ويلوى عنقه كبراً على النظراء ، ويأخذ الأسحات وهو

يعلم من أين حصل . وربما انبسط في البرطيل . ثم يقابل هذا ان يصادر  
 ويعزل . فيستخرج تلك المرارة من كل حلاوة كانت في الولاية . وربما  
 كان قريب الحال فافتقر بالمصادرة جدا . ثم تنطلق الألسن المادحة بالذم .  
 ثم لو سلم من هذا فانه لا يسلم من الرقيب له والحذر منه . فهو كراكب  
 البحر ان سلم بدنه من الغرق لم يسلم قلبه من الخوف . وان كان ديناً  
 فانه يعلم انهم لا يمكنونه في الغالب من العمل بمقتضى الدين . فانهم  
 يأمرونه بترك ما يجب وفعل ما لا يجوز فيذهب دينه على البارد . ولعقاب  
 الآخرة أشق .

٢٥٥ - فصل - العجب من الذي أنف من الذل كيف لا يصبر  
 على جاف الخبز ولا يتعرض لمنن الاندال ، أترأه ما يعلم انه ما بقي صاحب  
 مروءة ! وانه ان سأل سائل بخيلاً لا يعطى ، فان أعطى نزرأ فانه يستعبد  
 المعطى في العمر بذلك ، ثم ذلك القدر النزر يذهب عاجلاً ، وتبقى المنن  
 والخجل ورؤية النفس بعيز الاحتقار ، اذ صارت سائلة ، ورؤية المعطى بعين  
 التعظيم ابداً . ثم يوجب ذلك السكوت عن معائب المعطى والبدار الى قضاء  
 حقوقه وخدمته فيما يفى . وأعجب من هذا من يقدر أن يستعبد الاحرار  
 بقليل العطا الفاني ولا يفعل ، فان الحر لا يشتري إلا بالاحسان قال الشاعر:  
 تفضل على من شئت واعن بأمره فأنت ولو كان الامير أميره  
 وكن ذا غنى عن من تشاء من الورى ولو كان سلطانا فأنت نظيره  
 ومن كنت محتاجاً اليه وواقفا على طمع منه فأنت أسيره

٢٥٦ - فصل - يتضمن وصية الشباب . ينبغى للصبي اذا بلغ  
 ان يحذر كثرة الجماع ليبقى جوهره فيفيده ذلك في الكبر ، لأنه من

الجائز كبره والاستعداد للجائز حزم ، فكيف للغالب . كما ينبغي أن يستعد  
 للشتاء قبل هجومه ، ومتى أنفق الحاصل وقت القدرة تأذى بالفقر اليه وقت  
 الفاقة . وليعلم ذو الدين والفهم ان المتعة انما تكون بالقرب من الحبيب ،  
 والقرب يحصل بالتقريب والضم . وذلك يقوى المحبة . والمحبة يلذ وجودها  
 والوطء ينقص المحبة ويعدم تلك اللذة . وقد كان العرب يعشقون ولا يرون  
 وطء المعشوق . قال قائلهم : ان نكح الحب فسد : فأما الالتذاذ بنفس  
 الوطء فشان البهائم . ولقد تأملت المراد من الوطء فوجدت فيه معنى  
 عجيبياً يخفى على كثير من الناس ، وهو ان النفس اذا عشقت شخصاً أحببت  
 القرب منه ، فهي تؤثر الضم والمعانقة لانها غاية في القرب ، ثم تريد قرباً  
 يزيد على هذا فيقبل الخلد . ثم تطلب القرب من الروح فيقبل الفم ، لانه منفذ  
 الى الروح ، ثم تطلب الزيادة فيمص لسان المحبوب ، وقد كان رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم يتوشح عائشة ويقبلها ويمص لسانها . فاذا طلبت النفس  
 زيادة في القرب الى النفس استعملت الوطء . فهذا سره المعنوي ، ويحصل  
 منه الالتذاذ الحسي .

٢٥٧ - فصل - ليس على العوام أضر من سماعهم علم الكلام  
 وانما ينبغي ان يحذر العوام من سماعه والخوض فيه ، كما يحذر الصبي من  
 شاطئ النهر خوف الغرق . وربما ظن العامي ان له قوة يدرك بها هذا وهو  
 فاسد ، فانه قد زل في هذا خلق من العلماء فكيف العوام . وما رأيت  
 أحق من جمهور قصاص زماننا ، فانه يحضر عندهم العوام الغشم فلا ينهونهم  
 عن خمر وزنا وغيبية ، ولا يعلمونهم أركان الصلاة ووظائف التعبد ، بل  
 يملثون الزمان بذكر الاستواء وتأويل الصفات ، وان الكلام قائم بالذات



فيتأذى بذلك من كان قلبه سليما. وانما على العامى ان يؤمن بالاصول الخمسة  
 بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويقنع بما قال السلف :  
 القرآن كلام الله غير مخلوق ، والاستواء حق والكيف مجهول . وليعلم ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلف الا عراب سوى مجرد الايمان ،  
 ولم تتكلم الصحابة في الجواهر والاعراض . فمن مات على طريقهم مات  
 مؤمنا سليما من بدعة . ومن تعرض لساحل البحر وهو لا يحسن السباحة  
 فالظاهر غرقه .

٢٥٨ - فصل - أشد الناس جهلا منهوم بالذات . والذات على  
 ضرين مباحة ومحظورة ، فالمباحة لا يكاد يحصل منها شيء الا بضياح ما  
 هو مهم من الدين . فاذا حصلت منها حبة قارنها فنطار من الهم . ثم لا تكاد  
 تصفو في نفسها بل مكدراتها ألوف ، فاذا صور عدمها الالوف صار التصوير  
 مغاصا للهوى مجرئا للنفس فاذا أنفت أنفت من الأسف على الدوام مالا  
 يحويه صفة فهي تغر العمر وتهدم العمر وتديم الاسبى . ومع هذا فالمنهوم كلما  
 عد من لذة طلب أختها . وقد عرف جنابة الاولى وخيانتها . وهذا مرض  
 العقل ، وداء الطبع . فلا يزال هذا كذلك الى أن يُختطف بالموت فيلقى  
 على بساط ندم لا يُستدرك . فالعجب ممن همته هكذا مع قصر العمر ، ثم  
 لا يهتم بأخرته التي لذتها سليمة من شامت ، منزهة عن معائب دأمة الى  
 الامد باقية ببقاء الابد . وانما يحصل تقريب هذه بابعاد تلك ، وعمران  
 هذه بتخريب تلك . فواعجا لعافل خفيف حسن التدبير ، فانه النظر في  
 هذه الاحوال ، وغفل عن تمييز بين هذين الامرين ، وان كانت اللذة  
 معصية انضم الى ما ذكرناه عار الدنيا . والفضيحة بين الخلق ، وعقوبة

الحدود، وعقاب الآخرة وغضب الحق سبحانه . بالله . ان المباحات تشغل  
 عن تحصيل الفضائل ، فذم ذلك لبيان الحزم ، فكيف بالمحرمات التي هي  
 غاية الرذائل ، نسأل الله عز وجل يقظة تحركنا الى منافعنا . وتزعجنا عن  
 خوادعنا انه قرقب .

٢٥٩ - فصل - تأملت على الخلق واذا هم في حالة عجيبة يكاد يقطع  
 معها بفساد العقل . وذلك ان الانسان يسمع المواعظ وتذكر له الآخرة  
 فيعلم صدق القائل ، فيبكي وينزعج على تفريطه ، ويعزم على الاستدراك ،  
 ثم يترأخى عمله بمقتضى ما عزم عليه . فاذا قيل له : أتشك فيما وعدت به ،  
 قال لا والله . فيقال : له فاعمل فينوى ذلك ثم يتوقف عن العمل . وربما مال  
 الى لذة محرمة ، وهو يعلم النهي عنها . ومن هذا الجنس تأخر الثلاثة الذين  
 خلفوا ولم يكن لهم عذر وهم يعلمون قبح التأخر . وكذلك كل عاص  
 ومفرط : فتأملت السبب مع أن الاعتقاد صحيح والفعل بطيء ، فاذا له  
 ثلاثة أسباب . أحدها رؤية الهوى العاجل ، فان رؤيته تشغل عن الفكر  
 فيما يجنيه . والثاني التسويف بالتوبة . فلو حضر العقل لحذر من آفات  
 التأخير ، وربما هجم الموت ولم تحصل التوبة . والعجب ممن يجوز سلب  
 روحه قبل مضي ساعة ولا يعمل على الحزم ، غير ان الهوى يطيل الأمد . وقد  
 قال صاحب الشرع لي الله عليه وسلم : صلاة مودع . وهذا نهاية الدواء  
 لهذا الداء ، فانه من ظن انه لا يبقى الى صلاة أخرى جد واجتهد . والثالث  
 رجاء الرحمة . فيرى العاصي يقول : ربي رحيم : وينسى انه شديد العقاب .  
 ولو علم أن رحمته ليست رقة اذ لو كانت كذلك لما ذبح عصفورا ولا آلم  
 طفلا ، وعقابه غير مأمون ، فانه شرع قطع اليد الشريفة بسرفة خمسة

قراريط . فسأل الله عز وجل أن يهب لنا حزماً يبت المصالح جزماً .

٢٦٠ - فصل - نظرت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لبس الخاتم ثم رمى به وقال : شغلني نظره اليكم ونظره اليه . وقوله : هذا رجل يتبختر في حلتته مرجلاً جُمته خسف به الارض ، فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة . فرأيت انه لا ينبغي لأحد أن يلبس ثوباً معجباً ولا شيئاً من زينة ، لأن ذلك يوجب النظر الى النفس بعين الاعجاب ، والنفس ينبغي أن تكون ذليلة للخالق . وقد كان قدماء الأخبار في بني اسرائيل يمشون على العصى اثلاً يقع منهم بطرف المشى . ولبست أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها درعاً لها فأعجبت به ، فقال لها رسول الله ﷺ : ان الله لا ينظر اليك في حالتك هذه ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة لها أعلام قال : ألهتني هذه عن صلاتي . وهذا كله يوجب الاعراض عن الزينة وما يحرك الى الفخر والزهو والعجب . ولهذا حرم الحرير . واقول على أسباب هذا : ان المرقات التي يتوق فيها المتصوفة بالسوارك والتلميع ، ربما أوجبت زهو الملابس ، اما لحسنها في ذاتها ، أو لعلمه انها تنبئ عنه بالتصوف والزهد . وكذلك الخاتم في اليد ، وطول الاكمام ، والنعال الصرارة ، ولا أقول : ان هذه الاشياء تحرم ، بل ربما جلبت ما يحرم من الزهو ، فينبغي للعاقل أن يتنبه بما قلت في دفع كل ما يحذر من شره . وقد ركب ابن عمر نجيباً فأعجبه مشيه فنزل ، وقال يانافع أدخله في البُذُن .

٢٦١ - فصل - من أراد اجتماع همه واصلاح قلبه ، فليحذر من مخالطة الناس في هذا الزمان ، فانه قد كان يقع الاجتماع على ما ينفع ذكره ، فصار الاجتماع على ما يضر . وقد جربت على نفسي مراراً ان أحصرها

في بيت العزلة ، فتجتمع هي ويضاف الى ذلك النظر في سير السلف فأرى  
العزلة حمية والنظر في سير القوم دواء واستعمال الدواء مع الحمية عن التخليط  
نافع . فاذا فسحت لنفسي في مجالسة الناس ولقائهم فشتت القلب المجتمع ،  
ووقع الذهول عما كنت أراعيه ، وأنتقش في القلب ما قد رأته العين ، وفي  
الضمير ما سمعته الأذن ، وفي النفس ما تطمع في تحصيله من الدنيا . واذا  
جهور المخالطين أرباب غفلة ، والطبع بمجالستهم يسرق من طباعهم . فاذا  
عدت أطلب القلب لم أجده ، وأروم ذلك الحضور فأفقدته ، فيبقى في غمار  
ذلك اللقاء للناس أياما حتى ما يسلا الهوى . وما فائدة تعريض البنا للنقض ،  
فان دوام العزلة كالبننا والنظر في سير السلف يرفعه فاذا وقعت المخالطة  
انتقض ما بنى في مدة في لحظة . وضعب التلاقي وضعف القلب ، ومن له فهم  
يعرف أمراض القلب وإعراضه عن صاحبه وخروج طائره من قفصه .  
ولا يؤمن على هذا المريض أن يكون مرضه هذا سبب التلف . ولا على  
هذا الطائر المحصور أن لا يقع في الشبكة . وسبب مرض القلب انه كان  
محميا عن التخليط مغذيا بالعلم وسير السلف فخلط فلم يحتمل مزاجه  
فوقع المرض . فالجد الجدد فانما هي أيام وما نرى من يلقي ولا من يؤخذ  
منه ، ولا من تنفع مجالسته ، الا أن يكون نادرا ما أعرفه :

ما في الصحاب أخو وجد نظارحه حديث نجد ولا خل نجاريه  
فأزمر خلوتك ، وراع ما بقيت . واذا قلقت النفس مشتاقة الى لقاء الخلق ،  
فاعلم انها بعد كدرة فرضها ليصير لقاؤهم عندها مكروها ، ولو كان عندها  
شغل بالخالق لما أحببت الزحمة ، كما ان الذي يخلو بجميه لا يؤثر حضور غيره ،  
ولو انها عشقت طريق اليمن لم تلتفت الى الشام .

٢٦٢ - فصل - تفكرت في سبب هداية من يهتدى وانتباه من يتيقظ من رقاد غفلته ، فوجدت السبب الاكبر اختيار الحق عز وجل لذلك الشخص . كما قيل . اذا ارادك لا امر هياك له . فتارة تقع اليقظة بمجرد فكر يوجبها نظر العقل ، فيتلمح الانسان وجود نفسه فيعلم ان لها صانعا وقد طالبه بحقه وشكر نعمته وخوفه عقاب مخالفته ، ولا يكون ذلك بسبب ظاهر . ومن هذا ماجرى لأهل الكهف ، « إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض » وفي التفسير : ان كل واحد منهم ألقى في قلبه يقظة فقال لا بد لهذا الخلق من خالق ، فاشتد كرب بواطنهم من وقود نار الحذر ، فخرجوا الى الصحراء ، فاجتمعوا عن غير موعد ، فكل واحد يسأل الآخر : ما الذى أخرجك فتصادقوا . ومن الناس من يجعل الخالق سبحانه وتعالى لذلك السبب الذى هو الفكر والنظر سببا ظاهرا ، اما من موعظة يسمعا أو يراها ، فيحرك هذا السبب الظاهر فسكر القلب الباطنة . ثم ينقسم المتيقظون فمنهم من يقبله هواه ويقتضيه طبعه ما يشتهى مما قد اعتاده ، فيعود القهقري ولا ينفعه ما حصل له من الانتباه . فانتباه مثل هذا زيادة في الحجة عليه . ومنهم من هو واقف في مقام المجاهدة بين صفتين العقل الآمر بالتقوى والهوى المتقاضى بالشهوات . فمنهم من يقبل بعد المجاهدات الطويلة فيعود الى الشر ويختم له به ، ومنهم من يغلب تارة ويغلب أخرى فجراحاته لا فى مقتل . ومنهم من يقهر عدوه فيسجنه فى حبس ، فلا يبقى للعدو من الحيلة الا الوسوس ، ومن الصفوة أقوام مذتيقظوا ما قاموا ، ومد سلكوا ما وقفوا ، فهمهم صعود وترق ، كلما عبروا مقاما الى مقام رأوا نقص ما كانوا فيه فاستغفروا . ومنهم من يرقى عن الاحتياج الى

مجاهدة إما لحسة ما يدعو اليه الطبع عنده ولا وقع له ، وإما لشرف مطلوبه فلا يلتفت الى عائق عنه . واعلم أن الطريق الموصلة الى الحق سبحانه ليست مما يقطع بالأقدام ، وإنما يقطع بالقلوب . والشهوات العاجلة قطاع الطريق والسبيل كالليل المدلهم ، غير ان عين الموفق بصر فرس لانه يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والصدق في الطلب اينار اين وجد يدل على الجادة ، وإنما يتعثر من لم يخلص . وإنما يتمتع الاخلاص بمن لا يراد . فلا حول ولا قوة الا بالله .

٢٦٣ - فصل - عجبت لمن يعجب بصورته ويختال في مشيته وينسى مبدأ أمره . إنما أوله لقمة ضمت اليها جرعة ماء فان شئت كسيرة خبز معها ثمرات وقطعة من لحم ومذقة من لبن وجرعة من ماء ونحو ذلك طبخته الكبد فأخرجت منه قطرات منى ، فاستقر في الاثني عشر فحركتها الشهوة ، فصبت في بطن الأم مدة حتى تكاملت صورتها فخرجت طفلاً تتقلب في خرق البول . وأما آخره فانه يلقي في التراب فيأكله الدود ويصير رفانا تسفيه السواني . ولم يخرج تراب بدنه من مكان الى مكان آخر . ويقلب في أحوال الى أن يعود فيجمع . هذا خبر البدن . إنما الروح عليها العمل ، فان تجوهرت بالأدب وتقومت بالعلم . وعرفت الصانع ، وقامت بحقه فما يضرها تقض المركب . وان هي بقيت على صفتها من الجهالة شابها الطين بل صارت الى اخس حالة منه .

٢٦٤ - فصل - هيهات أن يجتمع الهم مع التلبس بأمور الدنيا خصوصاً بالشاب الفقير الذي قد ألف الفقر ، فانه اذا تزوج وليس له شيء من الدنيا اهتم بالكسب أو بالطلب من الناس فقتشت همته وجاءه الاولاد فزاد

الامر عليه ، ولا يزال يرخص لنفسه فيما يحصل الى أن يتلبس بالحرام ومن  
 ينكر فهمته ما ياكل وما يأكله أهله ، وما ترضى به الزوجة من النفقة والكسوة ،  
 وليس له ذلك . فإى قلب يحضر له ، وأى هم يجتمع ، هيهات . والله  
 لا يجتمع الهم والعين تنظر الى الناس ، والسمع يسمع حديثهم ، واللسان  
 يخاطبهم ، والقلب متوزع في تحصيل ما لا بد منه . فان قال قائل : فكيف  
 أصنع ! قلت : ان وجدت ما يكفيك من الدنيا ، أو معيشة تكفك فاقنع  
 بها ، وانفرد في خلوة عن الخلق مهما قدرت ، وان تزوجت بفقيرة تقنع  
 باليسير ، وتبصير أنت على صورتها وفقرها ، ولا تترك نفسك تطمح الى  
 من تحتاج الى فضل نفقته . فان رزقت امرأة صالحة جمعت همك . وان لم  
 تقدر فمعالجة الصبر أصلح لك من المخاطرة . وإياك والمستحسنتات فان  
 صاحبهن اذا سلم كما بد صنم . واذا حصل بيدك شيء فانفق بعضه ، فبحفظ  
 الباقي تحفظ شتات قلبك . واحذر كل الحذر من هذا الزمان وأهله فإبقى مواس  
 ولا مؤثر ، ولا من يهتم لسد خلة ، ولا من لو سئل أعطى الا أن يعطى  
 نذرا بتضجر . ومنه يستعبد بها المعطى بقية العمر ، ويستثقله كل من رآه  
 ويستدعى خدمته له ويتردد اليه . وانما كان في الزمان مثل أبي عمرو بن نجيذ  
 سمع أبا عثمان المغربي يقول يوما على المنبر على ألف دينار ، وقد ضاق  
 صدرى . فضى أبو عمرو اليه في الليل بألف دينار ، وقال اقض دينك ، فلما عاد  
 وصعد المنبر قال نشكر الله لأبى عمرو فانه أراح قلبي وقضى ديني . فقام  
 أبو عمرو فقال : أيها الشيخ ذلك المال كان لوالدتي وقد شق عليها ما فعلت  
 فان رأيت ان تتقدم برده فافعل . فلما كان في الليل عاد اليه ، وقال له : لماذا  
 شهرتني بين الناس فأنا ما فعلت ذلك لاجل الخلق . نخذه ولا تذكرني :

ماتوا وغيب في التراب شخوصهم والنشر مسك والعظام رميم  
 فالبعد البعد عن من همته الدنيا ، فان زادتم اليوم الى ان يحصل أقرب  
 منه الى ان يؤثر . ولا تكاد ترى الا عدوا في الباطن صديقا في الظاهر شامتا  
 بباطنه حسودا على نعمته . فاشتر العزلة بما بيعت فان من له قلب اذا مشى  
 في الاسواق وعاد منزله تغير قلبه ، فكيف ان عرقله بالميل الى أسباب  
 الدنيا ، واجتهد في جمع الهمم بالبعد عن الخلق ليخلو القلب بالتفكير في المآب  
 وتتمسح عين البصيرة خيم الرحيل .

٢٦٥ - فصل - كان المرید في بداية الزمان اذا أظلم قلبه أو مرض  
 ليه قصد زيارة بعض الصالحين فانجلي ما أظلم . ومتى حصلت ذرة من  
 الصدق لمريد فردته في بيت عزلة ، ووجد نسيمًا من روح العافية ، ونورا في  
 باطن قلبه ، وكاد همه يجتمع وشتاته ينتظم ، فخرج فلقى من يومى اليه بعلم أو  
 زهد رؤى عند البطالين وهو يجرى معهم مسلك الهديان الذي لا ينفع ،  
 ورأى صورته صورة منممس ، وأهون ما عليه تضييع الاوقات في الحديث  
 الفارغ . فإرجع المرید عن ذلك الوطن الا وقد اكتسب ظلمة في القلب  
 وشتاتا في العزم ، وغفلة عن ذكر الآخرة ، فيعود مريض القلب . يتعب  
 في معالجته أياما كثيرة حتى يعود الى ما كان فيه ، وربما لم يعد لان المرید  
 فيه ضعف فاذا رأى شيئا قد جرب وعرف ثم يؤثر البطالة ، لم يأمن أن  
 يتبعه الطبع . فالاولى للمرید اليوم أن لا يزور إلا المقابر ولا يفاوض الا  
 الكتب ، التي قد حوت محاسن القوم ، وليستعن بالله تعالى على التوفيق  
 لمراضيه ، فانه ان اراده هياؤه لما يرضيه .

٢٦٦ - فصل - تأملت الذين يختارهم الحق عز وجل لولايتهم



والقرب منه . فقد سمعنا أوصافهم ومن نظنه منهم ممن رأيناه فوجدته سبحانه لا يختار الا شخصا كامل الصورة ، لا عيب في صورته ، ولا نقص في خلقته . فتراه حسن الوجه معتدل القامة سليمة من آفة في بدنه . ثم يكون كاملا في باطنه ، سخيا جوادا عاقلا غير خب ولا خادع ولا حقود ولا حسود ولا فيه عيب من عيوب الباطن . فذاك الذي يريه من صفه فتراه في الطفولة معتزلا عن الصبيان ، كأنه في الصبا شيخ ينبوع الرذائل ويفزع من النقائص ، ثم لا تزال شجرة همته تنمي حتى يرى ثمرها مهتدلا على أغصان الشباب ، فهو حريص على العلم ، منكمش على العمل ، محافظ للزمان ، مراعا للاوقات ، ساع في طلب الفضائل ، خائف من النقائص ، ولو رأيت التوفيق والالهام الرباني كيف يأخذ بيده ان عثر ، ويمنعه من الخطأ ان هم ، ويستخدمه في الفضائل ، ويستتر عمله عنه حتى لا يراه منه . ثم ينقسم هؤلاء . فمنهم من تفقه على قدم الزهد والتعبد . ومنهم من تفقه على العلم واتباع السنة . ويندر منهم من يجمع له الكل ويرقيه الى مزاجمة الكاملين . وعلامة اثبات الكمال في العلم والعمل ، الاقبال بالكلية على معاملة الحق ومحبته واستيعاب الفضائل كلها فلو تصورت النبوة أن تكتسب لدخلت في كسبه . ومراتب هذا لا يحتملها الوصف . لسكونه درجة الوجود ، التي لا تكاد تنعقد في الصدف الا في كل ودود . نسأل الله عز وجل توفيقنا لمراضيه وقربه . ونعوذ به من طرده وابعاده .

٢٦٧ - فصل - أكثر الخلاق على طبع ردى لا تقومه الرياضة .

لا يدرون لما خلقوا ولا المراد منهم . وغاية همهم حصول بغيتهم من أغراضهم . ولا يسألون عند نيلها ما اجتلبت لهم من ذم . يبذلون المرص

دون الغرض، ويؤثرون لذة ساعة، وان اجتلبت زمان مرض. يلبسون عند  
التجارات ثياب محتال، في شعار مختال. ويُلَبَّسون في المعاملات ويسترون  
الحال. ان كسبوا فشبهة. وان أكلوا فشهوة. ينامون الليل وان كانوا نياما  
بالنهار في المعنى، ولا نوم بهذه الصورة. فاذا أصبحوا سعوا في تحصيل  
شهواتهم بحرص خنزير، وتبصيص كلب، واقتراس أسد، وغارة ذئب،  
وروغان ثعلب. ويتأسفون عند الموت على فقد الهوى لا على عدم التقوى.  
ذلك مبلغهم من العلم. كيف يفلح من يؤثر ما يراه بعينه على ما يبصره بعقله،  
وما يدركه ببصره أعز عنده مما يراه ببصيرته. تالله لو فتحوا أسماءهم  
لسمعوا هانف الرحيل في زمان الإقامة يصيح في عرصات الدنيا، تلمحوا  
تقويض خيام الاوائل. لكن غمرهم سكر الجهالة، فلم يفقهوا الا بضرب الحد.

### ٢٦٨ - فصل - رأيت بعض المتقدمين سئل عن من يكتسب

٢

حلالا وحراما من السلاطين والامراء ثم يبنى المساجد والاربطة، هل له  
فيها ثواب، فأفتى بما يوجب طيب قلب المنفق، وان له في انفاق مالا يملكه  
نوع سمسرة، لانه لا يعرف أعيان المنصوبين فيرد. فقلت: واعجبا. أمن  
متصدين للفتوى لا يعرفون أصول الشريعة. ينبغي أن ينظر في حال هذا  
المنفق أولا، فان كان ساطانا فما يخرج من بيت المال قد عرفت وجوه  
مصارفه، فكيف يمنع مستحقه ويشغله بما لا يفيد من بناء مدرسة ورباط.  
وان كان المنفق من الامراء ونواب السلاطين، فانه يجب أن يرد ما يجب  
رده الى بيت المال، وليس فيه الا ما فرض من ايجاب يليق به، فان تصرف  
في غير ذلك كان مصروفا فيما ليس له، ولو أذن له كان الاذن جائزا. وان كان  
قد أقطع ما لا يقاوم عمله كان ما يأخذه فاضلا من أموال المسلمين لاحق

له فيه . وعلى من أطلقه في ذلك أثم أيضا ، هذا إذا سلم المال وكان من حله . فاما إذا كان حراما أو غصبيا فكل تصرف فيه حرام ، والواجب رده على من أخذ منه أو على ورثتهم . فان لم يعرف طريق الرد كان في بيت مال المسلمين ، يصرف في مصالحهم ، أو يصرف في الصدقة . ولم يحظ أخذه بغير الأثم . أنبانا احمد بن الحسن بن البنا قال أخبرنا محمد بن علي الزجاجي قال أخبرنا عبد الله بن محمد الاسدي قال أخبرنا علي بن الحسن قال حدثنا أبو دارد قال حدثنا محمد بن عون الطائي قال حدثنا أبو المغيرة قال حدثنا الارزاعي قال حدثني موسى بن سليمان قال سمعت القاسم بن مخيمرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم / من اكتسب مالا من مأثم ، فوصل رحما ، أو تصدق به ، أو أنفقه في سبيل الله ، جمع ذلك جميعا فمقذف به في جهنم / فاما إذا كان الباني تاجرا مكتسبا للحلال فبني مسجدا أو وقف وقفا للمتفقهة ، فهذا مما يثاب عليه ، ويبعد من يكتسب الحلال حتى يفضل عنه هذا المقدار ، ويخرج الزكاة مستقصاة ، ثم يطيب قلبه بمثل هذا البناء والنفقة . إذ مثل هذا البنيان لا يجوز أن يكون من زكاة . وابن سلامة النية وخلوص المقصد . وان بناء المدارس اليوم مخاطرة . إذ قد انعكف أكثر المتفقهة على علم الجدل ، وأعرضوا عن علوم الشريعة ، وتركوا التردد في المساجد ، واقتنعوا بالمدارس والالقب ، وأما بناء الاربطة فليس بشيء أصلا ، لأن جمهور المتصوفة جلوس على بساط الجهل والكسل ، ثم يدعى مدعيهم المحبة والتقرب ، ويكره التشاغل بالعلم ، وقد تركوا سيرة سرى وعادات الجنيد : واقتنعوا بأداء الفرائض . ورضوا بالمرقات . فلا تحسن اعانتهم على بطالتهم وراحتهم . ولا ثواب في ذلك .

— ٢٦٩ — فصل — عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد يرجو بذلك قربه

من قلوبهم؛ وينسى ان قلوبهم بيد من يعمل له، فان رضى عمله وراه خالصا ألفت القلوب اليه، وان لم يره خالصا أعرض بها عنه. ومتى نظر العامل الى التفات القلوب اليه فقد زاحم الشرك، لانه ينبغي أن يقنع بنظر من يعمل له، ومن ضرورة الاخلاص إلفات القلوب اليه، فذاك يحصل لا لا بقصده بل بكراهته لذلك. وليعلم الانسان ان أعماله كلها يعلمها الخالق جملة. وان لم يطلعوا عليها. فالقلوب تشهد للصالح بالصلاح وان لم يشاهدمنه ذلك. فأما من يقصد رؤية الخلق بعمله فقد مضى العمل ضائعا، لانه غير مقبول عند الخالق ولا عند الخلق، لان قلوبهم قد ألفت عنه. فقد ضاع العمل، وذهب العمر. ولقد أخبرنا ابن الحصين قال أخبرنا ابن المذهب قال أخبرنا احمد بن جعفر قال حدثنا عبدالله بن احمد قال حدثني أنى قال حدثنا حسن بن موسى قال حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: لو ان أحدكم يعمل في صحرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج للناس كأننا ما كان فليتق الله العبد وليقصد من ينفعه قصده، ولا يتشاغل بمدح من عن قليل بلى هو وهم.

— ٢٧٠ — فصل — قدم علينا بعض فقهاء من بلاد الاعاجم، وكان

قاضيا ببلده فرأيت على دابته الذهب ومعه أتوار الفضة واشياء كثيرة من المحرمات. فقلت: أى شىء أفاد هذا العلم. بل والله قد كثرت عليه الحجج. وأكبر الاسباب قلة علم هؤلاء بسيرة السلف وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. الا أنهم يجهلون الجملة، ولسكنهم يتشاغلون بعلم الخلاف،

ويقصدون التقدم ، ولا سماع حديث ولا نظرا في سير السلف . ويخالطون  
السلطين فيحتاجون الى التزى بزيمهم ، فريما خطر لهم ان هذا قريب ، وان  
لم يخطر لهم فالهوى غالب بلا صاد ، وربما خطر لهم ان هذا يحتمل ويفغر  
في جانب تشاغلنا بالعلم . ثم يرون العلماء يكرمونهم لئيل شيء من دنياهم ،  
ولا ينكرون عليهم . ولقد رأيت من الذين ينتسبون الى العلم من يستصحب  
المردان ، ويشترى الممالك ، وما كان من يفعل هذا الا من قد يئس من  
الآخرة . ورأيت من قد بلغ الثمانين من العلماء ، وهو على هذه الحالة .  
فالله الله يا من يريد حفظ دينه ويوقن بالآخرة ، اياك والتأويلات الفاسدة ،  
والاهواء الغالبة ، فانك ان ترخصت بالدخول في بعضها جرك الأمر الى  
الباقى ، ولم تقدر على الخروج لموضع إلف الهوى ، فاقبل نصحى ، واقنع  
بالكسرة ، وابتعد عن أرباب الدنيا ، فاذا ضج الهوى فدعه لهذا ، وربما قال  
لك : فالأمر الفلانى قريب ، فلا تفعل ، فانه يدعو الى غيره ويصعب التلقى .  
فالصبر الصبر على شظف العيش والبعده عن أرباب الهوى ، فما يتم دين  
الابدلك . ومتى وقع الترخص حمل الى غيره ، كاشاطىء الى اللجة . وانما  
هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، ووجه أصبح من وجه ، وانما  
هى أيام يسيرة .

٢٧١ - فصل - من تفكر فى عظمة الله عز وجل طاش عقله لانه  
يحتاج أن يثبت موجودا لأول لوجوده، وهذا شىء لا يعرفه الحس ، وانما  
يقربه العقل ضرورة . وهو متحير بعد الاقرار . ثم يرى من أفعاله مايدل على  
وجوده فلا يخفى وجوده . ثم يجرى فى أقداره أمور لولا ثبوت الدليل على  
وجوده لأوجبت الجحد ، فانه يفرق البحر لبنى اسرائيل ، وذلك شىء لا يقدر

عليه سوى الخالق. ويصير العصى حية ثم يعيدها عصا وتلتقف ما صنعوا ولا  
 يزيد فيها شيء. فهل بعد هذا بيان. فاذا آمنت السحرة تركهم مع فرعون  
 يصلبهم ولا يمنع. والانبياء يتلون بالجوع والقتل. وذاكر يا نبشر. ويحبي تقتله  
 زانية. ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول كل عام. من يؤؤبني من ينصرني فيكاد  
 الجاهل بوجود الخالق يقول: لو كان موجودا لنصر أولياءه. فينبغي للعاقل  
 الذي قد ثبت عنده وجوده بالأدلة الظاهرة الجليلة أن لا يمكن عقله من  
 الاعتراض عليه في أفعاله. ولا يطلب بها علة، اذ قد ثبت انه مالك وحكيم.  
 فاذا خفي عليه وجه الحكمة في فعله نسبنا العجز الى فهمنا. وكيف لا وقد  
 عجز موسى عليه السلام أن يعرف حكمة خرق السفينة وقتل الغلام، فلما  
 بان له حكمة ذلك الفساد في الظاهر أقر. فلو قد بان الحكمة في أفعال  
 الخالق جحد العقل جحد موسى يوم الخضر. فتى رأيت العقل يقول لم  
 فأخرسه بأن تقول له: يا عاجز أنت لا تعرف حقيقة نفسك. فإلك والاعتراض  
 على المالك. وربما قال العقل: أى فائدة في الابتلاء وهو قادر أن يثيب ولا  
 بلاء، وأى غرض في تعذيب أهل النار وليس ثم تشفى، فقل له: حكمته  
 فوق مرتبتك، فسلم لما لا تعلم، فان أول من اعترض بعقله إبليس فرأى  
 فضل النار على الطين فأعرض. وقد رأينا خلقا كثيرا وسمعنا عنهم انهم  
 يقدحون في الحكمة لانهم يحكمون العقول على مقتضاها، وينسون ان  
 حكمة الخالق وراء العقول. فإياك أن تفسح لعقلك في تعليل أو أن تطلب  
 له جواب اعتراض، وقل له سلم تسلم، فانك لا تدري غور البحر الا وقد  
 أدركك الفرق قبل ذلك. وهذا أصل عظيم، متى فات الآدمي أخرجه  
 الاعتراض الى الكفر.

٢٧٢ - فصل - العجب ممن يقول : أخرج الى المقابر فاعتبر بأهل  
البلي . ولو فطن علم انه مقبرة يعنيه الاعتبار بما فيها عن غيرها ، خصوصا  
من قد أوغل في السن ، فان شهوته ضعفت ، وقواه قات ، والحواس كلت  
والنشاط فتر ، والشعر ابيض ، فليعتبر بما فقد ، وليستغن عن ذكر من فقد ،  
فقد استغنى بما عنده عن التطلع الى غيره .

٢٧٣ - فصل - متى تكامل العقل فقدت لذة الدنيا فضاءل الجسم  
وقوى السقم واشتد الحزن ، لأن العقل كلما تلمح العواقب أعرض عن الدنيا .  
والتفت الى ما تلمح ولا لذة عنده بشيء من العاجل . وانما يلتذ أهل الغفلة  
عن الآخرة ، ولا غفلة لكامل العقل ، ولهذا لا يقدر على مخالطة الخلق ،  
لانهم كأنهم من غير جنسه ، كما قال الشاعر :

ما في الديار أخو وجد نظارحه حديث نجد ولا خل نجاريه

٢٧٤ - فصل - ادعى الطبائعيون ان مادة الموجودات الماء والتراب  
والنار والهواء ، فاذا كان في القيامة أذهب الاصول ، ثم أعاد الحيوان ليعلم  
انها كانت بالقدرة لا عن تأثير الكليات . ومن قدح في البعث قد بالغ في  
القدح في الحكمة . ومن قال : الروح عرض ، فقد جهد البعث ، لان  
العرض لا يبقى والاجساد تصير ترابا ، فان وجد شيء فهو ابتداء خلق .  
كلا . والله يعيد النفس بعينها بدليل اعادة مذكوراتها « قال قائل منهم اني  
كان لي قرين » وعزته ان لطفه في البداية دليل على النهاية . حنن الوالدين ،  
وأجرى اللبن في الثدي ، وانشأ الأطفعة ، وأطلع العقل على العواقب .  
أرى من أن يقال بعد هذا التدبير ، انه يهمل بعد الموت فلا يبعث ! أترى  
من أحب أن يُعرَف فانشأ الخلق وقال : كنت كنزا لأعرف فأجبت

ان أعرف : يؤثر أن يعدمهم فيجعل قدره . سبحانه من أعشى أكثر القلوب  
عن معرفته .

٢٧٥ - فصل - سبحانه من ظهر خلقه حتى لم يبق خفاء ثم خفى  
حتى كأنه لا ظهور، أي ظهوراً أجلاً من هذه المصنوعات التي كلها تنطق  
بأن لى صانعا صنعنى ورتبني على قانون الحكمة، خصوصاً هذا الآدمي  
الذي أنشأه من قطرة، وبناء على أعجب فطرة، ورزقه الفهم والذهن واليقظة  
والعلم، وبسط له المهاد وأجرى له الماء والريح، وأنبت له الزرع ورفع له من  
فوقه السماء فأوقد له مصباح الشمس بالنهار، وجاء بالظلمة ليسكن، إلى غير  
ذلك، مما لا يحفى. وكله ينطق بصوت فصيح يدل على خالقه. وقد تجلى الخالق  
سبحانه بهذه الافعال فلا خفاء. ثم بعث الرسل فقراء من الدنيا ضعاف الابدان،  
فقهر بهم الجبابرة، وأظهر على أيديهم من المعجزات ما لا يدخل تحت مقدور  
بشر. وكل ذلك ينطق وقد تجلى سبحانه بذلك. ثم يأتي موسى عليه السلام  
إلى البحر فينفرك فلا يبقى شك في ان الخالق فعل هذا. ويكلم عيسى عليه  
السلام الميتم فيقوم. ويبعث طيراً أبابيل تحفظ بيته فيهلك قاصديه. وهذا  
أمر يطول ذكره كانه يدل على أن تجلى الخالق سبحانه بغير خفاء. فإذا ثبت  
عند العقلاء ذلك من غير ارتياب ولا شك، جاءت أشياء كأنها تستر الظاهر  
على ما سبق من تسليط الاعداء على الاولياء، واذا ثبت التجلى بأدلة لا تتحمل  
التأويل، علمت ان لهذا الخلفاً سرا لانعامه يفترض على العقل فيه التسليم  
للحكيم فمن سلم سلم، ومن اعترض هلك.

٢٧٦ - فصل - قد يدعى أهل مذهب الاجتهاد في طلب الصواب



لا يقصد الا الحق فترى الراهب يتعبد ويتجوع واليهودى يذل ويؤدى الجزية ، وصاحب كل مذهب يبالغ فيه ويحتمل الضيم والأذى طلباً للهدى وتحصيل الأجر ، ومع هذا فيقطع بضلال الأكرهين. وهذا قد يشكل . وإنما كشفه انه ينبغي ان يطالب الهدى بأسبابه ، ويستعمل الاجتهاد بالإبانه. فأما من فاته الأسباب أو فقد بعض الآلات فلا يقال له مجتهد. فاليهود والنصارى بين عالم قد عرف صدق نبينا صلى الله عليه وسلم ثم يسك لرئاسته فهذا معاند . وبين مقلد لا ينظر فهذا مهمل ، فهو يتعبد مع اهمال الأصل ، وهذا لا ينفع . وبين ناظر منهم لا ينظر حق النظر ، فيقول: فى التوراة ان ديننا لا ينسخ . وهو على غير ثقة ان هذا غير معمول ولا مدخل فيها . ويقول النسخ ذا<sup>(١)</sup> ولا ينظر فى الفرق ، فينبغى أن ينظر حق النظر . وبين هذا الجنس تعبد الخوارج مع اقتناعهم بعامهم القاصر ، وهو قولهم: لا حكم الا لله ولم يفهموا ان التحكيم من حكم الله ، فجعلوا قتال على رضى الله عنه وقتله مبيناً على ظنهم الفاسد . ولما نهب مسلم بن عقبة المدينة وقتل الخلق قال: ان دخلت النار بعد هذا انى اشقى . فظن بجهله أنهم لما خالفوا بيعة يزيد يجوز استباحتهم وقتلهم . فالويل لعامى قليل العلم لا يتهم نفسه فى واقعة ، ولا يذاكر من هو أعلم منه ، بل يقطع بظنه ويقدم . وهذا أصل ينبغى تأمله ، فقد هلك فى اهماله خاق لا نحصى . وقد رأينا خلقاً من العوام اذا وقع لهم واقعة لم يقبلوا فتوى «وجوه يومئذ عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية»

٢٧٧ - فصل - للنفس ذخائر فى البدن . منها الدم والمنى وأشياء تتقوى بها ، فاذا فقدت الذخائر ولم يبق منها شيء ذهبت . ومن ذخايرها

(١) كذا

التقوى بالمال والجاه وما يوجب الفرح فإذا فقدت ذلك وكانت عزيزة ذات أنفة خرجت ، وقد يهجم عليها الخوف فلا تجد ذخيرة من الرجاء يقاومه فتذهب ، ويغلب عليها الفرح فلا تجد من الحزن ما يقاومه فتذهب . فاجتهد في حفظ ذخائرهما وخصوصاً الشيخ ، فإنه ينبغي له أن لا يفرح باخراج الدم ، ولا اخراج المنى وان وجد شبقاً ، الا أن يكون الشبق زائداً في الحد فيخرج المؤذى في كل حين . وعلامة أن يكون مؤذياً وجود الراحة عند خروجه . فتى وجد ضعفاً فقد آذى خروجه . وليحفظ ذوا الأنفة على نفسه حشمته ، بأن لا يقف في موقف يعاب به ، فإنه يتمتع بذخيرة العز والأنفة ويضاد النفس وجود ضد ذلك . وكذلك ينبغي أن يستعدلاً خرمه بالمال مخافة أن يحتاج فيذل أو يسعى ، وقد كلت الآلة . ولأن يخلّف لمدوه أولى من أن يحتاج الى صديقه ولا يلتفت الى من يذم المال ، فانهم الحقى الجهال الذين اتركوا على خبز الراحة ، فاستطابوا الكسل والدعة ، ولم يأفوا من تناول الصدقة ولا من التعرض للسؤال . وقد كان لكل نبي معاش وجميع الصحابة ، وخافوا أموالا كثيرة فافهم هذا الأصل ، ولا تلتفت الى كلام الجهال .

٢٧٨ - فصل - رأيت في زهاد زماننا من الكبر وحفظ الناموس

ورتبة الجاه في قلوب العامة ما كدت أقطع به على انهم أهل رياء ونفاق . فترى أحدهم يلبس الثوب الذي يرى بعين الزهد ، ويأكل أطيب الطعام ، ويتكبر على أبناء الجنس ويصادق الاغنياء ، ويباعد الفقراء ، ويجب الخطاب لمولانا ، ويمشى بحاجبه ، ويضيع الزمان في الهذيان ، ويتقوت بخدمة الناس له والتسليم عليه . ولو انه لبس ثوباً يخلطه بالفقهاء لذهب

الجاه ، ولم يبق له متعلق . ولو ان أفعاله ناسبت ثيابه لهان الامر ، انكسر بهم رجوا على من لا يخفى عليه من الخلق . ، فكيف الخالق سبحانه وتعالى  
 ٢٧٩ - فصل - كثيراً ما أعيد هذا المعنى الذي أنا ذاكره في هذا  
 الكتاب بعبارات . ينبغي للو من أن يتشاغل بمعاشه ويرفق في نفقته . فانه  
 قد كان للعلماء شيء من بيت المال ورفق من الاخوان ، ومعونة من العوام ،  
 فانقطع الكل ، وبقي المتشاغل بالعلم أو التعمد مسكيناً ، خصوصاً ذو العائلة .  
 وما رأينا مثل هذا الزمان القبيح ، فما بقي من يوماً اليه بمعونة ولا باستمراض  
 منه ، فيحتاج الانسان أن يدخل في مداخل لا يلقى به ، وان يتعرض بما  
 لا يصلح . فينبغي تقليل العائلة وتقويت القوت وترقيع الخلق وان أمكن  
 معاشه وأولى من التشاغل بالتعمد والتعلم افضول العلم . والاضاع الدين  
 في مداخل لا تصلح . أو التعرض لبذل نذل .

٢٨٠ - فصل - ينبغي للعاقل أن يحترز غاية ما يمكنه . فاذا جرى  
 القدر مع احترازه لم يلم . والاحتراز من كل شيء يمكن وقوعه ، وأخذ  
 العدة لذلك . وهذا يكون في كل حال . قد قص رجلا ظفره فخاف عليه  
 فخبثت يده فمات . ومر شيخنا أحمد الحربي وهو راكب بمكان ضيق  
 فتطأ على السرج فانهصر فؤاده فمض فمات . وكان يحيى بن نزار شميخا  
 يحضر مجلسي قد طرق عليه ثقل الأذن فاستدعى طريفاً فصّ أذنه فجرى  
 شيء من مخه فمات . وانظر الى احتراز رسول الله صلى الله عليه وسلم حين  
 مر على حائط مائل فأسرع . وينبغي ان يحترز بالكسب في زمن شبابه ادخارا  
 لزمن شبابه . ولا ينبغي أن يثق بمعامل الا بوثيقة . ويبادر بالوصية مخافة  
 أن يطرقة الموت . ويحترز من صديقه فضلاً من عدوه . ولا يثق بمودة

من قد آذاه هو ، فان الحقد في القلوب لا يزول . وليحترز من زوجته .  
 فر بما أطلعها على سره ثم طلقها فيتأذى بما تفعل به . وقد كان ابن أفلح  
 الشاعر يكتب رئيسا في زمن المسترشد فعلم بذلك بوابه ، واتفق انه صرف  
 بوابه فتم عليه وتقصت داره . فهذه المذكرات أمثلة تنبه على ما لم يذكر . وأهم  
 السلك ان يحترز بأخذ العدة وتحقيق التوبة قبل أن يهجم ما لا يؤمن هجومه  
 وليحذر من اص الكسل ، فانه محتمل على سرقة الزمان .

٢٨١ - فصل - تأملت خصومات الملوكة وحرص التجار ، ونفاق

المتزهدين ، فوجدت جمهور ذلك على اذات الحس . واذا تفكر العاقل في  
 ذلك علم أن امر الحسيات قريب يندفع بأقل شيء ، وان الغاية لا يمكن  
 نيلها وان بالغ عاد بالاذى على نفسه اضعاف ماناله من اللذة ، كمن يأكل كثيرا  
 أو ينكح كثيرا . فالسعيد من اهتم لحفظ دينه . واخذ من ذلك بمقدار  
 الحاجة / واعجبا . هذا اللبوس اذا كان وسطا خدما ، واذا كان مرتفعا  
 خدما ، فان نظر اللباس اليه معجبا به فان الله لا ينظر اليه حينئذ . وفي الصحيح :  
 بيننا رجل يتبختر في بردته خسف به . والمشروب ان كان حراما فعقابه  
 أضعاف لذته . وهتكه العرض بين الناس عقاب آخر . وان كان مباحا  
 فالشره فيه يؤذى البدن . وأما المنكوح فمدارة المستحسن يؤذى فوق  
 كل أذى . ومقاساة المستقبح أشد أذى . فعليك بالتوسط . وتفكر في  
 احوال السلاطين كيف قتلوا ظلما وكم ارتكبوا حراما ، وما نالوا الايسيرا  
 من لذات الحس ، فانقشع غيم العمر عن حسرات الفضائل . وحصول  
 العقاب ، فليس في الدنيا اطيب عيشا من منفرد عن العالم بالعلم . فهو  
 أنيسه وجليسه ، قد قنع بما سلم به دينه من المباحات الحاصلة . لاعتن تكلف

ولا تضييع دين ، وارتدى بالعز عن الذل للدينا وأهلها . والتحف بالقناعة باليسير ، إذا لم يقدر على الكثير فوجدته يسلم دينه وديناه . واشتغاله بالعلم يد له على الفضائل . ويفرجه في البسائير . فهو يسلم من الشيطان والسايطان والعوام بالعزلة . ولكن لا يصح هذا إلا للعالم ، فانه إذا نزل الجاهل فانه العلم فتخبط .

٢٨٢ - فصل - تأملت حالة تدخل على طلاب العلم توجب الغفلة عن المقصود ، وهو حرصهم على الكتابة . خصوصا المحدثين فيستغرق ذلك زمانهم عن ان يحفظوا ويفهموا ، فيذهب العمر وقد عروا عن العلم إلا اليسير . فمن وفق جعل معظم الزمان مصروفا في الاعادة والحفظ . وجعل وقت التعب من التكرار للنسخ فيحصل له المراد . والموفق من طلب المهم . فان العمر يمجز عن تحصيل الكل ، وجمهور العلوم الفقه . وفي الناس من حصل له العلم وغفل عن العمل بمقتضاه ، وكأنه ما حصل شيئا . نعوذ بالله من الخذلان .

٢٨٣ - فصل - ما اعتمد أحد أمرا إذا هم بشيء مثل التثبيت ، فانه متى عمل بواقعة من غير تأمل للعواقب كان الغالب عليه الندم . ولهذا أمر بالمشاورة لان الانسان بالتثبيت يفتكر فتعرض على نفسه بالتفكر الاحوال وكأنه شاور وقد قيل : خير الرأي خير من فطيره . وأشد الناس تفریطا من عمل بمبادرة في واقعة من غير تثبيت ولا استشارة . خصوصا فيما يوجب الغضب فانه طلب الهلاك أو الندم العظيم : وكمن غضب فقتل وضرب ثم لما سكن غضبه بقى طول دهره في الحزن والبكا والندم . والغالب في القتال أنه يقتل فتفوت الدنيا والآخرة . فكذلك من عرضت له شهوة فاستعجل لديها ونسى

عاقبتها، فكم من ندم يتجرعه في باقى عمره . وعتاب يستقبله من بعد موته وعقاب لا يؤمن وقوعه . كل ذلك للذة لحظة كانت كبرق . فالله الله التثبت التثبت فى كل الأمور والنظر فى عواقبها . خصوصا الغضب المثير للخصومة وتمجيل الطلاق .

٢٨٤ - فصل - سألنى سائل ، قد قال بعض الحكماء : من لم يحترز بعقله هلك بعقله . فما معنى هذا . فبقيت مدة لا ينكشف لى المعنى . ثم انضح . وذلك أنه اذا طلبت معرفة ذات الخالق سبحانه من العقل فزرع الى الحس فوق التشبيه فالاحتراز من العقل بالعقل هو أن ينظر فيعلم أنه لا يجوز أن يكون جسما ولا شها لشيء . واذا نظر العاقل الى أفعال البارى سبحانه رأى أشياء لا يقتضيها العقل ، مثل الآلام والذبح للحيوان وتسليط الاعداء على الاولياء مع القدرة على المنع ، والابتلاء بالمجاعة للصالحين . والمعاقبة على الذنب بعد البعد بزلة وأشياء كثيرة من هذا الجنس يعرضها العقل على العادات فى تديره فيرى انه لاحكمة تظهر له فيها ، فالاحتراز من العقل به ان يقال له : أليس قد ثبت عندى انه مالك وأنه حكيم وأنه لا يفعل شيئا عبثا ، فيقول بلى . فيقال : فنحن نحترز من تديرك الثانى بما ثبت عندك فى الاول ، فلم يبق الا أنه خفى عليك وجه الحكمة فى فعله ، فيجب التسليم له ، لعلمنا انه حكيم . حينئذ يدعن ويقول : قد سلمت . وكثير من الخلق نظروا لمقتضى واقع العقل الاول فاعترضوا . حتى أن العامى يقول : كيف قضى على سوء عاقبتى ، ولم ضيق رزقى ، وما وجه الحكمة فى ابتلائى بفنون البلاء . ولو أنه تلمح انه مالك حكيم لم يبق الا التسليم لما خفى . ولقد أنس ببديهة العقل خالق من الاكابر أولهم ابليس ، فانه رأى تفضيل النار على

الطين ، فاعترض . ورأينا خلقا ممن نسب الى العلم قد زلوا في هذا واعترضوا  
ورأوا ان كثيرا من الافعال لاحكمة تحتها . والسبب ما ذكرنا وهو الانس  
بنظر العقل في البديهة والعادات والقياس على أفعال المخلوقين ، ولو استخرجوا  
علم العقل الباطن ، وهو انه قد ثبت السكالم للخالق وانتفت عنه النقائص  
وعلم أنه حكيم لا يعيبث ، لبقى التسليم لما لا يعقل . واعتبر هذا بحال الخضر  
وموسى عليهما السلام لما فعل الخضر أشياء تخرج عن العادات ، أنكر موسى  
ونسى إعلامه له باني أنظر فيما لا تعلمه من العواقب . فاذا خفيت مصاحبة  
العواقب على موسى عليه السلام مع مخلوق فاولى أن يخفى علينا كثير  
من حكمة الحكيم . وهذا أصل ان لم يثبت عند الانسان اخرجه الى  
الاعتراض والكفر ، وان ثبت استراح عند نزول كل آفة .

٢٨٥ - فصل - بلغنى عن بعض الكرماء ان رجلا سأله فقال  
أنا الذى أحسنت اليك يوم كذا وكذا فقال : مرحبا بمن يتوسل الينا  
بنا ، ثم قضى حاجته . فأخذت من ذلك اشارة فناجيت بها فقلت : أنت الذى  
هديته من زمن الطفولة وحفظته من الضلال ، وعصمته عن كثير من  
الذنوب ، وألممته طلب العلم لافهم اشرف ، لموضع الصغر ، ولا يحب والده .  
ورزقته فهما لتفقهه وتصنيفه ، وهيات له أسباب جمعه ، وقمت برزقه من  
غير تعب منه ، ولا ذل للخلق بالسؤال وحاميت عنه الاعداء ، فلم يقصده  
جبار . وجمعت له ما لم يجمع لأكثر الخلق من فنون العلم التى لا تكاد  
تجتمع في شخص . وأضفت اليها تعلق القلب بمعرفتك ومحبتك وحسن  
العبادة ولطفها في الدلالة عليك ، ووضعت له في القلوب القبول حتى ان  
الخلق يقبلون عليه ويقبلون ما يقوله ، ولا يشككون فيه ، ويشتاقون الى كلامه ،

ولا يدركهم الملل منه ، وصنته بالعزلة عن مخالطة من لا يصلح . وآنتسته  
 في خلوته بالعلم تارة وبمناجاتك أخرى . وان ذهبت اعد لم أقدر على  
 احصاء عشير العشير « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » فيا محسنا الى قبل  
 ان اطلب لا تحيب أملي فيك وأنا اطلب . فبا نعامك المتقدم أنوسل اليك .

٢٨٦ - فصل - سبحان من جعل الخلق بين طرفي تقيض

والمتوسط منهم يندر . منهم من يغضب فيقتل ويضرب . ومنهم من هو  
 أبله بقوة الحلم لا يؤثر عنده السب . ومنهم شره يتناول كلما يشتهي .  
 ومنهم مترهد يتجفف فيمنع النفس حقها . وكذلك سائر الاشياء الحمود  
 منها المتوسط فالمتفق كلما يجد مبذر . والبخيل يحجب المال ويمنع نفسه حظها .  
 ومعلوم أن المال لا يراد لنفسه بل للمصالح ، فأذا ابزر الانسان فيه احتاج  
 الى بذل وجهه ودينه ومنه البخلا عليه ، وهذا لا يصلح . ولأن يخلف  
 الانسان لعدوه أحسن ما يحتاج الى صديقه . وفي الناس من يبخل  
 ثم يتفاوتون في البخل حتى ينتهي بالبخلاء الامر الى عشق عين المال ، فربما  
 مات أحدهم هزالا ولا ينفقه ، فيأخذه الغير ويندم الخلف . ولقد بلغني في  
 هذا ما ليس فوقه مزيد ذكرته لتعتبر به . فحدثني شيخنا أبو الفضل بن  
 ناصر عن شيخه عبد المحسن الصوري ، قال : كان بصور تاجر في غرفة له  
 يأخذ كل ليلة من البقال رغيفين وجوزة فيدخل الى غرفته وقت المغرب  
 فيضرم النار في الجوزة فتضيء بمقدار ما ينزع ثوبه ، وفي زمان احراق القشر  
 قد استوت فيمسح بها الرغيفين ويأكلهما ، فبقي على هذا مدة فأت ، فأخذ  
 منه ملك صور ثلاثين ألفاً . ورأيت أن رجلا من كبار العلماء قد مرض  
 فاستلقى عند بعض أصدقائه ليس له من يخدمه ولا يرفقه وهو مضر ، فلما



مات ووجدوا بين كتيبه خمسمائة دينار . وحدثني أبو الحسن الراندي قال :  
 مرض رجل عندنا فبعث الى فحضرت فقال : قد ختم القاضي على مالي  
 فقلت : ان شئت قمت وفتحت الختم وأعطيتك الثلث تفرقه وتعمل به  
 ماشاء . فقال : لا والله ما أريد أن أفرقه ، بل أريد مالي يكون عندي .  
 فقلت : ما يعطونك ، بلي أنا آخذك الثلث . فقال : لا أريد ، مات وأخذ ماله .  
 قال : وجاء رجل فحدثني بمجيبه قال : مرضت حماتي فقالت لي ، أريد أن  
 تشتري لي خبيصا فاشتريت لها ، وكانت ملقاة في صفة ونحن في صفة أخرى  
 فجاءني ولدي الصغير وقال . ياسيدي ، انها تبلع الذهب ، فقلت واذابها تجعل  
 الدينار في شيء من الخبيص فتبلعه ، فامسكت يدها وزجرتها عن هذا  
 فقالت : أنا أخاف أن تتزوج على بنتي ، فقلت : ما أفعل فقالت : إحلف لي  
 فحلفت ، فاعطتني باقي الذهب ثم ماتت فدفنتها ، فلما كان بعد أشهر مات  
 لنا طفل فحملناه اليها ، وأخذت معي خرقة خام وقلت للحفار اجمع لي عظام  
 تلك المعجوز في الخرقة ، فجئت بها الى البيت وتركتها في اجانة وصببت  
 عليها الماء وحركتها ، فاخرجت ثمانين دينارا أو نحوها كانت قد ابتاعها .  
 وحكى لي صديق لنا ، أن رجلا مات ودفن في الدار ، ثم نبش بعد مدة ليخرج  
 فوجد تحت رأسه لبنة مقيرة فسئل أهله عنها فقالوا : هو قبر هذه اللبنة  
 وأوصى أن تترك تحت رأسه في قبره وقال : ان اللبن يبلى سريعا وهذه لموضع  
 القار لا تبلى . فاخذوها فوجدوها رزينة ، فكسروها فوجدوا فيها تسعمائة  
 دينار فتولاهما أصحاب التركات . وبلغني أن رجلا كان يكنس للمساجد ويجمع  
 ترابها ثم يضربه لبنا فليل له هذا لأى شيء فقال : هذا تراب مبارك ،  
 واريد أن يجعلوه على لحدى ، فلما مات جعل على لحده ، ففضل منه لبنات ،

فرموها في البيت ، فجاء المطر فتنفسخت اللبنيات فاذا فيها دنانير ، ففضوا  
وكشفوا اللبن عن لحده و كله مملوء دنانير . و لقد مات بعض أصدقائنا و كنت  
أعلم له مالا كثيرا ، و طال مرضه فما أطلع أهله على شيء و لا أكاد أشك  
أنه من شحه و حرصه على الحياة و رجائه أن يبقى لم يعلمهم بمدفونه خوفا  
أن يؤخذ فيجيا هو و قد أخذ المال . و ما يكون بعد هذا الخزي شيء .  
و حدثني بعض أصحابنا عن حالة شاهدتها من هذا الفن . قال : كان فلان له  
ولدان ذكران و بنت وله ألف دينار مدفونة . فمرض مرضا شديدا فاحتوشته  
أهله ، فقال لأحد ابنيه لا تبرح من عندي ، فلما خلا به قال له ان اخاك  
مشغول باللعب بالطيور ، و ان اختك لها زوج تركي ، و متى وصل من  
مالي اليهما شيء انفقوه في اللعب ، و أنت على سيرتي و اخلاقي ، و لي في  
الموضع الفلاني الف دينار ، فاذا أنامت فخذها و حذك . فاشتد بالرجل  
المرض فمضى الولد فاخذ المال فعوفى الاب ، فجعل يسأل الولد ان يرد  
المال اليه فلا يفعل ، فمرض الولد فجعل الأب يتضرع اليه و يقول :  
و يحك خصصتك بللمال دونهم فتموت فيذهب المال ، و يحك لا تفعل ،  
فما زال به حتى أخبره بمكانه ، فأخذه ثم عوفى الولد و مضت مدة فمرض  
الاب ، فاجتهد الولد أن يخبره بمكان المال و بالغ فلم يخبره و مات و ضاع  
المال . فسبحان من أعدم هؤلاء العقول و الفهوم . ان هم الا كالانعام بل  
هم أضل سبيلا .

٢٨٧ فصل - كان لنا أصدقاء و اخوان أعتدبهم . فرأيت منهم من  
الجفاء و ترك شروط الصداقة و الاخوة عجائب فاخذت اعتب ، ثم انتبهت  
لنفسى فقلت : و ما ينفع العتاب ، فانهم ان صلحوا فللعتاب لا للصفاء فهممت

بمقاطعتهم ، ثم تفكرت فرأيت الناس بين معارف وأصدقاء في الظاهر واخوة  
مباطنين ، فقلت لا تصالح مقاطعتهم ، انما ينبغي أن نقلهم من ديوان الاخوة  
الى ديوان الصداقة الظاهرة ، فان لم يصالحوا لها نقلتهم الى جملة المعارف ،  
وعاملتهم معاملة المعارف ، ومن الغلط ان تعاتبهم ، فقد قال يحيى بن معاذ:  
بنس الأخ اخ تحتاج أن تقول له اذكرني في دعائك . وجهور الناس  
اليوم معارف ويندر فيهم صديق في الظاهر ، فان الاخوة والمصافة فذاك  
شيء نسخ فلا يطمع فيه . وما أرى الانسان يصفو له أخوة من النسب  
ولا ولده ولا زوجته . فدع الطمع في الصفا . وخذ عن السكل جانباً ،  
وعاملهم معاملة الغرباء . واياك ان تنخدع بمن يظهر لك الود ، فانه مع  
الزمان يبين لك الحال فيما اظهره وربما اظهر لك ذلك لسبب يناله منك ، وقد  
قال الفضيل بن عياض : اذا أردت ان تصادق صديقاً فأغضبه فان رأيت كما  
ينبغي فصادقه . وهذا اليوم مخاطرة . لانك اذا أغضبت احدا صار  
عدوا في الحال . والسبب في نسخ حكم الصفا ، ان السلف كان همتهم  
الآخرة وحدها فصفت نياتهم في الاخوة والمخالطة فكانت ديناً لادينا .  
والآن فقد استولى حب الدنيا على القلوب ، فان رأيت متملقاً في باب  
الدين فاخبر ثقله

٢٨٨ - فصل - رأيت المعافي لا يعرف قدر العافية الا في المرض .  
كما لا يعرف شكر الاطلاق الا في الحبس . وتأملت على الآدمي حالة عجيبة .  
وهو ان يكون معه امرأة لا بأس بها الا أن قلبه لا يتعلق بمحبتها تعلقاً  
يلتذبه . ولذلك سببان . أحدهما أن تكون غير غاية في الحسن . والثاني أن  
كل مملوك مكروه ، والنفس تطلب ما لا تقدر عليه ، فتراه يضج ويشتهي

شيئا يحبه أو امرأة يعشقها، ولا يدري انه انما يطلب قيда وثيقا يمنع القلب من التصرف في أمور الآخرة، أو في علم أو عمل، ويخبطه في تصرف الدنيا، فيبقى ذلك العاشق أسير المعشوق، همه كله معه فالعجب بمطلق يؤثر القيد. ومستريح يؤثر التعب. فان كانت تلك المرأة محتاح أن تحفظ فالويل له لاقرار له ولاسكون. وان كانت من المتبرجات اللواتي لا يؤمن فسادهن فذاك هلاكه بمرّة. فلا هو ان نام يتلذذ بنومه، ولا ان خرج من الداريا من محنة وان كانت تريد نفقة واسعة وليس له، فكم يدخل مدخل سوء لاجلها. وان كانت تؤثر الجماع وقد علت سنه فذاك الهلاك العظيم. وان كانت تبغضه فما بقيت من أسباب تلفه بقية فيكون هذا ساعيا في تلف نفسه كما قال القائل:

نحب القدود ونهوى الخدود      ونعسلم انا نحب المنونا

وهذا على الحقيقة كما بد صنم. فليثق الله من عنده امرأة لا بأس بها وليعرض عن حديث النفس ومناها فإله منتهى. ولو حصل له غرضه كما يريد وقع الملل وطلب ثالثة، ثم يقع الملل ويطلب رابعة، وما لهذا أخير. انما يفيد بالعاجل تعلق قلبه وأسر لبه، فيبقى كالمبهوت، فسكره كله في تحصيل ما يريد محبوبه، فان جرت فرقة أو آفة فتلك الحسرات الدائمة ان تبقى أو التلف عاجلا. وان المستحسن المصون الدين القنوع المحب لمن يحبه هذا أقل من الكبريت الاحمر. فليتنظر في تحصيل ما يجمع معظم المهم. ولا يلتفت الى سواد الهوى وغاية المنى، وقد سلم.

٢٨٩ - فصل - اذا تم علم الانسان لم ير لنفسه عملا وانما يرى

إنعام الموفق لذلك العمل الذي يمنع العاقل ان يرى لنفسه عملا او يعجب به، وذلك بأشياء، منها انه وفق لذلك العمل «وحب اليك الايمان وزينه في قلوبكم» ومنها

انه اذا قيس بالنعم لم يف بمشارعها ، ومنها انه اذا لوحظت عظمة المخدم  
احتقر كل عمل وتعبد . هذا اذا سلم من شائبة وخلص من غفلة . فاما  
والغفلات تحيط به فينبغي ان يغلب الحذر من رده ، ويخاف العتاب على  
التقصير فيه ، فيشتغل عن النظر اليه ؛ وتأمل على الفطناء احوالهم في ذلك ،  
فالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون قالوا : ما عبدناك حق  
عبادتك . والخليل عليه السلام يقول « والذي اطمع ان يغفر لي » وما دل  
بنصيره على النار وتسليمه الولد الى الذبيح . ورسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : ما منكم من ينجييه عمله قالوا ولا انت قال : ولا انا الا ان يتغمدني  
الله برحمته . وابو بكر رضى الله تعالى عنه يقول : وهل انا وما الى الا لك  
يا رسول الله . وعمر رضى الله عنه يقول : لو انى طلاع الارض لافتديت  
بها من هول ما امامى قبل أعلم ما الخبر . وابن مسعود يقول : ليتنى اذا مت  
لا أبعث . وعائشة رضى الله عنها تقول : ليتنى كنت نسيا منسيا . وهذا  
شأن جميع العقلاء فرضى الله عن الجميع . وقد روى عن قوم من صلحاء  
بنى اسرائيل ما يدل على قلة الافهام لما شرحتهم لأنهم نظروا الى أعمالهم فأدلو  
بها . فنه حديث العابد الذى تعبد خمسمائة سنة في جزيرة وأخرج له كل  
ليلة رمانة ، وسأل الله تعالى ان يميتة في سجوده . فاذا حشر قيل له ادخل الجنة  
برحمتى قال : بل بعملى ، فيوزن جميع عمله بنعمة واحدة فلا يفى ، فيقول :  
يا رب برحمتك ، وكذلك اهل الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة فان احد هم  
توسل بعمل كان ينبغى ان يستحي من ذكره ، وهو انه عزم على الزنا ثم  
خاف العقوبة فتركه . فليت شعري بماذا يدل من خاف ان يعاقب على شيء  
فتركه تخوف العقوبة . انما لو كان مباحا فتركه كان فيه مافيه . ولو فهم

لشغله خجل الهمة عن الادلال ، كما قال يوسف عليه السلام : وما أبرئ نفسي .  
والآخر ترك صبيانه يتضاغون الى الفجر ليستقى ابويه اللبن . وفي ضمن  
هذا البر أذى للأطفال ، ولكن الفهم عزيز . وكأنهم لما احسنوا قال لسان  
الحال : أعطوهم ما طلبوا ، فانهم يطلبون أجرة ما عملوا . ولولا عزة الفهم  
ما تكبر متكبر على جنسه وكان كل كامل خائفا محتقرا لعمله حذرا من  
التقصير في شكر ما انعم عليه . وفهم هذا المشروح ينكس رأس الكبر .  
ويوجب مساكنة الذل . فتأمله فانه اصل عظيم .

٢٩٠ - فصل - ينبغي للعاقل ان يكون على خوف من ذنوبه وان  
تاب منها وبكى عليها . وانى رأيت اكثر الناس قد سكنوا الى قبول  
التوبة ، وكأنهم قد قطعوا على ذلك . وهذا أمر غائب . ثم لو غفرت بقى الخجل  
من فعلها . ويؤيد الخوف بعد التوبة انه في الصحاح : ان الناس يأتون الى  
آدم عليه السلام فيقولون : اشفع لنا فيقول : ذنبي . والى نوح عليه السلام  
فيقول : ذنبي موالى ابراهيم . والى موسى . والى عيسى صلوات الله وسلامه  
عليهم فهؤلاء اذا اعتبرت ذنوبهم لم تسكن اكثرها ذنوبا حقيقة . ثم ان  
كانت فقد تابوا منها واعتذروا وهم بعد على خوف منها . ثم ان الخجل بعد  
قبول التوبة لا يرتفع وما أحسن ما قال الفضيل بن عياض رحمه الله :  
واسوأناه منك وان عفوت . فأفّ والله لاختار الذنوب ومؤثر لذة لحظة  
تبقى حمرة لا تزول عن قلب المؤمن وان غفر له . فالحذر الحذر من كل  
ما يوجب خجلا . وهذا أمر قل ان ينظر فيه تائب أو زاهد ، لانه  
يرى ان العفو قد غمر الذنب بالتوبة الصادقة وما ذكرته يوجب دوام  
الحذر والخجل .

٢٩١ - فصل - نعوذ بالله من سوء الفهم وخصوصا من المتسمين  
 بالعلم . روى احمد في مسنده انه تنازع ابو عبد الرحمن السلمي وحيان بن  
 عبد الله . فقال ابو عبد الرحمن لحيان : قد علمت ما ائذى حدا صاحبك يعنى  
 عليا . قال ما هو قال قول النبي صلى الله عليه وسلم : لعل الله اطلع الى اهل بدر  
 فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وهذا سوء فهم من ابي عبد الرحمن  
 حين ظن ان عليا قاتل وقتل اعمادا على انه قد غفر له . وينبغي ان يعلم ان  
 معنى الحديث لتسكن اعمالكم المتقدمة ما كانت فقد غفرت لكم . فأما  
 غفران ماسياتى فلا يتضمنه ذلك اذ لو وقع من اهل بدر وحاشاهم الشرك  
 اذ ليسوا بمعصومين أما كانوا يؤاخذون به فكذلك المعاصى . ثم لو قلنا:  
 انه يتضمن غفران ماسياتى ، فالمعنى ان ما لكم الى الغفران . ثم دعنا من معنى  
 الحديث ، كيف يحل لمسلم ان يظن في أمير المؤمنين على رضى الله عنه  
 انه فعل ما لا يجوز اعتمادا على انه سيغفر له حوشى من هذا . وانما قاتل  
 بالدليل المضطر له الى القتال ، فكان على الحق . ولا يختلف العلماء ان  
 عليا رضى الله عنه لم يقا تل احدا الا والحق مع على . كيف وقد قال رسول  
 الله ﷺ : اللهم ادر معه الحق كيفما دار فقد غلط ابو عبد الرحمن غلطا قبيحا ،  
 حمله عليه انه كان عثمانيا

٢٩٢ - فصل - تأملت على مترهدى زماننا اشياء تدل على النفاق  
 والرياء وهم يدعون الاخلاص . منها انهم يلزمون زاوية فلا يزورون صديقا ،  
 ولا يعودون مريضا ، ويدعون انهم يريدون الانقطاع عن الناس اشتغالا  
 بالعبادة . وانما هي اقامة نوا ميس ليشار اليهم بالانقطاع . اذ لو مشوا بين  
 الناس زالت هيبتهم . وما كان الناس كذلك . كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يعود المريض ويشترى الحاجة من السوق . وابوبكر ورضي الله عنه  
يتجر في البر . وابوعبيدة بن الجراح يحفر القبور ، وابوطلحة ايضا . وابن  
سيرين يغسل الموتى . وما كان عند القوم اقامة ناموس . واصحابنا يلزمون  
الصمت بين الناس والتخشع والتموت ، وهذا هو النفاق . فقد كان ابن  
سيرين يضحك بالنهار وبين الناس ويبكي بالليل . وقد رأيت من المتزهدين  
من يلزم المسجد ويصلي فيجتمع الناس فيصلون بصلاته ليلا ونهارا ، وقد  
شاع هذا له فتقوى نفسه عليه بحب الحمدة . والنبي صلى الله عليه وسلم  
قال في صلاة التطوع : اجعلوا هذه في البيوت . وفي اصحابنا من يظهر  
الصوم الدائم ، ويتقوت بقول الناس : فلان ما يفطر اصلا . وهذا الابله  
ما يدري انه لاجل الناس يفعل ذلك ، ولولا هذا كان يفطر والناس يرونه  
يومين او ثلاثة حتى يذهب عنه ذلك الاسم ثم يعود الى الصوم . وقد كان  
ابراهيم بن ادهم اذا مرض يترك عنده من الطعام ما يأكله الاصحاء .  
ورأيت في زهادنا من يصلي الفجر يوم الجمعة بالناس ويقرأ المعوذتين والمعنى  
قد ختمت ، فان هذه الاعمال هي صريحة في النفاق والرياء ، وفيهم من  
يأخذ الصدقات وهو غني ، ولا يبالي أخذ من الظلمة او من أهل الخير ،  
وبشي الى الامراء يسألهم ، وهو يدري من اين حصلت اموالهم . فالله الله  
في اصلاح النيات فان جمهور هذه الأعمال مردودة . قال مالك بن دينار :  
وقولوا لمن لم يكن صادقا لا يتعنى . وليعلم المرأى ان الذي يقصده يفوته ،  
وهو التفات القلوب اليه ، فانه متى لم يخلص حرم محبة القلوب ، ولم يلتفت  
اليه . والمخلص محبوب . فلو علم المرأى ان قلوب الذين يرايهم بيد من  
يعصيه . لما فعل . ولم من قد رأينا من يلبس الصوف ويظهر النسك لا يلتفت



اليه . وآخر يلبس جيد الثياب ويتبسم والقلوب تحبه . نسأل الله عز وجل  
اخلاصاً يخلصنا . ونستعيذ به من رياء يبطل اعمالنا انه قادر .

٢٩٣ - فصل - من الجهل ان يخفى على الانسان مراد التكليف  
فانه موضوع على عكس الاغراض . فينبغي للعاقل ان يأنس بانعكاس  
الاغراض . فان دعا وسأل بلوغ غرض تعبد بالدعاء . فان أعطى مراده  
شكر . وان لم ينل مراده فلا ينبغي ان يلح في الطلب ، لان الدنيا ليست  
لبلوغ الاغراض . وليقل لنفسه « وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم »  
ومن اعظم الجهل ان يتمنص في باطنه لانعكاس اغراضه . وربما اعترض في  
الباطن . وربما قال : حصول غرضي لا يضر ، ودعائي لم يستجب . وهذا كله  
دليل على جهله وقلة ايمانه وتسليمه للحكمة . ومن الذي حصل له غرض  
ثم لم يكدر . هذا آدم طاب عيشه في الجنة وأخرج منها . ونوح سال في  
ابنه فلم يعط مراده . والخليل ابتلى بالنار . واسحاق بالذبح . ويعقوب بفقد  
الولد . ويوسف بمجاهدة الهوى . وأيوب بالبلاء . وداود وسليمان بالفتنة .  
وجميع الانبياء على هذا . وما لقي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الجوع  
والاذى وكدر العيش فعلوم . فالدنيا وضعت للبلاء فينبغي للعاقل ان يوطن نفسه  
على الصبر ، وان يعلم ان ما حصل من المراد فلفظ ، وما لم يحصل فعلى  
أصل الخلق والجملة للدنيا كما قيل :

طبعت على كدر وأنت تريدها      صفوا من الاقضاء والا كدار  
ومكاف الايام ضد طباعها      متطلب في الماء جذوة نار

وهاهنا يتبين قوة الايمان وضعفه فليستعمل المؤمن من أدوية هذا  
المرض التسليم للمالك ، والتحكيم لحكمته ، وليقل قد قيل لسيد الكل

« ليس لك من الامر شيء » ثم ليسل نفسه بان المنع ليس عن بخل، وانما هو لمصلحة لا يهملها. وليؤجر الصابر عن أغراضه، وليعلم الله الذين سلموا ورضوا، وان زمن الابتلاء مقدار يسير، والاغراض مدخرة تلقى بعد قليل، وكأنه بالظلمة قد انجلى، وبفجر الاجر قد طلع. ومتى ارتقى فهمه الى ان ماجرى مراد الحق سبحانه، اقتضى ايمانه ان يريد ما يريد، ويرضى بما يقدر، اذ لو لم يكن كذلك كان خارجا عن بقية العبودية في المعنى. وهذا أصل ينبغى أن يتأمل ويعمل عليه في كل غرض انعكس.

٢٩٤ -- فصل - رأيت خاتما من العلماء والقصاص تضيق عليهم الدنيا فيفزعون الى مخالطة السلاطين ليتالوا من أموالهم، وهم يعلمون أن السلاطين لا يكادون يأخذون الدنيا من وجهها، ولا يخرجونها في حقها. فان أكثرهم اذا حصل له خراج ينبغى ان يصرف الى المصالح وهبه لشاعر. وربما كان معه جندي يصلح أن تكون مشاهرتة عشرة دنائير فأعطاه عشرة آلاف. وربما غزا فأخذ ما ينبغى ان يقسم على الجيش فأصطفاه لنفسه، هذا غير ما يجري من الظلم في المعاملات. واول ما يجري على ذلك العالم انه قد حرم النفع بعلمه. وقد رأى بعض الصالحين رجلا عالما يخرج من دار يحيى بن خالد البرمكي فقال: أعوذ بالله من علم لا ينفع، ألم تر المنكرات ولا تنكر، وتتناول من طعامهم الذي لا يكاد يحصل الا بظلم فينطمس قلبك، وتحرم لذة المعاملة للحق سبحانه، ولا يقدر لك أن يهتدى بك أحد، بل ربما كان فعل هذا سببا لاضلال الناس في الاقتداء به، فهو يؤذى نفسه ويؤذى أميره، لانه يقول لولاني على صواب ما صحبني ولا نكر على. ويؤذى العوام تارة بان يروا ان ما فيه الامير صواب وان

الدخول والسكوت عن الانكار جائز . ويجب اليهم الدنيا . ولا خير والله  
 في سعة من الدنيا ضيقت طريق الآخرة . وانا افدى اقواما صابروا عطش  
 الدنيا في هجير الشهوات زمان العمر حتى رووا يوم الموت من شراب الرضى ،  
 وبقيت اذكارهم تروى فتروى صدأ القلوب وتجلو صدها . هذا الامام احمد  
 يحتاج فيخرج الى اللقاط ولا يقبل مال سلطان . هذا ابراهيم الحربى يتغذى  
 بالبقل ويرد على المعتصم الفدينار . هذا بشر الحافى يشكو الجوع فيقال له :  
 يصنع لك حساء من دقيق فيقول : اخاف ان يقول لى هذا الدقيق من ابن  
 لك . بقيت والله اذكار القوم ، وما كان الصبر الاغفوة نوم ، ومضت  
 لذات المرخصين وبليت الابدان ، ووهن الدين . فالصبر الصبر يامن وفق . ولا  
 تعبطن من اتسع له أمر الدنيا ، فانك اذا تأمات تلك السعة رأيتها ضيقا  
 في باب الدين . ولا ترخص لنفسك في تاويل ، فعمرك في الدنيا قليل :

وسواء اذا انتضى يوم كسرى فى سرور ويوم صابر كسره

ومتى ضجت النفس لقلّة صبر فاتل عليها اخبار الزهاد ، فانها ترعوى وتستحي  
 وتنكسر ان كانت لها همة او فيها يقظة . ومثل لها بين ترخص علي بن المدينى  
 وقبوله مال ابن ابي داود ، وصبر احمد . وم بين الرجلين والذكرين . وانظر  
 ما روى عن كل واحد منهما وما يذكر ان به . وسيندم ابن المدينى اذا قال  
 احمد سلم دينى .

٢١٥ - فصل - تأملت احوال الناس فرأيت جمهورهم منسلا من ربة  
 العبودية ، فان تعبدوا فعادة او فيما لا ينافى اغراضهم منافاة تؤذى القلوب .  
 فاكثر السلاطين يحصلون الاموال من وجوه ردية وينفقونها في وجوه  
 لا تصلح ، وكانهم قد تملكوها . وليست مال الله الذى اذا غزا احدكم فغزم

الاموال اصطفافها لنفسه، واعطاها اصحابه كيف اشتهى. والعلماء لقوة فقرهم  
 وشدة شرهم، يوافقون وينخرطون في سلكهم. والتجار على العقود الفاسدة.  
 والعوام في المعاصي والاهمال لجانب الشريعة. فان فات بعض اغراضهم فربما  
 قالوا ما تريد نصلي. لاصلى الله عليهم. وقد منعو الزكاة وتركوا الامر بالمعروف.  
 فن الناس من يغره تأخير العقوبة. ومنهم من كان يقطع بالعمى واكثرهم  
 منزول الايمان. فنسأل الله ان يمتنا مسلمين.

٢٩٦ - فصل - من العجيب سلامة دين ذى العيال اذا ضاق به الكسب.  
 فامثله الا كمثل الماء اذا ضرب في وجهه سكر، فانه يعمل باطنا ويبالغ حتى يفتح  
 فتحة. فكذلك صاحب العيال اذا ضاق به الامر لا يزال يحتال، فاذا لم يقدر  
 على الحلال ترخص في تناول الشبهات، فان ضعف دينه مديده الى الحرام.  
 فالؤمن اذا علم ضعفه عن الكسب اجتهد في التعفف عن النكاح، وتقليل  
 النفقة اذا حصل الاولاد، والقناعة باليسير. فاما من ليس له كسب  
 كالعلماء والمترهدين، فسلامتهم ظريفة، إذ قد انقطعت مواد السلاطين  
 ومراعاة العوام، فاذا اكثرت عائلتهم لم يؤمن عليهم شر مما يجرى على الجهال.  
 فن قدر منهم على كسب بالنسخ وغيره فليجتهد فيه مع تقليل النفقة والقناعة  
 باليسير، فانه من ترخص منهم اليوم اكل الحرام، لانه يأخذ من الظامة  
 خصوصا بحجة التمس والتزهد. ومن كان له منهم مال فليجتهد في تنميته  
 وحفظه، فما بقى من يؤثر ولا من يقرض. وقد صار الجمهور بل الكل كأنهم  
 يعبدون المال، فن حفظه حفظ دينه. ولا يلتفت الى قول الجهلة الذين يأمرون  
 باخراج المال، فما هذا وقته. واعلم انه اذا لم يجتمع لهم، لم يحصل العلم ولا  
 العمل ولا التشاغل بالفكر في عظمة الله وقد كان هم القداماء يجتمع باشياء

جمهورها انه كان لهم من بيت المال نصيب في كل عام، وكان يصلهم فيفضل  
 عنهم، وفيهم من كان له مال يتجربه كسعيد بن المسيب وسفيان وابن  
 المبارك وكان همه مجتمعا ، فقال سفيان في الديانة : لولاك لهدلوني .  
 وفقدت بضاعة لابن المبارك فبكي وقال : هو قوام ديني . وكان جماعة  
 يسكنون الى عطاء الاخوان الذين لا يمنون . وكان ابن المبارك يبعث الى  
 الفضل وغيره . وكان الليث بن سعد يتفقد الاكابر، فبعث الى مالك الف  
 دينار ، والى ابن لهيعة الف دينار ، واعطى منصور بن عمار الف دينار  
 وجارية بثلاثمائة دينار . وما زال الزمان على هذا الى ان آل الأمر على  
 انحراق ذلك، فقلت عطايا السلاطين ، وقل من يؤثر من الاخوان ، الا انه  
 كان في ذلك التقليل ما يدفع الزمان . فاما زماننا هذا ، فقد اتقبضت الايدي  
 كلها ، حتى قل من يخرج الزكاة الواجبة ، فكيف يجتمع هم من يريد  
 من العلماء والزهاد ان يعمل همه ليلا ونهارا في وجوه الكسب وليس  
 من شأنه ولا يهتمدى له . فقد رأينا الامر احوج الى التعرض بالسلاطين  
 والترخص في اخذ ما لا يصلح ، وأخرج المتزهدين الى التصنع لتحصيل  
 الدنيا . فوالله الله يامن يريد حفظ دينه ، قد كررت عليك الوصية بالتقليل جهداً ،  
 وخفف العلاقات مهما امكنتك . واحتفظ بدرهم يكون معك فانه دينك .  
 وافهم ما قد شرحتة ، فان ضجت النفس لمراداتها فقل لها : ان كان عندك ايمان  
 فاصبري ، وان اردت التحصيل لما يقنى ببذل الدين فما تفعمك . فتفكري  
 في العلماء الذين جمعوا من غير وجهه وفي المنمسين ذهب دينهم ، وزالت  
 دنياهم . وتفكري في العلماء الصادقين كاحمد وبشر ، اندفعت الايام وبقى  
 لهم حسن الذكر . وفي الجملة « من يتق الله يجعل له مخرجا وبرزقه من

حيث لا يحتسب « ورزق الله تارة بإيعاد الصبر على البلاء والايام تندفع ،  
وعاقبة الصبر الجميل جميلة .

٢٩٧ - فصل - شكى رجل من بفضه لزوجته وقال : ما أقدر على  
فراقها لأمر منها كثرة دينها على وصبري قليل ، ولا أكاد اسلم من فلتات  
لساني في الشكوى ، وفي كلمات تعلم بغضى لها فقلت له : هذا لا ينفع وانما  
تؤتى البيوت من ابوابها ، فينبغى ان تخلو بنفسك فتعلم انها انما سلطت عليك  
بذنوبك فتبالغ في الاعتذار والتوبة . فاما التضجر والأذى لها فما ينفع كما  
قال الحسن بن الحجاج : عقوبة من الله لكم فلا تقابلوا عقوبته بالسيف  
وقابلوها بالاستغفار . واعلم انك في مقام مبتلى ولك اجر بالصبر « وعسى  
ان تكرر هواشيا وهو خير لكم » فعامل الله سبحانه بالصبر على ما قضى  
واساله الفرج . فاذا جمعت بين الاستغفار وبين التوبة من الذنوب والصبر  
على القضاء وسؤال الفرج ، حصلت ثلاثة فنون من العبادة تثاب على كل  
منها . ولاتضيع الزمان بشيء لا ينفع ، ولا تحتل ظانا منك انك تدفع ما قدر :  
« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » وقد روينا ان جنديا نزل يوما  
في دار ابى يزيد ، فجاء ابو يزيد فراه فوقف وقال لبعض اصحابه : ادخل الى  
المكان الفلاني فاقلع الطين الطرى فانه من وجه فيه شبهة فقلعه ، فخرج  
الجندي . واما ذلك للمرأة فلا وجه له لانها مسلطة فليكن شغلك بغير هذا .  
وقد روى عن بعض السلف ان رجلا شتمه فوضع خده على الارض وقال  
اللهم اغفر لى الذنب الذى سلطت هذا به على قال الرجل : وهذه المرأة تحبني  
زائدا في الحد ، وتبالغ في خدمتى ، غير ان البغض لها مركز في طبعي .  
قلت له : فعامل الله سبحانه بالصبر عليها فانك تثاب . وقد قيل لابي عثمان

النيسابوري : ما رجبى عمك عندك ، قال كنت فى صبوتى يجتهد اهلى ان اتزوج  
فآبى فجاءتنى امرأة فقالت : يا باعثمان انى قد هو يتك ، وانا اسالك بالله ان  
تزوجنى فاحضرت ابها وكان فتيما فزوجنى وفرح بذلك . فلما دخلت الى  
رايتها عوراء عرجاء مشوهة ، وكانت لمحبتها لى تمنعنى من الخروج فأقعد حفظا  
لقلبها ولا اظهر لها من البغض شيئا وكأنى على جمر الغضا من بغضها . فبقيت  
هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت فمامن عملى شىء هو ارجى عندى من  
حفظى قلبها . قلت له : فهذا عمل الرجال . وائى شىء ينفع ضجيج المبتلى  
بالتضجر باظهار البغض : وانما طريقه ماذ كرته لك من التوبة والصبر  
وسؤال الفرج . وتذكر ذنوبا كانت هذه عقوبتها . وبالغ فان وقع فرج فى  
الحساب ، والا فاستعمال الصبر على القضاء عباداة ، وتكلف اظهار المودة لها  
وان لم يكن فى قلبك تثبت على هذا ، وليس القيد ذنب فيلام ، انما ينبغى  
التشاغل مع من قيده والسلام :

٢٩٨ - فصل - لاريب ان القلب المؤمن بالا اله سبحانه و بأوامره  
يحتاج الى الانعكاف على ذكره وطاعته وامتثال اوامره وهذا يفتقر الى  
جمع الهم ، وكفى بما وضع فى الطبع من المنازعة الى الشهوات مشتتا للهم  
المجتمع . فينبغى للانسان ان يجتهد فى جمع همه لينفرد همه بذكر الله  
سبحانه وتعالى واوامره والتهى للقائه . وذلك انما يحصل بقطع القواطع  
والامتناع عن الشواغل . وما يمكن قطع القواطع جملة ، فينبغى ان يقطع  
ما يمكن . وما رأيت مشتتا للهم مبددا للقلب مثل شيطان : احدهما ان  
تطاع النفس فى طلب كل شىء تشهيه وذلك لا يوقف على حذفيه ، فيذهب  
الدين والدنيا ولا ينال كل المراد ، مثل ان تكون الهمة فى المستحسنات

أوفى جمع المال أوفى طلب الرياسة وما يشبه هذه الأشياء . فيأله من شتات  
 لأجامع له ، يذهب العمر ولا ينال بعض المراد . والثاني مخالطة الناس  
 خصوصا العوام والمشى فى الأسواق ، فإن الطبع يتقاضى بالشهوات وينسى  
 الرحيل عن الدنيا ، ويحب الكسل عن الطاعة والبطالة والغفلة والراحة .  
 فيثقل على من الف مخالطة الناس التشاغل بالعلم أو بالعبادة . ولا يزال يخالطهم  
 حتى تهون عليه الغيبة وتضيع الساعات فى غير شىء . فن أراد اجتماع همه  
 فعليه بالعزلة بحيث لا يسمع صوت احد ، فحينئذ يخلو القلب بمعارفه  
 ولا تجد النفس رفيقا مثل الهوى يذكرها ما تشتهى ، فإذا اضطرت الى المخالطة  
 كان على وفاق كما تهوى الضفدع لحظة ثم تعود الى الماء فهذه طريق السلامة ،  
 فتأمل فوائدها تطب لك :

٢٩٩ - فصل - مارأت عيني مصيبة نزلت بالخلق اعظم من سبهم  
 للزمان وعيبهم للدهر . وقد كان هذا فى الجاهلية . ونهى رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم عن ذلك فقال : لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر . ومعناه انتم  
 تسبون من فرق شملكم وامات اهل بيكم ، وتنسبونوه الى الدهر ، والله تعالى  
 هو الفاعل لذلك فتمعجبت كيف علم اهل الاسقام بهذه الحال وهم على ما كان  
 اهل الجاهلية عليه ما يتغيرون حتى ربما اجتمع الفطناء الادباء الظراف على  
 زعمهم فلم يكن لهم شغل الا ذم الدهر . وربما جعلوا الله الدنيا ويقولون  
 فعلت وصنعت حتى رأيت لأبى القاسم الحريرى يقول :

ولما تعامى الدهر وهو ابو الردى عن الرشد فى انحاءه ومقاصده  
 تعاميت حتى قيل انى اخو عمى ولاغرو ان يحذو الفتى حذو والده  
 وقد رأيت خلقا يعتقدون انهم فقهاء وفهماء ويتحاشون من هذا



وهو لا انما ارادوا بالدهر مرور الزمان ، فذاك لا اختيار له ، ولا مراد ولا يعرف  
 رشدا من ضلال ، ولا ينبغي ان يلام ، فانه زمان مدبر لا مدبر فية تصرف فيه  
 ولا يتصرف . وما يظن بعاقله انه يشير الى ان المذموم المعرض عن الرشدا السىء  
 الحكيم هو الزمان . فلم يبق الا ان القوم خرجوا عن ربة الاسلام ، ونسبوا  
 هذه القبائح الى الصانع ، فاعتقدوا فيه قصورا الحكمة وفعل ما لا يصح ، كما اعتقده  
 ابليس في تفضيل آدم . وهو لا ينفهم مع هذا اعتقاد اسلام ، ولا فعل صلاة ،  
 بل هم شر من الكفار ، لأصلح لهم شأنا ولا هداهم الى رشاد .

٣٠٠ - فصل - من عجائب ما اري من نفسى ومن الخلق كلهم الميل  
 الى الغفلة عما فى ايدينا مع العلم بقصر العمر ، وان زيادة الثواب هناك بقدر  
 العمل ههنا . فيا قصير العمر اغتم يومى منى ، وانتظر ساعة النفر وياك تشغل  
 قلبك بغير ما خلق له ، واحمل نفسك على المرواقعها اذا اُبت ، ولا تسرح  
 لها فى الطول ، فما انت الا فى مرعى ، وقبيح بمن كان بين الصفيين اذا تشاغل  
 بغير ما هو فيه .

٣٠١ - فصل - قد كررت هذ المعنى فى هذا الكتاب . وهو الامر  
 بحفظ السر والحذر من الانبساط فيما لا يصلح بين يدي الناس . فرب من بسط  
 بين يدي من يظنه صديقا بقول فى صديق او فى سلطان انه لا يتهم فى ذلك ،  
 فيكون سبب هلاكه ذلك . فأوصى السليم الصدر الذى يظن فى الناس الخير  
 ان يحترز من الناس ، وان لا يقول فى الخلق كلمة لا تصلح للخلق . ولا يعتر  
 بمن يظهر الصداقة او التدين فقد عم الخبيث .

٣٠٢ - فصل - تأملت على اكثر الناس عبادتهم فاذا هم عادات . فأما  
 ارباب اليقظة فعاداتهم عبادة حقيقة . فان الغافل يقول سبحان الله عادة والمتيقظ

لا يزال فكره في عجائب المخلوقات او في عظمة الخالق ، فيحركه الفكر في ذلك فيقول : سبحان الله . ولو ان انسانا تفكر في رمانه فنظر في تصفيف حبه او حفظه بالاغشية لثلا يتضاءل ، واقامة الماء على عظم العجم ، وجعل الغشاء عليه يحفظه . وتصوير الفرخ في بطن البيضة ، والآدمي في حشا الأم ، الى غير ذلك من المخلوقات ، ازعجه هذا الفكر الى تعظيم الخالق . فقال : سبحان الله ، وكان هذا التسبيح ثمرة الفكر . فهذا تسبيح المتيقنين . وما تزال افكارهم تجول فتقع عباداتهم بالتسبيحات محققة . وكذلك يتفكرون في قبائح ذنوب قد تقدمت فيوجب ذلك الفكر حبا للباطن وفاق القلب وندم النفس فيشمر ذلك أن يقول قائلهم : استغفر الله ، فهذا هو التسبيح والاستغفار . فاما الغافلون فيقولون ذلك عادة وشتان ما بين الفريقين .

٣٠٣ - فصل - لا بصفو التعبد والتزهد والاشتغال بالآخرة الا

بالانقطاع الكلي عن الخلق ، بحيث لا يبصرهم ولا يسمع كلامهم الا في وقت ضرورة كصلاة جمعة أو جماعة . ويحترز في تلك الساعات منهم . وإن كان عالما يريد نفهم وعدهم وقتا معروفا واحترز في الكلام . وأما من يمشى في الاسواق اليوم ويبيع ويشترى مع هذا العالم المظلم ، ويرى المنسكرات والمستهجنات فما يعود الى البيت الا وقد اظلم القلب . فلا ينبغي للمريد أن يكون خروجه الا الى الصحراء والمقابر . وقد كان جماعة من السلف يبيعون ويشترى ويحترزون ومع هذا ما صفا لصافهم وقت حتى قاطع الخلق . قال ابو الدرداء : زاوت العباداة والتجارة فلم يجتمعا فاخترت العباداة . وقد جاء في الحديث : الاسواق تلهي وتلغى . فن قدر على الجمية النافعة واضطر الى المحالطة والكسب للعائلة ، فليحترز احترازا الماشى في الشوك . وبعمد سلامته

٣٠٤ - فصل - من رزق قلبا طيبا ولذة مناجاة فليراع حاله  
وليحترز من التغيير وانما تدوم له حاله بدوام التقوى . وكنت قد رزقت قلبا  
طيبا ومناجاة خلوة فأحضرني بعض ارباب المناصب الى طعامه ، فأمكن  
خلافه . فتنازلت واكلت منه فلقيت الشدائد ، ورأيت العقوبة في الحال ،  
واستمرت مدة ، وغضبت على قلبي ، وفقدت كل ما كنت اجده . فقلت : واعجبا  
كنت في هذا كالمكره ، فتفكرت واذا به قد يمكن مداراة الامر بلبقيات  
يسيرة ، وانما التأويل تناول بشهوة اكثر مما يدفع المداراة . فقالت النفس :  
ومن اين لى ان عين هذا حرام . فقالت اليقظة : واين الورع عن الشبهات .  
فلما تناولت بالتأويل لقمة استجابتها بالطبع فلقد لقيت الامرين بفقد القلب  
فاعتبروا يا أولى الابصار .

٣٠٥ - فصل - همة المؤمن متعلقة بالآخرة . فكل ما في الدنيا يجره الى  
ذكر الآخرة . وكل من شغله شيء فهمته شغله ، الا ترى انه لو دخل ارباب الصنائع  
الى دار معمورة رأيت البزاز ينظر الى الفرش ويحزر قيمته ، والتجار الى  
السقف والبنائى الى الحيطان والحائك الى نسج الثياب . والمؤمن اذا رأى ظلمة  
ذكر ظلمة القبر . وان رأى مؤلما ذكر العقاب . وان سمع صوتا فظيما ذكر  
نفخة الصور . وان رأى الناس نياما ذكر الموتى في القبور . وان رأى لذة ذكر  
الجنة فهمته متعلقة بماثم : وذلك يشغله عن كل ماتم . واعظم ما عنده انه يتخايل  
دوام البقا في الجنة ، وان بقاءه لا ينقطع ولا يزول ولا يعتره نغصه ، فيكاد  
اذا تخايل نفسه متقلبا في تلك اللذات الدائمة التي لا تنفى يطيش فرحا ويسهل  
عليه ما في الطريق اليها من الم ومرض وابتلاء وفقد محبوب وهجوم الموت  
ومعالجة غصبه ، فان المشتاق الى السكبة يهون عليه رمل زرود ، والتائق

الى العافية لا يبالي بمرارة الدواء ، ويعلم ان جودة الثمر ثم على مقدار  
جودة البذر ههنا فهو يتخير الاجود ، ويعتتم الزرع في تشرين العمر من  
غير فتور . ثم يتخايل المؤمن دخول النار والعقوبة فيتنغص عيشه ويقوى  
قلقه ، فعنده بالحالين شغل عن الدنيا وما فيها ، فقامه هائم في بيداء الشوق تارة  
وفي صحراء الخوف أخري ، فيأري البنيان ، فاذا نازله الموت قوى ظنه الملائكة  
بالسلامة ، ورجى لنفسه النجاة فيهن عليه : فاذا نزل الى القبر وجاءه  
يسألونه ، قال بعضهم لبعض : دعوه فما استراح الا الساعة . نسأل الله عز وجل  
يقظة تامة تحركنا الى طلب الفضائل ، وتمنعنا من اختيار الرذائل ، فانه ان  
وفق ، والافلا نافع :

### ٣٠٦ - فصل - لقد اعتبرت على مولاي سبحانه وتعالى أمرا

عجيبا وهو انه تعالى لا يختار لمحبهه والقرب منه الا الكامل صورة ومعنى .  
واست أعنى حسن التخطيط وانما كمال الصورة اعتداهما ، والمعتدلة  
ما تخلو من حسن ، فتتبعها حسن الصورة الباطنة ، وهو كمال الأخلاق  
وزوال الاكدار ، ولا يرى في باطنه خبيثا ولا كدرا ، بل قد حسن باطنه كما  
حسن ظاهره . وقد كان موسى عليه السلام كل من رآه يحبه . وكان نبينا  
صلى الله عليه وسلم كالقمر ليلة البدر . وقد يكون الولي أسود اللون ،  
لكنه حسن الصورة لطيف المعاني . فملي قدرا عند الانسان من التمام في  
كمال الخلق والخلق ، يكون عمله ، ويكون تقريبه الى الحضرة بحسب  
ذلك . فمنهم كالخادم على الباب . ومنهم حاجب ، ومنهم مقرب . ويندر من  
يتم له الكمال . ولعله لا يوجد في مائة سنة منهم غير واحد . وهذه حكاية  
ما يحصل بالاجتهاد . بل الاجتهاد يحصل منها . لانه اذا وقع تمام حث

على الجد على قدر نقصانه . وهذا لاحيلة في أصله ، انما هو جيلة . واذا أرادك  
لأمر هياك له .

٣٠٧ - فصل - تأملت على قوم يدعون العقول معترضون على  
حكمة الخالق . فينبغي ان يقال لهم هذا الفهم الذي دلکم على رد حکمته  
اليس هو من منحه ! أفاعطاكم الكمال ورضي لنفسه بالنقص ! هذا هو الكفر  
المحض الذي يزيد في القبح على الجحد . فاول القوم ابليس ، فانه رأى بعقله  
أن جوهر النار أشرف من جوهر الطين فرد حكمة الخالق ، ومر على  
هذا خالق كثير من المعترضين ، مثل ابن الراوندى والبصرى وهذا المعرى  
اللعين يقول : كيف يعاب ابن الحجاج بالسخف والدهر اقبح فعلامنه : أترى  
يعنى به الزمان ! كلا . فان ممر الاوقات لا يفعل شيئاً وانما هو تسقيف . وكان  
يستعجل الموت ظناً منه انه يستريح . وكان يوصى بترك النكاح والنسك .  
ولا يرى في الایجاد حكمة الا العناء والتعب ومصير الابدان الى البلا .  
وهذا لو كان كما ظن كان الایجاد عبثاً ، والحق منزه عن العبث . قال تعالى  
«وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا» فاذا كان ما خلق لنا لم يخلق  
عبثاً . أفنكون نحن ونحن مواطن معرفته ومحال تسكيفه قد وجدنا عبثاً .  
ومثل هذا الجهل انما يصدر ممن ينظر في قضايا العقول التي يحكم بها  
على الظواهر ، مثل ان يرى مبغياً ينقض ، والعقل بمجردده لا يرى ذلك حكمة  
ولو كشفت له حكمة ذلك لعلم انه صواب . كما كشف لموسى مراد الخضر  
في خرق السفينة وقتل الغلام . ومعلوم ان ذبح الحيوان وتقطيع الرغيف  
ومضغ الطعام لا يظهر له فائدة سوى الاطلاق . فاذا علم انه غذاء لبدن  
من هو اشرف بدنا من المذبوح حسن ذلك الفعل . واعجباً او ما تقتضى

المقول بوجوب طاعة الحكيم الذي يعجز عن معرفة حكم مخلوقاته . فكيف يعارضه في افعاله ، نعوذ بالله من الخذلان .

٣٠٨ - فصل - ينبغى لمن وعظ سلطانا ان يبالي في التلطف ولا يواجهه بما يقتضى انه ظالم ، فان السلاطين حظهم التفرد بالقهر والغلبة فاذا جرى نوع توبيخ لهم كان اذلالا وهم لا يحتملون ذلك . وانما ينبغى ان يمزج وعظه بذكر شرف الولاية ، وحصول الثواب في رعاية الرعايا ، وذكر سير العادلين من اسلافهم ثم لينظر الواعظ في حال الموعوظ قبل وعظه ، فان كانت سيرته حميدة كما كان منصور بن عمار وغيره يعظون الرشيد وهو يبكي . وقصده الخير زاد في وعظه ووصيته . وان رآه ظلما لا يلتفت الى الخير ، وقد غلب عليه الجهل ، اجتهد في ان لا يراه ولا يعظه ، لانه ان وعظه خاطر بنفسه ، وان مدحه كان مدهنا ، فان اضطر الى مواعظته كانت كالاشارة . وقد كان اقوام من السلاطين يلينون عند المواعظة ويحتملون الواعظين . حتى انه قد كان المنصور يواجه بانك ظالم فيصبر . وقد تغير الزمان . وفسد اكثر الولاة وداهنهم العلماء ، ومن لا يداهن لا يجد قبولا للصواب فيسكت . وقد كانت الولايات لا يسالها الا من احكمته العلوم ، وثقفته التجارب ، فكان اكثر الولاة يتساورون في الجهل فتاتي الولاية على من ليس من اهلها . ومثل هؤلاء ينبغى الحذر منهم والبعده عنهم . فمن ابتلى بوعظهم فليكن على غاية التحرز فيما يقول ولا ينبغى ان يعتر بقولهم ظلما فانه لو قال كلمة لا توافق اغراضهم نارت حراراتهم . وليحذر مذكر السلطان ان يعرض له بارباب الولايات فاتهم اذا سمعوا بذلك صار الواعظ مقصودا لهم بالاهلاك خوفا من ان يعتبر السلطان احوالهم تتفسد امورهم . والبعده في هذا الزمان عنهم

اصلح، والسكوت عن المواعظ لهم أسلم، فمن اضطر تلتطف غاية التلطف،  
وجمل وعظه للعوام وعم يسمعون ولا يعينهم منه بشيء والله الموفق.

٣٠٩- فصل - الحق لا يشتبه بباطل انما يمويه الباطل عند من  
لا فهم له وهذا في حق من يدعى النبوات، وفي حق من يدعى الكرامات.  
اما النبوات فانه قد ادعاها خلق كثير ظهرت قبائحهم، وبانت فضائحهم.  
ومنها ما يوجب حسة الهممة والتهتك في الشهوات، والتهافت في الاقوال  
والافعال حتى افتضحوا. فمهم الاسود العنسى، ادعى النبوة ولقب  
نفسه ذا الجمار لانه كان يقول ياتيني ذو الجمار، وكان اول امره كاهنا يشعوذ  
فيظهر الاعاجيب. فخرج في اواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم فكا تبه  
مزحج وواعد ونجران واخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد صاحبي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاله اليمن، وقاتل شهر بن بادم فقتله  
وتزوج بنته فاعانت على قتله فهلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
وبان للعقلاء انه كان يشعبد. ومنهم مسيلمة، ادعى النبوة وتسمى رحن اليمامة  
لانه كان يقول: الذي ياتيني رحمان. فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم  
وادعى انه قد اشرك معه. فالعجب انه يؤمن برسول ويقول إنه كذاب. ثم  
جاء بقرآن يضحك الناس، مثل قوله: يا ضفدع بنت ضفدعين تنقي  
مانتقين، اعلاك في الماء واسفلك في الطين، ومن العجائب شاة سوداء تحلب  
لبناً أبيض فانتهك ستره في هذه الفصاحة. ثم مسح يده على رأس صبي  
فذهب شعره: وبصق في بثر فبيست وتزوج سجاح التي ادعت النبوة.  
فقالوا: لا بد لها من مهر فقال: مهرها اني قد اسقطت عنكم صلاة الفجر والعمرة.  
وكانت هذه سجاح قد ادعت النبوة بعد موت رسول الله صلى الله عليه

وسلم . فاستجاب لها جماعة . فقالت : اعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم اعبروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب ، فقاتلوهم . ثم قصدت اليمامة فيهاها مسيامة فراسلها وأهدى لها فحضرت عنده فقالت : اقرأ على ماياتيك به جبريل فقال : انكن معشر النساء خلقن افواجا ، وجعلن لنا ازواجا ، نولجه فيمكن ايلاجا . فقالت : صدقت انت نبى . فقال لها : قومي الى المخدع ، فقد هبى لك المضجع ، فان شئت مستلقاة وان شئت على اربع ، وان شئت بثليبه وان شئت به اجمع . فقالت : بل به اجمع فهو للشمل اجمع . فافتضحت عند العقلاء من اصحابها ، فقال منهم عطار بن حاجب :

اضحت نيمتنا انى يطاف بها واصبحت انبياء الناس ذكرا  
 فلعنة الله رب الناس كلهم على سجاح ومن بالافك اغوانا  
 اعنى مسيامة الكذاب لاسقيت اصداؤه من رعيث حينما كانا

ثم انها رجعت عن غيرها واسلمت ، وما زالت تبين فضائح مسيامة حتى قتل ومنهم طليحة بن خويلد ، خرج بعد دعوى مسيامة النبوة وتبعه عوام ونزل سميرا ، فتسمى بذي النون ، يقول : ان الذى بانىه يقال له ذوالنون ، وكان من كلامه : ان الله لا يصنع بتعفير وجوهكم ولا قبح ادباركم شيئا فاذكروا الله اعفة قياما . ومن قرآنه : والجمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن ملكنا العراق والشام . وتبعه عيينة بن حصين ، فقاتله خالد بن عيينة فجاء عيينة الى طليحة فقال : ويحك اءجاءك الملك . قال لا فارجع فقاتل فقاتل ثم عاد ، فقال اءجاءك . فقال لا فعاد فقاتل فقال اءجاءك قال نعم قال ما قال لك قال : ان لك جيشا لاتنساه ، فصاح عيينة الرجل والله كذاب . فانصرف الناس منهزمين وهرب طليحة الى الشام . ثم اسلم وصح



اسلامه وقتل بنهاوند . وذكر الواقدي : ان رجلا من بني يربوع يقال له جندب بن كلثوم ، كان يلقب كردانا ادعى النبوة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان يزعم ان دليله على نبوته انه يسرج مسامير الحديد والطين . وهذا لانه كان يطلى ذلك بدهن البيلسان فتعمل فيه النار . وقد تنبأ رجل يقال له كهمش الكلابي ، وكان يزعم ان الله تعالى اوحى اليه : يا أيها الجاثم اشرب لبنا تشبع ، ولا تضرب الذي لا ينفع ، فانه ليس بمقنع . وزعم ان دليله على نبوته انه يطرح بين السباع الضارية فلا تأكله . وحيلته في ذلك انه يأخذ دهن الغار وحجر البرسان وقنفدا محرقا وزبد البحر وصدفا محرقا مسحوقا وشيئا من الصبر والحبط فيطلى به جسمه ، فاذا قربت منه السباع فشمت تلك الارياح وزفورتها نفرت ، وتنبأ بالطايف رجل يقال له ابو جموانة العامري ، وزعم ان دليله انه يطرح النار في القطن فلا يحترق . وهذا لانه يدهنه بدهن معروف . ومنهم هذيل بن يعفور من بني سعد بن زهير ، حكى عنه الاصمعي انه عارض سورة الاخلاص فقال : قل هو الله أحد اله كالاسد جالس على الرصد لا يفوته أحد . ومنهم هذيل بن واسع كان يزعم انه من ولد النابغة الذبياني ، عارض سورة الكوثر فقال له رجل ما قلت فقال : انا اعطيناك الجواهر ، فصل لربك وجاهر ، فما يردنك الاكل فاجر ، فظهر عليه السنوي فقتله وصلبه على العمود ، فعبّر عليه الرجل فقال : انا اعطيناك العمود ، فصل لربك من قعود ، بلا ركوع ولا سجود ، فمراك تعود . ومن ظهر فادعى انه يوحى اليه المختار بن ابي عبيد ، وكان متخبطا في دعواه ، وقتل خلقا كثيرا وكان يزعم انه ينصر الحسين رضوان الله عليه ثم قتل . ومنهم حنظلة بن يزيد الكوفي ، كان يزعم ان دليله انه يدخل البيضة في القنينة ويخرجها منها صحيحة .

وذلك انه كان ينقع البيضة في الخل الحامض فيلين قشرها ثم يصب ماء  
 في قنينة، ثم يدس البيضة فيها، فاذا لقيت الماء صلبت. وقد تنبأ اقوام قبل  
 نبينا صلى الله عليه وسلم كرزاد شت ماني، وافتضحوا ومامن المدعين الامن  
 خذل. وقد جأت القرامطة بحيل عجيبة. وقد ذكرت جمهور هؤلاء وحيلهم  
 في كتابي التاريخ المسمى بالمنتظم. وما فيهم من يتم له امر الا ويفتضح.  
 ودليل صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم اجلا من الشمس. فانه ظهر  
 فقيرا واخلى أعداؤه فوعده بالملك فملك. واخبر بما سيكون فكان. وصين  
 من زمن النبوة عن الشره وخساسة الهمة والكذب والكبر. وأيد بالثقة  
 والامانة والنزاهة والعفة. وظهرت معجزاته للبعيد والقريب وانزل عليه  
 الكتاب العزيز الذي حارت فيه عقول الفصحاء، ولم يقدروا على الاتيان بأية  
 تشبهه فضلا عن سورة. وقد قال قائلهم وافتضح. ثم أخبر انه لا يمارض  
 فيه فكان كما قال. وذلك قوله تعالى «فأتوا بسورة». ثم قال «فان لم تفعلوا  
 ولن تفعلوا». وكذلك قوله «فتمنوا الموت ولن يتمنونه» فأتناه أحداد لو  
 قال قائل قد تمنيت لبطلت دعواه. وكان يقول ليلة غزاة بدر: غدا مصرع  
 فلان ههنا فلا يتعداه. وقال: اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده. واذا  
 هلك قيصر فلا قيصر بعده. فما ملك بعدها من له كبير قدر، ولا من  
 استتب له حال. ومن اعظم دليل على صدقه انه لم يرد الدنيا فكان يبيت جائعا،  
 ويؤثر اذا وجد، ويلبس الصوف ويقوم الليل. وانما تطلب النواميس  
 لاجتلاب الشهوات، فلما لم يردها دل على انه يدل على الآخرة التي هي حق.  
 ثم لم يزل دينه يعلو حتى عم الدنيا. وان كان الكفر في زوايا الارض الا انه  
 منذول. وصار في تابعيه من امته الفقهاء الذين لو سمع كلامهم الانبياء

القدماء تحيروا في حسن استخراجهم ، والزهاد الذين لو رآهم الرهبان تحيروا في صدق زهدهم . والفظناء الذين لانظير لهم في القدماء . أو ليس قوم موسى يعبدون بقرة ، ويتوقفون في ذبح بقرة ، ويعبرون البحر ، ثم يقولون : اجعل لنا الها . وقوم عيسى يدخرون من المائدة وقد نهوا . والمعتدون في السبت يعصون الله لأجل الحيتان . وامتنا بحمد الله تعالى سليمة من هذه الاشياء ، وانما في بعضها ميل الى الشهوات المنهى عنها . وذلك من الفروع لافي الاصول . فاذا ذكروا بكوا وندموا على تقريطهم . فنحمد الله على هذا الدين وعلى اننا من أمة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد كان جماعة من المتصنعين بالزهد مالوا الى طلب الدنيا والرياسة . فاستغواهم الهوى فخرقوا باظهار ما يشبه الكرامات كالحلاج وابن الشاش وغيرهما ممن ذكرت حال تليسه في كتاب تليس ابليس . وانما فعلوا ذلك لاختلاف أغراضهم . ولم يزل الله ينشئ في هذا الدين من الفقهاء من يظهر ماستره المتعاملون ، كما ينشئ من علماء الحديث من يهتمك ما اخفاه الواضعون ، حفظا لهذا الدين ، ودفعاً للشبهات عنه . فلا يزال الفقيه والمحدث يظهر ان عوار كل ملبس بوضع حديث أو بأظهار دعوى ترهد وتنميس فلا يؤثر ما ادعياه الا عند جاهل بغيرد من العلم والعمل «ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .

٣١٠ - فصل - واعجبا من موجود لا يفهم معنى الوجود ، فان فهم لم يعمل بمقتضى فهمه ، يعلم ان العمر قصير ، وهو يضيمه بالنوم والبطالة والحديث الفارغ وطلب اللذات . وانما أيامه ايام عمل لازمان فراغ . وقد كلف بذل المال بمخالفة الطبع من الشرع فيبخل به الى أن تضايق

الخلق فيقول حينئذ: فرقوا عني بعد موتي وافعلوا كذا، فإين يقع هذا لو فعل، وبعيد أن يفعل، وإنما يراد بانفائك في صحتك مخالفة للطبع في تكلف مشاق الاخراج في زمن السلامة، فافرق بين الحالتين ان كان لك فهم. فالسعيد من انتبه بنفسه وعمل بمقتضى عقله، واغتم زما نهايته الزمن وانتهب عمرا يقرب انقطاعه. ويحك ما تصنع بادخار مال لا يؤثر حسنة في صحيفة ولا مكرمة في تاريخ. اما سمعت بانفاق ابى بكر وبخل ثعلبة؟ اما رأيت تأثير مدح حاتم وبخل الجباحب! ويحك لو ابتلاك في مالك لاستغثت أو في بدنك لیسلة بمرض اشكوت. فانت تستوفي مطلوباتك منه، ولا تستوفي حقه عليك «ويل للمطففين» وتعلم أن هذا القدر المفرط فيه يحل الخلود الدائم في ثواب العمل فيه. فسبحان من من على أقوام فهم المراد فأتعبوا الاجساد. وغطى على قلوب آخرين فوجودهم كالعدم. وكيف لا يتعب العاقل بدنه اتعاب البدن والمقصود منى. أترى ما بال الحق متجليا في ايجادك أيها العبد! بلى. والله ان وجودك دليل وجوده. وان نعمه عليك دليل جوده. فكما قدمك على سائر الحيوانات، فقدمه في قلبك على كل المطلوبات. واخية من جهله، وافقر من أعرض عنه، واذل من أعتز بغيره، واحسرة من اشتغل بغير خدمته.

### ٣١١ - فصل - انى أعجب من عاقل يرى استيلاء الموت

على اقرانه وجيرانه كيف يطيب عيشه، خصوصا اذا علت سنه. واعجبا لمن يرى الافاعي تدب اليه وهو لا ينزعج. أما يرى الشيخ ديب الموت في أعضائه، قد اخرج سكايز القوى وانزل متغشم الضعف، وقلب السواد بياضا، ثم في كل يوم يزيد الناقص. ففى نظر العاقل الى نفسه ما يشغله

عن النظر الى خراب الدنيا وفراق الاخوان وان كان ذلك مزعجا . ولكن شغل من احترق بيته بنقل متاعه يلهمه عن ذكر بيوت الجيران . وانه لما يسلى عن الدنيا وبهون فراقها استبدال المعارف ثم تنكره <sup>(١)</sup> فقدر اينا اغنياء كانوا يؤثرون وفقراء كانوا يصبرون ، ومحاسبين لأنفسهم . يتورعون فاستبدل السفهاء عن العقلاء ، والبغلاء عن الكرماء . فياسهولة الرحيل ، لعل النفس تلقى من فقدت ، فتلاحق بمن أحبت .

٣١٢ - فصل - نظرت في قول الله تعالى « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب » ثم قال « وكثير من الناس » فرأيت الجمادات كلها قد وصفت بالسجود ، واستثنى من العقلاء . فذكرت قول بعضهم : شعر  
 ماجحد الصامت من انشاه  
 ومن ذوى النطق أتى الجحود  
 فقلت: ان هذه لقدرة عظيمة ، يوهب عقل الشخص ثم يسلب فائدته وان هذا أقوى دليل على قادر قاهر ، والا فكيف يحسن من عاقل أن لا يعرف بوجوده وجود من أوجده ، وكيف ينحت صنما بيده ثم يعبيده غير أن الحق سبحانه وتعالى وهب لأقوام من العقل ما يثبت عليهم الحججة ، واعمى قلوبهم كما شاء عن الحججة .

٣١٣ - فصل - ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح ، فان الطبع يسرق ، فان لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن عمله . فان رؤية الدنيا تحت على طلبها . وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر على بابه فهتكه وقال : مالى وللدنيا . ولبس ثوبا له طراز فرماه وقال : شغلتنى أعلامه . ولبس خاتما ثم رماه وقال : نظرت اليك ونظرت

اليه . وكذلك رؤية أرباب الدنيا ودورهم واحوالهم ، خصوصا لمن له نفس تطاب الرفعة . وكذا سماع الاغانى ومخالطة الصوفية اليوم الذى لا نظر لهم فى الرزق الحاصل ، بل لو كان من اين كان قبلوه ، ولا يتورعون ان يأخذوا من ظالم ، وليس عندهم خوف كما كان أوائلهم . فقد كان سرى السقطى يبكى طول الليل ، وكان يباليغ فى الورع ، ولا لهم تعبد الجنيد ، وانما ثم أكل ورقص وبطالة وسماع اغانى من المرادان ، حتى قال بعض من يعتبر قوله حضرت مع رجل كبير يوماً اليه من مشائخ الربط ومغنيهم اصرد ، فقام الشيخ ونقطه بدينار على خده . وادعأؤهم ان سماع هذه الاشياء تدعوا الى الآخرة فوق الكذب . وليس العجب منهم ، انما العجب من جهال ينفقون عليهم فينفقون عليهم . ولقد كان جماعة من القدماء يرون اوائل الصوفية يتعبدون ويتورعون فيعجبهم حالهم ، وهم معززون فى اعجابهم ، وان كان اكثر القوم فى تعبدهم على غير الجادة ، كما ذكرت فى كتاب المسمى بتبليس ابليس . فاما اليوم فقد برح الخفاء . أحدهم يتردد الى الظالمة ويأكل اموالهم ، ويصاخمهم بقميص ليس فيه طراز ، وهذا هو التصوف فحسب . أو لا يستحي من الله من زهد فى رفيع الأثواب لاجل الخلائق لا لاجل الحق ، ولا يزهد فى مطعم ولا فى شبهة ؛ فالبعد عن هؤلاء لازم . وينبغى للمنفرد لطاعة الله تعالى عن الخلق ان لا يخرج الى سوق جهده ، فان خرج ضرورة غض بصره . وان لا يزور صاحب منصب ولا يلقاه ، فان اضطر دارى الامر . ولا يخاطب عاميا الا لضرورة مع التحرز . ولا يفتح على نفسه باب التزوج بل يقنع بأمرأة فيها دين فقد قال الشاعر :

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين العين موقوف على الخطر  
يسر مقاته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر  
فان كان يغلب عليه العلم ان فرد بدراسته ، واحترز عن الاتباع المتعلمين .  
وان غلبت عليه العبادة ، زاد في احترازه . وليجعل خلوته انيسه . والنظر  
في سير السلف جليسه . وليكن له وظيفة من زيارة قبور الصالحين  
والخاوة بها . ولا ينبغي أن يفوته ورد قيام الليل ، وليكن بعد النصف  
الاول . فليطل مهما قدر ، فانه زمان بعيد المثل . وليمثل رحيله عن قرب  
ليقصر أمله . وليتزود في الطريق على قدر طول السفر . نسأل الله عز وجل  
يقظة من فضله . واقبالا على خدمته . وان لا يخذلنا بالالتفات عنه . انه  
قريب مجيب .

٣١٤ - فصل - كلما نظرت في تواصل النعم على تحيرت في  
شكرها . وأعلم أن الشكر من النعم فكيف أشكر ، لكنني معترف بالتقصير .  
وارجوا أن يكون اعترافي قائما ببعض الحقوق . وعندى خلة أرجوا  
بها كل خير ، وهي أن من يصوم أو يصلي يرى انه تعبدا ويخدم كأنه  
يقضى حق المخدم . وانا أرى أنى اذا صليت ركعتين قائما قمت اكدى  
فانفسى اعمل ، اذ المخدم غنى عن طاعتي . وكان بعض المشائخ يقول : جاء في  
الحديث : الدعاء عبادة . وانا أقول : العبادة دعاء . فالعجب ممن يقف  
للخدمة يسأل حظ نفسه ، كيف يرى أنه قد فعل شيئا . انما أنت في  
حاجتك . ومنة من أيقظك لا تقاومها خدمتك . فانا أقول كما قال الأول :

يا منتهى الآمال أنت كفلتني وحفظتني  
وعدا الزمان على كي يجتاحني فمنعتني

فاتقاد لي متخشعا      لما رآك نصرتنى  
وكسوتنى ثوب الغنا      ومن المطالب صنتنى  
فاذا سكت بدأتنى      واذا سألت اجبتنى  
فاذا شكرتك زدتنى      فنحتنى وبهرتنى  
أو أن أجد بالمال فا      لأموال أنت أفدتنى

٣١٥ - فصل - رأيت أكثر العلماء يتشاغلون بصورة العلم . فهم  
الفقيه التدريس . وهم الواعظ الوعظ . فهذا يراعى درسه فيفرح بكثرة من يسمعه ،  
ويقدح فى كلام من يخالفه ، ويمضى زمانه فى التفكير فى المناقضات ، ليقهر  
من يجادله ؛ وعينه الى التصدر والارتفاع فى المجالس . وربما كانت همته  
جمع الحطام ، ومخالطة السلاطين . والواعظ همته مايزوق به كلامه ويكثر  
جمعه ويجلب به قلوب الناس الى تعظيمه ، فان كان له نظير فى شغله أخذ  
يطعن فيه . وهذه قلوب غافلة من الله عز وجل ، اذ لو كانت لها به معرفة  
لاشتغلت به ، وكان انسها بمناجاته ، واشارها لطاعاته ، واقبالها على الخلوة به ،  
لكنها لما خلت من هذا تشاغل بالدينا وذاك دنيا مثابها . فاذا خلت بخدمة الله تعالى  
لم يجد لها طمأ ، وكان جميع الناس أحب اليها ، وزيارة الخلق لها آثر عندها .  
وهذه علامة الخذلان . وعلى ضد هذا متى كان العالم مقبلا على الله سبحانه  
مشغولا بطاعته ، كان أصعب الأشياء عنده لقاء الخلق ومحادثتهم ، وأحب  
الاشياء اليه الخلوة . وكان عنده شغل عن القدح فى النظر أو عن طلب  
الرياسة ، فان ما علق به همته من الآخرة اعلا من ذلك . والنفس لا بد لها  
مما تشاغل به . فمن اشتغل لخدمة الخلق أعرض عن الحق ، فانما يربى  
رياسته ، وذلك يوجب الاعراض عن الحق . وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه



٣١٦ فصل - قد جاء في الاثر ، اللهم أرنا الاشياء كما هي . وهذا كلام حسن غاية . وأكثر الناس ما يرون الاشياء بعينها ، فانهم يرون الفاني كأنه باق . ولا يكادون يتخيلون زوال ما هم فيه وان علموا ذلك . الا ان عين الحسن مشغولة بالنظر الى الحاضر . ألا ترى زوال اللذة وبقاء اثمها . ولو رأى اللص قطع يده هان عنده المسروق . فمن جمع الاموال ولم ينفقها فما رآها بعينها ، اذ هي آلة لتحصيل الاغراض ، لا تراد لذاتها . ومن رأى المعصية بعيني الشهوة فما رآها . اذ فيها من العيوب ما شئت ثم ثمرتها عقوبة آجلة ، وفضيحة عاجلة . وانظر الى اكب شهوات الحس وهو الوطء فان الماء لا يحصل الا بعد مطعم ومشرب ومن تفكر في المظلم نظر الى حرث الارض وانها تفتقر الى بقر للحراثة عليهن المحراث ، وهو حديد ومعه خشب ويتعلق به حبال ، فمن تفكر في عمل الحبال نظر في زرع القنب وتسريحه وقتله والحديد وجلبه وضربه . والخشب ونباته ونجارته . ودوران الدولاب وعمله ، ثم استحصاد الزرع وحصده وتذريته وطحنه وعجنه وخبره . ومن عمل التنور وجاب الشوك . ومن هذا الجنس اذا نظر فيه كثر جدا حتى قالوا لا تنال لقمة الا وقد عمل فيها ثلاثمائة نفس او نحوهم . فاذا أكل تلك اللقمة فليفكر في خلق الاسنان لقطعها والاضراس لطحنها ، وعذوبة ماء الفم خلطها ، واللسان ليقليها ، وعضلات الفم يصعد منها شيء ويبقى شيء حتى يصلح البلع . ثم يتناولها المعافيوصلها الى الكبد فيقوم طابخا لها ، فاذا صارت دما نفت رسوبها الى الطحال ، ومائتها الى المثانة ، واستخلصت من أخلص الدم وأصفاه للكبد والدماع والقلب . واخذت اجود ذلك فحدرته الى الاثنيين معدا خلق آدمي . فاذا تحركت نيران

الشهوة تورث تلك النطفة ، وقد حكم الشرع بطهارتها ؛ وحكم لها بطهارة الرحم والمحل الذي يباشره الذكر ، فيخلق منها الآدمي الموحد . فما جاء هذا الشخص الا باغلا الغلاء وبعد عجائب أشرنا اليها ، لا أنا عددناها : أفمن فهم هذا يحسن منه ان يبدد تلك النطفة في حرام ، وان يطأ في محل نجس فتضيع . فكم يتعلق بالزنا من محن لا يفى معشار عشرها بلذة لحظة . منها هتك العرض بين الناس . وكشف العورات المحرمة . وخيانة الأخ المسلم في زوجته ان كانت متزوجة . وفضيحة الزنى بها وهي كأخت أو بنت . فان علفت منه ولها زوج الحقته بذلك الزوج . وكان هذا الزانى سببا في ميراث من لا يستحق ، ومنع من يستحق . ثم يتسلسل ذلك من ولد الى ولد . وأما سخط الحق سبحانه فمعلوم . قال تعالى « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » وقال صلى الله عليه وسلم : مامن ذنب بعد الشرك اعظم عند الله تعالى من نطفة وضعها رجل في رحم لآتحل له . ومن له فهم فهو يعلم ان المراد من النطفة ايجاد الموحدين . ولولا تركيب الشهوة لم يقع الوطاء ، لأنه التقاء عضوين غير مستحسنين ولا صورتها حسنة ولا ريحها طيب . وانما الشهوة تغطي عين الناظر ليحصل الولد اصلا فهي عارض فمن طلب الشهوة ونسى جنائته بالزنا فإرأى الاشياء على ما هي . وقس على هذا المطعم والمشرب وجمع المال وغير ذلك .

٣١٧ - فصل - ان قال قائل أى فائدة في خلق ما يؤذى ؟ فالجواب

انه قد ثبتت حكمة الخالق فاذا خفيت وجب التسليم . ثم ان المستحسنات في الجملة أنموذج ما أعد من الثواب . والمؤذيات أنموذج ما أعد من العقاب . وما خلق شيء يضر الا وفيه منفعة . قيل لبعض الاطباء : ان فلانا يقول

انا كالعقرب أضر ولا أنفع . فقال : ما أقل علمه . انها لتنفع اذا شق بطنها ثم شدت على موضع السعة . وقد تجمل في جوف فخار مسدود الرأس مطبق الجوانب ، ثم يوضع الفخار في تنور فاذا صارت رمادا سقى من ذلك الرماد مقدار نصف دانق أو أكثر من به الحصة فيفتها من غير ان يضر بشيء من سائر الاعضاء . وقد تلسع العقرب من به حمى عتيقة فتزول . ولسمعت رجلا مفلوجا فزال عنه الفالج . وقد تلقى في الدهن حتى يجتذب قواها فيزيل ذلك الدهن الأورام الغليظة ، ومثل هذا كثير . فالجاهل عدولما جهله . وأكبر الحماقة رد الجاهل على العالم .

٣١٨ - فصل - كلما أوغلت الفهوم في معرفة الخالق فشاهدت عظمته ولطفه ورفعته ، تاهت في محبته فخرجت عن حد الثبوت . وقد كان خلق من الناس غلبت عليهم محبته فلم يقدروا على مخالطة الخلق . ومنهم من لم يقدر على السكوت عن الذكر . وفيهم من لم ينم الاغلبة . وفيهم من هام في البرارى . وفيهم من احترق في بدنه . فياحسن مخمورهم ما الذسكره وياعيش قلقهم ما احسن وجده . كان ابو عبيدة الخواص قد غلبه الوجد فكان يمشى في الاسواق ويقول : واشوقاه الى من يرانى ولا أراه . وكان فتح بن سخرف يقول : قد طال شوقى اليك ، فعجل قدومى عليك . وكان قيس بن الربيع كأنه مخمور من غير شراب . وكان ابن عقيل يقول : ان التبذل فيه سبحانه احسن من التجمل في غيره . هل رأيت قط عراة احسن من المحرميز ! هل رأيت للمتزينين برياش الدنيا كأثواب الصالحين ! هل رأيت خمارا احسن من نعاس المتجهدين ! هل رأيت سكرًا احسن من صعق الواجدين ! هل شاهدت ماء صافيا اصفى من دموع المتأسفين ؟ هل

رأيت رؤسا مائلة كرؤس المنكسرين : هل لصق بالارض احسن من حياة  
المصلين ! هل حرك نسيم الاسحار أوراق الاشجار فبلغ مبلغ تحريكه  
اذبال المتهمدين : هل ارتفعت الكف وانبسطت ايدي فضاهت الكف الراغبين !  
هل حرك القلوب صوت ترجيع لحن أورنة وتر كما حرك حنين المشتاقين !  
وانما بحسن التبذل في تحصيل أو في الاغراض . فلذلك حسن التبذل في  
خدمة المنعم .

٣١٩ - فصل - في سبب تبذير الولاية . اذكرهم لا يعرف ولا  
يتأدب بأدابه بجرة . ينفق قلة العقل في أصل الوضع ، ثم ذلك الفليل لا يعاون  
بل يعان عليه . وذاك ان الجارحة اذا دام تعطلها عن عملها الذي هيئت له  
تعطلت وخمدت . ولهذا تنقص ابصار النساخ والرفائين وتحمدا ابصار أهل  
البوادي . لانه لا صادم لا بصارهم . وشغل العقل التفكير والنظر في عواقب  
الاحوال والاستدلال بالشاهد على الغائب . وهم يمتثلون من الطعام دائما  
وذلك يؤذى العقل . ثم يطيلون النوم ، فاذا اتبهوا شربوا المسكر فاتفق  
للعقل تعطيل وتغطية فساء التدبير .

٣٢٥ - فصل - من المخاطر العظيمة تحديث العوام بما لا يحتمله  
قلوبهم ، أو بما قد رسخ في نفوسهم ضده . مثاله ان قوما قدر رسخ في قلوبهم  
التشبيه ، وان ذات الخالق سبحانه ملاصقة للعرش ، وهي بقدر العرش ، ويفضل  
من العرش أربع أصابع ، وسمعوا مثل هذا من أشياخهم ، وثبت عندهم أنه  
اذ نزل انتقل الى السماء الدنيا ، نزلت منه ست سموات ، فاذا دعى أحدهم  
الى التنزيه وقيل له ليس كما خطر لك ، انما ينبغي أن تمر الأحاديث كما  
جاءت من غير مساكنة ما توهمه ، صعب هذا عليه لوجهين : احدهما

لغلبة الحس عليه والحس على العوام أغلب . والثاني لما قد سمعه من ذلك من الاشيخ الذين كانوا أجهل منه . فالحاطب لهذا مخاطب بنفسه . ولقد بلغني عن بعض من كان يتدين أنه ممن ندرسخ في قلبه التشبيه انه سمع من بعض العلماء شيئاً من التنزيه فقال : والله لو قدرت عليه لقتلته . فإله الله ان تحدث مخلوقاً من العوام بما لا يحتمله ، فانه لا يزول ما في نفسه ، ويخاطر الحدث له بنفسه فكذلك كل ما يتعلق بالاصول .

٣٢١ - فصل - لا يفرك من الرجل طنطنته وملتراه يفعل من صلاة وصوم وصدقة وعزلة عن الخلق . انما الرجل هو الذي يراعى شيئين ، حفظ الحدود ، واخلاص العمل ، فكم قد رأينا متعبدا يخرق الحدود بالغيبة وفعل ما لا يجوز مما يوافق هواه . وكم قد اعتبرنا على صاحب دين أنه يقصد بفعله غير الله تعالى . وهذه الآفة تزيد وتنقص في الخلق . فالرجل كل الرجل هو الذي يراعى حدود الله ، وهي ما فرض عليه والزم به ، ويحسن القصد ، فيكون عمله وقوله خالصاً لله تعالى ، لا يريد به الخلق ولا تعظيمهم له . فربما خاشع ليقال ناسك ، وصامت ليقال خائف وتارك للدنيا ليقال زاهد . وعلامة المخلص أن يكون في جلوته كخلوته . وربما تكلف بين الناس التبسم والانبساط لينمحي عنه اسم زاهد . فقد كان ابن سرين يضحك بالنهار فاذا جن الليل فكانه قتل أهل القرية . واعلم أن الممول معه لا يريد الشركاء . فالمخلص مفرد له بالقصد ، والمرائي قد أشرك ليحصل له مدح الناس ، وذلك ينقلب . لأن قلوبهم بيد من أشرك معه ، فهو يقابلها عليه لآليه . فالموفق من كانت معاملته باطنة واعماله خالصة . وذلك الذي تحبه الناس وان كرهوا ، كما يفتنون المرائي وان زاد نعبده . ثم أن الرجل الموصوف

بهذه الخصال لا يتناهى عن كمال العلوم ولا يقصر عن طلب الفضائل ، فلا  
الزمان أكثر مما يسمعه من الخير ، وقلبه لا يفتر عن العمل القلبي ، إلا أن  
شغله بالحق سبحانه وتعالى .

٣٢٢ - فصل - رأيت خلقا يفرطون في أديانهم ثم يقولون احملونا  
إذا متنا الى مقبرة أحمد . أترأهم ما سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
امتنع من الصلاة على من عليه دين وعلى الغال وقال : ما ينفعه صلواتي عليه .  
ولقد رأيت أقواما من العلماء حملهم حب الصيت على أن استخراجوا الأذن  
من السلطان فدفنوا في دكة أحمد بن حنبل وهم يعلمون أن هناك خلق  
بعضهم على بعض ، وما فيهم إلا من يعلم أنه ما يستحق القرب من مثل ذلك .  
فأين احتقار النفوس . أما سمعوا أن عمر بن عبد العزيز قيل له تدفن في  
الحجرة فقال : لأن القى الله بكل ذنب ما خلا الشرك أحب الي من أن أرى  
نفسى أهلا لذلك لكن . العادات وحب الرياسة غلبت على هؤلاء ، فبقى العلم  
يجرى على الألسن عادة لا للعمل به ، ثم آل الأمر الى جماعة خاطوا السلاطين  
وباشروا الظلم : يزاحمون على الدفن بمقبرة أحمد ويوصون بذلك ، فليتهم أو صوا  
بالدفن في موضع فارغ ، إنما يدفنون على موتى ، ويخرج عظام اولئك فيحشرون  
على ما ألفوا من الظلم حتى في موتهم ، وينسون أنهم كانوا من أعوان الظلمة .  
أترى ما علموا أن مساعد الظلم ظالم . وفي الحديث : كفى بالمرء خيانة أن يكون  
أميना للخونة . قال السجاني لأحمد بن حنبل : هل أنا من أعوان الظلمة ؟ فقال :  
لأنت من الظلمة . إنما أعوان الظلمة من أعانك في أمر .

٣٢٣ - فصل - رأيت الناس يذمون الحاسد ويبالغون ويقولون :  
لا يحسد إلا شرير يعادى نعمة الله ، ولا يرضى بقضائه ، ويبخل على أخيه

المسلم . فنظرت في هذا فما رأيته كما يقولون . وذاك ان الانسان لا يجب أن يرتفع عليه أحد ، فاذا رأى صديقه قد علا عليه تأثر هو ولم يجب أن يرتفع عليه ، وود أن لو لم ينل صديقه ما ينال ، أو أن ينال هو ما نال ذلك لئلا يرتفع عليه وهذا معجون في الطين . ولا لوم على ذلك . انما اللوم أن يعمل بمقتضاه من قول أوفعل . وكنت أظن أن هذا قد وقع لي عن سرى وفحصى ، فرأيت الحديث عن الحسن البصرى قد سبقني اليه . قال أخبرنا عبد الخالق بن عبد الصمد قال أخبرنا ابن النقود قال أخبرنا المخاص قال حدثنا البغوى قال حدثنا أبو روح قال حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن الحسن قال : ليس من ولد آدم أحد الا وقد خلق معه الحسد ، فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا بفعل لم يتبعه شيء .

٣٢٤ - فصل - من أعظم الضرر الداخلى على الانسان كثرة النساء ، وانه أو لا يتشتت همه في محبتهم ، ومداراتهم وغيرتهم ، والاتفاق عليهم ولا يأمن احدهم أن تكرهه وتريد غيره فلا تتخلص الا بقتله ، ولو سلم من جميع ذلك لم يسلم في الكسب لهم ، فان سلم لم ينبج من السامة لهم أو لبعضهم ، ويطلب مالا يقدر عليه من غيرهم ، حتى انه لو قدر على نساء بغداد كلهن فقدمت امرأة مستترة من غير البلد ظن أنه يجد عندها ما ليس عندهن . ولعمري إن في الجدة لذة ، ولكن رب مستور اذا انكشف افتضح ، واذا سلم من كل أذى يتعلق بهن انهك بدنه في الجماع ، فيكون طلبه للتذاذ مانعا من دوام الالتذاذ . ورب لقمة منعت لقمات . ورب لذة كانت سببا في انقطاع لذات . والمعاقل من يقتصر على الواحدة اذا وقعت غرضه ، ولا بد أن يكون فيها شيء لا يوافق انما العمل على الغالب .

فيوهب الخلة الرديّة للمجيدة وينبغي أن يكون النظر الى باب الدين قبل  
النظر الى الحسن ، فانه اذا قل الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة . ومما يهلك  
الشيخ سريعا الجماع ، فلا يغتر بما يرى من انبساط الآلة وحصول الشهوة .  
وذلك مستخرج من قوته ما لا يعود مثله ، فلا ينبغي أن يغتر بحركة وشهوة  
ولا يقرب من النساء ان كان له رأى في البقاء .

٣٢٥ - فصل - اذا رأيت قليل العقل في أصل الوضع فلا ترج  
خيره : فأما ان كان وافر العقل لـكنه يغلب عليه الهوى فارجه . وعلامة  
ذلك أنه يدبر أمره في ، جهله فيستتر من الناس اذا أتى فاحشة ، ويراقب  
في بعض الاحوال ، ويبكى عند الموعظة ، ويحترم أهل الدين ، فهذا  
عقل مغلوب بالهوى . فاذا انتبه بالندم انبسط شيطان الهوى وجاء  
ملك العقل . فاما اذا كان قليل العقل في الوضع ، وعلامته أن لا ينظر في  
عاقبة عاجلة ولا آجلة ولا يستحي من الناس أن يروه على فاحشة ، ولا يدبر  
أمر ديناه ، فذاك بعيد الرجاء . وقد يندر من هؤلاء من يفلح ، ويكون  
السبب فيه خميرة من العقل غطى عليها كثرة الهوى . فمثلهم كمثل  
مصروع أفاق ،

٣٢٦ - فصل - ينبغي الاحتراز من كل ما يجوز أن يكون ، ولا ينبغي  
أن يقال الغالب السلامة . وقد رأينا من نزل مع الخيل في سفينة فاضطربت  
فغرق من في السفينة وان كان الغالب السلامة . وكذا ينبغي أن يقدر الانسان  
في نفقته وان رأى الدنيا مقبلة ، لجواز أن تنقطع تلك الأسباب وحاجة  
النفس لا بد من قضائها ، فاذا بذّر وقت السعة فجاء وقت الضيق لم يأمن  
أن يدخل في مداخل سوء ، وان يتعرض بالطلب من الناس . وكذلك



ينبغي للمعافي أن يعد للمرض ويتقوى ان يتهيأ للهرم . وفي الجملة فالنظر في العواقب وفيما يجوز أن يقع شأن العقلاء . فاما النظر في الحالة الراهنة فحسب فحالة الجهلة الحقاء . مثل أن يرى نفسه معافي وينسى المرض ، أو غنيا وينسى الفقر أو يرى لذة عاجلة وينسى ما يجني عواقبها ، وليس للعقل شغل الا النظر في العواقب ، وهو يشير بالصواب أين من يقبل

٢٢٧ - فصل - يبين ايمان المؤمن عند الابتلاء ، فهو يباليغ في الدعاء ولا يرى أثرا للاجابة ، ولا يتغير أمله ورجاؤه ولو قويت أسباب اليأس ، لعلمه أن الحق أعلم بالمصالح ، أولان المراد منه الصبر أو الايمان فانه لم يحكم عليه بذلك إلا وهو يريد من القلب التسليم لينظر كيف صبره ، أو يريد كثرة اللجا والدعا . فاما من يريد تعجيل الاجابة ويتذمر ان لم تعجل فذاك ضعيف الايمان . يرى أنه له حقا في الاجابة ، وكان يتقاضى باجرة عمله . أما سمعت قصة يعقوب عليه السلام : بقي ثمانين سنة في البلاء ورجاؤه لا يتغير ، فلما ضم الى فقد يوسف فقد ابن يامين لم يتغير أمله وقال « عسى الله أن ياتيني بهم جميعا » وقد كشف هذا المعنى قوله تعالى « أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب » ومعلوم ان هذا لا يصدر من الرسول والمؤمنين الا بعد طول البلاء وقرب اليأس من الفرج . ومن هذا قول رسول الله ﷺ : لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل . قيل له وما يستعجل قال : يقول دعوت فلم يستجب لي . فياك أياك أن تستطيل زمان البلاء ، وتضجر من كثرة الدعاء ، فانك مبتلى بالبلاء ، متمعد بالصبر والدعاء ، ولا تيأس من روح الله وان طال البلاء .

٣٢٨ - فصل - تذكرت في سبب دخول جهنم فاذا هو المعاصي،  
فنظرت في المعاصي فاذا هي حاصله من طلب اللذات، فنظرت في اللذات فرأيتها  
خدعا ليست بشيء، وفي ضمنها من الاكدار ما يصيرها نعصا فتخرج عن  
كونها لذات، فكيف يتبع العاقل نفسه ويرضى بجهنم لأجل هذه الاكدار.  
فمن اللذات الزنا، فان كان المراد اراقة للماء فقد يراق في حلال، وان كان  
في معشوق فمراد النفس دوام البقاء مع المعشوق، فاذا هو ملكك فالمملوك  
مملوك، وان هو قاربه ساعة ثم فارقه فحسرة الفراق تربو على لذة القرب.  
وان كان ولد من الزنا فالفضيحة الدائمة. والعقوبة التامة. وتنكيس  
الرأس عند الخالق والمخلوق. وأما الجاهل فيرى لذته في بلوغ ذلك الغرض،  
وينسى ما يجني مما يكدر عيش الدنيا والآخرة. ومن ذلك شرب الخمر،  
فانه تنجيس للفم والثوب، وابعاد للعقل، وتأثيراته معلومة عند الخالق  
والمخلوق. فالعجب ممن يؤثر لذة ساعة تجني عقابا وذهاب جاه. وربما  
خرج بالعريضة الى القتل. وعلى هذا فقس جميع المذوقات، فان لذاتها  
اذا وزنت بميزان العقل لا تفي بمشارعشير عواقبها القباح في الدنيا والآخرة.  
ثم هي نفسها ليست بكثير شيء فكيف تباع الآخرة بمثل هذا. سبحان  
من أنعم على أقوام كلما لاحت لهم لذة نصبوا ميزان العقل ونظروا فيما  
يجني وتلهجوا ما يؤثر تركها فرجعوا الأصالح. وطمس على قلوب فهي  
ترى صورة الشيء وتنسى جنائياته. ثم العجب انا نرى من يبعد عن زوجته  
وهو شاب ليعدو في الطريق فيقال ساعى. فيغلب هواه لطلب ما هو  
أعلى وهو المدح. كيف لا يترك محرما ليمدح في الدنيا والاخرى، ثم  
قدّر حصول ما طلبت من اللذات وذهابها واحسب انها قد كانت وقد

هانت وتخلصت من محنها . وأين تعب عالم قد درس العلم خمسين سنة ؛ ذهب التعب وحصل العلم . وأين لذة البطال ؛ ذهبت الراحة واعقبت الندم .

٣٢٩ - فصل - من وقف على موجب الحس هلك . ومن تبع العقل سلم . لأن مجرد الحس لا يرى إلا الحاضر وهو الدنيا . وأما العقل فإنه ينظر الى المخلوقات ، فيعلم وجود الخالق قد منح وأباح واطلق وحظر . واخبر أني سائلكم ومبتليكم ليظهر دليل وجودي عندكم بترك ما تشتهون طاعة لي . وأنى قد بنيت لكم دارا غير هذه لأتابة من يطيع وعقوبة من يخالف . ثم لو ترك الحس وما يشتهي مع أغراضه قرب الأمر انما زنى فيجلد . ويشرب الخمر فيعاقب . ويسرق فيقطع ويفعل ذلة فيفضح بين الخلق . ويعرض عن العلم الى البطالة فيقع الندم عند حصول الجهل . ثم انما زنى الكثير ممن عمل بمقتضى عقله قد سامت دنياه وآخرته . وميز بين الخلق بالتعظيم . وكان عيشه في لذاته غالبا خيرا من عيش موافق للهوى . فليعتبر ذو الفهم بما قلت . وليعمل بمقتضى الدليل وقد سلم .

٣٣٠ - فصل - العجب لمؤثر شهوات الدنيا . ألا يتدبر امرها بالعقل قبل ان يصير الى منقولات الشرع . ان اعظم لذات الحس النوطاء فالمرأة المستحسنة انما يكون حال كمالها من وقت بلوغها الى الثلاثين فاذا بلغت أثر فيها ، وربما ابيضت شعرات من رأسها فينفرد الانسان منها . وقد يقع الملل قبل ذلك ، وطول الصحبة يكشف العيوب . وما عيب نساء الدنيا بابلغ من قوله تعالى « لهم فيها أزواج مطهرة » فلو تفكر الانسان في جسد مملوء بالنجاسة ما طاب له ضمه ، غير ان الشهوة تغطي عين الفكر . فالعقل من حفظ دينه وصروته بترك الحرام ، وحفظ

قوته في الحلال فأنفقها في طلب الفضائل من علم أو عمل ، ولم يسع في  
افناء عمره وتشتيت قلبه في شيء لا تحسن عاقبته :

ما في هوا دجكم من مهجتي عوض ان مت شوقا ولا فيها لها ثمن  
وعموم من رأينا من الكبار غلبت عليهم شهوة الوطاء فانهدمت  
اعمارهم ، ورحلوا سريرا . وقد رأينا من العقلاء من زجر نفسه عن هذه  
الخنعة ولم يستعملها الا وقت الحاجة ، فبقى لهم سواد شعورهم وقوتهم حتى  
تمتعوا بها في الحياة وحصلوا المناقب ، وعرفت منهم النفوس قوة العزيمة  
فلم تطالبهم بما يؤذي .

٣٣١ - فصل - قد أشكل على بعض الناس رؤية النبي صلى الله

عليه وسلم وقوله : من رأى في المنام فقد رأى . فقال ظاهر الحديث انه  
يراه حقيقة ، وفي الناس من يراه شيئا وشابا ومريضا ومعافا . فالجواب انه  
من ظن ان جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم المودع في المدينة خرج  
من القبر وحضر في المكان الذي رآه فيه فهذا جهل لاجهل يشبهه .  
فقد يراه في وقت واحد الف شخص في الف مكان على صور مختلفة ،  
فكيف يتصور بهذا في شخص واحد ؛ وانما الذي يرى مثاله لا شخصه .  
فيبقى من رأى فقد رأى معناه قد رأى مثالي الذي يعرفه الصواب  
وتحصل به الفائدة المطلوبة . فان قيل : فما تقولون في رؤية الحق سبحانه ؛  
فنقول : يرى مثالا لا مثل والمثال لا يفتقر الى المساواة والمشابهة كما قال تعالى  
« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » فضر به مثالا للقرآن وانتفاع  
الخلق به . ويوضح هذا انه انما يرى من رأى الحق سبحانه وتعالى على هيئة  
مخصوصة ولحق سبحانه وتعالى منزله قد توحد فوضح ما قلناه .

٣٣٢ - فصل - غزير الفائدة . اعلم انه لو اتسع العمر لم يمنع من الايقال في كل علم الى منتهاه . غير ان العمر قصير . والعلم كثير . فينبغي للانسان أن يقتصر من القرات اذا حفظ القرآن على العشرة . ومن الحديث على الصحاح . والسنن والمسائيد المصنفة . فان علوم الحديث قد انبسطت زائدة في الحد . وما في هذا الجزء . وانما الطرق تختلف ، وعلم الحديث يتعاقب بعضه ببعض وهو مشتبه ، والفقهاء يسمونه علم الكسالى ، لانهم يتشاغلون بكتابته وسماعه ، ولا يكادون يعاونون حفظه ، ويفوتهم المم وهو الفقه وقد كان المحدثون قديما هم الفقهاء . ثم صار الفقهاء لا يعرفون الحديث . والمحدثون لا يعرفون الفقه . فمن كان ذا همة ونصح نفسه تشاغل بالمهم من كل علم ، وجعل جل شغله الفقه ، فهو أعظم العلوم وأهمها . وقد قال أبو زرعة : كتب الى أبو ثور : فان هذا الحديث قد رواه ثمانية وتسعون رجلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . والذي صح منه طرق يسيرة . فالتشاغل بغير ماصح يمنع التشاغل بما هو أهم . ولو اتسع العمر كانت استيفاء كل الطرق في كل الاحاديث غاية في الجودة . لكن العمر قصير . ولما تشاغل بالطرق مثل يحيى بن معين فانه من الفقه كثير ، حتى انه سئل عن الحائض أيجوز ان تغسل الموتى فلم يعلم ، حتى جاء أبو ثور فقال : يجوز ، لأن عائشة رضيت الله عنها قالت : كنت أرجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا حائض فيحیی أعلم بالحديث منه ، ولكن لم يتشاغل بفهمه . فأنا انهي أهل الحديث ان يشغلهم كثرة الطرق . ومن أقبح الاشياء ان تجرى حادثة يسأل عنها شيخ قد كتب الحديث ستين سنة فلا يعرف حكم الله عز وجل فيها .

وكذلك انهى من يتشاغل بالتزهد والالتقاط عن الناس ان يعرض عن العلم . بل ينبغي ان يجعل لنفسه منه حظا ليعلم ان زل كيف يتخلص .

٢٣٣ - فصل - معرفة الله سبحانه لا تحصل الا لكامل العقل .

صحيح المزاج . والترقي الى محبته بذلك يكون . وان اقواما قلت عقولهم وفسدت أمزجتهم فساءت مطاعمهم وقلّت فتخايلت لهم الخيالات الفاسدة فادعوا معرفة الحق ومحبته ، ولم يكن عندهم من العلم ما يصدع عما ادعوا فهلكوا . وليعلم ان في المأكولات افساد العقل وفيها ما يزيد في

السودا فيوجب المايخوليا ، فترى صاحبها يحب الخلوة ، ويهرب من الناس ، ويقلل المطعم ، فيقوى مرضه فيتخايل له خيالات يظنها حقا . ففهم

من يقول : انى رأيت الملائكة . وفيهم من يخرج الامر الى دعوى محبة الحق والوله فيه ولا يكون ذلك عن أصل معتمد عليه . وانما العاقل العالم

يسير في الطريق بين الرقيقين العلم والعقل . فان تقلل من الطعام فبعقل .

وحدّ التقلل ترك فضول المطعم وما يخاف شره من شبهة أو شهوة يحذر تعودها ، واما زيادة التقلل مع القدرة فليس لعقل ولا شرح . الا ان يكون

الفقر عم فيتقلل ضرورة . ومن تأمل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وجدهم يأخذون بمقدار ، ولا يتركون حظوظ النفس التي تصلحها .

وما أحسن الامر واعدله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث نفس ، وقد قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه

وهو مريض : اصب من هذا الطعام فهو اوفق لك من هذا . وكان صلى الله عليه وسلم يشاور الاطباء ويحتجم ويبحث على التداوى ويقول : ما أنزل

الله داء الا وأنزل له شفاء فتداؤوا . فجاء اقوام جهلوا العلم والحكمة في

بنيان الابدان . فمنهم من أقام في الجبال يأكل البلوط فأصابه القوانج .  
 ومنهم من قتل المطعم الى ان ضعفت قواهم . ومنهم من اقتصر على نبات  
 الصحراء . ومنهم من كان لا يقوت الا الباقلاء والشعير . فأوجبت هذه  
 الافعال أمراضاً في البدن، وترقت الى افساد العقل . واتفق لهم قلة العلم ،  
 اذ لو علموا لفهموا ان الحكمة تنهى عن مثل هذا ، فان البدن مبني على  
 أخلاط اذا اعتدلت وقعت السلامة . واذا زاد بعضها وقع المرض . وأكثر  
 هؤلاء مرضوا وتعجل لهم الموت . وفيهم من خرج الى التسوّدن . وفيهم  
 من لاحت له لوائح فادعى رؤية الملائكة الى غير ذلك . فاما أمل العلم  
 والعقل فهربهم من الخلق لخوف المعاصي ورؤية المنكر . وفيهم من قويت  
 معرفته فشغلته معرفة الحق ومحبته عن ملاقة الخلق . فهذه هي اخلاط  
 الصافية ، لانها تصدر عن علم وعقل فتحفظ البدن ، لانه ناقة توصل . ولا  
 ينبغي ان يتهاون بالما كولات ، خصوصاً من لم يعتده ، ولا يلبس الصوف  
 على البدن من لم يعتد . ولينظر في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وصحابته ، فانهم القدوة . ولا يلتفت الى بنيات الطريق ، فيقال : فلان  
 الزاهد قد أكل الطين ، وفلان كان يمشي حافياً ، وفلان بقي شهراً ما أكل ،  
 فان المحققين من هؤلاء الخصاصير لله تعالى على غير الجادة ، لأن الجادة اتباع  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما كانوا يفعلون . هذا ولعمري  
 انه قد كان فيهم من يقنع بالمدقة من اللبن ، ويصبر الايام عن الطعام .  
 ولكن اما اضرورة ، او لانه معتاد لذلك كما يعتاد البدوي شرب اللبن  
 وحده ولا يؤذيه ذلك . وفي الحديث : عودوا كل بدن ما اعتاد وفي المتزهدين  
 من أخرج ماله كله عن يده زهداً . ومعلوم ان الحاجات لا تنقضي ، فلما

احتاج تعرض للطلب ، وافتقر الى اخذ مال من يد من يعلم انه ظالم  
وبذل وجهه . وقد كانت الصحابة تتجر وتحفظ المال . وجهال المزهدين  
يرون جمع المال ينافي الزهد . فمما خضه هذا الفصل ان اقول : ينبغي لمن رزق  
فهما ان يسعى في صلاح بدنه ، ولا يحمل عليه ما يؤذيه ، ولا يتاوله من  
القوت ما لا يوافق ، ولا يضيع ماله ، وليجتهد في استثماره لئلا يحتاج ،  
فانه ما نافع زاهد الا لأهل الدنيا : ولينظر في سير الكاملين من السلف .  
وليتشاغل بالعلم ، فانه الدليل . فيثبتذ يحمله الامر على الخلوة بربه ، والاشتغال  
بجبهه ، فيكون مظهر منه ثمرة نضجة لافجة . والله الموفق .

٣٣٤ - فصل - ما رأيت أظرف من لعب الدنيا بالعقول . وقد

سمعنا ورأينا جماعة من الفطناء الكاملي العقل لعبت بهم الدنيا حتى صاروا  
كالمجانين . فولوا الولايات فخرجوا الى القتل والضرب والحبس والشم  
وذهاب الدين ، والمباشرة للظلم كله لاجل دنيا تذهب سريعا . وفي مدة  
اقامتها هي معجونة بالنقص . فيأيتها المرزوق عقلا لا تبخسه حقه ، ولا  
تطفئ نوره ، واسمع ما نشير به ، ولا تلتفت الى بكاء طفل الطبع لفوات  
غرضه ، فانك ان رحمت بكاه لم تقدر على فطامه ، ولم يمكنك تأديبه ،  
فيبلغ جاهلا فقيرا :

لا تسه عن أدب الصغيـــــر ولو شكى أم التعب

ودع الكبير لشأنه كبير الكبير عن الادب

واعلم ان زمان الابتلاء ضيف قراه الصبر ، كما قال أحمد بن حنبل : انما  
هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، وانها أيام قلائل ، فلا تنظر الى  
لذة المترفين ، وتامح عواقبهم ، ولا تضق صدرا بضيق المعاش ، وعلل



الناقة بالحدو تسير :

طاول بها الليل مال النجم أم جنحا وماطل النوم ضن الجفن أم سمحا  
 فان تشكت فعلها المجرّة من ضوء الصباح وعدّها بالرواح ضحى  
 وقد كان اهدى الى أحد بن حنبل هدية فردها ، ثم قال بعد سنة  
 لاولاده : لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت . ومصر بشر على بر فقال له  
 صاحبه : أنا عطشان . فقال البئر الأخرى فرّ عليها فقال له الأخرى ، ثم قال :  
 كذا تقطع الدنيا . ودخلوا الى بشر الحافي وليس في داره حصير ، فقيل له  
 ألا بذاتوذي ، فقال هذا أمر ينقضى . وكان لداود الطائي دار يأوى اليها ،  
 فوقع سقف فانتقل الى سقف الى ان مات في الدهليز . فهو لاء الذين  
 نظروا في عواقب الامور . وبعد هذا فلا اطالبك بهذه الرتبة ، بل أقول  
 لك : ان حصل لك شيء من المباح لا من فيه ولا أذى ولا نلته بسؤال  
 ولا من يد ظالم تعلم ان ماله حرام أو شبهة ، فافسح لنفسك في مباحاتها  
 بمقدار ما تحتاج اليه . وكن مقدراً للنقمة غير مبذر . فان الحلال لا يحتتمل  
 السرف ومتى أسرفت احتجت الى التعرض للخلق والتناول من الاكدار .  
 وان ضاق بك أمر فاصبر ، فان ضعف الصبر فسل فاتح الابواب ، فهو  
 الكريم وعنده مفاتيح الغيب : واياك ان تبذل دينك بتصنع للخلق أو  
 بتقرب الى الامراء وتستعطي أموالهم . واذكر طريق السلف . كان ابن  
 سمعون<sup>(١)</sup> له ثياب يجلس فيها للناس ثم يطويها الى المجلس الآخر ورثها عن  
 أبيه بقيت أربعين سنة وكانت ميمونة بنت شاقولة تعظ الناس ولها ثياب  
 قد بقيت أربعين سنة . ومن صفانظره وتهذب لفظه ، نفع وعظه ، ومن كدر

(١) وفي نسخة ابن مسعود

كُدِّر عليه . والحالة العالية في هذا اقبال القلب على الله عز وجل ، والتوكل عليه والنظر اليه ، والتفات القلب عن الخلق ، فان احتجت فاسأله ، وان ضعفت فارغب اليه . ومتى ساكنت الاسباب انقطعت عنه ومتى استقام باطنك استقامت لك الامور .

٣٣٥ - فصل - رأيت نفسي تأنس بمخطاء نسميهم أصدقاء فبحث التجارب عنهم فاذا اكثرهم حساد على النعم . وأعداء لا يسترزون زلة ، ولا يعرفون جليس حقا . ولا يواسون من مالمهم صديقا . فتأملت الامر ، فاذا الحق سبحانه يغار على قلب المؤمن ان يجعل له شيئا يأنس به ، فهو يكدر عليه الدنيا وأهلها ليكون انسه به . فينبغي ان بعد الخلق كلهم معارف ليس فيهم صديق ، بل تحسبهم أعداء . ولا تظهر سررك لمخلوق منهم ، ولا تُعدن من يصلح لشدة لاولدا ولا أخا ولا صديقا ، بل عاملهم بالظاهر ، ولا تخالطهم إلا حالة الضرورة بالتوقي لحظة ، ثم انفر عنهم وأقبل على شأنك متوكلا على خالقك ، فانه لا يجلب الخير سواه ، ولا يصرف السوء الا إياه ، فليكن جليسك وانيسك وموضع توكلك وشكواك ، فان ضعف بصرك فاستغث به ، وان قل يقينك فسله القوة ، واياك ان تميل الى غيره ، فانه غيور . وان تشكو من اقداره ، فربما لم يحتمل . أوحى الله عز وجل الى يوسف عليه السلام : من خلصك من الحب ، من فعل من فعل . قال انت قال : فلم ذكرت غيري . فلا طين حبسك ، أو كما قال . هذا وانما تعرض يوسف عليه السلام بسبب مباح « اذكرني عند ربك » « ويوم حنين اذا اعجبتكم كثير تكلم » وما أعرف العيش الا لمن يعرفه ويعيش معه ويتأدب بين يديه في حركاته وكلماته كأنه يراه ، ويقف على باب طرفه

حارسا من نظرة لاتصلح . وعلى باب لسانه حافظا له من كلمة لاتحسن .  
وعلى باب قلبه حماية لمسكنه من دخول الاغيار . ويستوحش من الخلق  
شغلا به . وهذا يكون على سيرة الروحانيين . فاما الخلط فالكدر غالب  
عليه . والمحق لا يطلب الا الأرفع قال القائل :

الا لأحب السير الا مصاعدا ولا البرق الا ان يكون يمانيا

٣٣٦ - فصل - رأيت أكثر العلماء مشتغلين بصورة العلم  
دون فهم حقيقته ومقصوده . فالفارء مشغول بالروايات ، عاكف على  
الشواذ ، يرى أن المقصود نفس التلاوة ، ولا يتلمح عظمة المتكلم ، ولا  
زجر القرآن ووعدده . وربما ظن ان حفظ القرآن يدفع عنه ، فتراه يترخص  
الذنوب ، ولو فهم لعلم ان الحجة عليه اقوى ممن لم يقرأ . والمحدث يجمع  
الطرق ، ويحفظ الاسانيد ، ولا يتأمل مقصود المنقول ، ويرى انه قد حفظ  
على الناس الاحاديث . فهو يرجو بذلك السلامة . وربما ترخص في الخطايا  
ظنا منه ان ما فعل في الشريعة يدفع عنه . والفقهاء قد وقع له انه بما قد عرف  
من الجدل الذي يقوى به خصامه ، والمسائل التي قد عرف فيها المذهب  
قد حصل بما يقوى به الناس ما يرفع قدره ، ويمحو ذنبه ، فربما هجم على  
الخطايا ظنا منه ان ذلك يدفع عنه ، وربما لم يحفظ القرآن ولم يعرف الحديث  
وانهما ينهيان عن الفواحش بزجر ورفق . وينضاف اليه مع الجهل بهما  
حب الرياسة ، وايتار الغلبة في الجدل . فتزيد قسوة قلبه . وعلى هذا أكثر  
الناس ، صور العلم عندهم صناعة . فهي تكسيهم الكبر والجمافة . وقد حكي  
بعض الاعتبارين عن شيخ افنى عمره في علوم كثيرة ، انه فتن في آخر عمره  
بفسق اصر عليه ، وبارز الله به ، وكانت حاله تعطى بمضمونها ان علمي

يدفع عنى شر ما أنا فيه ولا يبقى له اثر. وكان كأنه قد قطع لنفسه بالنجاة، فلا يرى عنده اثر لخوف ولا ندم على ذنب قال فتغير في آخر عمره ولازمه الفقر، فكان يلقي الشدائد ولا ينتهي عن قببح حاله، الى ان جمعت له يوما قراريط على وجه الكدية فاستجيا من ذلك وقال يارب الى هذا الحد، قال الحاكى: فتمجبت من غفلته كيف نسي الله عز وجل، وأراد منه حسن التدبير له والصيانة وسعة الرزق، وكأنه ما سمع قوله تعالى « وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » ولا علم ان المعاصى تسد أبواب الرزق. وان من ضيع امر الله ضيعه الله. فما رأيت علما ما افاد كعلم هذا، لان العالم اذا زل انكسر. وهذا مصر لا تؤله معصيته، وكأنه يجوز له ما يفعل، أو كأن له التصرف في الدين تحميلا وتحرما. فرض عاجلا ومات على أقبح حال. قال الحاكى: ورأيت شيئا آخر حصل صور علم فا افادته كان أى فسق امكنه لم يتحاش منه وأى أمر لم يعجبه من القدر عارضه بالاعتراض على المقدر واللوم. فعاش ا كدر عيش، وعلى أقبح اعتقاد حتى درج. وهؤلاء لم يفهموا معنى العلم، وليس العلم صور الالفاظ، انما المقصود فهم المراد منه، وذاك يورث الخشية والخوف، ويرى المنة للمنعم بالعلم، وقوة الحججة له على المتعلم. نسأل الله عز وجل يقظة تفهمنا المقصود، وتعرفنا المعبود. ونعوذ بالله من سبيل رعاغ يتسمون بالعلماء لا ينهائم ما يحملون، ويعلمون ولا يعملون، ويتكبرون على الناس بما لا يعملون، ويأخذون عرض الادنى وقد نهوا عما يأخذون، غلبتهم طباعهم، وماراضتهم علومهم، التي يدرسون، فهي أخس حالا من العوام الذين يجهلون « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

٣٣٧ - فصل - للفقهاء ان يطالع من كل فن طرفا من تاريخ وحديث  
ولغة وغير ذلك . فان الفقه يحتاج الى جميع العلوم . فليأخذ من كل شيء  
منها مهما . واقد رأيت بعض الفقهاء يقول : اجتمع الشبلي وشريك القاضي  
فاستعجبت له كيف لا يدري بعد ما بينهما . وقال آخر في مناظرة : كانت  
الزوجية بين فاطمة وعلي رضي الله عنهما غير منقطعة الحکم ، فلماذا غسلها  
فقلت له : ويحك فقد تزوج امامة بنت زينب وهي بنت اختها فانقطع . ورأيت  
في كتاب إحياء علوم الغزالي من هذا ما يدهش من التخليط في الاحاديث  
والتواريخ . فجمعت من اغاليطه في كتاب وقد ذكر في كتاب له سماه المستظهرى  
وعرضه على المستظهر بالله ان سليمان بن عبد الملك بعث الى أبي حازم فقال له : ابث  
لى من فطورك ، فبعث اليه نخالة مقلوبة فأفطر عليها ، ثم جامع زوجته فجاءت  
بعبد العزيز . ثم ولد له عمر . وهذا تخليط قبيح ، فانه جعل عمر بن عبد العزيز  
ابن سليمان بن عبد الملك ، فجعل سليمان جده ، وانما هو ابن عمه . وقد ذكر  
أبو المعالي الجوينى في أواخر كتاب الشامل في الاصول . قال : قد ذكرت  
طائفة من الثقات المعتنين بالبحث عن البواطن ان الحلاج والجبائى القرمطى  
وابن المقنع تواصلوا على قلب الدول وافساد المملكة واستعطاف القلوب  
وارتداد كل منهم قطرا . فقطن الجبائى فى الاحسا ، وتوغل ابن المقنع فى  
أطراف بلاد الترك ، وقطن الحلاج ببغداد فحجم عليه صاحبا بهللكة  
والتصور عن بلوغ . الامنية لبعده أهل بغداد عن الانخداع ، وتوفر فطنهم  
وصدق فراستهم . قلت : ولو ان هذا الرجل أو من حكى عنه عرف التاريخ  
لعلم ان الحلاج لم يدرك ابن المقنع ، فان ابن المقنع أمر بقتله المنصور فقتل  
فى سنة أربع وأربعين ومائة . وابو سعيد الجبائى القرمطى ظهر فى سنة

ست وثمانين ومائتين . والحلاج قتل سنة تسع وثلاثمائة . فزمان القرمطي والحلاج متقاربان . فاما ابن المقفع فكلاً . فينبغي لسكل ذى علم ان يسام بياقي العلوم فيطالع منها طرفاً ، إذ لسكل علم بعلم تعلق ، وما أقبح بمحدث يُسأل عن حادثة فلا يدري ، وقد شغله منها جمع طرق الاحاديث . وقبيح بالفقيه ان يقال له : ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ! فلا يدري صحة الحديث ولا معناه . نسأل الله عز وجل همة عالية لا ترضى بالنقائص بمنه ولطفه .

٣٣٨ - فصل - كانت همم القدماء من العلماء عليّة، تدل عليها تصانيفهم التي هي زبدة اعمارهم . الا ان اكثر تصانيفهم دثرت . لان همم الطلاب ضعفت . فصاروا يطلبون المختصرات . ولا ينشطون للمطولات . ثم اقتصروا على ما يدرسون به من بعضها ، فدثرت الكتب ولم تنسخ . فسبيل طالب الكمال . في طلب العلم الاطلاع على الكتب التي قد تخلفت من المصنفات ، فليكثر من المطالعة فانه يرى من علوم القوم وعلو هممهم ما يشجذ خاطره ويحرك عزيمته للجد ، وما يخلوا كتاب من فائدة . وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم . لانرى فيهم ذاهمة عالية فيقتدى بها المبتدى . ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد . فالله الله عليكم بملاحظة سير السلف ، ومطالعة تصانيفهم ، وأخبارهم . فالاستكثار من مطالعة كتبهم روية لهم كما قال :

فانى ان أرى الديار بطرفي فلعلى أرى الديار بسمعى  
وانى اخبر عن حالى ، ما اشبع من مطالعة الكتب . واذا رأيت كتابا  
لم اره فكأنى وقعت على كنز . ولقد نظرت في ثبث الكتب الموقوفة في

المدرسة النظامية، فاذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد. وفي ثبت كتب  
 أبي حنيفة وكتب الحميدى وكتب شيخنا عبد الوهاب وابن ناصر وكتب  
 أبي محمد بن الخشاب وكانت احمالا وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه .  
 ولو قلت : انى طالعت عشرين الف مجلد كان اكثر وانا بعد فى الطلب .  
 فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم وقدرهممهم وحفظهم وعبادتهم  
 وغرائب علومهم مالا يعرفه من لم يطالع فصرت استزرى ما الناس فيه ،  
 واحتقرهم الطلاب والله الحمد .

٣٣٩ - فصل - ليس للآدمى أعز من نفسه ، وقد عجبت ممن  
 يخاطر بها ويعرضها للهلاك . والسبب فى ذلك قلة العقل وسوء النظر فمنهم  
 من يعرضها للتلف ليمدح بزعمه . مثل قوم يخرجون الى قتل السبع . ومنهم  
 من يصعد الى ايوان كسرى ايقال شاطر . وساح يمشى ثلاثين فرسخا .  
 وهو لاء اذا تافوا حملوا الى النار . فان هلك ذهبت النفس التى يراد المال  
 لأجلها . وأعجب من الكل من يخاطر بنفسه فى الهلاك ولا يدري ، مثل  
 ان يغضب فيقتل المسلم فيشقى غيظه بالتعذيب فى جهنم . وأظرف من هذا  
 اليهود والنصارى ، فان أحدهم يبلغ فيجب عليه ان ينظر فى نبوة نبينا صلى  
 الله عليه وسلم فاذا فرط فله الخلود فى جهنم . ولقد قلت لبعضهم : ويحك  
 تخاطر بنفسك فى عذاب الابد ، نحن نؤمن بنبيكم فنقول : لو ان مسلما  
 آمن بنبينا وكذب بنبيكم أو بالتوراة خلد فى النار ، فابنينا وبينكم خلاف ،  
 إذ نحن مؤمنون بصدقه وكتابه ، فلو اقيناه لم نخجل ولو عاتبنا مثلا وقال :  
 هل قتم بالسبت والسبت من الفروع والفروع لا يعاقب عليها بالخلود .  
 فقال لى رئيس القوم : ما نطالبكم بهذا لأن السبت انما يلزم نبي اسرائيل

فقلت : فقد سألنا باجماعكم وأنتم هالكون . لانكم تخاطرون بأرواحكم في العذاب الدائم . والعجب بمن يهمل النظر فيما اذا توانى فيه أو جب الخلود في العقاب الدائم . وأعجب من الكل جاحدا خالق وهو يرى أحكام الصنعة ويقول لاصانع . والسبب في هذه الاشياء كلها قلة العقل وترك إعماله في النظر والاستدلال .

٣٤٠ - فصل - لا ينبغي للعاقل ان يظهر سرا حتى يعلم انه اذا ظهر لا يتأذى بظهوره . ومعلوم ان السبب في بث السر طلب الاستراحة بيته ، وذلك الم قريب فليصبر عليه ، قرب مظهر سر زوجته فاذا طلقت بثته وهلك . أو لصديقه فيظهره عليه حسد له اذا كان ممانلا وان كان عاميا فالعامي أحق . ورب سر أظهر فكان سبب الهلاك .

٣٤١ - فصل - ما يتناهى في طلب العلم إلا عاشق العلم . والعاشق ينبغي ان يصبر على المكاره ، ومن ضرورة المتشاغل به البعد عن الكسب . ومذ فقد التفقد لهم من الامراء ومن الاخوان فلازمهم الفقر ضرورة . والفضائل تنادي « هنالك ابلى المؤمنين وزلوا زلا لا شديدا » فكلمنا خافت من ابلى قالت :

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر  
ولما آثر احمد بن حنبل رضى الله عنه طالب العلم وكان فقيرا ، بقى أربعين سنة يتشاغل به ولا يتزوج . فينبغى للفقير ان يصابر فقره كما فعل احمد ، ومن يطيق ما أطاق ، فقد رد من المال خمسين الفا وكان يكل الكامخ ويتأدم بالملح ، فما شاع له الذكر الجميل جزافا ، ولا ترددت الاقدام الى قبره الا لمعنى عجيب . فياله ثناء ملاء الآفاق ، وجمال ازين الوجود ، وعزا نسخ كل ذل هذا .



في العاجل ، وثواب الآجل لا يوصف . وتلمح قبوراً كثير العلماء لا تعرف  
ولا تزار . ترخصوا وتأولوا وخاطبوا السلاطين فذهبت بركة العلم ومعنى  
الجاه ووردوا عند الموت حياض الندم ، فيالها حسرات لا تتلافى ، وخسرانا  
لا ينجز ، كانت صحبة اللذات طرفة عين ، ولازم الاسف دائماً . فالصبر  
الصبر أيها الطالب للفضائل . فان لذة الراحة بالهوى أو بالبطالة تذهب  
ويبقى الاسى . وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه :

يانفس ما هي الا صبر أيام      كان مدتها أضغاث أحلام  
يانفس جوزى عن الدنيا مبادرة      وخلى عنها فان العيش قدامى  
ثم أيها العالم الفقير . أيسرك ملك سلطان من السلاطين ، وان ماتلمه  
من العلم لاتعلمه . كلا . ما أظن بالمتيقظ ان يؤثر هذا . ثم أنت اذا وقم لك  
خالر مستحسن أو معنى عجيب تجد لذة لا يجدها ملتذ باللذات الحسية ،  
فقد حرم من رزق الشهوات ما قدر رزقت ، وقد شاركتمهم في قوام العيش ،  
ولم يبق الا الفضول الذي اذا أخذ لم يكذب يضر . ثم هم على المخاطرة في باب  
الآخرة غالباً . وأنت على السلامة في الاغلب . فتلمح يا أخى عواقب الاحوال ،  
واقم الكسل المثبط عن الفضائل ، فان كثيراً من العلماء الذين ماتوا مفرطين  
يتقلبون في حسرات وأسف . رأى رجل شيخنا ابن الزغواني في المنام . فقال  
له الشيخ : أكر ما عندكم الغفلة . وأكر ما عندنا الندامة . فاهرب  
وفتك الله قبل الحبس ، وافسخ عقد الهوى على العين الفاحش . واعلم ان  
الفضائل لاتنال بالهوى ، وان يسير التفريط يشين وجه المحاسن . فالبدار  
البدار ونفس النفس يتردد ، وملك الموت غائب ما قدم بعد ، وأنهمض  
بعزيمة عازم :

اذا هم القى بين عينيه عزمه ونسكب عن ذكر الحوادث جانباً  
 ولم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض الا قائم السيف صاحباً  
 وارض في هذه العزيمة الدنيا وأربابها . فبارك الله لاهل الدنيا في دنياهم ،  
 فحن الاغنياء ، وهم الفقراء . كما قال ابراهيم بن آدم : ولو علم الملوك وأبناء  
 الملوك ما نحن فيه لجدونا عليه بالسيوف فابناء الدنيا أحدم لا يكاد يأكل  
 لقمة الا حراماً أو شبهة . وهو وان لم يؤثر ذلك فوكيله يفعله ، ولا يبالي  
 هو بقلة دين وكيله . وان عمرو ادارا سخروا الفعلة ، وان جمعوا مالا فمن  
 وجوه لاتصلح ثم كل منهم خائف أن يقتل أو يعزل أو يشتم ، فمبيهم  
 نقص . ونحن نأكل ما ظاهر الشرع يشهد له بالاباحة ، ولا نخاف من  
 عدو . ولا ولايتنا تقبل العزل . والعز في الدنيا لنا لاهم . وإقبال الخلق  
 علينا . وتقبيل أيدينا وتمظيمنا عندهم كثير . وفي الآخرة بيننا وبينهم  
 تفاوت ان شاء الله تعالى . فان ألفت ارباب الدنيا اعناقهم يعلمون قدر مزيتنا  
 وان غات أيديهم عن اعطائنا فلذة العفاف اطيب ، ومرارة المن لا تقي  
 بالمأخوذ : وإنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس . وانها أيام قلائل  
 والعجب لمن شرفت نفسه حتى طلبه العلم . اذ لا يطلبه الا نفس شريفة  
 كيف يذل ليدل ما عزه الا بالدناير . ولا نخره الا بالمسكنة ولقد أنشدني  
 أبو يعلى العلوي :

رب قوم في خلاقتهم عرر قد صيروا غرراً  
 ستر المال القبيح لهم سرى ان زال ماستراً  
 أيقظنا الله من رقدة الغافلين . ورزقنا فكر المتيقظين . ووقفنا للعمل

بمقتضى العلم والعقل . إنه قريب مجيب :

٣٤٢ - فصل - لا ينبغي للانسان أن يحمل على بدنه مالا يطيق  
فان البدن كالراحلة ان لم يرفق بها لم تصل بالراكب . فترى في الناس من  
يتزهد وقد ربي جسده على الترف فيعرض عما افه فيتجدد له الامراض  
فتقطعه عن كثير من العبادات . وقد قيل : عودواكل بدن ما اعتادو قد قرآب  
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صب فقال : أجدني أعافه لانه ليس  
بارض قوم . وفي حديث الهجرة : ان أبا بكر رضى الله عنه طلب لرسول  
الله صلى الله عليه وسلم الظل وفرش له فروة وصب على القدح الذى فيه  
اللبن ماء حتى برد . وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم فقال :  
ان كان عندكم ماء بات فى شن والا كرعتا . وكان صلى الله عليه وسلم يأكل  
لحم الدجاج وفى الصحيح : أنه كان يحب الحلوى والعسل . وكان اذا لم يقدر  
أكل ما حضر . ولعمري ان فى العرب وأهل السواد من لا يؤثر عنده  
التخشن فى المطعم والملبس . وذاك اذا جرى بعدنوبته على عادته لم يستضر .  
فأما من قد ألف اللطف فانه اذا غير حالته تغير بدنه وقلت عبادته . وقد  
كان الحسن يديم أكل اللحم ويقول . لا رغبني مالك ولا صحنى فرقد .  
وكان ابن سيرين لا يخلى منزله من حلوى وكان سفيان الثورى يسافر وفى  
سفرته الحمل المشوى . والفالودج وقالت رابعة : ما أرى لبدن يراد به العمل  
لله اذا أكل الفالودج عيبا . فمن ألف الترف فينبغى أن يتلطف بنفسه  
اذا أمكنه . وقد عرفت هذا من نفسى ، فانى ربيت فى ترف فلما  
ابتدأت فى التقلل وهجر المشتهى ، أثر معى مرضا قطعنى عن كثير من  
التعبد حتى أتى قرأت فى أيام كل يوم خمسة أجزاء من القرآن ، فتناولت  
يوما مالا يصلح فلم أقدر فى ذلك اليوم على قراءتها ، فقلت : ان لقمة تؤثر

قراءة خمسة أجزاء بكل حرف عشر حسنات إن تناولها لطاعة عظيمة .  
وان مطعمها يؤذى البدن فيفوته فعل خير ينبغى أن يهجر . وقد رأى رسول  
الله صلى عليه وسلم رجلا من أصحابه حضر عنده وقد تغير من التقشف  
فقال له : من أمرك بهذا ! فالماقل يعطى بدنه من الغذاء ما يوافق كما ينقى  
الغازى شمير الدابة : ولا تظن أنى أمر بأكل الشهوات ، ولا بالأكثر  
من اللذوذ ، إنما أمر بتناول ما يحفظ النفس . وانهى عما يؤذى البدن .  
فاما التوسع فى المطاعم ، فانه سبب النوم . والشبع يعنى القلب . ويهزل  
البدن ويضعفه . فافهم ما أشرت اليه . فالطريق هى الوسطى .

٣٤٣ - فصل - إذا تكامل العقل قوى الذكاء والفطنة . والذكى  
يتخلص اذا وقع فى آفة كما قال الحسن : اذا كان اللص ظريفاً لم يُقطع . فاما  
المغل فيجنى على نفسه المحن . هؤلاء اخوة يوسف عليهم السلام . أبعده  
عن أيه ليتقدموا عنده ، وما علموا أن حزنه عليه يشغله عنهم وتهتمه إياهم  
تبعضهم اليه . ثم رموه فى الجب فقالوا ، يلتقطه بعد السيارة « وليس بطفل »  
إنما هو صبى كبير . وما علموا أنه اذا التقط يحدث بحاله ، فيبلغ الخبر الى  
أيه . وهذا تغفيل . ثم إنهم قالوا : أكله الذئب ، وجاؤا بمقيصه صحيحا ،  
ولو خر قوه احتمال الأمر . ثم لما مضوا اليه يمتارون قال « ائتموني بأخ  
لكم » فلو فطنوا علموا أن ملك مصر لا غرض له فى أخيهم . ثم حبسه  
بحجة . ثم قال : هذا الصواع يخبرنى أنه كان كذا وكذا . هذا كله وما يفتنون .  
فما أحس بهذه الاشياء يعقوب عليه السلام قال « اذهبوا فتحسسوا من  
يوسف » وكان يوسف قد نهي بالوحى أن يعلم أباه بوجوده .  
ولهذا لما التقيا قال له : هل لا كتبت الى فقال : ان جبريل عليه السلام

منعنى . فلما نهى أن يعرفه خبره لينفذ البلاء كان ما فعل باخيه تنبيها .  
فصار كأنه يعرض بخطبة المعتدة ، وعلى فهم يوسف والله بكى يعقوب  
لاعلى مجرد صورته .

٣٤٤ - فصل - الآدمى موضوع على مطلوبات تشتت الهم .  
لعين تطلب المنظور . واللسان يطلب الكلام . والبطن يطلب الماء كقول .  
والفرج المنكوح . والطبع يجب جمع المال . وقد أمرنا بجمع الهم لذكر  
الآخرة والهوى يشتهه . فكيف إذا اجتمعت اليه حاجات لازمة من  
طلب قوت البدن وقوت العيال . وهذا يبكر الى دكانه ويفتكر فى  
التحصيل ، ويستعمل آلة الفهم فى نيل ما لا بد منه ، فأى هم يجتمع منه خصوصا  
ان أخذه الشره فى صورة فيمضى العمر ، فينهض من الدكان الى القبر .  
فكيف يحصل العلم أو العمل أو اخلاص القصد أو طلب الفضائل .  
فن رزق يقظة ، فينبغى أن يصابر لنيل الفضائل . فان كان متزهدا بغير  
عائلة فقد كان السبتى يعمل يوم السبت فيكتفى به طول الاسبوع . فان  
كان له مال باضع به من يكفيه بدينه ، وثقته أن يهتم هو ، وان كان له  
عائلة جمع همه فى نية الكسب عليهم فيكون متعبدا . أو ان يكون فنية  
مال كعتار ناصفه فى نفقته ليكفيه دخله . وليقل الهم على مقدار ما يمكنه  
من حذف العلائق جهده ليجمع الهم فى ذكر الآخرة فان لم يفعل أخذ  
فى غفلته وندم فى حفرته . وأقبح الأحوال حال عالم فقيه كلما جمع همه  
لذكر الآخرة شتته طلب القوت للعائلة ، وربما احتاج الى التعرض بالظلمة  
وأخذ الشبهات وبذل الوجه . فيلزم هذا التقدير فى النفقة . واذا حصل له  
شئ من وجه دبر فيه . ولا ينبغى أن يحمله قصر الامل على اخراج ما فى

يده ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : لأن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركها  
عالة يتكفون الناس . وأذل من كل ذل التعرض للبخلاء والأمراء .  
فليدبر أمره ، ويقلل الملائق ، ويحفظ جاهه ، فالأيام قلائل . وقد بعث  
الى أحمد بن حنبل مال فسأله ابنه قبوله فقال : يا صالح صني . ثم قال أستخير  
الله ، فاصبح فقال : يا بني قد عزم لي أن لأقبله ، هذا وكان العطاء هنيئاً ،  
وجاءته من وجوه . فانعكس الأمر اليوم .

٣٤٥ - فصل - العزلة عن الخلق سبب طيب العيش ، ولا بد من  
مخالطة بمقدار . فدار العدو واستحله ، فربما كادك فاهلكك . وأحسن الى  
من أساء اليك ، واستمعن على أمورك بالكرمان ، ولتكن الناس عندك  
معارف . فلما أصدقاء فلا ، لأن أعز الأشياء وجود صديق ، لان الصديق  
ينبغي أن يكون في مرتبة مماثل . فان صادقته عاميالم تنتفع به لسوء أخلاقه  
وقلة علمه وأدبه . وان صادقت مماثلاً أو مقاربا حسدك . واذا كان لك يقظة  
تلمحت من أفعاله وأقواله ما يدل على حسدك « ولتعرفهم في لحن القول »  
واذا أردت تأكيد ذلك فضع عليه من يضعك عنده ، فلا يخرج اليه  
بمافي قلبه . فان أردت العيش فابعد عن الحسود ، لأنه يرى نعمتك .  
فربما أصابها بالعين ، فان اضطرت الى مخالطته فلا تقش اليه سررك ولا تشاوره ،  
ولا يغررك تملقه لك ، ولا ما يظهره من الدين والتعبد ، فان الحسد يغلب  
الدين . وقد عرفت أن قاييل أخرجه الحسد الى القتل . وأن إخوة  
يوسف باعوه بثمن بخس . وكان أبو عامر الراهب من المتعبدين العقلاء  
وعبد الله بن أبي من الرؤساء . أخرجهما حسد رسو الله صلى الله عليه  
وسلم الى النفاق وترك الصواب . ولا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبة

أكثر مما هو فيه ، فانه في أمر عظيم متصل لا يرضيه الا زوال نعمتك .  
 وكلما أمتدت أمتد عذابه ، فلا عيش له ، وما طاب عيش أهل الجنة  
 الا حين تزع الحسد والنغل من صدورهم ؛ ولولا أنه نزع تحاسدوا وتنفص  
 عيشهم .

٢٤٦ - فصل - من سار مع العقل وخالف طريق الهوى ونظر  
 الى العواقب أمكنه أن يتمتع من الدنيا أضعاف ما تمتع من استعمل  
 الشهوات فاما المستعجل فيفوت نفسه حظا الدنيا والذكر الجميل ، ويكون  
 ذلك سببا لفوات مراده من اللذات . ويبان هذا من وجهين : أحدهما  
 ان مال الى شهوات النكاح وأكثر منها قل التذاذه وفنيت حرارته وكان  
 ذلك سببا في عدم مطلوبه منها . ومن استعمل ذلك بمقدار ما يميزه العقل  
 ويحتمله كان التذاذه أكثر ، لبعده ما بين الجماعين ، وأمكنه التردد لبقاء  
 الحرارة . وكذلك من غش في معاملته أو خان ، فانه لا يعامل فيفوته  
 ربح المعاملة الدائمة لخيانته مرة ، ولو عرف بالثقة دامت معاملة الناس له فزاد  
 ربحه . والثاني أنه من اتقى الله وتشاغل بالعلم أو تحقيق الزهد ، فتح له من  
 المباحات ما يلبتذبه كثيرا . ومن تقاعده الكسل عن العلم أو الهوى عن تحقيق  
 الزهد لم يحصل له الا اليسير من مراده . قال عز وجل «وأن لو استقاموا على  
 الطريقة لأسقينهم ماء غدقا» .

٣٤٧ - فصل - ينبغي أن يكون العمل كله لله ومعه ومن أجله .  
 وقد كفاك كل مخلوق وجلب لك كل خير . وإياك أن تميل عنه بموافقة  
 هوى وارضاء مخلوق ، فانه يمسك عليك الحال ، ويفوتك المقصود .  
 وفي الحديث : من أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذاما

وأطيب: العيش عيش من يعيش مع الخالق سبحانه فإن قيل كيف يعيش معه قلت بامتثال أمره، واجتناب نهيه، ومراعاة حدوده، والرضى بقضائه، وحسن الأدب في الخلوة، وكثرة ذكره، وسلامة القلب من الاعتراض في أقداره، فإن احتجت سألته، فإن أعطي والارضيت بالمنع، وعلمت أنه لم يمنع بخلا، إنما نظرا لك. ولا تنقطع عن السؤال لأنك تتعبد به، ومتى دمت على ذلك رزقك محبته وصدق التوكل عليه، فصارت المحبة تدلك على المقصود، وأثمرت لك محبته إياك، تعيش عيش الصديقين. ولا خير في عيش إن لم يكن كذا، فإن أكثر الناس مخبطين في عيشه، يدارى الأسباب ويميل إليها بقلبه، ويتعب في تحصيل الرزق بحرص زائد على الحد، ويرغبه إلى الخلق ويعترض عند انكسار الأغراض، والقدر يجري ولا يبالي بسخط، ولا يحصل له إلا ما قدر، وقد فاته القرب من الحق والمحبة له، والتأدب معه، فذلك العيش عيش البهائم.

٣٤٨ - فصل - نظرت في حكمة المطعم والمشرب والملبس والمنكح، فرأيت أن الآدمي لما خلق من أصول تتحلل وهي الماء والتراب والنار والهواء، وبقاؤه إنما يكون بالحرارة والرطوبة دائما، فلم يكن له بد من شيء يخلف ما بطل، ولما كان اللحم لا ينوب عنه إلا اللحم، أباح ذبح الحيوان ليتقوى به من هو أشرف منه. ولما كان بدنه يحتاج إلى كسوة وله قدرة تميز، وقدرة يصنع بها ما يقيه الأذى من القطن والصوف، لم يجعل على جلده ما يقيه خلقه، بخلاف الحيوان البهيم، فإنه لما لم يكن له قدرة على ما يغطي جلده عوضه بالريش والشعر والوبر. ولما لم يكن بد من فناء الآدمي والحيوان هيج شهوة الجماع لتخلف النسل. فمقتضى العقل الذي



حرك على طلب هذه المصالح أن يكون التناول للمطعم والمشرب مقدار الحاجة والمصلحة ، ليقع الالتذاذ بالعافية : ومن البلية طلب الالتذاذ بالمطعم وان كان غير صالح منه والشره في تناوله ، وكذلك الكسوة والنكاح . ومن الحزم جمع المال وادخاره لمعارض حاجة من ذلك . ومن التنفيل انفاق الحاصل ، فربما عرضت حاجة فلم يقدر عليها فآثر عدمها في البدن أو في العرض بطلبها من الأندال . ومن أقبح الأمور الانهماك في النكاح طلبا لصورة اللذة ناسيا ما يجنى ذلك من انحلال القوة ويزيد في الحرام بالعقوبة . فمن مال الى تدبير العقل سلم في دنياه وآخرته . ومن أعرض عن مشاورته أو عن القبول منه تعجل عطبه . فليفهم مقصود الموضوعات وحكمها والمراد منها ، فمن لم يفهم ولم يعمل بمقتضى ما فهم كان كأجهل العوام . وان كان عالما .

٣٤٩ - فصل - في مخالطة الامراء . العجب ممن له مسكة من عقل أو عنده قليل من دين كيف يؤثر مخالطتهم . فانه بالمخالطة لهم أو العمل معهم يكون قطعا خائفا من عزل أو قتل أو سيم ، ولا يمكنه أن يعمل الا بمقتضى أو امرهم . فان أمروا بما لا يجوز لم يقدر أن يراجع فقد باع دينه قطعا بدنياه فمنعه بالخوف ولم يبق بيده إلا عاجل التعظيم وان يقال بين يديه بسم الله ، وان ينفذ أو امره . وذلك بعيد من السلامة في باب الدين وما يلتذ به منه في الدنيا ممزوج بخوف العزل والقتل .

٣٥٠ - فصل - من الغلط العظيم أن يتكلم في حق معزول بما لا يصلح فانه لا يؤمن أن يلى فينتقم . وفي الجملة لا ينبغي أن يظهر العداوة لأحد أصلا ، فقد يرفع المحقر وقد يتمكن من لا يبعد ، بل ينبغي أن يكتم ما في النفوس على الاعداء ، فان أمكن الانتقام منهم كان العفو انتقاما

لأنه يذنبهم . وينبغي أن يحسن الى كل أحد ، خصوصاً من يجوز أن يكون له ولاية ، وان يخدم الموزول ، فربما نفع في ولايته . وقد روينا أن رجلاً استأذن على قاضي القضاة ابن أبي داود وقال : قولوا له ابو جعفر بالباب فلما سمع دهش لذلك وقال : إئذنوا له ، فدخل فقام وتلقاه واكرمه وأعطاه خمسة آلاف وودعه . فقيل له رجل من العوام فعلت به هذا ! قال انى كنت فقيراً ، وكان هذا صديقاً فحجته يوماً فقلت له : أنا جائع فقال اجلس وخرج فجاء بشواء وحلوى وخبز فقال : كل فقلت كل معى قال لا قلت : والله لا آكل حتى تأكل معى فأكل فجعل الدم يجرى من فيه . فقلت ما هذا فقال : مرض ، فقلت والله لا بد أن تخبرنى ، فقال . انك لما حججتى لم أكن املك شيئاً ، وكانت أسناني مضيبة بشريط من ذهب ، فزعته واشترت به . فهل أ كافي مثل هذا . وعلى عكس هذه الاشياء كان ابن الزيات وزير الواثق وكان يضع من المتوكل فلما ولى عذبه بأنواع العذاب . وكذلك ابن الجزرى كان لا يوقر المسترشد قبل الولاية فحرت عليه الآفات لما ولى فالعاقل من تأمل العواقب وراعاها ، وصور كلها يجوز أن يقع فعمل بمقتضى الحزم وأبلغ من هذا تصوير وجود الموت عاجلاً ، لانه يجوز أن يأتى بغتة من غير مرض . فالحازم من استعد له وعمل عمل من لا يندم اذا جاءه ، وحذر من الذنوب فانها كمدو مرصد بالجزاء ، وادخر لنفسه صالح الاعمال فانها كصديق صديق ينفع وقت الشدة . وابلغ من كل شىء ان يعلم المؤمن انه كلما زاد عمله في الفضائل علت مرتبته في الجنة ، وان نقص تقصت ، فهو وان دخل الجنة ما يجد في نقص بالاضافة الى كمال غيره ، غير انه قدرضى به ولا يشعر بذلك . فرحم الله من تلمح العواقب ، وعمل بمقتضى التلمح . والله تعالى الموفق .

٣٥١ - فصل - لما جمعت كتابي المسمى بالمنتظم ، في تاريخ الملوك  
والامم ، اطلمت على سير الخلق من الملوك والوزراء والعلماء والادباء والفقهاء  
والمحدثين والزهاد وغيرهم ، فرأيت الدنيا قد تلاعبت بالاكثرين تلاعبا  
أذهب أديانهم ، حتى كانوا لا يؤمنون بالعقاب . فمن الامراء من يقتل ويصادر  
ويقطع ويحبس بغير حق ثم ينخرط في سلك المعاصي كأن الامر اليه ، أو  
قد جاءه الا من من العقاب . فربما تخايل أن حفظي الرعايا يرد عني؟ وينسى أنه  
قد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب  
يوم عظيم» وقد انخرط جملة ممن يتسم بالعلم في سلك المعاصي لتحصيل  
أغراضهم العاجلة فما نفهم العلم . ورأينا خلقا من المتزهدين لنيل أغراضهم .  
وهذا لان الدنيا فسخ والناس كمصافير ، والعصفور يريد الحبة وينسى الخلق  
قد نسي أكثر الخلق ما لهم ميلا الى عاجل لذاتهم ، فاقبلوا يسامرون الهوى  
ولا يلتفتون الى مشاورة العقل ، فلقد باعوا بلذة يسيرة خيرا كثيرا ،  
واستبدلوا بشهوات مردولة عذابا عظيما ، فاذا نزل باحدهم الموت قال :  
ليتني لم أكن ، ليتني كنت ترابا ، فيقال له الآن؟ فوالسفي افانت لا يمكن  
استدراكه ، ولمرتبه لا يصح فكاكه ، ولندم لا ينقطع زمانه ، ولمعذب  
عز عليه امانه بالله . ما نفعت العقول الا لمن يلتفت اليها ويعول عليها؟  
ولا يمكن قبول مشاورها الا بعزيمة الصبر عما يشتهى . فتأمل في الامراء  
عمر بن الخطاب وابن عبد العزيز رضي الله عنهما ، وفي العلماء أحمد بن حنبل  
رحمة الله عليه . وفي الزهاد أويس القرني . لقد أعطوا الحد حقه وفهموا  
مقصود الوجود ، وما هلك الها لكون الا لقلّة الصبر عن المشتى ، وربما كان  
فيهم من لا يؤمن بالبعث والعقاب . وليس العجب من ذلك انما العجب

من مؤمن يوقن؟ ولا ينفعه يقينه ويعقل العواقب ولا ينفعه عقله .  
 ٣٥٢ - فصل - من رزق هممة عالية يعذب بمقدار علوها كما قال

الشاعر :

وإذا كانت النفوس كبارا      تعبت في مرادها الاجسام

وقال الآخر :

ولكل جسم في النحول بلية      وبلاء جسمي من تفاوت همتي  
 ويان هذا أن من علت همته طلب العلوم كلها ولم يقتصر على بعضها  
 وطلب من كل علم نهايته ، وهذا لا يحتمله البدن . ثم يرى ان المراد العمل  
 فيجتهد في قيام الليل وصيام النهار ، واجمع بين ذلك وبين العلم صعب .  
 ثم يرى ترك الدنيا ويحتاج الى ما لا بد منه ، ويحب الايثار ولا يقدر على  
 البخل ، ويتقاضاه الكرم البذل ، ويمنعه عز النفس عن الكسب ، فان  
 هوجرى على طبعه من الكرم ، احتاج وافقر وتأثر بدنه وعائلته ، وان  
 أمسك فطبعه يأبى ذلك . وفي الجملة يحتاج الى معاناة وجمع بين اضداد ،  
 فهو ابدا في نصب لا ينقضي ، وتعب لا يفرغ . ثم اذا حقق الاخلاص في  
 الاعمال زاد تعبهُ وقوى وصَبُهُ . فان هو ومن دنت همته . ان كان فقيها  
 فسئل عن حديث قال ما عرفه . وان كان محدثا فسئل عن مسألة فقهية  
 قال ما أدري . ولا يبالي إن قيل عنه مقصر . والعالى الهمة يرى التقصير  
 في بعض العلوم فضيحة قد كشفت عيبه ، وقد رأت الناس عورته ، والتقصير  
 الهمة لا يبالي بمن الناس ولا يستقبح سؤالهم ولا يأنف من رد ، والعالى  
 الهمة لا يحمل ذلك ، ولكن تعب العالى الهمة راحة في المعنى . وراحة التقصير  
 الهمة تعب وشين ان كان ثم فهم . والدنيا دار سباق الى اعلى المعالى . فينبغى

لذى الهمة أن لا يقصر في شوطه . فان سبق فهو المقصود . وان كبا جواده  
مع اجتهاده لم يُلَمَّ .

٣٥٣ - فصل - المصيبة العظمى رضى الانسان عن نفسه واقتناعه  
بعلمه . وهذه محنة قد عمت أكثر الخلق . فترى اليهودى والنصرانى يرى  
أنه على الصواب ، ولا يبحث ولا ينظر في دليل نبوة نبينا صلى الله عليه  
وسلم ، واذا سمع ما يابن قلبه مثل القرآن المعجز هرب لئلا يسمع . وكذلك  
كل ذى هوى يثبت عليه ، إما لانه مذهب أبيه واهله ، أو لانه نظر نظرا  
أولا فراه صوابا ، ولم ينظر فيما يناقضه ، ولم يباحث العلماء ليدينوا له خطأه ومن  
هذا حال الخوارج على أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه . فانهم استحسنوا  
ما وقع لهم ولم يرجعوا الى من يعلم . ولما تقيمهم عبدالله بن عباس رضى الله عنهم  
فبين لهم خطأهم رجع عن مذهبه منهم الفان وممن لم يرجع عن هواه ابن  
ملجم ، فرأى مذهبه هو الحق فاستحل قتل أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه  
ورآه ديننا حتى انه لما قطعت أعضاؤه لم يمانع ، فلما طلب لسانه ليقطع انزعج  
وقال : كيف ابقى ساعة في الدنيا لا أذكر الله . ومثل هذا ماله دواء ،  
وكذلك كان الحجاج يقول : والله ما أرجوا الخير الا بعد الموت ، هذا قوله  
وكم قد قتل من لا يحل قتله ، منهم سعيد بن جبير . وقد أخبرنا عبد الوهاب  
وابن ناصر الحافظ قالوا أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال أخبرنا الحسين  
ابن محمد النصيبى قال أخبرنا اسماعيل بن سعيد قال حدثنا أبو بكر بن الانبارى  
قال حدثنا أبو عيسى الختلى قال حدثنا أبو يعلى قال حدثنا الاصمعى قال  
حدثنا أبو عاصم عن عباد بن كثير عن قحدم قال : وجد في سجن الحجاج  
ثلاثة وثلاثون ألفا ، ما يجب على واحد منهم قطع ولا قتل ولا صلب . قلت وعموم

السلطين يقتلون ويقطعون ظنا منهم جواز ذلك ، ولو سألوا العلماء  
بينواهم . وعموم العوام يبارزون بالذنوب اعتمادا على العفو وينسون العقاب .  
ومنهم من يعتمد أنى من أهل السنة ، أو ان لى حسنات قد تنفع ، وكل  
هذا لقوة الجهل . فينبغى للانسان أن يبالغ فى معرفة الدليل ولا يساكن  
شبهته ، ولا يثق بعلم نفسه نسأل الله السلامة من جميع الافات .

٣٥٤ - فصل - وينبغى تأمله . إعلم أن الجزء بالمرصاد ان كانت

حسنة أو كانت . سيئة . ومن الاغترار أن يظن المذنب اذا لم ير عقوبة  
أنه قد سوماح وربما جاءت العقوبة بعد مدة . وقل من فعل ذنبا الا وقوبل  
عليه . قال عزوجل « من يعمل سوء يجز به » هذا آدم عليه السلام أكل  
لقمة فقد عرفتم ما جرى عليه . قال وهب بن منبه : أوحى الله تعالى اليه  
ألم اصطنعك لنفسى واحللتك دارى ، واسجدت لك ملائكتى فعصيت  
امرى ونسيت عهدى ، وعزيتى لو ملأت الأرض كلهم مثلك يعبدون  
ويسبحون فى الليل والنهار ثم عصونى لأزواتهم منازل العاصين . فترع جبريل  
التاج عن رأسه . وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه ، وجذب  
بناصيته فأهبط . فبكى آدم ثلاث مائة عام على جبل الهند تجرى  
دموعه فى أودية جبالها ، فنبتت بتلك المدامع أشجار طيبكم هذا  
وكذلك داود عليه السلام ، نظر نظرة فأوجبت عتابه وبكاءه الدائم حتى  
نبتت العشب من دموعه . وأما سليمان عليه السلام فان قوما اختصموا ،  
اليه فكان هواهم أحد الخصمين فعوقب وتغير فى أعين الناس . وكان  
يقول : اطعمونى فلا يطعم . وأما يعقوب عليه السلام : فانه يقال أنه ذبح  
عجلا بين يدى أمه . فعوقب بفراق يوسف . وأما يوسف عليه السلام

فأؤخذ بالهم . وكل واحد من إخوته ولد له اثنا عشر ولدا ، ونقص هو  
 ولدا لتلك المهمة . وأما أيوب عليه السلام فانه قصر في الانكار على ملك  
 ظالم لاجل خيل كانت في ناحيته فابتلى . وأما يونس عليه السلام فخرج  
 عن قومه بغير إذن فالتقمه الحوت . وأوحى الله عز وجل الى أرميا : ان قومك  
 تركوا الأمر الذي أكرمت به آباءهم ، وعزتي لأهيجن عليهم جنودا لا يرحمون  
 بكاءهم ، فقال : يارب هو ولد خليلك ابراهيم ، وأمة صفيك موسى ، وقوم نبيك  
 داود فأوحى الله تعالى اليه : انما أكرمت ابراهيم وموسى وداود بطاعتي ، ولو  
 عصوني لأنزاتهم منازل العاصير . ونظر بعض العباد شخصا مستحسنا فقال  
 له شيخه : ما هذا النظر ستجد غبه ، فنسى القرآن بعد أربعين سنة . وقال آخر  
 قد عبت شخصا قد ذهب بعض أسنانه فانتثرت أسناني . ونظرت الى  
 امرأة لا تحل . فنظر الى زوجتي من الأريد . وكان بعض العاقين ضرب  
 أباه وسحبه الى مكان ، فقال له الأب : حسبك الى ههنا سحبت أبي .  
 وقال ابن سيرين : عيرت رجلا بالافلاس فافلست . ومثل هذا  
 كثير . ومن أعجب ما سمعت فيه عن الوزير ابن حصير الملقب بالنظام  
 ان المقتفى غضب عليه وأمر بان يؤخذ منه عشرة آلاف دينار ، فدخل  
 عليه أهله محزونين وقالوا له : من أين لك عشرة آلاف دينار ! فقال :  
 ما يؤخذ مني عشرة ولا خمسة ولا أربعة . قالوا من أين لك قال : اني ظلمت  
 رجلا فالزمته ثلاثة آلاف فما يؤخذ مني أكثر منها . فلما أدى ثلاثة  
 آلاف دينار وقع الخلفية باطلاقة ومساعدته في الباقي . وأنا أقول عن نفسي :  
 ما زلت بي آفة أو غم أوضيق صدره إلا بزلل أعرفه حتى يمكنني أن أقول :  
 هذ بالشئ الفلاني ، وربما تأولت فيه بعد ، فأرى العقوبة . فيينفي للانسان

أن يترقب جزاء الذنوب فقل أن يسلم منه . وليجتهد في التوبة . فقد روى في الحديث ما من شيء أسرع لحاقبشيء من حسنة حديثة لذنب قديم . ومع التوبة يكون خائفا من المؤاخذة متوقعا لها ، فإن الله تعالى قد تاب على الانبياء عليهم السلام . وفي حديث الشفاعة يقول آدم ذنبي ويقول إبراهيم وموسى ذنبي . فإن قال قائل : قوله تعالى « من يعمل سوءا يجز به » خبر فهو يقتضى أن لا يجاوز عن مذهب ، وقد عرفنا قبول التوبة والصفح عن الخطئين . فالجواب من وجهين : أحدهما أن يحمل على من مات مصرا ولم يتب ، فإن التوبة تجب ما قبلها . والثاني أنه على إطلاقه . فهو الذي اختاره أنا وأستدل بالنقل والمعنى . أما النقل ، فإنه لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر : يارسو الله أو نجازى بكل ما نعمل فقال : ألسنت تمرض ، ألسنت تحزن ، أليس يصيبك اللأواء فذلك ما تجزون به . وأما المعنى فإن المؤمن إذا تاب وندم كان أسفه على ذنبه في كل وقت أقوى من كل عقوبة . فالويل لمن عرف مرارة الجزاء الدائم ، ثم آثر لذة المعصية لحظة .

٣٥٥ - فصل - تفكرت في نفسي يوما تفكرا محققا ، فحاسبته قبل أن تحاسب ، وزنتها قبل أن توزن ، فرأيت اللطف الرباني ، فبدأ الطفولة والى الآن أرى لطفا بعد لطف ، وسترا على قبيح ، وعفوا عما يوجب عقوبة وما أرى لذلك شكرا إلا باللسان . ولقد تفكرت في خطايا بالو عوقبت ببعضها لهلكت سريرا ، ولو كشف للناس بعضها لاستحييت . ولا يعتقد معتقد عند سماع هذا أنها من كبائر الذنوب ، حتى يظن في ما يظن في الفساق ، بل هي ذنوب قبيحة في حق مثلي ، وقعت بتأويلات فاسدة . فصرت اذا دعوت أقول : اللهم بمحمدك وسترك على اغفر لي . ثم طالبت نفسي بالشكر



على ذلك فما وجدته كما ينبغي . ثم انا اتقاضى القدر مراداتي ولا اتقاضى نفسى  
بصبر على مكروهه ولا بشكر على نعمة ، فأخذت أنوح على تقصيرى  
فى شكر المنعم . وكونى أتلذذ بإيراد العلم من غير تحقيق عمل به . وقد كنت  
أرجو مقامات الكبار ، فذهب العمر وما حصل المقصود . فوجدت  
أبا الوفاء بن عقيل قد ناح نحو ما نحت فاعجبتنى نياحته فكتبتها ههنا . قال  
لنفسه : يار عناء . تقويمى الالفاظ ليقال مُناظر . وثمرة هذا يا مناظر كما يقال  
للمصارع الفارة ، ضيمت أعز الأشياء وانفسها عند العتلاء ، وهى أيام العمر  
حتى شاع لك بين من يموت غدا اسم مناظر ، ويُنسَى الذاكِر والمذكور  
إذا درست القلوب . هذا ان تأخر الأمر الى موتك ، بل ربما نشأ شاب  
أفره منك فهو هو اله وصار الاسم له . والعقلاء عن الله تشاغلو بما اذا انطوا  
نشرهم وهو العمل بالعلم والنظر الخالص لنفوسهم . اف لنفسى وقد سطرت  
عدة مجلدات فى فنون العلوم وما عبق بها فضيلة . ان نوظرت شمخت ،  
وان نوصحت تعجرت ، وان لاحت الدنيا طارت اليها طيران الرخم وسقوط  
الغراب على الجيف ، فليتها أخذت أخذ المضطر من الميتة . توفر فى المخالطة  
عيوباً تبلى ولا تحتشم نظر الحق اليها . وان انكسر لها غرض تضجرت .  
فان امتدت بالنعمة اشتغلت عن المنعم . اف والله منى اليوم على وجه الارض  
وغدا تحتها ، والله ان نئن جسدى بعد ثلاث تحت التراب أقل من نئن  
خلائقى وأنا بين الاصحاب . والله اننى قد ابهرنى حلم هذا الكريم عنى  
كيف سترنى وانا انتهك ويجمعنى وأنا اتشتت . وغدا يقال : مات الخبر  
العالم الصالح . ولو عرفونى حق معرفتى بنفسى مادفونى . والله لا نادين  
على نفسى نداء المتكشفين معائب الاعداء ، ولا نوحن نوح الثالكين للاعداء

اذلا نأخ لي ينوح علي لهذه المصائب المكتومة ، واخلال المغطية التي قد  
سترها من خبرها ، وغطاها من علمها . والله ما أجد لنفسي خلة استحسن  
أن أقول متوسلا بها . اللهم اغفر لي كذا بكذا . والله ما التفت قط الا  
وجدت منه سبحانه برايكفيني ووقاية تحميني ، مع تساط الاعداء . ولا  
عرضت حاجة فددت يدي الا قضاها . هذا فعله معي وهو رب غني عني ،  
وهذا فعلي وأنا عبد فقير اليه . ولا عذر لي فاقول مادريت أو سهوت .  
والله لقد خلقني خلقا صحيحا سليما ، ونور قلبي بالفطنة ، حتى ان الغائبات  
والمكتومات تنكشف لفهمي . فواحسرتاه على عمر اتقضى فيما لا يطابق  
الرضى . واحرماني لمقامات الرجال الفطناء . يا حسرتي على ما فرطت في  
جنب الله وشماتة العدوي . واخيبة من أحسن الظن بي اذا شهدت الجوراح  
علي ، واخذلاني عند اقامة الحججة . سخر والله مني الشيطان وانا الفطن . اللهم  
توبة خالصة من هذه الاقدار . وههضة صادقة لتصفية ما بقى من الاكدار ،  
وقد جئتك بعد الحسنيين وانا من خلق المتاع . وابي العلم الا أن يأخذ بيدي  
الى معدن الكرم . وليس لي وسيلة الا التأسف والندم فوالله ما عصيتك  
جاهلا بمقدار نعمك ، ولا ناسيا لما أسلفت من كرمك فاعفر لي سالف فعلى .

### ٣٥٦ - فصل - عداوة الاقارب صعبة . وربما دامت كحرب

بكر وتغلب بنى وائل ، وعبس وذبيان ابني بغيض ، والأوس والخزرج  
ابني قبيلة . قال الجاحظ ركدت هذه الحرب اربعين عاما . والسبب في هذا  
ان كل واحد من الاقارب يكره أن يفوقه قريبه فيقع التحاسد . فينبغي  
لمن فضل على أقاربه أن يتواضع لهم . ويرفعهم جهده ، ويرفق بهم لعله يسلم .  
قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لي أقارب أصلهم فيقطعوني

فقال : فكأنما تسفهم المل ، ولن يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك .  
**٣٥٧- فصل -** رأيت كلاب الصيد اذا مرت بكلاب المحلة  
 نبحتها وبالقت وأسرت خلفها ، وكأنها تراها مكرمة مجللة فتحسدها على  
 ذلك . ورأيت كلاب الصيد حينئذ لا تلتفت اليها ولا تعيرها الطرف ولا تمد  
 نباها شيئا ، فرأيت ان كلاب الصيد كأنها ليست من جنس تلك الكلاب ،  
 لان تلك غليظة البدن كثيفة الاعضاء لا أمانة لها . وهذه لطيفة دقيقة  
 الخلقه ومعها آداب قد ناسبت خلقتها اللطيفة . وأنها تحبس الصيد على مالكتها  
 خوفا من عقابه ، أو مراعاة شكر نعمته عليها . فرأيت أن الأدب وحسن  
 العشرة يتبع لطافة البدن وصفاء الروح . وهكذا المؤمن العاقل لا يلتفت  
 الى حاسده ولا يعمده شيئا ، اذ هو في واد وذاك في واد . ذلك يحسده على  
 الدنيا ، وهذا همته الآخرة فيما بعدما بين الواديين .

**٣٥٨- فصل -** ملاحظته من أهم الاشياء : ينبغي لمن آمن بالله  
 تعالى أن يسلم له في أفعاله : ويعلم أنه حكيم ومالك ، وانه لا ينيب . فان  
 خفيت عليه حكمة فعله نسب الجهل الى نفسه ، وسلم للحكيم المالك . فاذا  
 طالبه العقل بحكمة الفعل قال : ما بان لي ، فيجب على تسليم الامر لمالكه .  
 وان اقواما نظروا بمجرد العقل الى كثير من أفعال الحق سبحانه فرأوها  
 لو صدرت من مخلوق نسب فيها الى ضد الحكمة ، فنسبوا الخالق الى  
 ذلك . وهذا الكفر المحض . والجنون البارد . والواجب نسبة الجهل الى  
 النفوس . فان العقول قاصرة عن مطالعة حكمته . وأول من فعل ذلك ابليس  
 فانه قد رآه قد فضل طينا على نار ، والعقل يرى النار أفضل فغاب  
 حكمته ، وعمت هذه المحنة خلقا ممن ينسب الى العلم وكثير من العوام

فكم قد رأينا عالما يتعرض وعاميا يرد في كفر . وهذه محنة قد شملت  
أكثر الخلق ، يرون عالما يضيق عليه وفاسقا وسع عليه . فيقولون هذا  
لا يليق بالحكمة . وقد علم العلماء أن الله تعالى قد فرض الزكوات والخراج  
والجزية والغنائم والكفارات ليستغنى بها الفقراء ، فاختص بذلك الظلمة ،  
وصانع من تجب عليه الزكاة باخراج بعضها ، فجاع الفقير . فينبغي أن  
ندم هؤلاء الظلمة ولا نعرض على من قدر الكفاية للفقراء . وقد حصل  
في ضمن هذا عقوبة الظالمين من حبسهم الحقوق ، وابتلاء الفقراء بصبرهم  
عن حظوظهم . وأكثر هؤلاء المعترضين لا يكادون يسلمون وقت خروج  
الروح من اعتراض يخرج الى الكفر فتخرج النفس كافرة . فكم عامي  
يقول : فلان قد ابتلى وما يستحق . ومعناه أنه قد فعل به ما لا يليق بالصواب  
وقد قال بعض الخلق :

أيارب تخلق أقمار ليل      واغصان بان وكشبان رمل  
وتنهي عبادك أن يمشقوا      أيا حاكم العدل ذا حكم عدل

ومثل هذا ينشده جماعة من العلماء ويستحسنونه ، وهو كفر محض . وما فهم  
هؤلاء الثلاثة القائلين لهذا ، لأنه منهي عن المشق وإنما نهى عن العمل  
بمقتضى المشق من الأشياء المحرمة كالنظر واللمس والفعل القبيح ، وفي  
الامتناع عن المشتبه دليل على وجود الناهي كصبر العطشان في رمضان  
عن الماء . فانه دليل على الايمان بوجود من أمر بالصوم . وتسليم النفوس  
إلى القتل والجهاد دليل على اليقين بالجزاء . ثم المستحسن انموزج ما قد أعد  
فأين العقل المتأمل كلا . لو تأمل وصبر قليلا لربح كثيرا : ولو ذهبت  
اذكر ما قد عرفت من اعتراض العلماء والعوام لطلال . ومن أحسن الناس

حالا في ذلك ، ما يحكي عن ابن الراوندي أنه جاع يوماً واشتد جوعه فجلس على الجسر وقد أمضت الجوع ، فمرت خيل مزينة بالحرير والديباج ، فقالوا : لعل بن بلتق غلام الخليفة . فمرت جوار مستحسنتات فقال : لمن هذه فقالوا : لعل بن بلتق . فمر به رجل فرآه وعليه أثر الضر فرمى إليه رغيفين فأخذهما ورمى بهما ، وقال هذه لعل بن بلتق . ونسى الجاهل الاحمق ما يقول ويعترض ويفعل<sup>(١)</sup> قبل هذه المجاعة . فيا معترضين وعم في غاية النقص على من لا عيب في فعله . انتم في البداية من ماء وطين ، وفي الثاني من ماء مهين ، ثم تحملوا الانجاس على الدوام . ولو حبس عنكم الهوى لصرتم جيافاً . ولو أليق<sup>(٢)</sup> منكم أهلككم . وكم من رأي يراه حازمكم فاذا عرضه على غيره تبيز له قبح رأيه . ثم المعاصي منكم زائدة في الحد . فافيكم إلا الاعتراض على المالك الحكيم . ولو لم يكن في هذه البلاوى إلا أن يراد التسليم . ولو أنه انشأ الخلق ليدلوا على وجوده ثم أهلكهم ولم يُعدهم كان ذلك له ، لانه مالك ، لكنه بفضلته وعد بالاعادة والجزاء والبقاء الدائم في النعيم . فمتى ما جرى أمر لا تعرف علتته فانسب ذلك الى قصور علمك . وقد ترى مقتولا ظلماً وكم قد قتل وظلم حتى قوبل ببعضه وقل أن يجري لأحد آفة الا ويستحقها غير أن تلك الآفات المجازي بها غائبة عنا ورأينا الجزاء . فسلم تسلم واحذر كلمة اعتراض أو اضمار ، فربما أخرجتك من دائرة الاسلام .

٣٥٩ - فصل - رأيت الناس يوم العيد فشببت الحال بالقيامة . فانهم

لما اتبهبوا من نومهم خرجوا الى عيدهم كخروج الموتى من قبورهم الى حشرهم ، فمنهم من زينته الغاية ومركبه النهاية ، ومنهم المتوسط . ومنهم المرذول ،

(١) بياض بالأصل (٢) كذلك ايضاً

وعلى هذا أحوال الناس يوم القيامة . قال تعالى « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا » أى ركبانا « ونسوق المجرمين الى جهنم وردا » أى عطاشا . وقال عليه الصلاة والسلام : يحشرون ركبانا ومشاة وعلى وجوههم . ومن الناس من يداس فى زحمة العيد . وكذلك الظلمة يطأهم الناس بأقدامهم فى القيامة . ومن الناس يوم العيد الغنى المتصدق . كذلك يوم القيامة أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة . ومنهم الفقير السائل فقد يعطى : أعددت شفاعتى لأهل الكبائر . ومنهم من لا يعطف عليه « فما لنا من شافعين ولا صديق حميم » والأعلام منشورة فى العيد . كذلك أعلام المتقين فى القيامة . والبوق يضرب . كذلك يخبر بحال العبد فيقال : يا أهل الموقف ان فلانا قد سعد بسعادة لا شقاوة بعدها ، وان فلانا قد شقي شقاوة لا سعادة بعدها ، ثم يرجعون من العيد بالخواص الى باب الحجره يخبرون بامثال الأوامر « اولئك المقربون » . فيخرج التوقيع اليهم « وكان سعيهم مشكورا » ومن هو دونهم يختلف حاله . فمنهم من يرجع الى بيت عامر « بما أسلفتم فى الأيام الخالية » ومنهم متوسط . ومنهم من يعود الى بيت قفر « فاعتبروا يا أولى الألباب »

٣٦٠ - فصل - يتضمن نصيحة للعلماء والزهاد : يا قوم قد علمتم : أن الاعمال بالنيات . وقد فهمتم قوله تعالى « ألا لله الدين الخالص » وقد سمعتم عن السلف انهم كانوا لا يعملون ولا يقولون حتى تتقدم النية وتصح . أيذهب زمانكم يا فقهاء فى الجدل والصياح ؛ وترتفع أصواتكم عند اجتماع العوام تقصدون المغالبة ؛ أو ما سمعتم . من طلب العلم ليباهى به العلماء ، أو ليمارى به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس اليه ، لم يرح راحة

الجنة : ثم يقدم أحدهم على الفتوى وليس من أهلها . وقد كان السلف يتدافعونها . ويامعشر المتزهدين انه يعلم السر وأخفى أظهرون الفقر في لباسكم وأنتم تستوفون شهوات النفوس : وتظهرون التخاشع والبكاء في الجلوات دون الخلوات . كان ابن سيرين يضحك ويقهقه فاذا خلا بكى أكثر الليل . وقال سفيان لصاحبه : ما أوقحك تصلي والناس يرونك :

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجب  
 أه للمرائي من يوم « وحصل ما في الصدور » وهي النيات . فأفيقوا  
 من سكركم . وتوبوا من زللكم . واستقيموا على الجادة « ان تقول نفس  
 يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله »

٣٦١ - فصل - رأيت جمهور الناس حائدين عن الشريعة جائزين  
 على ما ألفوا من العادة . وقد يخلص منهم فريقان علماء وعباد فتأملت  
 جمهور العلماء فرأيتهم في تخليط ، منهم من يقتصر على علم معاملات الدنيا  
 ويعرض عن معاملات الآخرة ، إما جهله بها ، أو لثقل أمرها عليه ، فهو  
 يجرى على ما يثقل عليه مما يوجب العلم ، ويتبع في الباقي العادات . وربما  
 تخايل انه يسامح في الخطايا لكونه عالما ، وقد نسي ان العلم حجة عليه .  
 ومنهم من هو واقف مع صورة العلم ، غافل عن المقصود بالعلم . وفيهم من  
 يخالط السلطان ، فيتآذى المخالط بما يرى من الذنوب والظلم ولا يمكنه  
 الانكار ، وربما مدح . ويتآذى السلطان فيقول : لولا اني على صواب  
 ما جالسنى هذا . ويتآذى العوام فيقولون : لولا ان أمر السلطان قريب  
 ما خالطه هذا العالم . ورأيت الأشراف يثقون بشفاعة آبائهم وينسون ان  
 اليهود من بني اسرائيل . وأما الفريق الثاني وهم العبادة رأيت أكثرهم

في تخليط . أما الصحيحو القصده منهم فعلى غير الجادة في اكثر عملهم ،  
 قد وضع لهم جماعة من المتقدمين كتباً فيها دفاين قبيحة ، وأحاديث غير صحيحة ،  
 ويأمرون فيها بأشياء تخالف الشريعة ، مثل كتب الحرث المحاسبى ، وابى  
 عبد الله الترمذى ، وقوت القلوب لأبى طالب المسكى ، وكتاب الأحياء  
 لابى حامد الطوسى ، فاذا فتح المبتدى عينه وهم بسلك الطريق بهذه  
 الكتب فحملته الى الخطايا ، لأنهم قد بنوا على أحاديث محالة ويذمون  
 الدنيا ولا يدرون ما المذموم منها ، فيتصور المبتدى ذم ذات الدنيا ، فيهرب  
 المنقطع الى الجبل ، وربما فاتته الجماعة والجمعة ، ويقتصر على البلوط والكمثرى  
 فيورثه القولنج . ويقنع بعضهم بشرب اللبن فينحل الطبع ، أو يأكل الباقلاء  
 والمدس فيحدث له قراقر . وإنما ينبغى لقاصد الحج أن يرفق أولاً بالناقة  
 ليصل . ألا ترى للفظن من الاتراك بهم بفرسه قبل تحصيل قوت نفسه .  
 وربما تصدى القاصد شرح احوال قوم من السلف والمتزهدين فيتبعهم  
 المرید فيتأذى بذلك ومتى رددنا ذلك المنقول وبيننا خطأ فاعله قال الجهال :  
 أترد على الزهاد . وإنما ينبغى اتباع الصواب ولا ينظر الى أسماء المعظمين  
 فى النفوس . فانا نقول : قال أبو حنيفة ثم يخالفه الشافعى ، وإنما ينبغى أن  
 يتبع الدليل . قال المروزى : مدح أحمد بن حنبل النكاح فقلت له قد قال :  
 ابراهيم بن آدم فصاح وقال : وقعنا فى بنيات الطريق ، عايك بما كان عليه  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وتكلم أحمد فى الحرث المحاسبى  
 ورد على سرى السقطى حين قال : لما خلق الله الحروف وقف الالف وسجدت  
 الياء . فقال : نقرّوا الناس عنه . فالحق لا ينبغى أن يحاسبى ، فإنه جد وانى أرى  
 أكثر الناس قد حادوا عن الشريعة ، وصار كلام المتزهدين كأنه شريعة



لهم ، فيقال : قال أبو طالب المسكي : كان من السلف من يزن قوته بكَرْبَةٍ  
 فينقص كل يوم ، وهذا شيء ما عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه  
 وإنما كانوا يأكلون دون الشبع . فاما الحمل على النفس بالجوع فممنه عنده .  
 ويقول قال داود الطائي لسفيان : اذا كنت تشرب الماء البارد متى تحب  
 الموت ، وكان ماؤه في دن . وما علم أن للنفس حظا ، وان شرب الماء الحار  
 يرهل المعدة ويؤذي ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبرد الماء  
 ويقول آخر منهم : منذ خمسين سنة اشتهى الشوا ما صفالي درهمه . ويقول  
 آخر : اشتهى أن أغمس جزرة في دبس فما صح لي . أتراهم ارادوا حبة منذ  
 خرجت من المعدن ما دخلت في شبهة ؛ هذا شيء ما نظر فيه رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وان كان الورع حسنا ولكن لا على حمل المشاق الشديدة . وهذا  
 بشر الحافي يقول لا أحدث لانى اشتهى ان أحدث . وهذا تعليل لا يصلح ،  
 لان الانسان مأمور بالنكاح ، وهو من أكبر المشتهى . وكان بشر حافيا  
 حتى قيل له الحافي ، ولو ستر أمره بنعلين كان أصاح ، والحفا يؤذى العين ،  
 وليس من امر الدنيا في شيء . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعلان  
 وما كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه على ما المتزهدون  
 عليه اليوم . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ويمزح ويختار  
 المستحسنات ويسابق عايشة رضى الله عنها . وكان يأكل اللحم ، ويجب  
 الحلوى ، ويستعذب له الماء . وعلى هذا كان طريقة أصحابه . فأظهر المتزهدون  
 طرائق كأنها ابتداء شريعة ، وكأها على غير الجادة . ويحتجون بقول المحاسبي  
 والمسكي ، ولا يحتج أحد منهم بصحابي ولا تابعي ولا بإمام من أئمة الاسلام  
 فان رأوا علما لبث ثوبا جميلا أو تزوج مستحسنة أو أفرط بالنهار أو ضحك

عابوه . فينبغي أن يعلم أن أكثر من صح قصده منهم على غير الجادة لقلة علمهم ، حتى أن بعضهم يقول : منذ ثمانين سنة ما اضطجعت . ويقول آخر : حلفت لا أشرب الماء سنة ، وهؤلاء على غير الصواب ، فان للنفس حقاً ، فأما من ساء قصده ممن نافق ورا آ لا اجتلاب الدنيا وتقييس الابدى فلا كلام معه ، وهم جمهور المتصوفة ، فانهم رفعوا الثياب الملونة ليراع الناس بعين الترك للزينة ، وما معهم أحسن من السفلاطون . وانما رقع القدماء للفقر . فهم في اللذات وجمع المال وأخذ الشبهات واستعمال الراحة واللعب ومخالطة السلاطين . وهؤلاء قد كشفوا القناع وباينوا زهد أوانهم ، بلى . أعجب منهم من ينفق عليه .

٣١٢ - فصل - ان الله عز وجل جعل أحوال الآدمي امثلة ليمتبر بها . فن أمثلة أحواله القمر الذي يبتدىء صغيراً ثم يتكامل بدراً ، ثم يتناقص بانحسار . وقد يطرأ عليه ما يفسده كالكسوف . فكذلك الآدمي أوله نطفة ، ثم يترقى من الفساد الى الصلاح . فاذا تم كان بمنزلة البدر الكامل ثم تتناقص أحواله بالضعف فربما هجم الموت قبل ذلك هجوم الكسوف على القمر . قال الشاعر :

والمرء مثل هلال عند طلعه  
يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتسق

يزداد حتى اذا ماتم أعقبه  
كرالجد يدين نقصاً ثم ينمحق

ومن أمثلة حاله ، دود القز فانه يكون حياً الى أن يبتدىء نبات قوته وهو ورق الفرصاد ، فاذا اخضر الورق دبب الروح فيه ثم ينتقل من حال الى حال كاتقال الطفل . ثم يرقد كغفلة الآدمي عن النظر في العواقب ثم ينتبه فيحرص على الاكل كحرص الشره على تحصيل الدنيا ثم يسدى

على نفسه كما يحطب الآدمي الاوزار على دينه ، فيرتهن في ذلك الحبس  
كما يرتهن الميت في قبره . ثم يقرض فيخرج خلقا آخر كما تنشر الموتى غرلاً  
بهماً وقد دله على البعث تكوّن النطفة كالميت . ثم تصير آدميا والقاء الحب  
تحت الارض فيفسد ثم يهتز خضرا .

اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

٣٦٣ - فصل - انما فضل العقل بتأمل العواقب . فأما القليل العقل  
فانه يرى الحال الحاضرة ، ولا ينظر الى عاقبتها ، فان اللص يرى أخذ المال  
وينسى قطع اليد . والبطال يرى لذة الراحة وينسى ما تجني من فوات العلم  
وكسب المال فاذا كبر فسئل عن علم لم يدر ، واذا احتاج سأل فذل ، فقد  
أربا ما حصل له من التأسف على لذة البطالة . ثم يفوته ثواب الآخرة  
بترك العمل في الدنيا . وكذلك شارب الخمر ، يلتذ تلك الساعة وينسى  
ما يجني من الآفات في الدنيا والآخرة . وكذلك الزنا ، فان الانسان يرى  
قضاء الشهوة ، وينسى ما يجني منه فضيحة الدنيا والحد ، وربما كان للمرأة  
زوج فألحقت الحمل من هذا به وتسلسل الأمر . فقس على هذه النبذة  
وانتبه للعواقب ، ولا تؤثر لذة تفوّت خيرا كثيرا ، وصابر مشقة تحصل  
ربحا وافرا .

٣٦٤ - فصل - ليس في الدنيا عيش الا لعالم أو زاهد . بلي ، قديع  
في صفا حالهما كدر . وهو أن العالم يشتغل بالعلم أو بالانقطاع عن الكسب ،  
وقد يكون له عائلة ، وربما تمرّض بالسلطان ففسد حاله . وكذلك الزاهد  
فينبغي للعالم والعابد أن يحركا في معاش كنسج بأجرة أو عمل الخوص  
أو إن فتح له بشيء واقتنع باليسير ، فلا يستعبده أحد . كما كان أحمد بن

حنبل له اجرة لعلها لا تبلغ ديناراً يتقوت بها . ومتى لم يقنع أفسدت مخالطة  
السلطين والعوام دينه . وفي الناس من يريد التوسع في المطامع . ومنهم  
من لا يوافق خشن العيش . وهيهات أن يصح الدين مع تحصيل اللذات .  
واذا قنع العالم والزاهد بما يكفى ، لم يتبدل للسلطان ولم يستخدم بالتردد  
الى بابه . ولم يحتج الزاهد الى تصنع ، والعيش اللذيذ للمنقطع الذى لا يتبدل  
به ولا يحمل منه .

٣٦٥- فصل - ما أكثر تفاوت الناس في الفهوم ، حتى العلماء  
يتفاوتون التفاوت الكثير في الاصول والفروع . فترى أقواماً يسمعون  
أخبار الصفات فيحملونها على ما يقتضيه الحسن كقول قائلهم : ينزل  
بذاته الى السماء وينتقل . وهذا فهم ردىء ، لان المنتقل يكون من مكان  
الى مكان ويوجب ذلك كون المكان أكثر منه ويلزم منه الحركة وكل ذلك  
محال على الحق عز وجل . وأما في الفروع فكما يروى عن داود أنه قال في  
قوله : لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه . فقال : ان بال غيره جاز  
فما يفهم المراد من التنجيس بل يأخذ بمجرد اللفظ وكذلك يقول : لحم  
الخنزير حرام لا جلده نعوذ بالله من سوء الفهم وكذلك يتفاوت الشعراء  
الذين شغلهم التفطن لدقائق الاحوال كقول قائلهم :

لنا الجففات الفر يامن بالضحى      واسياقنا في الحرب يقطرن من دما  
والجففات عدد يسير فلو قال الجفان لكان أبلغ . ولو قال بالدجى لكان  
أحسن . ويقطرن دليل على القلة وكذلك قول القائل :

هما العطر والفراس يعلو      هالجين منظوم ولؤلؤ

وهذا قاصر ، فانه لو فعلت هذا سوداء لحسنها . إنما المادح هو القائل :

ألم ترأني كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب  
وكذا قول القائل:

أدعو الى هجرها قلبي فيتبعني حتى اذا قلت هذا صادقا نزعا  
ولو كان صادقا في المحبة لما كان له قلب يخاطبه . واذا خاطبه في الهجر  
لم يوافقه . انما المحب الصادق هو القائل :

يقولون اوعابت قلبك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوب  
ومثل هذا اذا نوقش كثير . فأقل موجود في الناس الفهم والنوص على  
دقائق المعاني .

٢٦٦ - فصل - من تأمل الدنيا علم أنه ليس فيها لذة أصلا ، فان  
وجدت لذة شيبت بالنقص التي تزيد على اللذة اضعافا . فن اللذات النساء .  
فربما تثبت المستحسنة ، وربما لم تحب الزوج ، فتى علم ذلك تعزل عنها ،  
وربما خانت ، وذلك الهلاك . فان تمت المرادات فذكر الفراق زائد في التألم  
على الالتذاذ . ومن اللذات الولد ومقاسات البنت إلى أن تزوج ، وماتلق  
من زوجها وخوف عارها محن قبيحة . والابن ان مرض ذاب الفؤاد ،  
وإن خرج عن حد الصلاح زاد الاسف ، وإن كان عدوا فإراة هلاك  
الأب ، ثم إن تم المراد فذكر فراقه يذيب القلوب . ولو أن فاسقا أحب  
بعض المراد أنهتك عرضه في الدنيا وذهب دينه ، ثم لا يلبث أن تتغير حليته  
فيصير مبنغوضا مع ماسبق من الهتك والاثم . وم قد غلبت شهوة رجل  
وطى الجوارى السود فجاء الولد أسود فبقي عارا عليه . ومن هذا الجنس  
الالتذاذ بالمال ، وفي تحصيله آثام ، وفراقه حسرة ، وذهاب العمر فيه غيبنة .  
وهذا النموذج لما لم يذكر فينبغي لمن وفقه الله سبحانه أن يأخذ الضروري

الذي يميل إلى سلامة الدين والبدن والعاقبة، ويهجر الهوى الذي نغصه  
تضاعف على لذته، ومن صبر على ما يكره قصد النفع في العاقبة التضاعفاً،  
كطالب العلم فانه يتعب يسيراً وينال خير الدارين مع سلامة العاقبة. ولذة  
البطالة تعقب عدم العلم والعمل فيزيد الأذى على اللذة أضعافاً. فإله الله  
أن يغلبك هو الكعاجل. ومتى هم الهوى بالتوئب فامنعه وزن عاجله بأجله.  
وما يتذكر إلا أولو الالباب.

٣٦٧ - فصل - رأيت ابليس قد احتال بفنون الحيل. على الخلق  
ومال أكثرهم عن العلم الذي هو مصباح السالك، فتركهم يتخبطون في  
ظلمات الجهل، وشغلهم بأمور الحسن، ولا يلتفتون إلى مشورة العقل.  
فاذا ضاق بأحدهم عيشه أو نكب اعترض فكفر. فتمهم من ينسب ذلك  
إلى الدهر. ومنهم من يسب الدنيا. وهذا تسقيف لأن الدهر والدنيا  
لا يفعلان وإنما هو عيب للمقدر. ومنهم من يخرج الأمر إلى حجد الحكمة،  
فيقول أي فائدة في نقض المبنى. وزعم بعضهم أنه لا يتصور عود المنقوض،  
وانكروا البعث. ويقولون ما جاء من ثم أحد. ونسوا أن الوجود ما انتهى  
بعد ولو حلفت لصار الإيمان بالغيب عياناً، ولا يصلح أن يدل على الأحياء  
بالأحياء، ثم نظر ابليس فرأى في المسلمين قوماً فيهم فطنة فأراهم أن الوقوف  
على ظواهر الشريعة حالة يشاركون فيها العوام. فحسن لهم علوم الكلام  
وصاروا يحتجون بقول بقراط وجالينوس وفيثاغورس، وهؤلاء لبسوا  
بمشرعين ولا تبعوا نبينا صلى الله عليه وسلم. إنما قالوا بمقتضى ماسولت  
لهم أنفسهم. وقد كان السلف إذا نشأ لأحدهم ولد شغلوه بحفظ القرآن  
وسماع الحديث، فثبت الإيمان في قلبه. فقد تواني الناس عن هذا فصار

الولد الفطن يتشاغل بعلوم الأوائل وينبذ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ويقول أخبار آحاد . وأصحاب الحديث عندهم يسمون حشوية . ويعتقد هؤلاء ان العلم الدقيق علم الظفرة والهيولى والجزء الذى لا يتجزأ ، ثم يتصاعدون إلى الكلام في صفات الخالق ، فيدفعون ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواقعاتهم ، فيقول المعتزلة ان الله لا يرى لأن المرئى يكون في جهة ، ويخالفون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انكم ترون ربكم كما ترون القمر لاتضامون في رؤيته . فأوجب هذا الحديث ايثار رؤيته وإن عجزنا عن فهم كيفيتها . وقد عزل هؤلاء الاغبياء عن التشاغل بالقرآن ، وقالوا مخلوق ، فزالت حرمة من القلوب . وعن السنة وقالوا أخبار آحاد . وانما مذاهبهم السرقة من بقراط وجالينوس . وقد استفاد من تبع الفلاسفة انه يرفه نفسه عن تعب الصلاة والصوم ، وقد كان كبار العلماء يذمون علم الكلام ، حتى قال الشافعى : حكى فيهم أن يركبوا على البال ويشهروا ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واشتغل بالكلام . وقد آل بهم الأمر الى ان اعتقدوا أن من لم يعرف تحرير دليل التوحيد فليس بمسلم . فإله الله من مخالطة المبتدعة . وعليكم بالكتاب والسنة ترشدوا .

٣٦٨ - فصل - رأيت العادات قد غلبت الناس في تضييع الزمان وكان القدماء يحذرون من ذلك . قال الفضيل : أعرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة . ودخلوا على رجل من السلف فقالوا اعلنا أشغلناك فقال : أصدقكم كنت أقرأ فتركت القراءة لأجلكم . وجاء رجل من المتعبدین الى سرى السقطى فرأى عنده جماعة فقال : صرت مناخ البطالين ، ثم مضى

ولم يجلس ومتى لأن المزور طمع فيه الزائر، فأطال الجلوس فلم يسلم من أذى. وقد كان جماعة قعودا عند معروف فأطالوا فقال: ان ملك الشمس لا يفتري سوقها أفتا تريدون القيام. وممن كان يحفظ اللحظات عامر بن عبد قيس. قال له رجل قف أكلفك، قال: فأمسك الشمس. وقيل لسكر بن وبرة: لو خرجت الى الصحرا، فقال: يبطل الزوجار. وكان داود العلاء يستف الفتيت ويقول: بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية. وكان عثمان الباقلوي دائم الذكر لله تعالى، فقال اني وقت الافطار أحس بروحي كأنها تخرج لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر. وأوصى بعض السلف أصحابه فقال: اذا خرجتم من عندي فنفروا لعل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه. ومتى اجتمعتم تحدثتم. واعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة، فان في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له بها نخلة في الجنة. فكم يضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل. وهذه الايام مثل المزرعة، فكأنه قيل للانسان. كلما بذرت حبة أخرجنا لك الف كرا، فهل يجوز للماعل ان يتوقف في البذر ويتوانى. والذي يمين على اغتنام الزمان الانفراد والعزلة مهما امكن، والاختصار على السلام او حاجة مهمة لمن يلقى وقلة الأكل، فان كثرت سبب النوم الطويل وضياح الليل. ومن نظر في سير السلف وآمن بالجزء بان له ما ذكرته.

٣٦٩ - فصل - في معاشره النساء. ينبغي للماعل ان يتخير امرأة

صالحة من بيت صالح يغلب عليه الفقر ل ترى ما ياتها به كثيرا وليتزوج من يقاربه في السن. فاما الشيخ فانه اذا تزوج صبوية أذاها، وربما فجرت أو قتلتها



أولت الطلاق وهو يجها فيتأذى . وليتم تقصه بحسن الاخلاق وكثرة النفقة . ولا ينبغي للمرأة أن تقرب من زوجها كثيرا فتمل ، ولا تبعده عنه فينساها . ولتكن وقت قربها اليه كاملة النظافة متحسنة ، ولتحذر أن يرى فرجها او جسمها كله فان جسم الانسان ليس بمستحسن . وكذلك ينبغي ان لا يربها جسمه وانما الجماع في الفراش . ورأى كسرى يوما كيف يسلم الحيوان ويطبخ فتقلبت نفسه ونفى اللحم . فذكر ذلك لوزيره . فقال : أيها الملك ، الطبخ على المائدة . والمرأة في الفراش . ومنه لا تفش على ذلك . قالت عائشة رضی الله عنها : ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رآه مني ، وقام ليلة عريانا فما رأيت جسمه قبلها . وهذا الحزم ، وكذلك يعيب الرجل المرأة لانه لم يرضها . وليكن للمرأة فراش وله فراش . فلا يجتمعان الا في حال الكمال . ومن الناس من يستهين بهذه الاشياء فيرى المرأة متبذلة تقول هذا أبو أولادي : ويتبدل هو فيرى كل واحد من الآخر مالا يشتهي فينفر القلب وتبقى المعاشرة بغير المحبة . وهذا فصل ينبغي تأمله والعمل به فانه أصل عظيم .

### ٢٧٠ - فصل - لا عيش في الدنيا الا للقنوع باليسير ، فانه كلما

زاد الحرص على فضول العيش زاد الهم وتشتت القلب ، واستعبد العبد . وأما القنوع فلا يحتاج الى مخالطة من فوقه ولا يبالي بمن هو مثله ، اذ عنده ما عنده . وان أقواما لم يقنعوا وطلبوا الذيد الميش فأزروا بدينهم وذلوا غيرهم . وخصوصا أرباب العلم فانهم ترددوا الى الامراء فاستعبدوهم ورأوا المنكرات فلم يقدرروا على انكارها ، وربما مدحوا الظالم اتقاء لشره . فالذي نالهم من الذل وقلة الدين اضعاف ما نالوا من الدنيا . ومن أقبح الناس حالا

من تعرض للقضاء والشهادة ولقد كانت امرتبتين حسنتين وكان عبد الحميد  
القاضي لا يجاني . فبعث الى المعتضد ، وقال له : قد استأجرت وقوفاً فأد  
أجرتها ففعل . وقال له المعتضد : قد مات فلان ولنا عليه مال ، فقال : أنت  
تذكر ما وليتني قلت لي : قد أخرجت هذا الأمر من عنقي ووضعت في عنقك  
ولا أقبل هذا الا بشاهدين ، وكذلك كان الشهود . دخل جماعة على بعض  
الخلفاء فقال الخادم : اشهدوا على مولانا بكذا فشهدوا ، فتقدم المجذوعي  
الى الستر فقال : يا أمير المؤمنين أشهد عليك بما في هذا الكتاب فقال :  
اشهد ، قال انه لا يكفي في ذلك ، لا أشهد حتى تقول نعم ، قال نعم : فاما في زماننا  
فتغيرت تلك القواعد من الكل ، خصوصاً من يتقرب بالمال ليستشهد فتراه  
يُسحب ليشهد على ما لا يرى قال لي أبو المعالي بن شافع : كنت أحمل الى  
بعض أهل السواد وهو محبوب وأشهد عليه : وأعلم أنه لولا انه مكره لجاء  
اليّ بقدميته . وأنا استغفر الله من ذلك . وليس للشهود جناية فيحملون  
ذلك لاجلها ، وانما الذي يحصل جر الطيلسان ، وطرق الباب ، وقول المعروف :  
حرس الله نعمتك شهادة . ولما قيل لابراهيم النخعي : تكون قاضياً ، لبس  
قميصاً أحمر وجلس في السوق . فقالوا هذا لا يصلح . ودخل بعض الكبار  
على الرشيد وقد أحضره ليوليه القضاء فسلم وقال له : كيف أنت وكيف  
الصبيان فقيل هذا مجنون . فيا لله جنون هو العقل . وما أظن الايمان  
بالآخرة الا منزلاً في أكثر القلوب . نسأل الله سبحانه سلامة للدين  
فانه قادر .

٣٧١ - فصل - قد تكرر معناه في هذا الكتاب ، إلا أن إعادته  
على النفوس مهمة لئلا يُغفل عن مثله . ينبغي للمؤمن أن يعلم أن الله سبحانه

مالك حكيم لا يعيبث . وهذا العلم يوجب نفي الاعتراض على القدر . وقد  
طهح خلق بالاعتراض قدحا في الحكمة ، وذلك كفر . وأولهم ابليس في  
قوله : « خلقتني من نار و خلقتك من طين » ومعنى قوله أن تفضيالك الطين  
على النار ليس بحكمة . وقد رأيت من كان فقيها دأبه الاعتراض ، وهذا  
لأن المعترض ينظر الى صورة الفعل ولو أن صورة الفعل صدرت من مخلوق  
مثلنا حسن أن يعترض عليه . فاما من نقصت الافهام عن مطالعة حكمته  
فاعترض الناقص الجاهل عليه جنون . فاما اعتراض الخلاء فدائم ، لأنهم  
يريدون جريان الأمور على أغراضهم ، فمتى انكسر لأحدهم غرض  
اعترض . وفيهم من يتعمد الى ذكر الموت فيقول : بنى ونقض وكان لنا  
رفيق قرأ القرآن والقرآت وسمع الحديث الكثير ثم وقع في الذنوب وعاش  
أكثر من سبعين سنة فلما نزل به الموت ذُكر لي أنه قال : قد ضاقت الدنيا  
إلا من روحى . ومن هذا الجنس سمعت شخصا يقول عند الموت : ربى يظلمنى ،  
وهذا كثير . ويكره أن يحكى كلام الخلاء في جنونهم واعتراضاتهم  
الباردة . ولو فهموا أن الدنيا ميدان مسابقة ومارستان صبر ليبين بذلك أثر  
الخالق لما اعتراضوا . والذي طلبوه من السلامة وبلوغ الاغراض أمامهم  
لو فهموا فهم كالزور جارى يتلوث بالطين فاذا فرغ لبس ثياب النظافة . ولما  
أريد نقض هذا البدن الذى لا يصلح للبقاء نحيت عنه النفس الشريفة ثم بُنى  
بناء يقبل الدوام . وبعد هذا فقل للمعترض : « فليمدد بسبب الى السماء ثم  
ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » قل له إن اعتراض لم يمنع ذلك  
جريان القدر وإن سلم جرى القدر ، فلأن يجرى وهو مأجور خير من  
أن يجرى وهو مأزور . وما أحسن سكوت وضاح البين لما اختبا في صندوق

فقال السلطان : أيها الصندوق ان كان فيك ما نظن فقد محونا أثرك ، وان لم يكن فليس بدفن خشب من جناح ، فلو أنه صاح ما انتفع بشيء ، ولربما أخرج فقتل أقبح قتلة .

٣٧٢ - فصل - من تلمح أحوال الدنيا علم أن مراد الحق سبحانه اجتنابها . فن مال الى مباحها ليلتذوحد مع كل فرحة ترحه ، والى جانب كل راحة تعباً . وآخر كل لذة نقصاً يزيد عليها . ومارفع شيء من الدنيا إلا ووضع . أحب الرسول صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها فجاء حديث الافك ، ومال الى زينب ، فجاء : « فلما قضى زيد منها وطرا » ثم يكفى أنه إذا حصل محبوبه فمبين العقل ترى فراقه فيتنفص عند وجوده كما قال الشاعر :

أتم الحزن عندى فى سرور      تيقن عنه صاحبه انتقالاً

فيعلم العاقل أن مراد الحق بهذا التكدير التنفير عن الدنيا ، فيبقى أخذ البلغة منها ضرورة ، وترك الشواغل ، فيجتمع لهم فى خدمة الحق ، ومن عدل عن ذلك ندم على القوات .

٣٧٣ - فصل - العاقل يدبر بمقله عيشته فى الدنيا ، فان كان فقيراً اجتهد فى كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق . وقلل العلائق واستعمل القناعة فماش سليماً من منن الناس عزيزاً بينهم . وان كان غنياً فينبغى له أن يدبر فى نفقته خوف أن يفتقر فيحتاج الى الذل للخلق . ومن البلية أن يبذر فى النفقة ويباهى بها ليكمد الاعداء كأنه يتعرض بذلك إن أكثر لاصابته بالمين . وينبغى التوسط فى الاحوال ، وكتمان ما يصلح كتماناً ، ولقد وجد بعض الفساليين ما لا فاكثر النفقة فعلم به فأخذ منه المال ، وعاد الى الفقر . وانما التدبير حفظ المال . والتوسط فى الانفاق .

وكتمان مالا يصلح اظهاره . ومن الغلط اطلاع الزوجة على قدر المال . فانه ان  
 كان قليلا هان عندها الزوج . وان كان كثيرا طلبت زيادة الكسوة والحلى .  
 قال الله عز وجل : «ولا توتوا السفهاء أموالكم» وكذلك الولد . وكذلك الاسرار ،  
 ينبغي أن تحفظ منها ومن الصديق . فربما انقلب فقد قال الشاعر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف مرة

فلربما انقلب الصديق فكان اعلم بالمضرة

بحمد الله تعالى قد نبجز ما توخاه الفكر الفاتر من تقييد ما جمعه القلم من

صيد الخاطر . مقتصر فيه على ما به التخلي من الامراض النفسية . والتخلي

بالآداب الشرعية . والاخلاق المرضية . جعله الله تعالى خيرا هاد على منبر الوعظ

والارشاد . وانفع كتاب تجلى في مرابا الظهور لهداية العباد .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه وسلم



في قوله ان الله يريد اخذ الجزية من كل طائفة منهم  
 في الاخرة وما جعلت الجزية عليهم الا ما استطاعوا  
 ولا يريد الله ان يثقل بكم اعباءه بل يريد ان يخففها  
 عنكم لان الله خفيف الهمم  
 في قوله ان الله يريد اخذ الجزية من كل طائفة منهم  
 في الاخرة وما جعلت الجزية عليهم الا ما استطاعوا  
 ولا يريد الله ان يثقل بكم اعباءه بل يريد ان يخففها  
 عنكم لان الله خفيف الهمم  
 في قوله ان الله يريد اخذ الجزية من كل طائفة منهم  
 في الاخرة وما جعلت الجزية عليهم الا ما استطاعوا  
 ولا يريد الله ان يثقل بكم اعباءه بل يريد ان يخففها  
 عنكم لان الله خفيف الهمم



في قوله ان الله يريد اخذ الجزية من كل طائفة منهم  
 في الاخرة وما جعلت الجزية عليهم الا ما استطاعوا  
 ولا يريد الله ان يثقل بكم اعباءه بل يريد ان يخففها  
 عنكم لان الله خفيف الهمم  
 في قوله ان الله يريد اخذ الجزية من كل طائفة منهم  
 في الاخرة وما جعلت الجزية عليهم الا ما استطاعوا  
 ولا يريد الله ان يثقل بكم اعباءه بل يريد ان يخففها  
 عنكم لان الله خفيف الهمم  
 في قوله ان الله يريد اخذ الجزية من كل طائفة منهم  
 في الاخرة وما جعلت الجزية عليهم الا ما استطاعوا  
 ولا يريد الله ان يثقل بكم اعباءه بل يريد ان يخففها  
 عنكم لان الله خفيف الهمم

مغرة المصنفة	مغرة الفصل
١	١
	خطبة الكتاب وأسباب التأليف
	قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة
	عدم دوام اليقظة بعد الموعظة يرجع لسببين
	أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر
٢	٢
	جواذب الطبع الى الدنيا كثيرة
	جواذب الطبع الى الدنيا أكثر وأقوى من جواذب الآخرة
٣	٣
	من عين بعين بصيرته تناهى الامور في بدايتها نال خيرها الخ
	صرارة الحميرات على التفريط تغلب حلاوة اللذات
٤	٤
	من تفكر عواقب الدنيا أخذ الحذر
	أعجب المعائب سرورك بفرورك وسهوك في لهوك الخ
	من قارب الفتنة بمدت عنه السلامة الخ
٤	٤
	أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقب بالعقوبة الخ
	تدبرت أحوال العلماء والمتزهدين وعقوباتهم
	أول عقوباتهم اعراضهم عن الحق شغلا بالخلق
	من خفي عقوباتهم سلب حلاوة المناجاة ولذة التعبد الخ
	من علامة كمال العقل علو الهمة الخ
	سبحان من سبقت محبته لاجبابه
٥	٥
	الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله الخ
	العاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه الخ

نمرة الفصل	نمرة العجيفة
١٠	٥
١١	٦
١٢	
١٣	٧
١٤	٨
١٥	٩
١٦	١٠
١٧	١١
١٨	١٢
١٩	١٣

خطرت لى فكرة فيما يجرى على كثير من العالم من المصائب الخ

تأملت التحاسد بين العلماء فرأيت منشأه حب الدنيا الخ

علماء الآخرة يتواددون ولا يتحاسدون

كانوا يتدافعون الفتوى ويحبون الخمول

من أحب تصفية الاحوال فليجتهد

تفكرت يوما فى التكليف فرأيت ينقسم الى سهل وصعب

من المستصعب النظر والاستدلال الموصلان الى معرفة الخالق

ينبغى للانسان أن يعرف شرف زمانه وقد روقته الخ

وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات

رأيت من أعظم حيل الشيطان ومكره أن يخبط أرباب

الأموال بالآمال

تأملت أحوال الفضلاء فوجدتهم فى الاغلب قد بنحسوا من

حظوظ الدنيا

الدنيا انما تراد لتمبر لا لتعمر

حظوظ الآدمى من مستلذات الدنيا بخوسة بالنسبة للحيوان

تأملت إقدام العلماء على شهوات النفس المنهى عنها فرأيتها

مرتبة تراحم الكفر

من تأمل افعال البارى سبحانه وآه على قانون العدل الخ

تأملت أحوال الصوفية والزهاد فوجدت أكثرها منحرفا



عن الشريعة الخ	غرة الفصل	غرة الحقيقة
اما المطعم فالمراد منه تقوية البدن لخدمة الله عز وجل كان النبي صلى الله عليه وسلم ياكل ما وجد وانما يكره الاكل فوق الشبع واللبس على وجه الاختيال والبطار ينبغي للانسان ان يتبع الدليل لان يتبع طريقا ثم يتطلب له الدليل وقد كان يستعذب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء ما يروى عن جماعة أنهم دفنوا كتبهم منهم يوسف بن أسباط		١٤
٢٠ قد أشكل على الناس أمر النفس وما هيتهما الخ مذهب أهل الحق أن لها وجودا بعد موتها الخ الصواب أن النفس تخرج بعد الموت الى نعيم أو عذاب الخ		٢١
٢١ قلت يوما في مجلس لو أن الجمال حملت ما حملت لعجزت من ظن أن التكاليف سهلة فما عرفها أصعب التكاليف فيما لا يعلم العقل معناه كإيلام الأطفال الخ		٢٢
٢٢ تأملت أمر الدنيا والآخرة فوجدت حوادث الدنيا طبيعية وحوادث الآخرة إيمانية .		٢٥
عليك بالعزلة والذكر والنظر في العلم الخ		
٢٣ تأملت حرص النفس على ما منعت منه فرأيت حرصها يزيد عن قدر قوة المنع السبب في ذلك راجع الى امرين		

نمرة الصحيفة	نمرة النصل	
٢٦	٢٤	لا زالت نفسى تنازعنى بما يوجبہ مجلس الوعظ الخ محاورة مقنعة مع ابليس فى الزهد ميل النفس الى التزهد لسبيين
٢٨	٢٥	تأملت المراد من الخلق فاذا هو الذل الخ
	٢٦	تأملت قوله تعالى يحبهم ويحبونه مبحث فى محبة العلم والعمل « فى محبة الله تعالى واسبابها
٣٠	٢٧	تأملت حالة عجيبة الخ مبحث فى أن فعال الخالق حيرت العقول
٣١	٢٨	تأملت فى فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه مبحث فى أن النسل خلف عن الأصل فى حكمة وضع الشهوة فى الانسان
		مبحث فى أن وجود الخلل فى المنكوح يوجب اضطرابا فى خروج المني
٣٢		فى أسباب وجود الاضطراب فى أحوال المولود فى حكمة كراهة نكاح الأقارب
	٣٣	مبحث من اراد نجابة الولد وقضاء الوطر فليتخير المنكوح مطلب فى التوراة كل تزويج على غير هدى حسرة وندامة الى يوم القيامة

مطلب من قدر على امرأة سالحة في الصورة والمعنى فليغض عن عوراتها	٢٩	٣٥	عمرة الصحيفة الفصل
في وصايا مستحسنة لمريد الزواج وتعداد الزوجات			
كل شيء خلقه الله في الدنيا فهو نموذج ما في الآخرة الخ	٢٩	٣٥	
مبحث في المعاصي وما يترتب عليها والمطاعات وما يترتب عليها			
مطلب قال الحكماء المعصية بعد المعصية عقاب المعصية الخ			
نظرت في الأدلة على الحق سبحانه وتعالى فوجدتها أكثر	٣٠	٣٧	
من الرمل الخ			
تأملت الأرض ومن عليها بعين فكري فرأيت خرابها أكثر	٣١		
من عمارها الخ			
نظرة في أنواع الناس وأحوالها			
رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائدا في المقدار	٣٢	٤٠	
محاورة مع النفس في ميلها إلى الشهوات			
أحوال المحرمات وما يترتب عليها			
خطرت لي خاطر ومجلس قد طاب الخ	٣٣	٤١	
مبحث في يقظة النفس وقواطعها			
تفكرت فرأيت أن حفظ المال من التمتع الخ	٣٤	٤٣	
مطلب ليس من التوكل الشرعي انفاق ما في اليد وبقاء المنفق			
كلاً على الناس يزاحم الفقراء والمساكين			

مطلب رفض الاسباب زهدا عصيان بالاجماع الطبع له حق يتقاضاه	
٣٥ تأملت في شهوات النفس فرأيتها مصائد هلاك وفخوخ تلف من قوى عقله على طبعه سلم الخ	٤٥
٥ أسرع شهوات النفس هلاكلها شهوة الجماع	
٣٦ بلغنى عن بعض زهاد زماننا أنه قدم اليه طعام فقال لا أكل الخ مخالفة النفس في شهواتها على الدوام يعنى قلبها ويولد خاطرها الشهوة للنفس نعم الباعث لمصلحة البدن إلا اذا أفرطت الترخص جائز إلا أن يؤذى باب الورع	
٣٧ تأملت جهاد النفس فرأيتها أعظم الجهاد منع النفس من حظوظها غلط من وجهين	٤٨
٣٨ رأيت من البلاء العجيب أن المؤمن يدعو فلا يجاب مطلب في حكمة عدم اجابة الدعاء للداعى أو تأخيرها	٤٩
٣٩ من نزلت به بلية فأراد تحقيقها فليصورها أكثر مما هي تهن مطلب فيما يهون وطأة البلية على المبتلى	٥١
٤٠ لما رأيت رأى نفسى فى العلم حسنا الخ	٥٢
٤١ مما يزيد العلم عندى فضلا الخ	٥٣
من الجهل جعل التوكل الشرعى هو قطع الاسباب كلها العمل على الاسباب مع تعلق القلب بالسبب هو المشروع	-

نمرة الصغلى	نمرة الصحيفة
٤٢	
ما أزال اتعجب ممن يرى تفضيل الملائكة على الانبياء والاولياء المزايا التي فضل بها الانسان على الملائكة	
٤٣	٥٦
رأيت كثيرا من الخلق لا ينتهون عن البحث عن اصول الاشياء التي امروا بترك العلم بها كالعقل والروح مطلب في وجوب كف المكلف عن الخوض في البحث عن حقائق صفات الله تعالى كما عليه السلف	٥٧
٤٤	
رأيت اكثر الخلق في وجودهم كالمعدومين الخ الزاهد كراعى الغنم والعالم كؤدب الصبيان والعارف ملقى الحكمة	
٤٥	٥٨
لما تلحمت تدير الصانع في سوق رزقى الخ كنت في بداية الصبوة قد اهتمت سلوك طريق الزهاد الخ مناجاة للمؤلف مع ربه	
٤٦	٦٠
أعجب مصائد ابليس التي يصيد بها العلماء وجوب العزلة عن الخلق والحذر من خوادع التأويلات وفواسد الفتاوى	
٤٧	٦١
تأملت على نفسى تأويلا في مباح أنال به شيئا من الدنيا الخ رأيت نفسى كلما صفا فكرها الخ	
٤٨	٦٢
مطلب العلم طيب يصف كل لحظة لكل داء دواء يلائمه	
٤٩	٦٣
عجبت لقوم يدعون العلم ويميلون الى التشبيه الخ	

مطلب في البحث في المتشابه	٦٤
٥٠ تفكرت في السر الذي أوجب حذف آية الرجم من القرآن	٦٥
لفظامع ثبوت حكمها إجماعا الخ	
٥١ عرضت لي حالة لجأت فيها بقلبي الى الله تعالى وحده	٦٦
٥٢ تلمحت على خلق كثير من الناس إهمال أبدانهم الخ	٦٧
مطلب إهمال النظافة يؤدي الى الخلل في الدين والدنيا	
مطلب في فوائد النظافة الدنيوية والأخروية	
٥٣ تأملت مبالغة أرباب الدنيا في اتقاء الحر والبرد فראيتها تمكس	٦٩
المقصود في باب الحكمة	
مطلب في أن المطلوب الاعتدال في الوقاية منها	
٥٤ ليس في التكليف اصعب من الصبر على القضاء ولا فيه	٧٠
أفضل من الرضاء	
مطلب القدر غالبا يجري بمكروه للنفس بأنواع تحير العقول	
٥٥ لما أهيت الفصل المتقدم هتف بي هاتف	٧٢
محاورة مع الهاتف نفيسة في بحث الرضى بالقضاء والقدر	
٥٦ رأيت جمهور العلماء يشغلهم طلب العلم في زمن الصبا عن	٧٣
المعاش الخ	
٥٧ مازال جماعة من المتزهدين يزدرون بكثير من العلماء اذا	٧٤ —
انبسطوا في مباحات الخ	

مغزى	مغزى	مغزى
المغزى	المغزى	المغزى
٥٨	ليس في الوجود شيء أشرف من العلم	
	مطلب زين جماعة من القدماء دفنوا كتبهم ورموها في البحر	
٥٩	مربي حمالان تحت جذع ثقيل وهما يتجاوبان بانشاء النعم	٧٥
٦٠	تأملت اشياء تجرى في مجالس الوعظ يعتقدونها العوام وجهال العلماء قرية	
	مطلب في التطريب في القرآن وتلحينه	
٦١	من أضر الأشياء على العوام كلام المتأولين للصفات والاضافات	٧٨
	مطلب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلام في القدر	٨٠
	مطلب يمنع العامي من الخوض في الصفات ويكفيه الايمان الاجامى	٨٠
	مطلب سيدنا ابراهيم عليه السلام طلب رؤية كيفية احياء الموتى فأراه ميتا حيا	
	مطلب أنكر ونكير يسألان عن العقائد اجمالا	
٦٢	قرأت هذه الآية « قل أرايتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم الآية	
٦٣	نظرت فيما تكلم به الحكماء في العشق واسبابه	٨١
٦٤	عرض لى أمر يحتاج الى سؤال الله عز وجل ودعاؤه	٨٣
	مطلب الاعتراف بالتقصير انجح في الاجابة من النظر الى حسن العمل	

٦٥	قرأت من غرائب العلم وعجائب الحكم الخ	٨٤
٦٦	دعوت يوما فقلت اللهم بلغني آمالي من العلم والعمل الخ	٨٥
٦٧	قلوب العارفين يغار عليها من الاسباب الخ	
	مطلب غيرة الله تعالى على تعلق القلوب بالاسباب توجب العقوبة	٨٦
٦٨	المؤمن لا يبالغ في الذنوب وانما يقوى الهوى وتوقد نيران الشهوة فيتحدرا الخ	
٦٩	افضل الاشياء التزيد من العلم الخ	
٧٠	تأملت قوله عز وجل «يؤمنون عليك ان أساموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للإيمان ان كنتم صادقين» فرايت فيه معنى عجيبا	٨٨
	بحث في آداب المتقي مع العاصي	٨٩
٧١	اعلم ان شرعنا مضبوط الاصول محرر القواعد لا خلل فيه ولا دخل	
	مطلب الآفات الداخلة على الدين من المبتدعين والجهال كبدع النصراني واليهود	—
	مطلب لعب الشيطان بعقول بعض علمائنا لكنه لم يفرقهم	٩٥
	مبحث في المتشابهات وردما وقع فيها من التأويل	٩١
٧٢	اعلم ان الزمان لا يثبت على حال	٩٦
٧٣	تأملت امرا عجيبا وأصلا ظريفا وهو انه يال الابتلاء على	



نمرة المحيفة الفصل	نمرة	نمرة
	٩٦	المؤمن وعرض صور الذات عليه مع قدرته على نيلها
	٧٤	تأملت حالة عجيبة وهوان المؤمن تنزل به النازلة فيدعو ويبالغ فلا يرى اثرا للاجابة الخ
	٩٧	ايك ان تستطيل مدة الاجابة وكن ناظرا الى انه المالك وانه الحكيم
	٩٨	٧٥ لما كان بدن الآدمي لا يقوم الا باجتلاب المصالح ودفع المؤذى ركب فيه الهوى الخ مطلب لولا الهوى في المطعم والمشرب والمتكح لم يقدم عليها الانسان
		انما خلقت هذه الاشياء اعانة للبدن على قطع مراحل الدنيا عليها لا للتذاذبها
	٩٩	٧٦ من تأمل عواقب المعاصي رآها قبيحة
		٧٧ ينبغي للعاقل ان يلازم باب مولاه على كل حال
	١٠٠	٧٨ ينبغي لمن تظاهرت نعم الله عز وجل عليه ان يظهر منها ما يبين أكثرها ولا يكشف جملتها
		رب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الانسان
	١٠١	٧٩ آيت كل من يعثر بشيء أو يزلق في مطر يلتفت الى ماء به طبعاً موضوعاً في الخلق
		٨٠ تأملت قوله تعالى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى «

نمرة المحيفة الفصل	نمرة
لا ينال لذة المعاصي الا سكران الغفلة	١٠٢
بكرت يوما أطلب الخلو الى جامع الرصافة الخ	١٠٣
تأملت الدخل الذي دخل في ديننا في العلم والعمل فرايته من طريقين	
مساوى المزية وآفاتها الدينية والدنوية	
موازنة بين العلم والزهد	١٠٥ -
ينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي	٨٣
مطلب في التحذير من غضب الله تعالى والاعتذار بحلمه وعفوه	١٠٦
كثير من الناس يتسامحون في أمور يظنونها قريبة	٨٤
رأيت من نفسى عجبا تسأل الله عز وجل حاجاتها وتنسى جناباتها	١٠٧
ان اردت السؤال فحقق التوبة ثم اسأل	
من العجب تسأل مهمات الدنيا ولا تسأل صلاح القلب والدين	
أعجب العجب دعوى المعرفة مع البعد عن العرفان بالله عز وجل	١٠٨
التحذير من العجب والكبر والأمن من البطش والمكر	
من عاش مع الله عز وجل طيب العيش في زمن السلامة	٨٧
خفت عليه في زمن البلاء	
ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيّب عيشا من العارفين	١٠٩
بالله عز وجل	
خصائص العارفين ومزاياهم التي فازوا بها في الدنيا والآخرة	

	نمرة الفصل	نمرة الصحيفة
بالله عليك يا مرفوع القدر بالتقوى لا تبع عزها بذل المعاصي	٨٩	١١٠
رأيت في العقل نوع منازعة للتطلع الى جميع حكم الحق عز وجل في حكمه	٩٠	
اياك والاعتراض على الحكيم اذا خفيت عليك حكمه		١١٢
ان للملوك اسرار اتكتمون فن أنت وهل للعبد ان ينتقد سيده ويتحكم أصعب الأشياء مجاهدة النفس	٩١	-
الحازم من سلك مع نفسه خطة الاعتدال يعطيها ما لها ويستوفي منها ما عليها		
رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا	٩٢	
اضر ما على المريض التخليط وما من أحد الا وهو مريض بالهوى	٩٣	١١٣
رأيت المشائخ احوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم	٩٤	-
سبحان الملك العظيم الذي من عرفه وخافه ومن أمن مكره قط ما عرفه .	٩٥	١١٤
تأملت العلم والميل اليه والتشاغل به فاذا هو يقوى القلب الخ	٩٦	١١٥
أظرف الأشياء افاقة المحتضر عند موته	٩٧	١١٦
ربما أخذ التيقظ يت شعر فاخذ منه اشارة فانتفع بها	٩٨	
أمكنني تحصيل شئ من الدنيا بنوع من أنواع الرخص الخ	٩٩	١١٨
مازلت اسمع عن جماعة من الاكابر وارباب المناصب انهم يشربون الخمر الخ	١٠٠	١١٩ -

نمرة الفصل	نمرة المحيفة
١٠١	١٢٠
اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع	
جمع المال وحفظه وتنميته لازم شرعا لانه سبب بقاء الانسان	
ذكر عدة من الصحابة كانوا يجتهدون في جمع المال وحفظه	
١٠٢	١٢٢
عرض لى في طريق الحج خوف من العرب الخ	
١٠٣	١٢٣
للبيانات معلومة الوقت عند الله عز وجل	
لا بد للمبتلى من الصبر الى انقضاء زمن البلاء واستعجال زواله	
لا ينفع	
الصبر واجب وان كان الدعاء مشروعا والمستعجل مزاحم	
المدير	
١٠٤	١٢٤
ليس في الوجود شيء أصعب من الصبر	
الجزع لا يفيد بل يفضح صاحبه	
١٠٥	١٢٥
ينبغي لمن وقع في شدة ثم دعا ان لا يختلج في قلبه أمر من	
تأخير الاجابة أو عدمها	
حديث مامن مسلم دعا الله تعالى الا أجابه الخ	
١٠٦	—
من اراد ان يعرف رتبة العلماء على الزهاد فلينظر في رتبة جبريل	
وميكايل	
مطلب بزيادة العلم صار آدم مسجودا له وبنقصانه صارت	
الملائكة ساجدة له	
١٠٧	١٢٦
اعلم أن أصلح الامور الاعتدال في كل شيء	

نمرة الفصل	نمرة العجيفة
١٠٨	
١٠٩	١٢٨
١١٠	
١١١	١٢٩
١١٢	١٣٠
١١٣	١٣١
١١٤	١٣٢
١١٥	١٣٣
١١٦	١٣٤
١١٧	١٣٥
١١٨	١٣٦
١١٩	١٣٧
١٢٠	١٣٨
	١٣٩
	١٤٠

نمرة المصنف	نمرة الفصل	
		وغاية اللذات العقلية العلم
١٤٢	١٢١	في تعليم حفظ العلم وفي الاصول المطلوب رعايتها في طلب العلوم من الغلط كثرة الانهماك في الطلب فان عاقبته فتور الهمة جملة وصايا ثمينة تجب رعايتها اثناء الطلب لاغنى للطالب عنها
١٤٣	١٢٢	من اراد دوام العافية والسلامة فليثق الله عز وجل
١٤٤		أحوال العاصي عند القدوم على العصيان انواع من اعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب
١٤٥ -	١٢٣	قدم الى بغداد جماعة من أهل البدع من الاعاجم فارتقوا منابر التذكير للعوام الخ ذكر شبهتهم في الفاظ القرآن وحروفه بيان حل هذه الشبهة على طريقة السلف بأدلة شرعية
١٤٩	١٢٤	اعظم البلايا ان يعطيك همة عالية ويمنحك من العمل بمقتضاها
١٥٠	١٢٥	تراعنت على نفسى في طلبها شيئا من أغراضها يتأويل فاسد محاورة مع النفس في الصبر على المكروه
١٥١	١٢٦	من نازعته نفسه الى لذة محرمة الخ
	١٢٧	رأيت الخلق كلهم في وصف محاربة
١٥٢	١٢٨	الدنيا فخذ والجاهل باول نظرة يقع
	١٢٩	اعلموا اخواني ومن يقبل نصيحتي ان للذنوب تأثيرات قبيحة

نمرة الفصل	نمرة الصحيفة
١٣٠	١٥٣
ضاق بي أمر أوجب غما لازما دائما	
	١٥٤
التقوى سبب للخروج من كل غم	
١٣١	
من العجب إلحاحك في طلب أغراضك	
مطلب عدم اجابة الدعوى يرجع لاحد امرين	
١٣٢	
يجب على من لا يدري متى يبغته الموت أن يكون مستعدا	
	١٥٥
طول الامل وآفاته ودواؤه	
١٣٣	
الحذر الحذر من المعاصي فان عواقبها سيئة	
	١٥٦
أعظم العقوبة عدم الاحساس بها	
المبارزة لله تسقط العبد من عين الله	
١٣٤	
اخواني اسمعوا نصيحة من جرب وخبر	
بقدر إجلال العبد لله وتعظيم قدره يحله الله ويعظم قدره	
في قلوب العباد	
١٣٥	١٥٧
أيها المذنب اذا أحسست نفحات الجزاء فلا تكثرن الضجيج	
لادواء للمبتلى الاملازمة محراب التوبة والانابة	
١٣٦	
الواجب على العاقل أن يحذر مغبة المعاصي	
١٣٧	
واعجبا من عارف بالله عزوجل يخالفه ولو في تلف نفسه	
١٣٨	١٥٩
قدرت في بعض الايام على شهوة للنفس هي عندها احلام من الماء	
الزال في فم الصادي	
	١٦٠
محاورة في الاخذ بالورع من الشبهات والحث على الصبر عنها	

عمره عجيفة	عمره النصل	
١٦٠	١٢٩	لانكر على من طلب لذة الدنيا طريق البياح
١٦١	١٤٠	الحق عز وجل أقرب الى عبده من جبل الوريد
		المخالفة توجب الوحشة والطاعة توجب الانس
١٤١		الدنيا في الجملة معبر فينبغي للانسان أن لا ينافس بلذاتها
١٦٢	?	نبذة في آداب الزوجين وما يحسن به عشرتهما
	١٤٢	نازعتني نفسي الى امر مكروه في الشرع
١٦٤	١٤٣	مارأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة
	١٤٤	لولا غيبة المعاصي في وقت المعاصي كان كالمائد
١٦٥	١٤٥	البلايا على مقادير الرجال
		الناس قسمان قسم ضعيف راض بما عنده من دين ودنيا وقسم
		عالي الهمة لا قناعة له الا بالورع
	١٤٦	ينبغي لطالب العلم أن يكون جل همته مصروفا الى الحفظ والاعادة
١٦٦	١٤٧	اذا صح قصد العالم استراح من كلف التكليف
		كثير من العلماء الذين هم على غير يقين من فتواهم يأفون
		أن يقولوا لا ندري حفظا لجاهم
١٦٧		من اصلح سريرته فاح عبير فضله وعبقت القلوب بنشر طيبه
	١٤٨	نزلت في شدة وأكثر من الدعاء اطلب الفرج والراحة
		وتأخرت الاجابة
		مجاورة مع النفس واقناعها عند عدم اجابة الدعاء بخمسة اوجه



نمرة الفصل	نمرة الصحيفة
١٤٩	١٦٨
حضرننا بعض اعذية ارباب الاموال فرأيت العلماء اذل الناس عندهم	
	١٦٩
الاولى للعالم أن يجتهد في طلب الغنى يصون به شرف العلم ويستغنى به عن الناس	
١٥٠	١٧٠
تأملت وقوع المعاصي من العصاة فوجدتهم لا يقصدون المعصيان وانما يقصدون موافقة هوامم السبب في هذا الاقدام ملاحظة كرم الخالق مع عدم ملاحظة عظمته وهيبته	
١٥١	
رأيت عموم ارباب الاموال يستخدمون العلماء يستذلونهم بشيء يسير .	
١٥٢	
مدار الامر كله على العقل اذا تم العقل لم يعمل صاحبه الاعلى أقوى دليل	
	١٧١
كثير من الناس من لا يحسنون طرق الاستدلال كاليهود والنصارى .	
١٥٣	١٧٣
الواجب على العاقل ان يتبع الدليل ثم لا ينظر فيما لايجزى في مكروه .	
بعد ثبوت حكمة الخالق وحسن تديره في ملكه يجب تسليم الامر اليه والاقرار بالمعجز عن معرفة حكمه اذا كانت عقولهم من جملة مواهبه فكيف يحكم على تديره	

وحكمته ببعض مخلوقاته	
المعجب من تلميذ يتمعلم على أستاذه ومن مملوك يتيه على سيده	١٧٣
الاعتراض على الخالق ميراث إبليس حيث اعتقد سوء التدبير في تفضيل آدم عليه السلام	
قرأت سورة يوسف عليه السلام فتمجبت من مدحه	١٧٤
١٥٤ رأيت الاشتغال في الفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب .	
يرقق القلب بذكر رقائق الحديث وأخبار السلف الصالح	
١٥٦ ترخصت في شيء يجوز في بعض المذاهب فوجدت في قلبي قسوة .	١٧٥
١٥٧ مما أفادني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظهر بالعداوة أحدا مما استطاع	
١٥٨ رأيت النفس تنظر الى لذات أرباب الدنيا العاجلة	١٧٦
١٥٩ وقع بيني وبين أرباب الولايات معاداة لأجل المذهب	١٧٨
١٦٠ روى عن الحلاج الصوفي انه كان يقعد في الشمس في الحر الشديد	
١٦١ السعيد من ذل وسأل العافية	١٧٩
قل أن تجرى الاقدار الا على خلاف مراد النفس	
١٦٢ الجادة السليمة والطريق القويمة الاقتداء بصاحب الشرع	

نمرة الصحيفة	نمرة النصل
١٨٠	طريقة المصطفى <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> العلم والعمل والتلطف بالبدن من رأى حاله <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> رأى كاملاً يعطى كل ذي حق حقه
١٨١	مافسد الناس إلا بالانحراف عن الشريعة دخل إبليس على كل قوم من حيث قدر
١٨٢	لو مال الخلق الى التعبد فقط لضاعت الشريعة العمل سعى الآلات الظاهرة والعلم سعى الآلات الباطنة من العقل والفكر والفهم
١٨٣	من أعظم الجهل استبداد الانسان بعلمه
١٨٤	١٦٣ تأملت الدخول الذي دخل في ديننا في العلم والعمل فرأيت من طريقين
١٦٤	الدخول في باب العلم من الفلسفة وفي باب العمل من الرهبانية أعوذ بالله من صحبة الباطنين
١٨٥	١٦٥ رأيت من رأى القويم ان نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة
	التصنيف المفيد هو جمع ماتفرق أو ترتيب ماشئت أو شرح ما أهمل .
١٨٦	في ترتيب وظائف الطالب على حسب درجات عمره
١٨٧	١٦٦ رأيت عادات الناس قد غلبت على عملهم بالشرع
١٨٩	١٦٧ ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزاً ولا شرفاً ولا راحة ولا

١٩٠	١٦٨	سلامة أفضل من العزلة جملة خصال بها العلماء يجدون اللذة والراحة تأملت أحوال الناس في حالة علوشأنهم فرأيت أكثر الخلق تبيين خسائهم
١٩١		من انفق عصر الشباب في العلم فانه في زمن الشيخوخة يحمد جنى ما غرس
١٩٣	١٦٩	من الامور التي تخفى على العاقل أن يرى أنه متى لم يكن عنده امرأة الخ
١٩٤	١٧٠	ما ابتلى الانسان قط بأعظم من علوهتمه
١٩٦	١٧١	لما سطرت هذا الفصل المتقدم رأيت ادكار النفس بما لا بد لها في الطريق منه
١٩٧		ينبغي للعاقل أن يغالط نفسه فيما يكشف العقل عن عوارده
١٩٨	١٧٢	في تعليم التداير
		التحفظات المطلوبة في الزواج
١٩٩		التحفظات المطلوبة في اختيار الزوجة ومعاشرتها
		التدابير المطلوبة في معاشره الخادم
		التدابير المطلوبة في تربية الاولاد وتعليمهم
٢٠٠	١٧٣	اشتد الغلاء ببغداد الخ
٢٠١	١٧٤	تأملت حالة أزعجتني الخ

نمرة الصحيفة الفصل	نمرة
١٧٥	٢٠١
جری بینی وین اصحاب الحدیث کلام فی قول الامام احمد صحیح الحدیث عن رسول الله ﷺ سبعمائة ألف حدیث روى عنه ﷺ أربعة آلاف رجل وامرأة وصحبوه نیفا وعشرين سنة بمكة ثم بالمدينة	
كان اسحاق بن راهوية يملئ سبعين ألف حدیث حفظا وحفظ أبو اسحاق بن عقدة لاهل البيت ثلاثمائة ألف حدیث ظهر لابن كريب بالكوفة ثلاثمائة حدیث أجمع المسانيد مسند احمد الذي جمع أربعين ألف حدیث من سبعمائة ألف وخمسين ألفا منها عشرة آلاف مكررة جمع ابو داود كتابه السنن من ستمائة ألف حدیث	
٢٠٢	٢٠٣
مجموع المنقول عن رسول الله ﷺ نحو خمسين ألف حدیث صحاح	
الزيادة من الثقة مقبولة وانفراده في الرواية لا عيب فيه	
١٧٦	
اعلم ان الله عز وجل وضع في النفوس أشياء لا تحتاج الى دليل .	
من الاشياء التي لا تحتاج الى دليل ان المصنوع لا بدله من صانع وان الاثنين أكثر من الواحد وان الجسم الواحد لا يكون في مكانين	
١٧٧	٢٠٤
مفيد تدبرت أحوال الاخيار والاشرار فقرأت النخ	

نمرة الفصل	نمرة المحيفة
سبب صلاح الاخيار النظر وسبب فساد الاشرار إهمال النظر العاقل ينظر الى الفوائد والعواقب والغافل لا يرى الا الحاضر	
١٧٨	٢٠٥
خلقت لى همة عالية تطلب الغايات ١٧٩ ما أقل من يعمد لله تعالى خالصا	
١٨٠	٢٠٦
والله ما ينفع تأديب الوالد اذا لم يسبق اختيار الخالق لذلك الولد .	
١٨١	٢٠٧
من أكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه وتعالى ان هذه النفس الناطقة النخ	
١٨٢	-
سبحان من من على الخلق بالعلماء الفقهاء الذين فهموا مقصود الأمر	
الاشتغال بالحديث أفضل من التنفل بالصوم والصلاة	
١٨٣	٢٠٨
العاقل من يحفظ جانب الله تعالى وان غضب الخلق كل من يحفظ جانب المخلوقين ويضيع حق الخالق يقلب الله قلوبهم ويسخطهم عليه	
١٨٤	٢١٠
مفيد ينبغى للعاقل أن ينظر الى الاصول فيمن يخالطه احفظ الاصول فان الشئ يرجع الى أصله وصلاح الصور دليل على صلاح الباطن	
	٢١١
احذر من به عاهة كالافرع والاعمى ونحوهما فان بواطنهم غالباً ردية .	

نمرة الفصل	نمرة الحقيقة
١٨٥	
ينبغي أن يكون شغل العاقل في العواقب والتحرز مما يمكن أن يكون	
٢١٢	
متى وقع الاسبى مع زكى فينبغى أن يتحرز منه	
١٨٦	
في حفظ السر زأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم .	
٢١٣	
كان النبي ﷺ إذا أراد سفرا ورى بغيره الرجل الحازم الذى لا يعتمداه سره ولا يفشيه لاحد وستر المصائب من جملة كتمان السر	
١٨٧	
مارأيت أصعب على النفس من الحفظ للعلم والتكرار	
١٨٨	٢١٤
ما أعرف نفعا كالعزلة عن الخلق خصوصا للعالم والزاهد	
١٨٩	٢١٥
ما أبه من لا يعلم متى يأتيه الموت وهو لا يستعد للقاءه واجبات الانسان فى تنقلاته فى منازل عمره	
١٩٠	
مانهى السلف عن الخوض فى الكلام الا لأمر عظيم إذا نظرنا الى ذات الخالق حار العقل	
١٩١	٢١٨
لقد غفل طلاب لذة الدنيا عن اللذة فيها واللذة فيها شرف العلم الخ	
بنيت الفتنة على ثلاث النساء وهن فخر إبليس المنصوب والشراب وهو سيفه المرهف والدنيا والدرهم وهما سهماه المسمومان .	

	نمرة المجلد	نمرة النصل
أصل كل محنة في العقائد قياس أمر الخالق على أحوال الخلق .	٢٠٨	١٩٢
كل من قاس صفة الخالق على صفات المخلوقين خرج إلى الكفر كالفلاسفة والمجسمة ونحوهم	٢١٩	١٩٣
تأملت عجبا وهو أن كل شيء نفيس خطر	٢٢٠	١٩٤
المحظورات .		
المؤمن الكامل الايمان الذي لا يختلج في قلبه اعتراض ولا وسواس وكما اشتد البلاء عليه زاد إيمانه	٢٢١	
قال الحسن استوى الناس في العافية فاذا نزل البلاء تباينوا	٢٢٢	١٩٥
أضر ما على العوام المتكلمون		
ان الله سبحانه وتعالى نصب اعلاما تأنس بها النفوس وتطمئن اليها كالكمية وسماها بئته		
من لم يقنع بمقيدة مثل الصحابة ولا بطريق مثل طريق أحمد والشافعي في ترك الخوض فلا كان ما كان		
ماذلت على عادة الخلق في الحزن على من يموت الخ	٢٢٣	١٩٦
يفغى للعاقل أن لا يتكلم في الخلوة عن أحد بشيء حتى يمثل ذلك الشيء الخ		
رأيت كثيرا من المتغفلين يظهر عليهم السخط بالافدار		





- الزنا أقبح الذنوب فإنه يفسد الفرش ويقبر الأنساب  
وبالجارة أقبح
- ٢٣٠ من أقبح الأشياء أن يطول المرض بالشيخ الكبير ولا يتوب  
من ذنب الخ
- ٢٠٣ - اعتبرت على أكثر العلماء والزهاد أنهم يبطنون الكبر  
من تلمح خصال نفسه وذنوبها علم أنه على يقين من الذنوب  
والتقصير وهو من حال غيره على شك
- ٢٣٢ ٢٠٤ متى رأيت صاحبك قد غضب وأخذ يتكلم بما لا يصلح فلا  
ينبغي الخ
- اصبر على حدة الغضب إن حاله كحال السكران والاكنت  
كعاقل قابل مجنوننا فاذا انتبه ندم على ما فرط وعرف لك  
فضل الصبر
- ٢٠٥ ليس في الدنيا أبله ممن يسيء إلى شخص ويعلم أنه قد بلغ إلى  
قلبه بالأذى
- متى آذيت شخصا بأذى أثر فيه فاحترس منه ولا تثق بمودته فإن  
لم تحتمل عليه فلا يصف لك
- ٢٣٣ ٢٠٦ كل من لا يتلمح العواقب ويستعد لما يجوز وقوعه فليس  
بكامل العقل
- بقدر صعود الانسان في الدنيا تنزل مرتبته في الآخرة

عمره الصغينه	عمره الفصل
٢٣٤	٢٠٧ الصعود بسبب مخالطة السلاطين بعيد أن يسلم معه الدين
٢٣٥	مخاوف السلطنة وغوائلها المنكدة المعيشه لاعيشة هنية الا للعلماء المخلصين
٣٦	٠٨ « من عرف الشرع كما ينبغي وعلم حالة الرسول الله صلى الله عليه وسلم النخ
	٠٩ « الكمال عزيز والكمال قليل الوجود
	دليل كمال صورة البدن حسن الصمت والأدب ودليل كمال صورة الباطن حسن الطبائع
٣٧	١٠ « ليس في الدنيا أبله ممن يريد معاملة الحق سبحانه وتعالى على بلوغ الأغراض
	١١ « من الابتلاء العظيم اقامة الرجل في غير مقامه
٣٨	ذكر عدة من أنواع البليات المشتقة لهمم والمكدره للعيش ومداواتها .
	١٢ « لا ينكر ان الطباع تحب المال لأنه سبب بقاء الأبدان
٤٠	١٣ « ينبغي لمن عرف شرف الوجود أن يحصل أفضل موجود
	١٤ « من عرف قرب الرحيل من مكة استكثر من الطواف ذكر عدة من بلاياه صلى الله عليه وسلم وصبره عليها .
٤١	١٥ « من أراد أن يعلم حقيقة الرضا عن الله عز وجل في أفعاله النخ
٤٣	١٦ « أكثر شهوات الحس النساء

السبب في الاستكثار من زواج النساء		
المعنى الذي أوقع الزناة في الفواحش		
ليقنع المتزوج بما ظاهره السبر وباطنه الدين والقناعة ومن		
استكثر فأنما يستكثر من شغل قلبه ورقة دينه		
سبحان من شغل كل قلب بفن لتنام العيون في الدنيا	٢١٧	٢٤٤
علم الحديث هو الشريعة لأنه مبين للقرآن وموضح للحلال	١٨	
والحرام النخ		
سبحان من حفظ هذه الشريعة بأخبار أخيار ينفون عنها		«٤٥
تحريف الغافلين واتحال المبطلين		
فدسألتني بعض أصحاب الحديث هل في سند أحمد ما ليس	١٩	
بصحيح فقلت نعم		
إنما روى أحمد في مسنده ما اشتهر ولم يقصد الصحيح ولا		«٤٦
السقيم .		
بلغنى عن بعض فساق القدماء أنه كان يقول ما أرى العيش	٢٠	
غير أن تتبع النفس هواها		
قد تبغت المقوبات وقد يؤخرها الحلم	٢١	«٤٧
العاقل من إذا فعل خطيئة بأدرها بالتوبة		
أسرع المعاصى عقوبة ما خلا عن لذة تنسى النهى		
مطلب كاتب من خراسان كتب المصحف في ثلاثه أيام		

نمرة الصحيحة	نمرة الفصل
٢٤٨	٢٢٢ اعلم أن الآدمي قد خاق لأمر عظيم
» ٤٩	» ٢٢٣ قد ركب في الطباع حب التفضيل على الجنس
» ٥٠	يقبغى اظهار التجلد عند نزول المصائب حذرا من شماتة الأعداء .
» ٥١	يحذر الافراط في اظهار النعم خوفا من اصابة العين » ٢٤ انما خلقنا لنجيا مع الخالق في معرفته ومحدثه الخ تمثيل لطيف للدنيا وأهلها بالمسكب وصبياناه
» ٥٢	» ٢٥ تأملت حالة عجيبة الخ
» ٥٣	تفاوت الهمم في طلب الفضائل
» ٥٤	» ٢٦ تفكرت في بقاء اليهود والنصارى بيننا وأخذ الجزية منهم فرايت في ذلك حكما عجيبة
» ٥٥	» ٢٧ قد ثبت بالدليل شرف العلم وفضله الا أن طلاب العلم افترقوا » ٢٨ طال تعجبي من أقوام لهم أنفة وعندهم كبر زائد في الحد
» ٥٦	» ٢٩ قد سمعنا بجماعة من الصالحين عاملوا الله عز وجل على طريق السلامة والمحبة واللطف فعاملهم كذلك منهم أبرخ العابد من الأوائل وأنس بن النضير من الصحابة » ٣٠ رأيت جماعة من العلماء يتقسمون ويظنون ان العلم يدفع عنهم .
	العلم النافع هو فهم الاصول ومعرفة المعبود وما يستحقه

والنظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ		
سبب تنغيص العيش فوات الحظوظ العاجلة	٢٣١	٢٥٩
إياك أن تساكن من آذيتك بل أحسن اليه وتلطف به تأمن مكره وتقدر عليه		٢٦٠
تفكرت في قول شيبان الراعي لسفيان يأسفيان عد منع الله أيامك عطاء منه	٣٢٢	—
رأيت جماعة من الخلق يتعللون بالاقدار الخ	٣٣٣	٢٦١
إذا كنت تسعى بأدوات استعدادك في تحصيل غرضك وهواك فاسع بها في إقامة مفروضاتك		
افتتح عين الفكر في ضوء العبر لملك تبصر مواقع خطابك		٢٦٢
نظرت في قول أبي الدراء رضى الله تعالى عنه ما أعرف مما كنا عليه اليوم الا القبلة	٣٣٤	
أسباب الانحراف عن طريقه صلى الله عليه وسلم الجهل والاعراض عن العلوم الشرعية واتخاذ البدع عادات		
كنت أسمع على بن الحسين الواعظ يقول والله لقد بكيت البارحة من يد نفسى	٣٣٥	٢٦٤
مطلب في النكاح وشروطه ومحاذيره		
أعجب الأشياء اغترار الانسان بالسلامة الخ	٣٣٦	٢٦٦

نمرة الصحيفة	نمرة الفصل
٢٦٧	٢٣٧
	تأملت سبب تخليط العقائد فاذا به الميل الى الحس وقياس الغائبات على الحاضر ذكر الشبه المفضيه الى ذلك
«٦٨	
«٧٠	«٣٨
	بسط هذا المقام ورد الشبه التي فيه ردا مقنعا ينبغي للمؤمن بالله سبحانه وتعالى اذا نظر في الفصل المتقدم أن لا يعترض على الله سبحانه وتعالى في شيء
«٧١	«٣٩
	والله انى لا تخايل دخول الجنة ودوام الاقامة فيها الح نبذة في نعيم الجنة والترغيب في الأخذ بأسبابه
«٧٢	«٤٠
	رأيت سبب الهموم والغموم الاعراض عن الله عز وجل والاقبال على الدنيا
	«٤١
	تفكرت في نفسى فرأيتنى مفلسا من كل شيء
«٧٣	«٤٢
	ينبغي لمن صحب سلطانا أو محتشما أن يسكون ظاهره معه وباطنه سواء
	امتحان ابراويز لرجل من خاصته وبطشه به
«٧٥	«٤٣
	رأيت النفس بعد علو السن يقوى أملها ويزداد حرصها
	«٤٤
	شكالى بعض الاشياخ فقال الح
«٨٦	«٤٥
	أبله الناس من عمل على الحالة الحاضرة ولم يتصور تغييرها الح العافل من كان مراقبا للعواقب تحرزا مما يجوز وقوعه عاملا بالاحتياط حافظا للمال والمر

نمرة الصحيفة	نمرة النصل
	٢٤٦
	من أعجب الأمور طلب الاطلاع على تحقيق العرفان لذات الله تعالى عز وجل وصفاته وأفعاله
٢٧٨	
	الفقيه من علل أحكام الله تعالى بما يمكن فاذا عجز استطرح للتسليم وعلم ان ادراك حكمه ليست في قوى البشر الله تعالى ستر كثيرا من حكمه على خلقه وليس من الأدب طلب الاطلاع عليها
«٤٧»	من رزقه الله العلم والنظر في سير السلف رأى ان هذ العالم ظلمة الخ
	تحذير من مخالطة عموم أنواع الناس وبيان محاذيرها الدنيوية والأخروية .
«٨٠»	«٤٨» من البله أن يبادر عدوا أو حسودا بالمخاصمة وصية زفعة في كيفية معاملة الأعداء والتخلص من أذام والتغلب عليهم
«٨١»	«٤٩» اذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها فليس لك الا الدعاء واللجا بعد أن تقدم التوبة
	«٥٠» نظرت الى الناس فرأيتهم ينقسمون بين عالم وجاهل الخ
«٨٢»	تقسيم الناس الى أنواع وبيان ضرر المخالطة والترغيب في الوحدة والانفراد عنهم
«٨٣»	«٥١» من تأمل بعين الفكر دوام البقاء في الجنة في صفاء بلا كدر الخ



مرة الفصل	مرة الحقيقة
٢٥٢	٢٨٥
من أراد اصطفاة محبوب فالمحبوب نوعان	
التحذير من إفشاء الأسرار للمرأة والولد والصديق	
٥٣	٨٦
وأما اذا أبغضت شخصا فلا تظهرن ذلك	
٥٤	—
طال تعجبي من مؤمن بالله عز وجل مؤمن بجزائه يؤثر	
خدمة السلطان الخ	
٥٥	٨٧
العجب من الذي أنف من الذل كيف لا يصبر على جلف الخبر	
ولا يتعرض لمن الاندال	
٥٦	
يتضمن وصية للشباب والتحذير من الافراط في الجماع	
	٨٨
المعنى المقصود من الجماع	
٥٧	
ليس على العوام أضر من سماءهم علم الكلام	
ينبغي أن يحذر العوام من الخوض فيه كما يحذر الصبي من	
شاطيء النهر خوف الفرق	
	٨٩
بحث زل فيه كثير من العلماء فكيف بالعوام الغشم	
على العامي الايمان بالاصول الخمسة بالله وملائكته وكتبه	
ورسله واليوم الآخر ويقنع بما قاله السلف	
النبي صلى الله عليه وسلم لم يكلف الأعراب الا بمجرد الايمان	
فن مات على طريقهم مات سليما من البدعة	
٥٨	
أشد الناس جهلا منهموم بالذات	
٥٩	٩٠
تأملت على الخلق فاذا هم في حالة عجيبة يكاد يقطع منها بفساد العقل	

للرجوع الى المعصية بعد سماع المواعظ ثلاثة أسباب رؤيه  
الهوى العاجل والتسوييف بالتوبة رجاء الرحمة والغفلة  
عن الخوف

٢٩١ ٢٦٠ نظرت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لبس الخاتم ثم  
رمى به شغاني نظره اليكم ونظره اليه

ينبغي ترك كل ما يوجب النظر الى النفس بعين الاعجاب  
لتكون دائماً ذليلة اخالقها

٦١ « من أراد اجتماع همه واصلاح قلبه، فليحذر من مخالطة الناس  
في هذا الزمان

قد كان الاجتماع على ما ينفع فصار الاجتماع على ما يضر  
العزلة حمية والنظر في سير القوم دواء واستعمال الدواء مع الحمية  
عن التخليط نافع

٩٣ « ٢٦ تفكرت في سبب هداية من يهتدى وانتباه من يتيقظ من  
رقاد غفاته فوجدت السخ

السبب الاكبر في الهداية اختيار الحق عز وجل كما جرى  
لاهل الكهف

٩٤ « الطريق الموصلة الى الله سبحانه وتعالى ليست مما يقطع بالاقدام  
وانما تقطع بالقلوب والشهوات هي قطاع الطريق

عين الموفق هي بصر فرس يرى في الظلمة كما يرى في الضوء

عمرة الحجيفة	عمرة الفصل	
٢٦٣		عجبت لمن يعجب بصورته ويختال في مشيته وينسى مبدأ أمره
٢٦٤		هيهات أن يجتمع الهم مع التلبس بأمر الدنيا
٢٩٥		ان وجدت ما يكفيك من الدنيا فاقنع به والافعالجه بالصبر أصلح لك من المخاطرة
٢٩٦ -	٦٥	حكاية أبي عمرو بن نجييد مع أبي عثمان المغربي كان المرید في بداية الزمان اذا اظلم قلبه أو مرض لبه قصد زيارة الصالحين الخ
	٦٦	تأملت الذين يختارهم الحق عز وجل لولايته والقرب منه
٩٧	٦٧	أكثر الخلاق على طبع ردى لا تقومه الرياضة
٩٨ -	٦٨	رأيت بعض المتقدمين سئل عن من يكتسب حلالا وحراما من السلاطين الخ
		فتوى في حكم بناء الامراء والسلاطين للمساجد والاربطة من مال حرام وحلال
٣٠٠ -	٦٩	عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد يرجو بذلك قربه من قلوبهم متى نظر العامل الى التفات القلوب اليه فقد زاحم الشرك
	٧٠	قدم عاينا بعض فقهاء من بلاد العجم الخ
٣٠١		وصايا نافعة في التحذير من التساهل في أمر الدين
	٧١	من تفكر في عظمة الله تعالى عز وجل طاش عقله
٣٠٢	٧٢	العجب بمن يقول أخرج الى المقابر فاعتبر بأهل البلا

- ٢٧٣ متى تكامل العقل فقدت لذة الدنيا  
 اذا تلمح العاقل العواقب أعرض عن الدنيا وذهل عن التلذذ  
 بالعاجل .
- ٢٧٤ ادعى الطبيعيون ان مادة الموجودات الماء والتراب والنار  
 والهواء النخ .
- من قال الروح عرض فقد جحد البعث  
 لطفه في البداية دليل على النهاية
- ٣٠٤ «٧٥» سبحان من ظهر خلقه حتى لم يبق خفاء ثم خفي حتى كانه  
 لاظهوره .
- ٣٠٥ «٧٦» قد يدعى أهل مذهب الاجتهاد في طلب الصواب النخ  
 يدعى كثير من أهل الاجتهاد انه لم يقصد إلا الحق ومع  
 ذلك تقطع بضلال الاكثرين
- لا يكون الاجتهاد معتبرا الا بوجود الآلات وتوفر الاسباب  
 والشروط .
- ٣٠٦ «٧٧» للنفس ذخائر في البدن منها الدم والمني وأشياء تقوى بها  
 من ذخائرها التقوى في المال والجاه وما يوجب الفرح .
- «٧٨» رأيت في زهاد زماننا من الكبر وحفظ الناموس النخ
- ٣٠٧ «٧٩» كثيرا ما أعيد هذا المعنى الذي أنا ذا كره في هذا الكتاب  
 بعبارات .

- ٢٨٠ ينبغي للعاقل أن يحترز غاية ما يمكنه فإذا جاء القدر مع الاحتراز لم يعلم  
مر رسول الله ﷺ تحت حائط مائل فاسرع  
ينبغي أن يحترز في زمن شبابه ادخارا لزمن شبابه ولا يثق  
بمعاملة الإلوثيقة
- ٣٠٨ — يحترز من صديقه فضلا عن عدوه ولا يثق بعودة من آذاه هو  
٨١ تأملت خصومات الملوك وحرص التجار ونفاق المتزهدين  
فوجدت جمهور ذلك على لذات الحس  
إذا تفكر العاقل علم ان أمر الحسيات قريب وان الغاية  
لا يمكن نيلها
- ٣٠٩ «٨٢ تأملت حالة تدخل على طلاب العلم توجب الغفلة عن المقصود  
٨٣ ما اعتمد أحد أمرًا إذا عم بشيء مثل التثبيت  
من عمل من غير تأمل للعواقب كان الغالب عليه الندم  
مما قيل خير الرأي خير من فطيره
- «١٠ «٨٤ سألت سائل قد قال بعض الحكماء من لم يحترز بعقله هلك بعقله  
أنس خلق كثيرون بيديهم العقل والعمادات وقياس الخالق  
على المخلوق في أمور لاحكمة فيها فضلوا أولهم إبليس  
بعد ثبوت الكمال المطلق للخالق وانه حكيم لا يعبت لم  
يبق للعقل الا التسليم وان لم يعقل

إذا خفيت مصلحة العواقب على موسى عليه السلام مع الخضر فاولى أن تخفى علينا		
٢٨٥ بانفى عن بعض الكرماء ان رجلا سأله فقال الخ		
٢٨٦ سبحان من جعل الخلق بين طرفي تقيض الخ	٣١٢	
٨٧ « كان لنا أصدقاء وإخوان اعتد بهم فرأيت منهم الخ	٣١٤	
٨٨ « رأيت المعافى لا يعرف قدر العافية الا فى المرض	٣١٥	
٨٩ « اذا تم عم الانسان لم ير لنفسه عملا	٣١٦	
٩٠ « ينبغى للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه وان تاب عنها وبكى عليها .	٣١٨	
٩١ « نعوذ بالله من سوء الفهم الخ	٣١٩	
٩٢ « تأملت على متزهدي زماننا أشياء تدل على النفاق	—	
٩٣ « من الجهل أن يخفى على الانسان مراد التكليف	٣٢١	
٩٤ « رأيت خلقا من العلماء والقصاص تضيق عليهم الدنيا الخ	٣٢٢	—
٩٥ « تأملت أحوال الناس فرأيت جمهورهم منسلا من ربة العبودية .	٣٢٣	
٩٦ « من العجيب سلامة دين ذى العيال اذا ضاق به الكسب	٣٢٤	
٩٧ « شكى رجل من بغضه لزوجته وقال الخ	٣٢٦	
٩٨ « لاريب ان قلب المؤمن بالله سبحانه وتعالى وبأوامره يحتاج الى الانكاف الخ .	٣٢٧	

عمرة الصحيحة رقص	عمرة
٣٢٨	٢٩٩ مارات عيني مصيبة نزلت باخلق أعظم من سبهم للزمان الخ
٣٢٩	٣٠٠ من عجائب ما أرى من نفسى ومن الخلائق كلهم الميل الى الغفلة .
	٣٠١ قد كررت هذا المعنى فى هذا الكتاب وهو الامر بحفظ السر
	٣٠٢ تأملت على أكثر الناس عباداتهم فاذا هى عادات
٣٣٠ -	٣٠٣ لا يصفو التعبد والتزهد والاشتغال بالآخرة الا بالانقطاع
	٣٠٤ من رزق قلبا طيبا ولذة مناجاة فليراع حاله
٣٣١	٣٠٥ همة المؤمن متعلقة بالآخرة
٣٣٢	٣٠٦ لقد اعتبرت على مولاى سبحانه وتعالى أمرا عجيبا
٣٣٣	٣٠٧ تأملت على قوم يدعون العقول معترضون على الخالق
٣٣٤ -	٣٠٨ ينبغي لمن وعظ سلطانا أن يببالغ فى التلطف
٣٣٥	٣٠٩ الحق لا يشتهه بباطل الخ
٣٣٩	٣١٠ واعجبا من موجود لا يفهم معنى الوجود
٣٤٠	٣١١ أعجب من عاقل يرى استيلاء الموت على أقرانه الخ
٣٤١	٣١٢ نظرة فى قول الله تعالى ألم تر ان الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الارض الآية
=	٣١٣ مارات أذكر أذى للمؤمنين من مخالطة من لا يصلح
	٣١٤ كلما نظرت فى توصل النعم على تحيرت فى شكرها
٣٤٤	٣١٥ أكثر العلماء يتشاغلون بصورة العلم الخ

نمرة المجيفة	نمرة الفصل
٣٤٥	٣١٦
٣٤٦	٣١٧
٣٤٧	٣١٨
٤٤٨	١٩
—	٢٠
٤٤٩	١٢١
٥٠	٢٢
—	٢٣
٥١	٢٤
٥٢	٢٥
—	٢٦
٥٣	٢٧
٥٤	٢٨
٥٥	٢٩
—	٣٠
٥٦	٣١
٥٧	٣٢
٥٨	٣٣

قد جاء في الأثر اللهم أرنا الاشياء كما هي

ان قال قائل أى فائدة في خلق ما يؤذى الخ

كلما أوغلت الفهوم في معرفة الخالق الخ

في سبب تبذير الولاية

من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا يحتمله عقولهم

لا يفرك من الرجل طنطنته وما تراه يفعل

رأيت خلقا يفرطون في أديانهم ثم يقولون احملونا إذا متنا إلى

مقبرة أحمد

رأيت الناس يذمون الحاسد الخ

من أعظم الضرر الداخلى على الانسان كثرة النساء الخ

إذا رأيت قليل العقل فى أصل الوضع فلا ترج خيره

يجب الاحتراز من كل ما يجوز أن يكون الخ

يبين إيمان المؤمن عند الابتلاء

تذكرت فى سبب دخول جهنم فاذا هو المعاصى

من وقف على موجب الحس هلك ومن تبع العقل سلم

العجب لمؤثر شهوات الدنيا

قد أشكل على الناس رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام

غزير الفائدة

معرفة الله سبحانه وتعالى لا تحصل إلا لكامل العقل الخ



نمرة الفصل	نمرة الصحيفة
٣٣٤	٣٦٠
ما رأيت أظرف من لعب الدنيا بالعقول	
٣٣٥	٣٦٢
رأيت نفسى تأنس بخطاء تسميهم أصدقاء	
٣٦	٦٣
رأيت أكثر العالما مشغولين بصورة العلم الح	
٣٧	٦٥
للقية أن يطالع من كل فن طرفا من تاريخ وحديث ولغة وغير ذلك	
٣٨	٦٦
كانت هم القدماء من العلماء عليه الخ	
٣٩	٦٧
ليس للادى أعز من نفسه	
٤٠	٦٨
لا ينبغي للعاقل أن يظهر سرا حتى يعلم أنه اذا ظهر لا يتأذى بظهوره .	
٤١	
ما يتناهى في طلب العلم الا عاشق العلم	
٤٢	٧١
لا ينبغي للانسان أن يحمل على بدنه ما لا يطيق	
٤٣	٧٢
اذا تكامل العقل قوى الذكاء والفتنة	
٤٤	٧٣
الادى موضوع على مطلوبات تشتت الهم	
٤٥	٧٤
العزلة عن اخلق سبب لطيب العيش	
٤٦	٧٥
من سار مع العقل وخالف طريق الهوى وخاف العواقب أمكنه أن يتمتع من الدنيا الح	
٤٧	
ينبغي أن يكون العمل كله لله الح	
٤٨	٧٦
نظرت في حكم المطعم والمشرب والملبس والتمسك الح	
٤٩	٧٧
في مخالطة الامراء	

نمرة الفصل	نمرة الصحيفة
٣٥٠	
٣٥١	٣٧٩
٥٢	٣٨٠
٥٣	٨١
٥٤	٨٢
٥٥	٨٤
٥٦	٧٦
٥٧	٨٧
٥٨	
٥٩	٨٩
٦٠	٩٠
٦١	٩١
٦٢	٩٤
٦٣	٩٥
٦٤	
٦٥	٩٦
٦٦	٩٧
٦٧	٩٨
٦٨	٩٩

نمرة الفصل	نمرة الصحيفة
٣٦٩ في معاشرۃ النساء	٤٠٠
٣٧٠ لا عيش في الدنيا إلا للقنوع باليسير	٤٠١
٧١ « قد تكرر معناه في هذا الكتاب الخ »	٤٠٢
٧٢ « من تلح أحوال الدنيا علم ان مراد الحق سبحانه وتعالى اجتنابها .	٤٠٣
٧٣ « العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا	٤٠٤
خاتمة الكتاب	٤٠٥

## خاتمة الكتاب

حمد لمن أبدع صنع الانسان وأثار عقله بنور العلم والعرفان. وتوجه  
بتاج الشريعة الغراء وحلاه بحلمية الاسلام والايمان. وصلاة وسلاما على  
أشرف هاد الى أقوم دين بسواطع الأدلة والبراهين. وأعظم ماح لظلمات  
الشكوك والأوهام بنور الحق واليقين. وعلى آله المتخلفين باخلافه  
المهتدين بهداه. وأصحابه مصاييح الظلام وسفن النجاة.

وبعد. فما برز في مرابا الظهور من خزائن الأسرار. وأشرق في سماء  
الوجود من شمس عرائس الأفكار. الكتاب الموسوم بصيد الخاطر.  
الذي جل في بابه عن شبيهه أو مناظر. لمؤلفه العلامة المحقق ابو الفرج عبد الرحمن  
ابن علي بن محمد بن الجوزي طاب ثراه. وأفاض الكرم عليه سوانج جوده  
ورحمه. ومذاشر أبت أعناق الطالبين لاجتلاء محاسنه الباهرة. وتاقت  
نفوس المتعطين لارتشاف رحيق فوايده الزاهرة. هبت نسائم التوفيق  
لابرازه في قالب الطبع. واهتز تيار الهمة لابرار محاسن عرائسه على أطف  
طراز وأحسن وضع. فبرز بحمد الله تعالى راقلا في حلل البهاء والفخار.  
متوجا بتاج القبول والاعتبار. متمثلا بطبعه بعناية ادارة المهام المفضل  
السيد أمين افندي الخانجي على ذمة أولاده المحترمين أصحاب المكتبة  
الخانجية. وذلك بمطبة الشرق الواقعة بحارة المدرسة نمرة ٦ بجوار الازهر  
الشريف بمصر. بادارة صاحبها السيد عبد الرحمن محمود فايد. وذلك في السنة  
الخامسة والأربعين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من هو علي  
أكمل وصف عليه السلام

بيان الخطأ والصواب المطبوع في هذا الكتاب

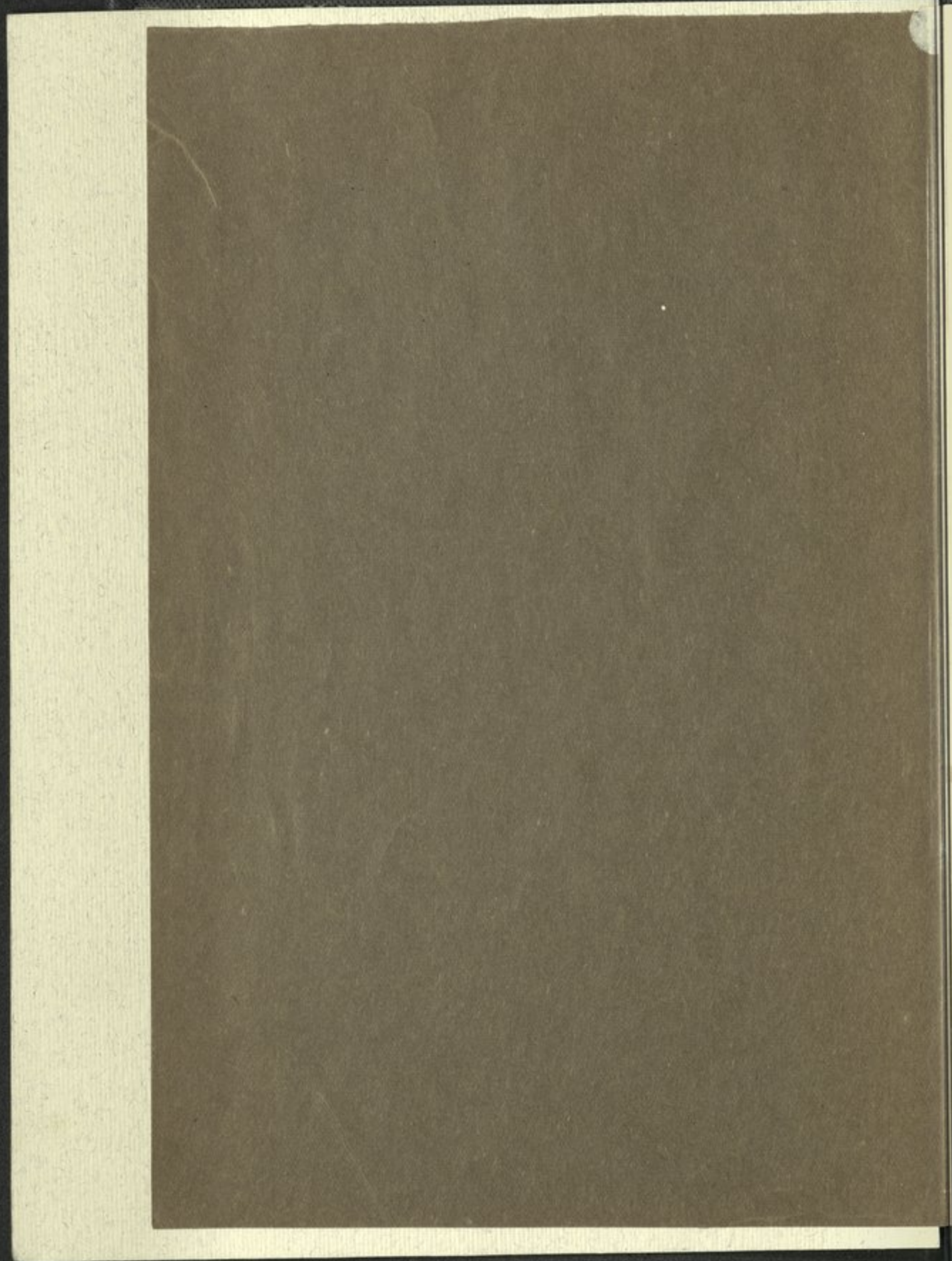
صواب	خطأ	سطر	صحيفة
بل	بلى	٢	٤
إقدام	أقدام	١٧	١١
يرصد	يرصده	١٦	١٢
أنتى	أنى	١٩	٢٢
راياهم	راياهم	٠٢	٢٤
ونبيهم	ونهم	١٩	٢٧
علياً بن أبي	علياً بن أبي	٣	٢٩
ماوراءها	ماوراها	٢٠	٢٩
فقال لا لأنى	فقال لأنى	٢٠	٣٠
عله	علل	٢٠	٣٠
وحضرت العشاء فابدؤا	وحضرت العشاء حضر فابدؤا	٢	٣٤
مسموم	مسهوم	١٨	٣٥
ماغتسلت	ماإغتسلت	٠٥	٣٦
بأضدادها	باضداها	٠١	٣٨
وكان	وكان	٥	٦٠
فإن	فإن	٦	٧٨
اسلام	أسلام	١٩	٠٠
الإثبات	الأثبات	٢٠	٠٠
إثبات	أثبات	٣	٧٩
ابتدى	ابتدأ	٢٠	٠٠
عن الاختلاف	على الاختلاف	٤	٨٠
وتحذر	ويحذر	٥	٨١

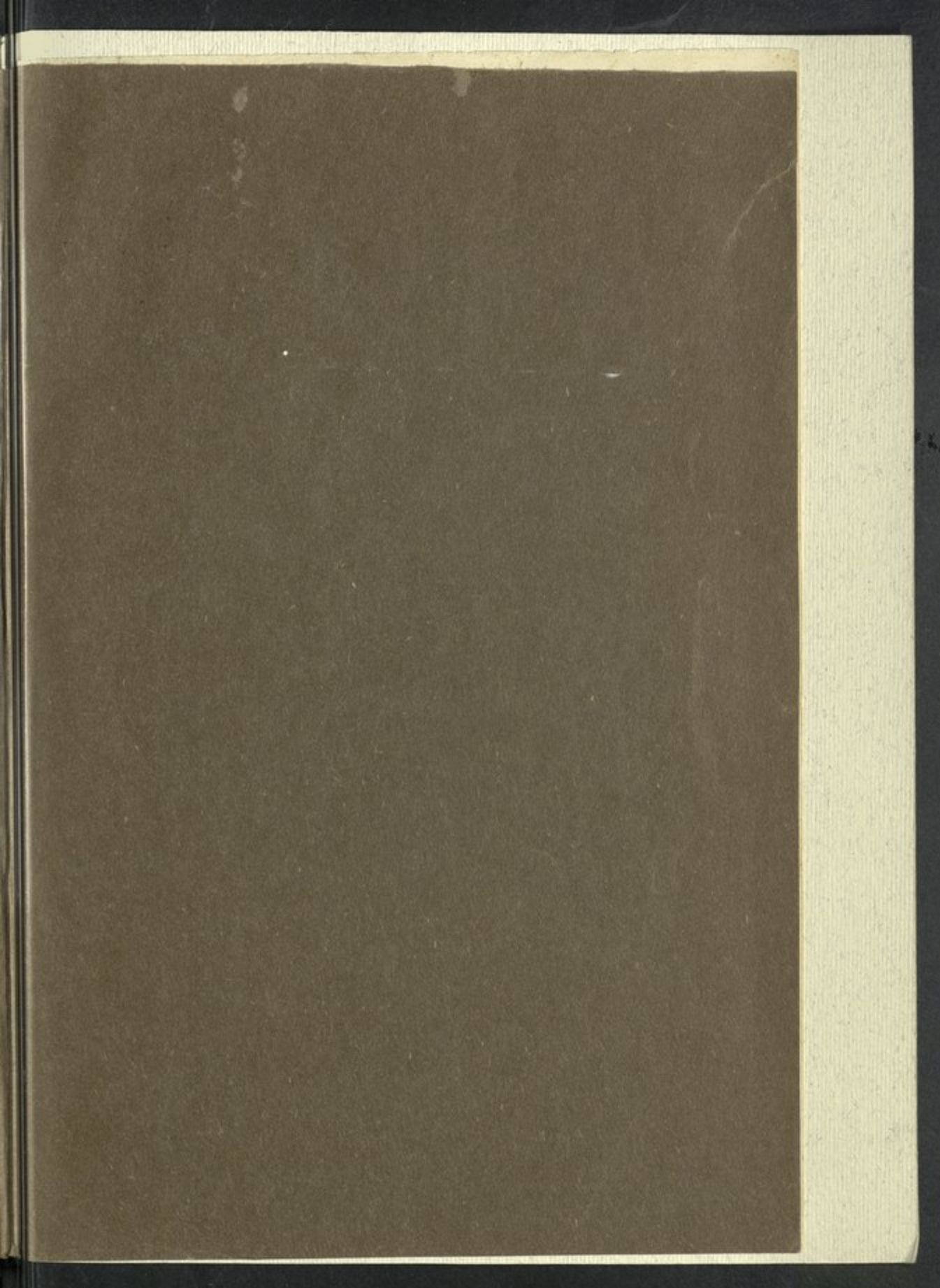
صواب	خطأ	صفحة	سطر
إما في البداية	أما في البداية	٨٢	٩
أو لقله	أولقة	٠٠	٠
ابن مسعود	ابن سعود	٨٣	٣
أنجح	الحح	٨٤	٢
فأى لب	فأى لبا	٨٤	١٧
ضوا با	صواب	٨٨	١٩
قتال	قتالوا	٨٩	٠١
فيه فتوسلوا	فيه فتوشلوا	٠٠	٠٣
رؤية	رؤية	٠٠	٠٦
أغضب	اعضب	٠٠	٠٨
الهمنا	ألهمنا	٩٠	٤
فمن طلب	فمن طلب	١٠٧	٧
شاغلا	شاغل	١١١	٢٠
مشهدا	مشهد	٠٠٠	٠٢
وما عملك	وما عملك	٠٠٠	١١
قيام للتعبد	قيام التعبد	١٢٥	٠٩
٠٠	بما نزل المبارك	١٢٨	٠٦
٠٠	ابن المبارك واما	١٢٩	٠٧
ولا يبالون	ولا يبالغون	١٣٠	٠٥
بعد الفعل	بعد العفل	١٤٤	١
أن لا يحسن	الايحسن	٠٠٠	١٢
فحملني	فيحملني	٠٠٠	١٧
إماه اما	أما وأما	١٤٥	٢٠

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
مبارك	مباركا	١٠	١٤٦
إن	أن	١٥	١٤٨
يقع	وقع	٢	١٥٢
إخواني	أخواني	٦	٥٠٠
خبر	خبرا	١١	٥٠٠
ليلك	لبك	٧	١٥٥
وابن الخلال	وابن الجلا	٣	١٥٦
ايلاته	ايلائه	١٢	١٥٨
التصفح	التصفح	١٦	١٦٠
ما أقاموا	ما أقامو	١٩	٥٠٠
مراده	مرادك	١٥	١٦٣
سنح	نسخ	١٩	٥٠٠
مزاحة العلة	مزاحة العلة	١٣	١٦٥
بقوله	بقول	١٥	١٧١
الحسن	الحس	١٠	١٧٢
هذه	هذا	٥٦	١٧٣
تجني	تجيني	١٣	١٧٧
فأيدته	فأيدته	١١	١٩٦
مراده	مرده	١٢	١٩٦
ونعلاه	ونعليه	٥٣	٢٠٦
بالزائل	بالزائل	٢١	٥٠٠
عن يعقوب	ابن يعقوب	١٥	١٢٢
لأنا تقوله	لأنا تقوله	١٦	٢٢٢

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
من رأى	من رأى	٢١	٢٢٨
منعت	تنعت		
فآثره	فآثره	١٣	٢٤٩
وإذا كان لا	وان كان لا	١١	٢٥٥
شيئا الا وعندك	شيئا وعندك	١٩	٢٦١
فما آمن	فما امن		٢٧٣
الرزائل	الرزائل	٥٣	٢٩٠
بجيبه	بجيبه	٢١	٢٩١
في طلب الصواب واكثرهم لا يقصد	في طلب الصواب لا يقصد		٣٠٤
فالعين	العين		٣٧٣







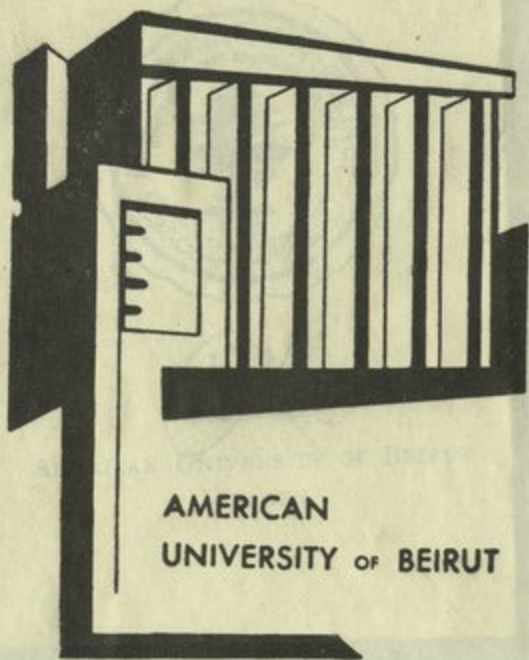
297.41:1133sA:c.1

ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن ب  
صيد الخاطر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01009903



AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT

141  
1A